نوادر الأصول

في معرفة أحاديث الرسول

(صلى الله عليه وآله وسلم)

النسخة المسندة الكاملة

تصنيف

الحكيم الترمذي

أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر المؤذن

المتوفى في حدود سنة ٢٨٥ هـ

رحمه الله تعالى

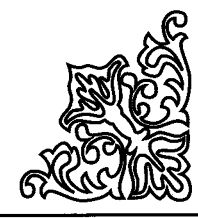
يطبع لأول مرة كاملاً محققاً على نسختين خطيتين

المجلد السادس

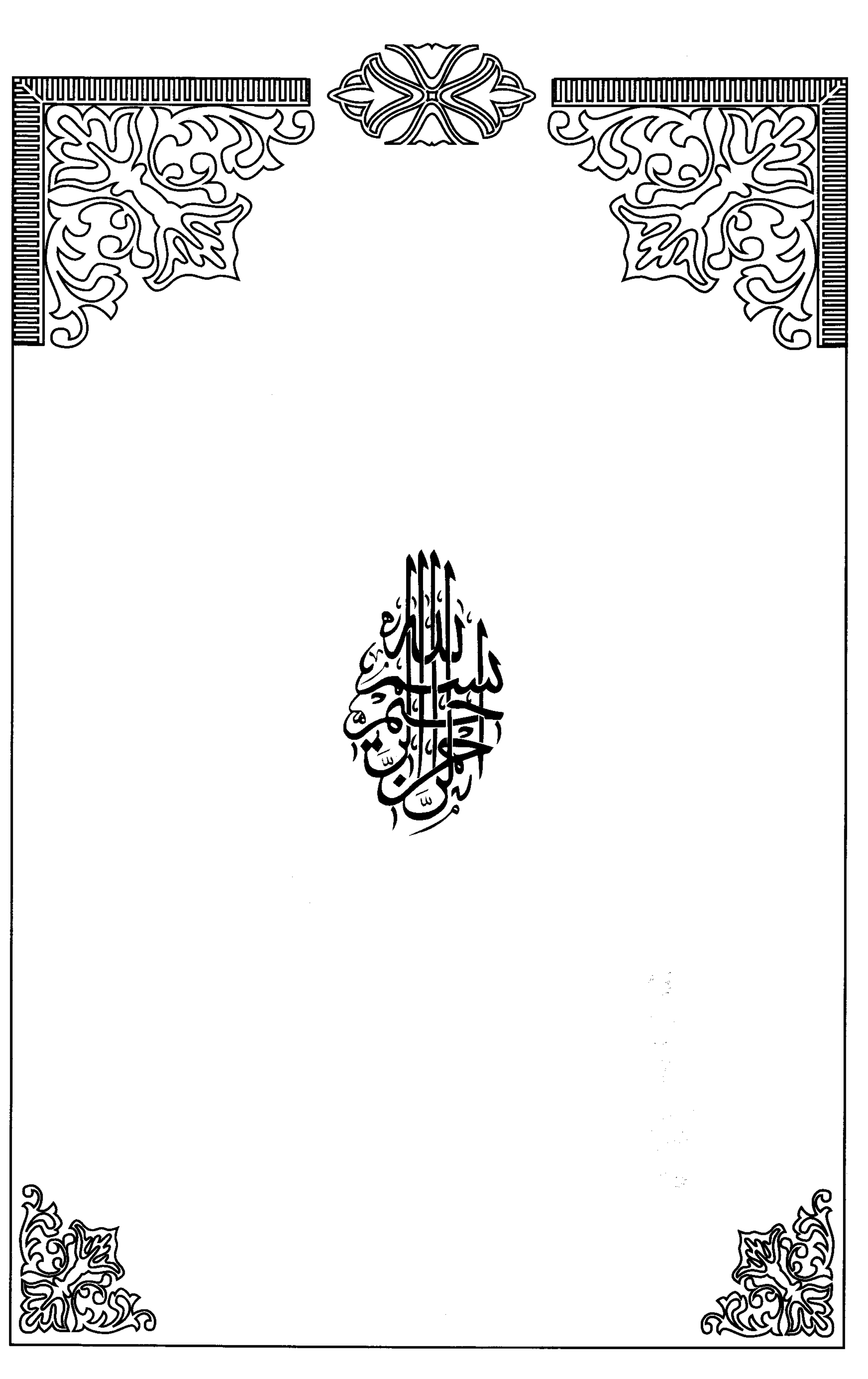
تحقيق

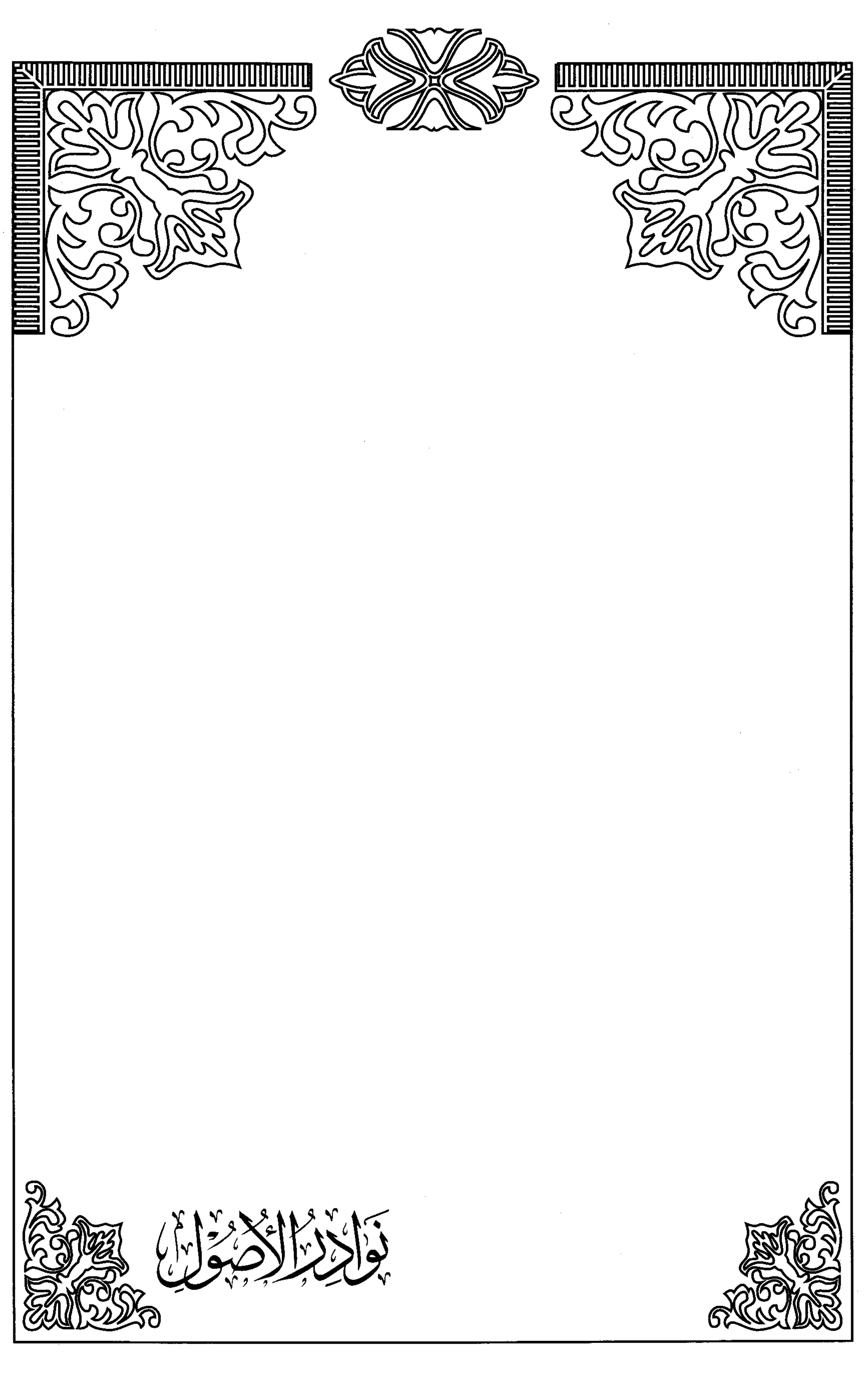
توفيق محمود تكله

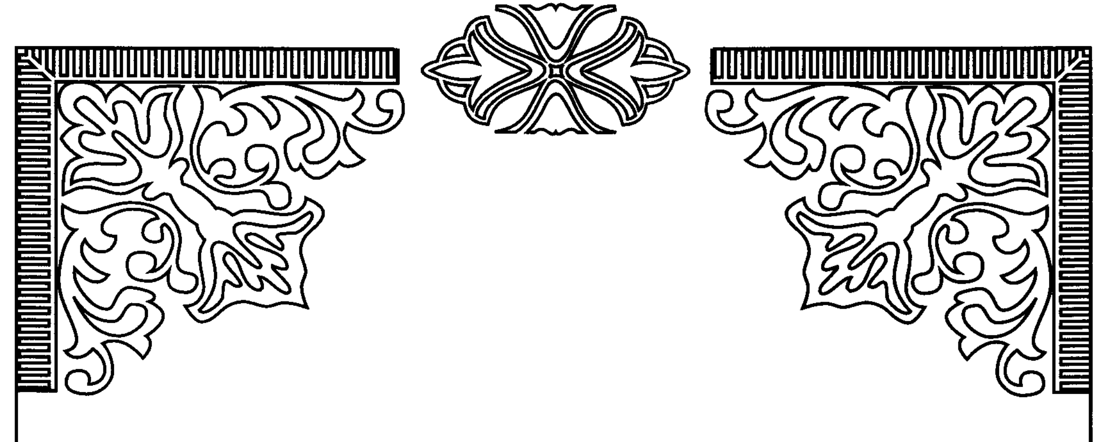




دار النوادر




نوادر الأصول



الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

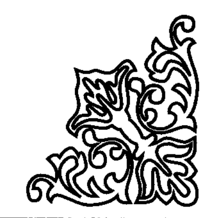
ردمك: ٩٧٨ - ٩٩٣٣ - ٤١٨ - ٢٥ - ٠ : ISBN











سوريا - دمشق - ص . ب : ٣٤٣٠٦

لبنان - بيروت - ص . ب : ١٤/٥١٨٠

هاتف : ٠٠٩٦٣١١٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٠٠٩٦٣١١٢٢٢٧٠١١

www.daralnawader.com



الأصل السابع والأربعون والمئتان

(١٣٠٨) ـ نا قتيبة بن سعيد، قال: نا المفضل[١] بن فضالة المصري، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[الناس: ١]، ويمسح بهما ما استطاع من جسده، ويبدأ بهما[٢] على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[٣].

---

(١) في «ن»: الفضل.

(٢) في الأصل: بها، والصواب من «ن».

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، وأبو داود (٥٠٥٦)، والترمذي (٣٤٠٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٢٤)، وفي «عمل اليوم والليلة» (ص: ٤٦٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٢٠١)، وفي «الدعاء» (ص: ١٠٧) من طريق قتيبة، به. =

(١٣٠٩) ـ نا قتيبة، عن مالك بن أنس، وحدثنا يحيى[١] بن الأحمر الطائي، قال: أملى[٢] علينا مالك بالرقة مع ولد المهدي، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ: كان إذا اشتكى، نفث على رأسه بالمعوذات، فمسح بيديه، فلما اشتكى وجعَه الذي قُبض، طفقتُ أنفثُ عليه المعوذات، وأمسح عليه بيد رسول الله ﷺ؛ رجاء بركتها[٣].

(١٣١٠) ـ حدثنا أبي رَحِمَهُ اللَّهُ، ثنا الحماني، ثنا سليمان ابن بلال، عن يونس، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى

= وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

وأخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٥٥٤٤) من طريق المفضل بن فضالة، به.

(١) في الأصل: ويحيى، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: أملاه.

(٣) في «ن»: «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى، قرأ على نفسه بالمعوذات، وينفث، فلما اشتد وجعه، كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده؛ رجاء بركتها».

أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٤٧) من طريق قتيبة بن سعيد، به.

وأخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٤٢).

ومن طريقه أخرجه البخاري (٤٧٢٨)، ومسلم (٢١٩٢)، وأبو داود (٣٩٠٢)، وابن ماجه (٣٥٢٩)، وأحمد في «المسند» (٦/ ١٠٤)، وابن حبان في «الصحيح» (٢٩٦٣).

فراشه، نفث في كفيه بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١]، والمعوذتين، ثم يمسح بهما وجهه وعضده وصدره حيث بلغت من جسده، فلما اشتكى، أمرني أن أفعل ذلك، فكنت أقول: أعطني كفيك أمسح بهما؛ رجاء بركتهما.

قال يونس: فكنت أرى ابن شهاب يفعل ذلك إذا أوى إلى فراشه[1].

(١٣١١) ـ **حدثنا** سفيان بن وكيع، ثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، عن زياد بن سعد: أن ابن شهاب حدثه عن عروة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى، نفث على نفسه بالمعوذات، فمسح بيديه، فلما اشتكى وجعه الذي قبض فيه، طفقتُ أنفث عليه بالمعوذات، وأمسح عليه بيد رسول الله ﷺ[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

ففي حديث عقيل يخبر أنه بدأ فنفث فقرأ، كأنه دل على أن النفث

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤١٦) من طريق يونس، به.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٧٥)، وأبو داود (٣٩٠٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٥٤٤)، وابن ماجه (٣٥٢٩)، وأحمد في «المسند» (٦/ ١٠٤)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٤٢)، وابن حبان في «الصحيح» (٢٩٦٣) من طريق ابن شهاب، به.

قبل القراءة، وفي حديث مالك بدأ بذكر القراءة ثم النفث، وفي حديث يونس بدأ بذكر النفث بلا تلاوة[1]، قال: نفث بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١]، ولا يكون هذا النفث إلا بعد القراءة، وإذا فعل الشيء بشيء، كان ذلك الشيء مقدماً حتى تأتي الشيء الثاني.

فقال في حديث يونس: نفث بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يدل على أن القراءة مقدمة، ثم نفث ببركته[2]؛ لأنه يبتغي من قراءة هذه الأشياء أن يصل إلى الجسد نورها وبركتها، ولا يقدر على الإيصال إلا[3] بمثل هذا، وذلك أن العبد إذا قرأ، استنار صدره بنور هذا الكلام الذي يتلوه كل قارئ على قدره، فإذا نفث، فإنما ينفث من الصدر، والنفث من الروح، والنفخ من النفس، وعلامة ذلك: أن الروح باردة، والنفس حارة، فإذا قال: نفث، خرجت الريح باردة فذاك من برد الروح، وإذا قال: ها، خرجت الريح حارة، فتلك من النفس[4]، فالأولى نفثة، وهذه الثانية نفخة، وإنما صار هكذا، لأن الروح مسكنها في الرأس، ثم هي متفشية[5] في جميع الجسد، والنفس مسكنها في البطن، ثم هي متفشية في جميع الجسد، وفي كل واحدة منهما حياة، بهما[6] تستعملان الجسد بالحركات،

---

(١) في «ن»: قراءة.

(٢) في الأصل: بركته، وما أثبتناه من «ن».

(٣) إلا: ليست في «ن».

(٤) باردة فذاك من برد الروح، وإذا قال: ها، خرجت الريح: زيادة من «ن».

(٥) في الأصل: منفشة، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: بها، وما أثبتناه من «ن».

والروح سماوية، والنفس أرضية، والروح عادتها الطاعة، والنفس عادتها الشهوات.

فإذا ضم شفتيه، اعتصرت الروح في مسكنها، فإذا قصد لإرسالها، خرجت على شفتيه مع البرد، فذلك النفث، وإذا فتح فاه، اعتُصرت النفس، فإذا أرسلت، خرجت ريح حارة، فإنما جاء الخبر بالنفث؛ لأن الروح أسرع نهوضاً إلى نور تلك الكلمات إذا تلاها العبد، وأوفر حملاً من النفس، والنفس ثقيلة بطيئة عاجزة، فأدى الروح إلى الكفين بذلك النفث ريحاً قد(1) باشرت أنوار الصدق(2) التي أثارتها تلك الكلمات، واستقبلتها بما جاء به من المزيد، فإن في كل كلمة منها نور[اً]، وفي كل حرف من تلك الكلمة نوراً، فإذا صار الريح إلى الكفين بالنفث، مسح بهما وجهه، وما أقبل من جسده(3)؛ لأن الحق للوجه(4)؛ لأن الصورة منها(5)، ثم الحق بعد(6) ذلك لما أقبل من جسده؛ لأن قبالة المؤمن حيث ما كان فهو لقبالة الله، وكذلك قلبه في الباطن، فالحق له في النفث أن يبدأ بالوجه، وبما أقبل من جسده، وتفاوت النفثات من أهلها على قدر نور قلوبهم، وعلمهم بتلك الكلمات، فإذا فعل ذلك بجسده

---

(1) في الأصل: النفث قد، وما أثبتناه من «ن».

(2) في «ن»: الصدر.

(3) في «ن» زيادة: من جسده ثم بعد ذلك حيث ما بلغ من جسده.

(4) في الأصل: الحق في الوجه، وما أثبتناه من «ن».

(5) في «ن»: فيها.

(6) في «ن»: من بعد.

عند إيوائه إلى فراشه، كان كمن اغتسل بأطهر ماء وأطيبه، فما ظنك بمن يغتسل بأنوار كلمة الله؟

وكان ذلك أيضاً كثوب نفض من غباره، وخلص من شوكه، وتباعد من الزهومات، فعاد طرياً طيباً، فخرجت نفسه إلى الله في منامه، كذلك هذا سوى الاستغفار والتوبة، والتسبيح والدعاء الذي أشار رسول الله ﷺ للأمة إليه عند منامهم، فإنما اختار هذه القلاقل[1] الثلاث؛ لأن في إحداهن مدحة الله ونعته، فبه يطهر سره[2] ويطيب، وبالمعوذتين يتخلص من الشرك والعلائق؛ لأن على ابن آدم عدوين عظيمي[3] المؤنة: النفس، والشيطان، يأتيان بالشك والشرك في اليقظة، ويأتيان بالعين الحاسدة التي تهدم أركان النعمة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «العَينُ حَقٌّ، وَأَكثَرُ مَن يَمُوتُ مِن أُمَّتِي بَعدَ قَضَاءِ اللهِ بِالعَينِ[4]»[5].

---

(١) في «ن»: القلات.

(٢) في «ن»: يطهر ويتنزه.

(٣) في «ن»: عظيما.

(٤) في «ن»: بالنفس.

(٥) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٦/ ٣١٦) للطيالسي، والبخاري في «التاريخ الكبير»، والحكيم الترمذي، والبزار، والضياء، عن أبي هريرة، والسجزي في «الإبانة» عن عبدالله بن أبي أوفى.
وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ١٥٥) من حديث أسماء بنت عميس ـ رضي الله عنها ـ بلفظ: «نصف ما يحفر لأمتي من القبور من العين».
وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٦٠)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٢٤٢)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ١١٩) من حديث جابر ﷺ.
وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٢٠٤) عن سند البزار: سنده حسن.

وإنما صار هكذا؛ لأن هذه الأمة أيدت باليقين، وفُضلوا به، وطريقهم إلى الله واسعة، وطولبوا بما فضلوا أن ينسبوا كل شيء يستحسنونه إلى خالقه، ويتبركوا فيقولوا: تبارك الله، فإذا تركوا ذلك إعجاباً بذلك الشيء، تهافت ذلك الشيء، وذهب حسنه وهلك، ولذلك قال رسول الله ﷺ حيث سبق ناقة الأعرابي ناقة رسول الله حيث استبقا، فقال: «حَقٌّ عَلَى اللهِ أَن لاَ يَرفَعَ النَّاسُ أَعيُنَهُم إِلى[1] شَيءٍ إِلاَّ وَضَعَهُ اللهُ»[2].

فإنما ذم رسول الله تلك العيون الغافلة عن الله.

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يتعوذ من شر تلك العيون، فسماها: حاسدة، فقال: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[الفلق: ٥]؛ فإنما سمي حاسداً؛ لأنه يحصد الأشياء حصداً، ويستأصلها بشؤم نظرته الفاجرة عن الله، والسين والصاد يعتقبان يجزئ[3] أحدهما عن الآخر؛ كقولك: صراط، وسراط.

قال له قائل: فإن كان هذا الناظر لغفلته[4] هو الجاني، فما بال المنظور إليه حيث لحقته العقوبة؟.

قال: ليس ذاك عقوبة، ولكن هذا تدبير الله في عباده.

---

(١) في «ن»: على.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧١٧)، وأبو داود (٤٨٠٢)، والنسائي (٦/ ٢٢٧)، وفي «السنن الكبرى» (٤٤٣٣)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٠٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٥٣١)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٣٩١)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٧٣١)، وابن حبان في «الصحيح» (٧٠٣)، والدارقطني في «السنن» (٤/ ٣٠٣) من حديث أنس ﷺ.

(٣) في الأصل: مجزئين، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: بغفلته.

ألا ترى أن الساحر يسحر بأخذته[1]، فيخلص الضرر إلى من سحره[2] حتى يعالج، وكذلك فعل برسول الله ﷺ حيث أُنزلت عليه المعوذتان[3]، فكان جبريل عليه السلام يقرأ كل آية، ويحل عقدة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾[الفلق: ٤].

فالساحر يعقد وينفث، فيؤخذ بها أعضاء من يقصده بذلك، فكذلك هذا يخلص إليه ضرر نظرته المشؤومة[4] بالإعجاب حتى تلحده[5].

عدنا إلى حديث يونس عن الزهري.

قلنا: فمن اتخذ هذا الفعل عندما يأوي إلى فراشه عادة، رأى النفع الظاهر في جسده، وسائر أموره؛ لأن النفس تعرج إلى الله في منامها مع البركة، والنزاهة والطهارة[6]، والتخلص من الشرك بقراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١]، فتسجد تحت العرش، وهي بهذه الصفة قد اغتسلت بهذه الأشياء، فتنال من حب الله، وكرامته، ما يرجع إلى الجسد بالخير الكثير، والمزيد الشافي، فإذا عرجت إلى الله بغير هذه الصفة، سجدت، وهي خالية عن هذه الأشياء، فتنال من الحب، والكرامة على قدر نورها[7].

---

(١) في الأصل: يأخذ به، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: يسحره.

(٣) في «ن»: المعوذتين.

(٤) في «ن»: المشوبة.

(٥) في «ن»: حتى تأخذه.

(٦) في «ن»: والطهارة والنزاهة.

(٧) في الأصل: نوره، والصواب من «ن».

(١٣١٢) ـ نا قتيبة بن سعيد، قال: نا ابن لهيعة، عن واهب بن عبدالله المعافري، عن عبد[(١)] الله بن عمرو، قال: تعرج الأرواح إلى الله في منامها، فما كان طاهراً، سجد تحت العرش، وما لم يكن طاهراً، سجد قاصياً[(٢)].

فلذلك يستحب أن لا ينام الرجل إلا وهو طاهر.

فإنما ذكر عبدالله بن عمرو في حديثه الأرواح، وإنما هي النفوس، وقد يسمى الشيء باسم قرينه، كما قيل: قلب وفؤاد.

فالقلب: ما بطن، والفؤاد: ما ظهر، وفيه: العينان، والأذنان، فالخروج في منامها: للنفوس، وذلك قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[الزمر: ٤٢].

(١٣١٣) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا عبد الغفار بن داود، عن ابن لهيعة، عن عثمان بن نعيم، عن أبي عثمان الأصبحي، عن أبي الدرداء، قال: إن النفوس تعرج إلى الله في منامها، فما كان طاهراً، سجد تحت العرش، وما كان غير طاهر، تباعد في سجوده، وما كان جنباً، لم يؤذن لها

---

(١) في «ن»: عبيد.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ١٧٥) من طريق قتيبة، به.

في السجود[1].

فإذا كان بطهارة الوضوء ينال القربة تحت العرش حتى يسجد هناك، فكيف إذا أتى بطهارة، قد وضىء وتوضىء[2]، ونزه، وطاب، وطهر بأنوار كلام الله الذي تردد[3] في صدره، ونفث منها على جسده، إن هذه لسجدة لها عند الله خَطرٌ[4] عظيم.

❐ ❐ ❐

(١) إسناده مسلسل بالضعفاء والمجاهيل.

(٢) وتوضىء : ليست في «ن».

(٣) في الأصل: يرد، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: حظ.



الأصل الثامن والأربعون والمئتان

(١٣١٤) ـ نا سليمان بن منصور الذهبي، قال: نا أبو حفص العبدي، عن أبان، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ العَبدَ لَيَبلُغُ بِحُسنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّومِ وَالصَّلاَةِ»[1].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فدرجة الصوم: درجة الصابرين، ودرجة الصلاة: درجة الشاكرين.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٣) من طريق أم الدرداء، به.
وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.
وأخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٠)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٤٤٨)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٩٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١١٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ٢٩٨) من طريق أم الدرداء بلفظ: «ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن».
وأخرجه هناد في «الزهد» (٢/ ٥٩٤) من طريق أبان عن عطاء، عن أم الدرادء، قالت: قال أبو الدرداء: «ما يوضع في الميزان يوم القيامة شيء أثقل من حسن الخلق، وإن حسن الخلق ليبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم».

ثم إذا وصل العبد درجة[1] الشاكرين، والصابرين، فقد جمع الإيمان[2]، وذلك قول رسول الله ﷺ: «الإِيمَانُ نِصفَانِ: نِصفٌ لِلصَّبرِ، وَنِصفٌ لِلشُّكرِ»[3].

وإذا جمع العبد الإيمان كله، انقطع بقوة هذا الإيمان إلى الله، وإذا انقطع إلى الله، نجا من شرور النفس وخدعها، وأمانيها، وصار في معاذ الله من وساوسها.

وروي عن عمران بن حصين عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «مَنِ انقَطَعَ إِلى اللهِ، كَفَاهُ مُؤنَتَهُ، وَرَزَقَهُ مِن حَيثُ لاَ يَحتَسِبُ»[4].

وبذلك أمر الله نبيه عليه السلام بقوله[5]: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[المزمل: ٨ ـ ٩].

فالتبتل: الانقطاع إليه، ثم أمره أن يتخذه وكيلاً، فمن تمسك بهذه الآية، عاش حراً كريماً، ومات حراً كريماً، ولقي الله عبداً صافياً خالصاً.

وروي عن رسول الله ﷺ: أنه قال في حديث الرؤيا: «وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي بَينَهُ وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ، فَجَاءَهُ حُسنُ خُلُقِهِ، فَأَدخَلَهُ عَلَى اللهِ»[6].

فهذا يحقق ما قلنا بدءاً: أن حسن الخلق يؤديه إلى الله انقطاعاً إليه

---

(١) في «ن»: إلى درجة.

(٢) في «ن»: الإيمان كله.

(٣) تقدم تخريجه في الأصل السادس والثلاثين.

(٤) سيأتي تخريجه في الأصل الثاني والسبعين والمئتين.

(٥) في «ن»: فقال.

(٦) تقدم تخريجه في الأصل الثاني والتسعين والمئة.

عن النفس وفتنتها.

وحسن الخلق على ثلاثة منازل:

أول منزلـة منها: أن يحسن خلقـه مع أمره ونهيـه، فيأتمر بأمره، وينتهي عن مناهيه، فإذا أحكم هذا، تخطى إلى[1] المنزلة الثانية[2]، وهو أن يحسن خلقه مع جميع خلقه على سبيل المساعدة والمقاربة والمساهلة، واللين والرفق والمواتاة، والتداري ومعاشرة الجميل، فإذا أحكم هذا، تخطى إلى المنزلة الثالثة، وهو أن يحسن خلقه[3] مع تدبير الله في كل أموره، ولا يريد إلا ما يريد، ولا يشاء إلا ما يشاء، فعينه مادة إلى ما يبرز له ساعة فساعة من نفحات[4] الملكوت من تلك الغيوب من تدبيره، فيتلقاه مهتشاً راضياً، قد ائتمن الله على نفسه وأحوالها، فهذا رجل قد استكمل حُسن الخلق، فاستراح قلبه، واطمأنت نفسه، واستقامت جوارحه، وألقى بيديه إلى الله سلماً، ووجده كافياً، كريماً، حسيباً، مولًى ناصراً، فنعم المولى، ونعم النصير.

وإذا قال حينئذٍ: حسبي الله، صدقه الله على عرشه، وإذا قال: كفى بالله وكيلاً، كفاه الله، وإذا توكل عليه، هيأ له، وإذا اتكل على كرمه، وفَّى له بما هو سأله، ولو كان ذلك[5] طي الأرض، والمشي في الهواء، ولو سأله

---

(١) في الأصل: هذا إلى، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: الثالثة، وما أثبتناه من «ن».

(٣) قوله: زيادة من «ن».

(٤) في «ن»: حجاب.

(٥) ذلك: ليست في «ن».

يوم القيامة أمة، لشفعه فيهم، وكان مسكنه في أعلى الجنان.

يحقق ذلك ما:

(١٣١٥) ـ نا به أبي رَحِمَهُ اللهُ، قال: نا أبو نعيم، قال: نا سلمة بن وردان الكناني، قال: سمعت أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ: «مَن تَرَكَ الكَذِبَ، وَهُوَ بَاطِلٌ، بَنَى اللهُ لَهُ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ، وَمَن تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ، بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِهَا، وَمَن حَسَّنَ خُلُقَهُ، بُنِيَ لَهُ فِي أَعلاَهَا»[(١)].

فالذي قال رسول الله ﷺ في حديث أبي الدرداء: «إِنَّ العَبدَ لَيَبلُغُ بِحُسنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ».

هو عندنا درجة المعاشرة مع خلقه، مع الائتمار بأمره، والتناهي عما نهى عنه، فهذا عبد نزل من حسن الخلق درجتين، فصار كمن صام نهاره، وقام ليله، فهو صابر شاكر، وإنما بقيت له الدرجة العليا، فتلك درجة المقربين خاصةِ الله.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٩٣)، وابن ماجه (٥١)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٣٣٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ٢٠٩) من طريق سلمة بن وردان، به.

وقال الترمذي: هذا الحديث حسن، لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن وردان عن أنس بن مالك، وهو حديث حسن.

وضعفه بعضهم بسلمة بن وردان. انظر ترجمته في: «تهذيب التهذيب» (٤/ ١٤٠)، والله أعلم.



الأصل التاسع والأربعون والمئتان

(١٣١٦) ـ نا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي، ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، ثنا إسماعيل بن إبراهيم الصائغ، ثنا أبو سفيان، عن سالم، عن الحسن، عن أبي هريرة[1]، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن مَرِضَ لَيلَةً، فَصَبرَ وَرَضِيَ بِهَا عَنِ اللهِ، خَرَجَ مِن ذُنُوبِهِ كَيَومَ وَلَدَتهُ أُمُّهُ»[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

جاد العبد بنفسه على الله ليلةً واحدةً، فجاد الله عليه بمغفرة طهرته

---

(١) جاء الإسناد في الأصل هكذا: حدثنا محمد بن إسماعيل، عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وما أثبتناه من «ن».

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ١٢٥)، والسيوطي في «الجامع الصغير» (ص: ١٢٦٣) للحكيم الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأبو سفيان هو وكيع بن الجراح، وشيخه سالم بن عبد الواحد المرادي ضعفه ابن معين، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، ووثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الطحاوي: مقبول الحديث. انظر: «تهذيب التهذيب» (٣/ ٣٨١).

من جميع الذنوب، فصار كمن لم يذنب، فهكذا شأن الكريم مع المؤمنين، هذا فيمن جاد عليه بنفسه ليلة واحدة، فكيف بمن جاد عليه بنفسه في جميع عمره، بماذا يجود عليه غداً؟.

يجود عليه بوجهه الكريم، حتى يصير بالصفة التي ذكرها في تنزيله، فقال عندما ذكر لظى ـ نعوذ بالله منها ـ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾[الليل: ١٧ ـ ١٨].

فوصفه أنه في جانب وبمعزل من النار، ثم سماه الأتقى، ثم وسمه بالزكاء، وهو الامتلاء والاحتشاء، ثم ذكر صفاءه[1] وإخلاصه، فقال: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾[الليل: ١٩].

ثم أنبأ عن سره[2] ماذا يبتغي بفعله، فقال: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[الليل: ٢٠] أي: ابتغى بهذا التقوى والصفاء والإخلاص أن يلقى وجهه الكريم.

قلنا: ويلقى غداً في الموقف رؤية، ويلقاه في الفردوس نظراً[3]، وذلك منتهى المنى، والنظر أكبر من الرؤية؛ لأنه يراه في الموقف رُئْيَ الديان عرضاً، وقبولاً وجزاء، وفي الفردوس رؤية الجنان نظراً[4] وبهجة وسروراً ولذة، ثم ختمه بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[الليل: ٢١]؛ أي: يعطى حتى

---

(١) في الأصل: وصفه وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: سر، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: في الفردوس رؤية الجنان نظراً.

(٤) من قوله: وذلك منتهى. . . إلى قوله: الجنان نظراً: ليس في «ن».

يرضى، وإنما يعطى ما يعقل العبد، ثم من وراء ذلك ما لم يعقله[1].

(١٣١٧) - نا الجارود بن معاذ، قال: نا وكيع، عن سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله - أظنه رفعه -، قال: «يَقولُ اللهُ تَعالى: يَا أَهلَ الجَنَّةِ! بَقِيَ لَكُم شَيءٌ لَم تَنَالُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ يَا رَبَّنَا؟ فَيَقُولُ: رِضوَانِي»[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

---

(١) في الأصل: يعقلوه، والمثبت من «ن».

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٤/ ٢٠٨) للحكيم الترمذي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.
أخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٧٤٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٥٦) من طريق الفريابي عن سفيان الثوري، به.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وقد تابع الأشجعي محمد بن يوسف الفريابي على إسناده ومتنه.
ووافقه الذهبي.
وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٢٦) من طريق عبدالله بن محمد ابن المغيرة - قال الهيثمي: متروك - عن سفيان، به.
وقال: لم يرو هذا الحديث عن سفيان مرفوعاً إلا عبدالله بن المغيرة والفريابي.
كذا قال، وعندنا متابعة أخرى، والله أعلم.
وعزاه ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٤٨٦): للمحاملي من طريق الفريابي عن سفيان، ورواه البزار في «المسند» من حديث الثوري، وقال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه «صفة الجنة»: هذا عندي على شرط الصحيح.
وأخرجه الطبري في «التفسير» (٣/ ٢٠٥) من طريق أبي أحمد الزبيري عن سفيان، به، موقوفاً.

فالرضوان[1] آخر ما ينال أهل الجنة؛ لأنه لا شيء أكبر منه، ذكر الله تعالى جنات عدن في تنزيله، ثم قال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[التوبة: ٧٢]، فكل عبد من أهل الجنة حظه من الرضوان هناك فيها على قدر جوده بنفسه على الله في الدنيا.

ألا ترى إلى أصحاب رسول الله ﷺ يوم الحديبية حيث بايعوا رسول الله على الموت، حتى قال جابر بن عبدالله: بايعناه على أن لا نفر[2].

فسر قوله: بايعناه على الموت، وكانت البيعة تحت الشجرة في ذلك الوادي، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾[الفتح: ١٨] إلى آخره، فأوجب لهم الرضا في بذلة واحدة بذلوا نفوسهم لله مع رسول الله ﷺ، فكيف بمن[3] بذل نفسه في جميع عمره لله؟ فمن أوجب الله له الرضا عنه في الدنيا، فحظه في الجنة الرضوان كله.

❏❏❏

---

(١) فالرضوان: ليست في «ن».

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٦)، والترمذي (١٥٩٤)، والنسائي (٧/ ١٤٠)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٨١)، وأبو يعلى في «المسند» (١٨٣٨).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) في الأصل: لمن، وما أثبتناه من «ن».



الأصل الخمسون والمئتان

(١٣١٨) ـ نا عمر بن أبي عمر العبدي، قال: نا إبراهيم بن موسى الفراء، عن هشام بن يوسف قاضي صنعاء، عن عبدالله بن بحير، عن هانئ البربري مولى عثمان بن عفان، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا دفن ميتاً، وقف وسأل له التثبيت، وكان يقول: «مَا يَستَقبِلُ المُؤمِنَ مِن هَولِ الآخِرَةِ إِلاَّ وَالقَبرُ أَفظَعُ مِنهُ»(١).

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٦) من طريق إبراهيم بن موسى الفراء.
وأخرجه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وأحمد في «المسند» (١/ ٦٣)، وهناد في «الزهد» (١/ ٢١١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦٦)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص: ٤٧)، وفي «شعب الإيمان» (١/ ٣٥٩) من طريق هشام بن يوسف، به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث هشام بن يوسف.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ :

فالوقوف على القبر، وسؤال التثبيت للمؤمن في وقت دفنه مدد للميت بعد الصلاة؛ لأن الصلاة بجماعة المسلمين كالعسكر، قد[1] اجتمعوا بباب الملك يشفعون له، والوقوف على القبر لسؤال التثبيت مدد العسكر، وتلك ساعة شغل المؤمن؛ لأنه يستقبل[2] هول المطلع وسؤال، وفتنة فتاني القبر منكر ونكير.

فإنما سُميا: فتاني القبر؛ لأن في سؤالهما انتهار[اً]، وفي خلقهما صعوبة.

ألا ترى أنهما سميا منكراً ونكيراً، فإنما سميا بذلك؛ لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين، ولا خلق الملائكة، ولا خلق الطير، ولا خلق البهائم[3]، ولا خلق الهوام، بل هما خلق بديع، وليس في خلقتهما أُنسٌ للناظرين إليهما، جعلهما مكرمة للمؤمن؛ ليثبته وينصره، وهتكاً لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب، وإنما صارت مكرمة للمؤمن؛ لأن العدو لم ينقطع طمعه بعد، فهو يتخلل السبيل إلى أن يجده في البرزخ.

ومما يحقق ذلك:

(١٣١٩) ـ ما نا به صالح بن محمد، عن حماد بن

---

(١) في «ن»: له قد.

(٢) في «ن»: يستقبله.

(٣) ولا خلق البهائم: ليست في «ن».

عبد الرحمن[1]، قال: نا إدريس بن صبيح الأودي، عن سعيد بن المسيب، قال: حضرت عبدالله بن عمر في جنازة، فلما وضعها في اللحد، قال: «بِاسمِ اللهِ، وَفي سَبِيلِ اللهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ». فلما أخذ في تسوية اللحد، قال: «اللَّهُمَّ أَجِرهَا مِنَ الشَّيطَانِ، وَمِنْ عَذَابِ القَبرِ، وَمِن عَذَابِ النَّارِ». فلما سوى الكثيب[2]، قام جانب القبر، ثم قال: «اللَّهُمَّ جَافِ الأَرضَ عَن جَنبِـهَا، وَصَعِّد رُوحَهَا، وَلَقِّهَا مِنكَ رِضوَاناً». فقلت لابن عمر: أشيئاً سمعتَهُ من رسول الله، أم شيئاً قلتَهُ من رأيك؟ قال: إني إذاً لقادرٌ على القول، بل سمعتُه من رسول الله ﷺ[3].

---

(١) عن حماد عن عبد الرحمن: كذا في الأصل، و«ن»، والصواب ما أثبتناه.

(٢) في «ن»: الكثيب عليها.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٢٧٤)، وفي «الدعاء» (ص: ٣٦٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٢٤١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٥٥) من طريق حماد بن عبد الرحمن، به.
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة على زوائد ابن ماجه» (٢/ ٣٨): في إسناده حماد بن عبد الرحمن، وهو متفق على تضعيفه.
وقال البيهقي: هكذا قال، إدريس بن صبيح الأودي، وإنما هو: إدريس بن يزيد الأودي، ولا أعلم أحداً يرويه غير حماد بن عبد الرحمن هذا، وهو قليل الرواية.

(١٣٢٠) ـ نا أبي رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: نا الفضل بن دُكَين، عن سفيان، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، قال: كانوا يستحبون إذا وضع الميت في اللحد أن يقولوا: اللهم أعذه من الشيطان الرجيم[١].

فإنما كانوا يتخوفون[٢] من فتنة الفتانين من قبل العدو أنه يشبه على من كان في قلبه زيغ أيام الحياة.

وروي عن سفيان الثوري: أنه قال: إذا سئل الميت من ربك؟ تراءى له الشيطان في صورة، فيشير إلى نفسه؛ أي: أنا ربك[٣].

فهذه فتنة عظيمة، جعلها الله مكرمة للمؤمن إذا ثبته، ولقنه الجواب، فلذلك كان رسول الله ﷺ يدعو بالثبات، فيقول: «اللَّهُمَّ ثَبِّت عِندَ المَسَائِلِ مَنطِقَهُ، وَافتَح أَبوَابَ السَّمَاءِ لِرُوحِهِ»[٤].

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن عمرو بن مرة رضي الله عنه.
وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ٣١٩): سنده جيد.

(٢) في الأصل: يتخففون، والصواب من «ن».

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن سفيان الثوري رحمه الله.

(٤) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٣/ ٢٩٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٢٠)، والطبراني في «المعجم الكبير»، (١/ ٢٤٤) موقوفاً عن أنس رضي الله عنه في قصة دفنه لابنه. =

فلو لم يكن للشيطان هناك سبيل، ما كان ليدعو له رسول الله ﷺ أن يجيره من الشيطان.

فهذا تحقيق[1] لما روي عن سفيان.

وإنما سؤال الميت في هذه الأمة خاصة؛ لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبوا، كفت الرسل، واعتزلوا، وعوجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمداً ﷺ رحمة وأماناً للخلق، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

فأمسك عنهم العذاب، وأعطي السيف حتى يدخل في الإسلام من دخل لمهابة السيف، ثم يرسخ في قلبه، فأمهلوا، فمن هاهنا ظهر أمر النفاق، فكانوا يسرون الكفر، ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في ستر، فلما ماتوا، قيض الله لهم فتاني القبر؛ ليستخرج[2] سرهم بالسؤال.

فروي في **الحديث**: أنه إذا سئل عن الرسول ﷺ، قال: لا أدري، فيضرب بالمقامع، ويقال: لا دريت[3].

و﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[إبراهيم: ٢٧]،

= وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٤): رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، ورجاله ثقات.

(١) في «ن»: يحقق.

(٢) في الأصل: ليستخرجوا، والصواب من «ن».

(٣) أخرجه البخاري (١٢٧٣)، وأبو داود (٤٧٥١)، والنسائي (٤/ ٩٧)، وفي «السنن الكبرى» (٢١٧٨)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٢٦)، وابن حبان في «الصحيح» (٣١٢٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فشكر[1] الله لعبده ما كان يضمر لله[2] من الصدق واليقين، فيثبته للجواب، وخذل الآخر؛ ليظهر سرّهُ، فيهال عليه العذاب.

وروي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «كَيفَ أَنتَ يَا عمرُ إذَا أَتاكَ في قَبركَ أَسودَانِ أَزرَقَانِ يَطَآنِ الأَرضَ بشُعُورِهمَا، وَيحفِرانِ الأَرضَ بَأَنيَابِهِمَا، أَصوَاتُهُمَا كَالرَّعدِ القَاصِفِ، وَأَعينُهمَا كَالبرقِ الخَاطِفِ؛ فَيسألانِكَ عَن[3] رَبِّكَ وَدينِكَ وَنبيِّكَ؟»، فقال عمر: كيف عقلي يومئذ؟ قال: «كَهيئتِهِ اليَومَ»، قال: إذاً أكفيكهما[4].

فدل قول عمر: أن الجواب من المؤمنين على قدر عقولهم التي[5] كانت في الدنيا.

(١٣٢١) ـ نا محمد بن زنبور المكي، قال: نا أبو بكر ابن عياش، عن الأعمش، عن أبي سفيان[6]، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «هَذِهِ الأُمَّةُ تُبتَلَى فِي قُبُورِهَا»[7].

---

(١) في «ن»: شكر.

(٢) في «ن»: يضمر عليه لله.

(٣) في «ن»: من.

(٤) تقدم تخريجه في الأصل السادس والعشرين.

(٥) التي: زيادة من «ن».

(٦) في الأصل: عن سفيان، والصواب من «ن».

(٧) وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٤٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٥٨٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٣٨)، وابن منده في «الإيمان» (٢/ ٩٦٥) من طريق أبي الزبير عن جابر، به. =

وأما قوله: «مَا يَستَقبِـلُ المُؤمِنَ مِن هَولِ الآخِرَةِ إلاَّ وَالقَبرُ أَفظَعُ مِنهُ»، فهذا للمؤمن خاصة، فأمَّا الكافر، فما يستقبله من شيء إلا وهو أفظع مما مضى؛ لأن المؤمن كلما قرب من ربه، يسر عليه الأمر، وكان أقرب إلى الرحمة؛ فإنما يحاسب المؤمن في قبره؛ ليكون أهون عليه غداً إذا وقف بين يديه؛ لأن الله تعالى أنزل عبده المؤمن من نفسه أنه يستحيي منه، وأنه أوجب له محبته، ورأفته، ورحمته، فإذا كانت هذه منزلته منه، ثم كان من العبد جفاء، أو انتهاك[1] شيء حرمه الله، واغترار بقول العدو، فاستوجب بذلك العقوبة لرضا الحق، أنى له ذلك، وهو بعد في البرزخ يُمَحصه ليخرج من القبر، وقد اقتص منه، وأرضى الحق.

(١٣٢٢) ـ نا صالح بن عبدالله، قال: نا يحيى بن زكريا ابن [أبي] زائدة، عن مجالد[2]، عن محمد بن المنتشر، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة، قال: في القبر حساب، وفي الآخرة حساب، فمن حوسب في القبر، نجا، ومن حُوسب

= وانظر: «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٧).

وقد ذكره ابن رجب الحنبلي في «أهوال القبر» (ص: ١٠٥)، فقال: خرجه الخلال في كتاب «السنة»، فقال: حدثنا إسحاق بن الناسكي، حدثنا محمد بن صعب، حدثنا روح بن مسافر، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر. فذكره.

وقال في آخره: وهذا إسناد ضعيف، وروح بن مسافر وإسحاق بن خالد ضعيفان جداً.

والمتن أخرجه مسلم (٢٨٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(١) في الأصل: وانتهاك، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل، و«ن»: مجاهد، والصواب ما أثبتناه كما ساقه المصنف في الأصل التالي.

في القيامة، عُذِّبَ[1].

وكذلك[2] ما روي عن رسول الله ﷺ:

«إِنَّ أَهلَ التَّوحِيدِ الَّذِينَ تَأخُذُهُمُ النَّارُ، يُمِيتُهُمُ اللهُ إِمَاتَةً، حَتَّى تَحرِقَ النَّارُ مِنهُم مَا تَحرِقُ، ثُمَّ يُحيِيهِم فَيُنجِّيهِم».

(١٣٢٣) ـ نا عبد الوارث بن عبد الصمد[3]، عن أبيه، عن سليمان التيمي، عن أبي نضرة[4]، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ، بذلك[5].

فلا نعلم للإماتة سبباً أكشف عن المعنى الذي ذكرنا أن الله تعالى بعدما أوجب لعبده محبته، ورأفته، ورحمته، وبذلك: جعله أهلاً للكلمة العليا: لا إله إلا الله، وكان ممن دخل اسمه في الآية في التنزيل حيث يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، ثم قال: ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[الفتح: ٢٦].

فمن دخل اسمه في هذا المديح، وفي مثل هذه المرتبة، ثم حبسه في النار حقوق الله حتى يحترق منه ما يرضي الحق، كان غير مدفوع أن الله

---

(١) رجاله ثقات إلا مجالد بن سعيد ففيه ضعف. انظر: «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٣٦).

(٢) في الأصل: ولذلك، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: ابن عبد الله، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل و«ن»: أبي نصر، والصواب ما أثبتناه.

(٥) أخرجه مسلم (١٨٥)، وابن ماجه (٤٣٠٩)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١١)، وابن المبارك في «الزهد» (ص: ٤٤٩)، وأبو يعلى في «المسند» (١٠٩٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٦٧٤)، وابن حبان في «الصحيح» (١٨٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢٩٢) من طريق أبي نضرة، به، وفي اللفظ بعض اختلاف.

تعالى يستحي من العبد، فيميته في تلك النار، حتى يقضى للحق ما وجب له ورضيه، ثم إذا أحياه أنجاه.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ ليستَحي مِن عَبدِهِ وأَمتهِ أَن يشيبَا فِي الإِسلاَم شَيبةً فَيعذِّبهما بالنَّار» وفي حديث آخر[١]: «إِنَّ اللهَ تَعَالى لَيَستَحي مِن عَبدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيهِ إِلَيهِ أَن يَرُدَّهُمَا صُفراً»[٢].

❒ ❒ ❒

(١) زيادة من «ن».

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، والبزار في «المسند» (٦/ ٤٧٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٨٧٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ٢٥٦) من حديث سلمان ﷺ.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم، ولم يرفعه.





الأصل الحادي والخمسون والمئتان

(١٣٢٤) ـ نا أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: نا عبدالله بن نافع، قال: حدثني ابن أبي فديك، عن عبد الرحمن بن أبي عبدالله، عن سعيد بن المسيب، عن عبد الرحمن بن سَمُرة، قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة، فقال: «إِنِّي رَأَيتُ البَارِحَةَ عَجَباً، رَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي جَاءَهُ مَلَكُ المَوتِ لِيَقبِضَ رُوحَهُ، فَجَاءَهُ بِرُّهُ بِوَالِدَيهِ، فَرَدَّهُ عَنهُ»[١].

---

(١) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٤٤)، وأبو عبدالله الدقاق في «مجلس في رؤية الله» (ص: ١١٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ٤٠٦)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٦٩٩) من طرق عن سعيد بن المسيب، به.
وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٥/ ٣٩٠) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، والبيهقي عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.
والحديث روي مطولاً عند بعضهم، وهو كذلك عند المصنف، وسيسوقه مفرقاً مشروحاً.

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ:

فبرُّ الوالدين شكر؛ لأنه تعالى قال: ﴿ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾[لقمان: ١٤]، فإذا برهما، فقد شكرهما، وقال في تنزيله: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾[إبراهيم: ٧].

فإنما وجد العبد من ربه في وقت انفصاله من أمه العمرَ، وقد كان في البطن حياةً، ولم يكن عُمراً، فلما خرج، أُعطي العمر بمقدار، فإذا وصل والديه ببرٍّ، كان قد وصل الرحم الذي منه خرج، والصلب الذي منه جرى، فكان بفعله ذلك شاكراً، فزيد من ذلك العمر الذي شكر من أجله، فرد عنه ملك الموت.

يوهمك في هذا الحديث: أن العباد إذا وصلوا أرحامهم زِيد في أعمارهم؛ لأنهم بالصلة صاروا شاكرين، فشكر الله لهم، ووفى لهم بما وعد في تنزيله: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾، فزاد في أعمارهم.

(١٣٢٥) ـ نا أبي رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: نا الفضل بن دكين، عن سفيان، عن عبدالله بن عيسى، عن عبدالله بن أبي الجعد، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَزِيدُ فِي العُمُرِ إِلاَّ البِرُّ، وَلاَ يَرُدُّ القَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحرَمُ الرِّزقَ بِالذَّنبِ يُصِيبُهُ»[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٠٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٠٠) من طريق أبي نعيم، به. =

«ورأيتُ رَجلاً مِن أمَّتي قَد بُسطَ عَليهِ عذابُ القبرِ، فَجاءهُ وضُوءُهُ فَاستَنقَذَهُ مِن ذَلِكَ»[1].

قال أبو عبدالله:

فعذاب القبر من البول والنجاسة، كذلك روي عن رسول الله ﷺ: «أَنَّ عَامَّةَ عَذَابِ القَبرِ مِنَ البَولِ وَالنَّمِيمَةِ»[2].

وإنما صار كذلك؛ لأن البول من معدن إبليس، من جوف الآدمي، فإذا لم يتنزه العبد من ذلك، دخل قبره بنجاسات العدو، فعذب في القبر، وعذاب المؤمنين في البرزخ، وعذاب الكفار في القيامة.

(١٣٢٦) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا إبراهيم بن موسى الرازي، عن هشام بن يوسف قاضي صنعاء، عن

= وأخرجه ابن ماجه (٩٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٨٠)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٤٩١)، وابن حبان في «الصحيح» (٨٧٢)، والروياني في «المسند» (١/ ٤٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٥٨)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٤/ ٣٦٦) من طريق سفيان، به.

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ١٨٧): هذا إسناد حسن.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وأخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ١٥) من طريق ثوبان، به.

(١) هذه الحديث جزء من حديث الباب كما تقدم التنبيه عليه.

(٢) أخرجه البخاري (٢١٥)، وأبو داود (٢٠)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢٢٥)، وابن المبارك في «الزهد» (ص: ٤٣٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٩٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

عبدالله بن بحير، عن هانئ البربري مولى عثمان بن عفان، قال: سمعت عثمان بن عفان يقول: كان رسول الله ﷺ إذا دفن ميتاً، وقف عليه، وسأل له التثبيت، وكان يقول: «مَا يَستَقبِلُ المُؤمِنَ مِن هَولِ الآخِرَةِ إِلاَّ وَالقَبرُ أَفظَعُ مِنهُ»[1].

وإنما صار هذا هكذا؛ لأن المؤمن في ستر الله، ومن أحبابه؛ فإذا قبض من الدنيا، حوسب من وراء ظهره، حتى يكون أهون عليه من أن يكون بين يدي الله، فحاسبه الله على ألسنة الملائكة، كأنه يستحي من عبده المؤمن، إذ كان في الأصل حبيبه أن يحاسبه بين يديه، فقدم حسابه في البرزخ وتمحيصه؛ ليخرج من القبر إلى الله يوم القيامة طاهراً لم يبقَ للحق عليه دعوى.

(١٣٢٧) ـ نا محمد بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال[2]: نا صالح ابن عبدالله، قال: نا يحيى بن زكريا، عن مجالد، عن محمد بن المنتشر، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة، قال: في القبر حساب، وفي الآخرة حساب، فمن حوسب في القبر، نجا، ومن حوسب في الآخرة، عُذِّب[3].

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الخمسين والمئتين.

(٢) نا محمد بن رَحِمَهُ ٱللَّهُ علي قال: ليست في «ن».

(٣) تقدم تخريجه في الأصل السادس والعشرين والمئة.

فجعل الله هذا الماء طاهراً[1]، يطهر النجاسات الدنيوية، وأدناس الذنوب، فإذا كان العبد مداوماً على الوضوء، فهو أبداً في إزالة الأنجاس، ونفض الغبار عن دينه، فإذا كان يوم البرزخ، وجاء عذاب الأدناس التي اكتسبها بالسيئات، جاءه وضوءه، فاستنقذه من النار.

(١٣٢٨) ـ نا عبيدالله بن يوسف الجبيري، قال: نا عثمان بن عبد الرحمن الحراني، قال: نا عبد الحميد ابن يزيد، عن آمنة[2] بنت عمر، عن ميمونة: أنها قالت: يا رسول الله! أفتنا عن عذاب القبر، قال: «مِن أَثَرِ البَولِ، فَمَن أَصَابَهُ مِنهُ شَيءٌ، فَليَغسِلهُ بِمَاءٍ، فَإِن لَم يُصِبهُ، أَو لَم[3] يَجِدهُ، فَليَمسَحهُ بِتُرَابٍ طَيِّبٍ»[4].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالغسل لما يعلمه، فإذا خفي عليه أن يكون أصابه شيء، وخاف من حيث لا يدري، وهاب ما جاء عن رسول الله ﷺ من شأن عذاب القبر، دله على التيمم، فإنما سألت ميمونة رسول الله عن الفتيا في عذاب القبر ما الحيلة في الخلاص منه إن أصابه البول من حيث لا يعلم، وقد جاء فيه من التشديد ما جاء، فرأى أن الجهل به ضرورة، وفقد الماء ضرورة، وقد تفضل الله

---

(١) في «ن»: طهوراً.

(٢) في الأصل: أمية و«ن»، والصواب ما أثبتناه.

(٣) لم: ليست في «ن».

(٤) تقدم تخريجه في الأصل السادس والأربعين.

على عبيده[1] عند فقد الماء بالتيمم، وصيره كافياً، ومزيلاً[2] للجنابة والأحداث عنه، فرأى أن التيمم هاهنا في حال الشك والتخوف أن يكون قد أصابه من حيث لا يعلم، يكون[3] كافياً، ومزيلاً[4] للنجاسة عنه؛ لينجو من وباله غداً في القبر.

وما روي عن يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني معاذ بن رفاعة بن رافع، قال: حدثني محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح، عن جابر بن عبدالله، قال: لما توفي سعد بن معاذ، ووضع في حفرته، سبَّح رسولُ الله، وسبَّح القوم، ثم كَبَّر، وكبر القومُ معه، فقالوا: يا رسول الله! لم سبحت؟ قال ﷺ: «هَذَا العَبدُ الصَّالِحُ تَضَايَقَ[5] عَلَيهِ قَبرُهُ حَتَّى فَرَّجَهُ اللهُ عَنهُ»، فسئل رسول الله عن ذلك، فقال: «كَانَ يَقصُرُ فِي بَعضِ الطُّهُورِ مِنَ البَولِ»[6].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فلما كان شأن عذاب القبر هكذا، وقد قال: «عَامَّةُ عَذَابِ القَبرِ مِنَ البَولِ»[7]، دلهم على التيمم لما لا يعلم على الاحتياط بذلك[8]، ولما

---

(١) في الأصل: عبده، وما أثبتناه من «ن».
(٢) في «ن»: كافياً وطهوراً ومزيلاً.
(٣) في «ن»: بول يكون.
(٤) في «ن»: كافياً مزيلاً.
(٥) في «ن»: لقد تضايق.
(٦) تقدم تخريجه في الأصل السادس والأربعين.
(٧) تقدم تخريجه.
(٨) في الأصل: وعلى الاحتياط بذلك، وما أثبتناه من «ن».

يعلم غسلاً.

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي احتَوَشَتهُ الشَّيَاطِينُ، فَجَاءَهُ ذِكرُ اللهِ، فَخَلَّصَهُ مِن بَينِهِم».

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فالشيطان وجنوده قد أعطوا السبيل إلى فتنة الآدميين[1]، وتزيين ما في الأرض لهم طمعاً في غوايتهم، وقد قال: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[الحجر: ٣٩ ـ ٤٠]، فلو لم يُجعل بيده شيء، ما قدر على أن يزين، ولكن قد أُعطي سلطاناً بتلك الزينة التي قد أعطيها حتى يوصلها إلى النفوس، ويهيجها تهييجاً يزعزع أركان البدن، ويستفز القلب حتى يزعجه عن مستقره، فلا يعتصم الآدمي بشيء أوثق، ولا أحض من الذكر؛ لأنه إذا هاج الذكر من القلب، هاجت الأنوار، فاشتعل الصدر بنار الأنوار، وهيج العدو من نفسه نار الشهوات بنفخه ونفثه، ونار الأنوار تحرق نار الشهوات، وتحرق العدو، فإذا رأى العدو هيج الذكر من القلب، ولى هارباً، فترك النفخ، والنفث، وخمدت نار الشهوة، وامتلأ الصدر نوراً، فبطل كيده، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾[الإسراء: ٤٦].

وقال تعالى[2]: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾[الصافات: ٦ ـ ٧]، وقال: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ

---

(١) في الأصل: الآدمي، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: وقال في تنزيله.

ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴾[الحجر: ١٧ ـ ١٨]، وقال: ﴿ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴾[الصافات: ١٠].

فهذه قصة السماء حرسها بشهب الكواكب، ثم جعل صدور المؤمنين كذلك، فجعل قلب المؤمن خزانة لكنوز معرفته، وجعل أعلام الكنوز في الصدور مرفوعة لعين الفؤاد، حتى تُري عين الفؤاد العلم الذي رفع له ففي كل وقت علم؛ لأن الكنوز أنواع، ولكل نوع علم، فما يرفع العلم في الصدر لعين الفؤاد[1]، حتى يتبع العلم، فالأعلام زينة الصدر ومصابيحه.

وهؤلاء حراس السماء، يحرسون أخبار السماء حتى لا يسترق العدو سمع[2] ما في السماء، فإذا دنوا للسمع، رموا بشهب الكواكب، وهؤلاء حراس الخزنة، يحرسون كنوز المعرفة حتى لا يسترق العدو سمع ما في الصدر، من ترائي عين الفؤاد، وتدبير ذات الصدر، فإذا هاج الذكر، فإنما يهيج من هذه الأعلام التي في الصدور، من تلك الكنوز التي في القلب، فاشتعل الصدر نوراً، ولكل شعلة حريق، فإن تراءى العدو في ذلك الوقت، أحرقته تلك الشعلة برمي شعاعها، فلذلك يهرب، ويتخلص العبد.

فعلم العدو أن لله عباداً قد امتحنهم للتقوى، واستخلصهم للكرامة، فاستثناهم، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾[الحجر: ٤٠]، فإنما استخلصهم الله تعالى للذكر[3]، فأصفاهم ذكراً، وأطيبهم معدناً للذكر: أقواهم على العدو، والعدو أشد نفاراً منهم.

---

(١) من قوله: العلم الذي رفع . . . ، إلى قوله: لعين الفؤاد: ليس في «ن».

(٢) في الأصل: حتى لا يسترق السمع العدو ويسمع، والمثبت من «ن».

(٣) في «ن»: بالذكر.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيطَانَ لَيَفِرُّ مِن حِسِّ عُمَرَ، وَمَا رَأَى الشَّيطَانُ عُمَرَ، إِلاَّ خَرَّ لِوَجهِهِ»[1].

وقال في تنزيله: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾[الناس: ٤]، فإنما سماه خناساً؛ لأنه إذا جاء الذكر، انخنس، وذهبت قوته، وإن تعرض في ذلك الوقت، احترق.

وما روي عن رسول الله ﷺ: أن يحيى بن زكريا عليه السلام آخر ما كان يأمر قومه بخمس خصال، ويضرب لهم مثلاً، فكانت إحدى الخصال: أن أمرهم بذكر الله، فضرب لهم في ذلك مثلاً، فقال: رجل أتاه العدو من ناحية فقاتله، وأتاه آخر من ناحية فقاتله، فلما رأى أنهم أتوه من النواحي، دخل الحصن، وأغلق الباب، فاستقر آمناً بالحصن[2]، وبقي العدو خارجاً.

فالعبد إذا قاتل الشيطان بنوع من أنواع البر، جاءه من نوع آخر، فإذا جاء الذكر، هرب وتركه؛ لأن الذكر نور يحرق، وليس لأعمال البر تلك القوة التي يحترق منها العدو.

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَدِ احتَوَشَتهُ مَلاَئِكَةُ العَذَابِ فَجَاءَتهُ صَلاَتُهُ، فَاستَنقَذَتهُ مِن أَيدِيهِم».

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالعذاب إنما يقصد العبيدَ الأباق الذين هربوا، وذهبوا برقابهم من الله، وأهلُ الصلاة كلما أَبَقُوا، عادوا إلى الله في وقت كل صلاة،

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الثامن عشر.

(٢) في «ن»: في الحصن.

ووقفوا بين يديه تائبين، نادمين، معتذرين، مسلمي[1] نفوسهم إليه، مجددين[2] لإسلامهم، يترضونه بالتكبير، والتسبيح، والتحميد، والتهليل، والركوع، والسجود، والرغبة، والتضرع إلى الله في التشهد، فسقطت عنهم عيوب إباقهم وهربهم، وزالت عنهم العقوبات التي استوجبوها.

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي يَلهَثُ عَطَشاً، كُلَّمَا وَرَدَ حَوضاً مُنِعَ، فَجَاءَهُ صِيَامُهُ، فَسَقَاهُ».

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فهذا عبد[3] اتبع هواه، وأمعن في شهواته، حتى بَعُدَ من الرحمة، وإذا بعد القلب من الرحمة، عطش، وإذا عطش، يبس، وإذا يبس، قسا، ولذلك قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الزمر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة: ٧٤].

فبالرحمة يرطب القلب، ويروى، وببعده من الرحمة يعطش، فأورثه عطش القلب[4] عطش القيامة، حتى رآه النبي ﷺ في منامه في القيامة في تلك الحالة، فإذا ترك العبد اتباع الهوى، وامتنع من منهي الشهوات، عادت الرحمة إليه، وقرب القلب منه[5]، وتوسع في سقياه، فروي؛ لأن برد الرحمة يسكن حرارة الشهوة التي تؤدي النفس إلى العطش، والصيام:

(١) في «ن»: مسلمون.
(٢) في «ن»: مجددون.
(٣) في الأصل: الرجل، والمثبت من «ن».
(٤) عطش القلب: زيادة من «ن».
(٥) منه: زيادة من «ن».

هو ترك الشهوات والمنى، ورفض الهوى، وإنما جعل الحوض حوض الرسول ﷺ غياثاً لأهل الموقف؛ لأنهم يقومون عِطاشاً من قبورهم؛ لأنهم دخلوها مع الهوى والشهوات، لم يفارقوها إلا بمفارقة الروح، وخروج النَّفس، فخرجوا من الدنيا عطاشاً، فاحتاجوا إلى الحوض، ومن خرج من الدنيا، وقد فارق الهوى والشهوات، فإنما سكن عطشه، وروي برحمة الله من قرب الله، فدخل القبر رياناً، وخرج منه يوم القيامة إلى الله رياناً[1] من كل ماء، عطشاناً إلى لقاء[2] الله، فأولئك الذين يسقون قبل دخول الجنة، حتى يرووا من حيث عطشوا.

روي لنا عن مالك بن دينار: أنه قال: ينادي منادٍ يوم القيامة: أين أهل العطش؟ فأول من يقوم داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فيسقى على رؤوس الخلائق، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[صٓ: ٢٥].

فإنما خص داود بالأولية؛ لأن الخطيئة عطشته، وهو وإن تاب، وقبلت توبته، وغفر الله له ذلك، فذلك العطش باقٍ إلى ذلك اليوم.

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي وَالنَّبِيُّونَ قُعُودٌ حِلَقاً حِلَقاً، كُلَّمَا دَنَا لِحَلَقَةٍ، طُرِدَ، فَجَاءَهُ اغتِسَالُهُ مِنَ الجَنَابَةِ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَأَقعَدَهُ إِلَى جَنبِي».

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالجنابة إنما سميت جنابة؛ لأن الماء الذي جرى من صلبه قد كان جاور في الأصل مياه الأعداء في ظهر آدم عليه السلام، فأصابته زهومة تلك المياه

---

(١) وخرج منه يوم القيامة إلى الله رياناً: زيادة من «ن».

(٢) لقاء: ليست في «ن».

بجواره[1]، وممره من الصلب إلى مستقر العدو من الجوف، ومستقره من المعدة إلى مواضع الحدث، هو كله معدنه، فإذا خرج من العبد في يقظته، أوجب غسلاً[2]، وإذا خرج منه في منامه حلماً، أوجب غسلاً، وإذا خرج منه عند خروج الروح منه[3] يوم الموت، أوجب عليه غسلاً بعد الموت، ولذلك يغسل الميت، ولا يصلى عليه حتى يغسَّل، كما كان الحي لا يجزئه الصلاة إلا بعد الغسل.

فالغسل: تطهير من أثر العدو.

والجنب ممنوع من قراءة القرآن، ومن أن يمسه بيده، ومن أن يتخذ المساجد مجلساً؛ لأن الطهارة مفقودة، وآثار العدو موجودة، وإذا كانت هكذا، فهو ممنوع من حِلَق النبيين ـ عليهم السلام ـ، ومجالستهم في الموقف؛ لأن حِلَقهم في الموقف على مراتب[4]، لا كحلق أهل الدنيا لمن ينتابهم في حاجة.

فالرسل ـ عليهم السلام ـ: مراتبهم معلومة في الموقف، مقامهم، وقعودهم، ومن يحبونهم، **والأنبياء:** دونهم، **والأولياء:** دونهم، كل صنف على مرتبته، فهذا الجنب لو لم يكن يغتسل في الدنيا، لمنعه فقد طهارته عنهم، فلما اغتسل في الدنيا، صارت منزلته بطهارته بحيث صلح، وجاز

---

(١) في «ن»: بجوارحه.

(٢) أوجب غسلاً: زيادة من «ن».

(٣) منه: زيادة من «ن».

(٤) في الأصل: المراتب، وما أثبتناه من «ن».

إلى أن يقعد إلى جانب[1] سيد الرسل عليه السلام، وبالطهارة وجد السبيل إلى ذلك، وإنما وجد السبيل إلى ذلك، وإلى رسول الله ﷺ من بين الرسل؛ إجلالاً بمحله[2]؛ لأن أصل الجنابة من الفَرْج، فوجد المغتسل السبيل إلى أصل الفَرَج، وهو محمد ﷺ.

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي بَينَ يَدَيهِ ظُلمَةٌ، وَمِن خَلفِهِ ظُلمَةٌ، وَعَن يَمينِهِ ظُلمَةٌ، وَعَن شِمَالِهِ ظُلمَةٌ، وَمِن فَوقِهِ ظُلمَةٌ، وَمِن تَحتِهِ ظُلمَةٌ، مُتَحَيِّرٌ فِيهَا، فَجَاءَتهُ حِجَّتُهُ وَعُمرَتُهُ، فَاستَخرَجَاهُ مِنَ الظُّلمَةِ، وَأَدخَلاَهُ النُّورَ».

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فقد وعد الله في تنزيله في شأن الحج حط الآثام عنه، فقال: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ[3]﴾[البقرة: ٢٠٣] الآية؛ أي: رجع مغفوراً له، وقد سقط عنه الإثم، فتلك الظلمات كانت آثام العبد، فإذا قضى حجته، وفى الله بما وعده.

وأما العمرة: فإن رسول الله ﷺ روي عنه: أنه قال: «العُمرةُ[4] الحجُّ الأَصغرُ»[5].

---

(١) جانب: زيادة من «ن».

(٢) إجلالاً بمحله: ليست في «ن».

(٣) في «ن» زيادة: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة: ٢٠٣].

(٤) قوله: فإن رسول الله ﷺ روي عنه أنه قال: «العمرة»: زيادة من «ن».

(٥) أخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٦٥٥٩)، والدارقطني في «السنن» (٢/ ٢٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٥٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٨٩).

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي يُكَلِّمُ المُؤمِنينَ وَلاَ يُكَلِّمُونَـهُ، فَجَاءَته صِلَةُ الرَّحِمِ، فَقَالَت: يَا مَعشَرَ المُؤمِنِينَ! كَلِّمُوهُ، فَكَلَّمُوهُ».

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فالرحم أصل المؤمنين كلهم، فمن تمسك بصلته، فقد أرضى المؤمنين كلهم، ما بينه وبين آدم ﷺ، ومن تهيأ له صلة الرحم، تهيأ له رضا[١] المؤمنين كلهم[٢]، ومن كان قاطعاً للرحم، أيس المؤمنون من خيره.

ولذلك روي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «إِنَّ الرَّحمَةَ لاَ تَنزِلُ عَلَى قَومٍ فِيهِم قَاطِعُ رَحِمٍ»[٣].

قال: فإنما صار هكذا؛ لأن الرحمة منقطعة عنه، وهو في سخط الله، وأن الله خلق الرحم بيده، وشق لها اسماً من اسمه، فقال: «أَنَا الرَّحمَنُ، وَأَنتِ الرَّحِمُ، خَلَقتُكِ بِيَدِي وَشَقَقتُ لَكِ اسماً مِن اسمِي»[٤].

ثم أرسل حواشي[٥] قميص الرحمة، فتعلق الخلق[٦] بها، فمن وصل الرحم، فقد تعلق بحاشية القميص، ومن قطعها، قصرت يده عن حاشية

---

(١) في «ن»: إرضاء.

(٢) كلهم: زيادة من «ن».

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٣)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٤٨٩)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٢٥٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٢٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ١٦٦) من حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه.

(٤) تقدم تخريجه في الأصل الخمسين والمئة.

(٥) في الأصل: جوانبي، والصواب من «ن».

(٦) في «ن»: الرحم.

القميص، فانقطع عن رحمة الله، ولم يبقَ له إلا رحمة التوحيد، فهذا الواصل للرحم كان رجلاً قد عمل السيئات الكثيرة، وضيع الحقوق[1]، فلما وصل الرحم، نالت يده حواشي القميص، فتعلق بها، فنال الرحمة، فلما جاءته الصلة، فأخبرت المؤمنين في القيامة: كلموه. معناه: أنه دخل في رحمة الله التي يرحم بها المؤمنين، فصاروا كلهم له، بعد أن كانوا عليه.

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتي يَتَّقِي وَهجَ النَّارِ وَشَرَرَهَا بِيَدِهِ عَن وَجهِهِ فَجَاءَتهُ صَدَقَتُهُ، فَصَارَت سِتراً عَلَى وَجهِهِ، وَظِلاًّ عَلَى رَأسِهِ».

قال أبو عبدالله ﷺ:

فالصدقة إنما صارت ستراً للمؤمن من النار؛ لأنه إذا تصدق، فإنما يفدي نفسه، ويفك غرامة جنايته.

روي عن رسول الله ﷺ: «أنَّ يحيَى بنَ زَكريَا ﵇ أَمرَ قَومَهُ بِالصَّدَقَةِ، وضَرَبَ لَهُم[2] مَثَلاً، فَقالَ: كَمَثَلِ رَجُلٍ قَتَلَ قَتيلاً، ثُمَّ هَربَ، فَسأَلَ أَولِيَاءهُ أَن يجعَلوا دِيَةَ القَتلِ عَليهِ نُجوماً، فَفعَلوا، فَأَدَّاها نَجماً نَجماً، فَفَكَّ رَقبتهُ، وَصارَ إِلى أَهلِهِ مُطمَئِناً»[3].

والنار إنما تطلب وجوه الجناة في الموقف لتلفحها، فإذا أدى الجاني غرمه، صار الأداء ستراً على الوجه، وظلاً على الرأس، وهكذا شأن الفدية، تأخذ بالحذاء من فوق، فتقيك[4] بنفسها من كل ناحية.

---

(١) في «ن» زيادة: فحسنت سيرته بهذه الخصلة الواحدة.

(٢) في «ن»: لها.

(٣) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

(٤) في الأصل: شعبك، والصواب من «ن».

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَد أَخَذَتهُ الزَّبَانِيَةُ مِن كُلِّ مَكَانٍ، فَجَاءَهُ أَمرُهُ بِالمَعرُوفِ، وَنَهيُهُ عَنِ المُنكَرِ، فَاستَنقَذَاهُ[1] مِن أَيدِيهِم، فَأَدخَلاَهُ مَعَ مَلاَئِكَةِ الرَّحمَةِ».

قال أبو عبدالله ﷺ:

فالزبانية من[2] شُرط الملائكة، والشرطُ لمن جاهر بالمعاصي من أهل الريب، يلتمسونهم في الطرق والمسالك، ليأخذوهم، فمن استتر بستر الله، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، فهو ـ وإن استعمل أعمال أهل الريب بعد أن يكون مستوراً ـ لا ينهتك.

فالشرط في الدنيا منتهون عن أخذه، وغير[3] ملتمسين أشباه هؤلاء؛ لحرمة[4] ذلك الستر، فكذلك في الآخرة، إذا طلب[5] الزبانية في عرصة القيامة أهل المجاهرة بالمعاصي، فوقع هذا المستور في أيديهم، نفعه ذلك النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، وكل من عمل بالمعاصي في الدنيا سراً لا يجاهر به، فكائن منه أن ينهى عن المنكر إذا لقيه، وإذا فعل ذلك، كانت ملائكة الرحمة أحق به من ملائكة العذاب، ومن استحقته ملائكة الرحمة في الموقف، فقد نجا.

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي جَاثِياً عَلَى رُكبَتَيهِ، بَينَهُ وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ،

---

(١) في الأصل: فاستنقذه، والصواب من «ن».

(٢) من: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: غير، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: بحرمة.

(٥) في «ن»: طلبت.

فَجَاءَهُ حُسنُ خُلُقِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَأَدخَلَهُ عَلَى اللهِ».

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

ينبئك في هذا القول: أن العبد تحجبه ذنوبه عن الله في الدنيا قلباً، وفي الموقف غداً بدناً، وأن حسن الخلق منحة[1] من الله لعبده؛ لأن الأخلاق في الخزائن، فإذا أحب الله عبداً، منحه خلقاً منها؛ ليدر عليه ذلك الخُلق كرائم الأفعال، ومحاسن الأمور، فيظهر ذلك على جوارحه؛ ليزداد العبد بذلك محبة، فوصله إليه في الدنيا قلباً، وفي الآخرة بدناً، وحبُّ الله عبدَه يمحق الذنوب محقاً، ويتركه من آثامه عُطْلاً، وإذا أحب الله عبداً، أهدى إليه خلقاً من أخلاقه، وإذا رحم الله عبداً، أذن له في عمل من أعمال البر، فهذه ثمرة الرحمة، وتلك ثمرة المحبة.

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَد هَوَت صَحِيفَتُهُ مِن قِبَلِ شِمَالِهِ، فَجَاءَهُ خَوفُهُ مِنَ اللهِ، فَأَخَذَ صَحِيفَتَهُ، فَجَعَلَهَا فِي يَمِينِهِ».

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فأعظم الأهوال في القيامة في ثلاث مواطن: عند تطاير الصحف، وعند الميزان، وعند الصراط، وذلك قول رسول الله ﷺ فيما روي عنه: أنه قال:

«لاَ يَذكُرُ أَحَدٌ أَحَداً فِي هَذِهِ المَوَاطِنِ»[2].

---

(١) في «ن»: منيحة.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٥٥)، وأحمد في «المسند» (٦/ ١٠١)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (٣/ ٧٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٢٢) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ. =

فإذا وقعت الصحيفة في يمينه، أمن، وبانت سعادته.

قال الله تعالى في تنزيله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾[الانشقاق: ٧ ـ ٩].

(١٣٢٩) ـ نا يحيى بن حبيب بن عدي، قال: نا بشر ابن المفضل، عن عوف، عن الحسن، عن رسول الله ﷺ، قال: «قَالَ رَبُّكُم تَعَالى: لَن أَجمَعَ عَلَى عَبدِي خَوفَينِ، وَلاَ أَجمَعُ لَهُ أَمنَينِ، مَن أَخَفتُهُ في الدُّنيَا، أَمَّنتُهُ في الآخِرَةِ»(١).

فمن قاسى خوفه في الدنيا، أوجب له الأمن يوم القيامة، فإذا جاءه الهول عند تطاير الصحف، جاءه الخوف(٢)، فنفعه؛ بأن جعل صحيفته في يمينه حتى يأمن.

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَد خَفَّ مِيزَانُهُ، فَجَاءَتهُ أَفرَاطُهُ، فَثَقَّلُوا مِيزَانَهُ».

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالأفراط: أولاده الأطفال، الذين لم يبلغوا الحلم، فإنما ثقل ميزانه؛ لأنهم أطفال موحدون(٣)، قدموا على ربهم بلا شرك، ولا ذنب، قد برأ الله خلقهم من صلب موحِّد، فهم من أهل رحمة الله، وإنما يثقل

= وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة، على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة ـ رضي الله عنها ـ، وأم سلمة.

(١) تقدم تخريجه في الأصل الثمانين.

(٢) في «ن»: ذلك الخوف.

(٣) في الأصل: موحد، والصواب من «ن».

الموازين بالرحمة.

وقال في حديث آخر: «مَن مَاتَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَولاَدٍ لَم يَبلُغُوا الحُلُمَ، أَدخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضلِ رَحمَتِهِ إِيَّاهُم»[1].

فهذا الوالد إنما يدخل الجنة بما يفضل من رحمة الله هؤلاء الأطفال، فكيف برحمته لهم؟.

فالحسنات تثقل الموازين، وأصل الحسنات: من الرحمة بدءاً حتى ظهرت على العبد، ومن أحسن الحسنات: ذرية يخرجها الله[2] من صلب موحد، ثم يقبضهم، ولم يتدنسوا بمعصية.

فإذا العبد قد قدَّم طائفة من جسده طاهرة لم تتدنس، فإذا وضع في الميزان، ثقل.

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَائِماً عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَجَاءَهُ وَجَلُه مِن اللهِ، فَاستَنقَذَهُ مِن ذَلِكَ، وَمَضَى».

قال أبو عبدالله ﷺ:

فالوجل: هو في[3] وقت انكشاف الغطاء لقلب المؤمن، فإذا كان ذلك، فتلك خشية العبد، فاقشعر جلده، وإن جهنم حائلة[4] يوم القيامة

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والستين.

(٢) لفظة الله: ليست في «ن».

(٣) في: ليست في «ن».

(٤) في «ن»: حائل.

بين العباد وبين الجنة[1]، حتى تُضرب الجسور، وتُهيأ القناطر، فعندها يستبين الصراط، وهو الطريق لأهلها، فالخلق كلهم على شفير النار وقوف، هائبين لها، فوجلُ العباد يجعل لهم السبيل ليقطعوها[2]؛ لأن الخشية ثوابها المغفرة.

وقد قال في تنزيله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾[الملك: ١٢].

فالمغفرة: نورها ساطع، وهو نور الرأفة، فإذا جاءت الرأفة، وجد العبد قلباً، وذهبت الحيرة، وتشجعت النفس ومضت.

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي هَوَى فِي النَّارِ، فَجَاءَتْهُ[3] دُمُوعُهُ الَّتِي بَكَى مِن خَشيَةِ اللهِ فِي الدُّنيَا، فَاستَخرَجَتْهُ[4] مِنَ النَّارِ».

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فهذا عبد استوجب النار بعمله، فأدركته رحمة الله ببكائه من الخشية، فأنقذته؛ لأن دمعة الخشية تطفىء بحوراً من النار[5].

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي قَائِماً عَلَى الصِّرَاطِ يَرعُدُ كَمَا تَرعُدُ السَّعَفَةُ، فَجَاءَهُ حُسنُ ظَنِّهِ بِاللهِ، فَسَكَّنَ رَعدَتَهُ، وَمَضَى».

---

(١) في «ن»: العباد والجنة.

(٢) في الأصل: ليطؤوها، وماأثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: فجاءه، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: فاستخرجه، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في «ن»: النيران.

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فحسنُ الظن من المعرفة بالله، [و]عظم أمل العبد ورجاؤه لربه من المعرفة، فلم يضيع الله معرفة العبد؛ لأنه هو الذي منَّ عليه بها، فلم يرتجع في منِّه، ووفى له؛ بأن أعطاه حسن الظن به في الدنيا من تلك المعرفة[1] الممنونة بها عليه، ثم حقق ظنه في ذلك الموقف؛ أي: كما عرفتني، ثم ظننت من معرفتك بي أني أنجيتك، فلك النجاة، والأمان، فسكن رعدته.

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي يزحَفُ أَحيَاناً، وَيَحبُو أَحيَاناً، وَيَتَعَلَّقُ أَحيَاناً، فَجَاءَتهُ صَلاَتُهُ عَلَيَّ، فَأَخَذَت[2] بِيَدِهِ، وَأَقَامَتهُ، وَمَضَى عَلَى الصِّرَاطِ».

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فالصلاة على الرسول ﷺ من العبد بنوة لأبيه، يريد: أن يري أباه مقام الولد للأب، ولذلك أمر الله العباد أن يصلوا عليه، فذاك[3] حق الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، يقضونها بمنزلة الأولاد يقضون حق آبائهم، فإذا كان الولد هكذا، فمن شأن الوالد أن يأخذ بيد الولد في وقت عثراته؛ بمنزلة الطفل الذي إذا مشى، فعثر[4] في مشيته، عجل إليه أبوه، وتبادر حتى يأخذ بيده، فيقيمه[5]، فصارت صلوات العباد للرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ

---

(١) في الأصل: النعمة، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: فأخذ، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: فذلك، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: تعثر.

(٥) في الأصل: يقيمه، وما أثبتناه من «ن».

بمنزلة ذلك الأب العطوف الذي كلما عثر الولد، بادر بعطفه، فأخذ بيده فأقامه.

«وَرَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي انتَهَى إِلى أَبوَابِ الجَنَّةِ، فَغُلِّقَتِ الأَبوَابُ دُونَهُ، فَجَاءَتهُ شَهَادَةُ: أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَفَتَحَت لَهُ الأَبوَابَ، فَأَدخَلَتهُ الجَنَّةَ».

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فهذه كلمة جُعلت مفتاحاً لأبواب الجنة، وإنما غلقت دون هذا العبد، كأنه جاء بمفتاح ليس له أسنان، وقد نجد في دار الدنيا أن يجيء الرجل بمفتاح الباب، وقد ضاع بعض أسنانه، فلا يزال يردده، ويحركه، حتى يفتحه، فإذا لم يكن بيده مفتاح، لم يفتح، فهذا عبد قد ضيع الأسنان، فأغاثه الله بما جاء به.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ المُؤمِنِينَ يُدعَونَ مِن أَبوَابِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ أَبوَابَهَا مَقسُومَةٌ عَلَى أَعمَالِ البِرِّ، فَبَابٌ لِلصَّلاَةِ، وَبَابٌ لِلصِيَامِ، وَبَابٌ لِلصَدَقَةِ، وَبَابٌ لِلحَجِّ، وَبَابٌ لِلجِهَادِ، وَبَابٌ لِلأَرحَامِ، وَبَابٌ لِمَظَالِمِ العِبَادِ، وَهُوَ أَخيَرُهَا[1]»[2].

فهذه سبعة أبواب مقسومة على أعمال العباد[3].

وكذلك أبواب النيران مقسومة على أعمال أهلها، ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[الحجر: ٤٤].

---

(١) في «ن»: آخرها.

(٢) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

(٣) في «ن»: العباد براً.

وباب للجنة[1] زائد لأهل الشهادة يسمى: باب التوبة، فأري رسول الله ﷺ في منامه هذه الرؤيا؛ ليعلم العباد قوة هذه الأفعال التي ذكرها من العبيد أيام الدنيا، ماذا لكل نوع من هذه الأعمال من القوة هناك في الموقف، وفي أي موطن يعينه؛ ليعلم العبد أجناس هذه الأفعال؛ ليكثر منها كي إذا استقبله أهوال القيامة، وتارات الموقف، ناله عونها وقوتها، والله سبحانه أعلم.

❐ ❐ ❐

(١) في «ن»: الجنة.





الأصل الثاني والخمسون والمئتان

(١٣٣٠) ـ نا علي بن سعيد[1] بن مسروق الكندي، قال: نا عيسى بن يونس، عن عمر[2] مولى غفرة، قال: حدثني إبراهيم بن محمد من ولدِ علي بن أبي طالب، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا مَشَى، تَقَلَّعَ كَأَنَّمَا يَمشِي فِي[3] صَبَبٍ»[4].

---

(١) في الأصل: سعد، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: عمير، والصواب ما أثبتناه.

(٣) في «ن»: من.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٣٨)، وفي «الشمائل المحمدية» (ص: ٣٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٤٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٣٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٢٦١) من طريق عيسى بن يونس، به، في حديث طويل.
إلا أنه جاء عندهم جميعاً: عن إبراهيم بن محمد، قال: كان علي إذا وصف النبي ﷺ، قال: . . .
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ليس إسناده بمتصل.

(١٣٣١) ـ نا سفيان بن وكيع، قال: أنا جُميع بن عمر العجلي، قال: نا رجل من بني تميم من ولد أبي هالة، عن ابنٍ لأبي هالة، عن الحسن بن علي، عن خاله هند بن أبي هالة[١]، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخطُو إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنحَطُّ مِن صَبَبٍ»[٢].

وفي حديث حميد عن أنس، قال[٣]: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا مَشَى، كَأَنَّمَا يَتَوَكَّأُ عَلَى شَيءٍ»[٤].

---

(١) قوله: عن خاله هند بن أبي هالة: زيادة من «ن».

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ٣٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٣٤٤) من طريق سفيان بن وكيع، به.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٥٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٥٤) من طريق جميع بن عمر، به.

وأخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ١١٣)، وأحمد في «المسند» (١/ ١٢٧)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٢٤)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٦٢) من حديث علي ﷺ.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٣) من قوله: كان رسول الله يخطو... إلى قوله: عن أنس، قال: ليس في «ن».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٦٣)، والترمذي (١٧٥٤)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٧٦٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٢٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣١٣)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ١٥١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٢٧٧) من طريق حميد، به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فالمشي[1] بالقلب، ومن القلب يتأدى قوة المشي إلى الساقين.

ألا ترى أن القلب إذا فزع وارتاع، وقع القائم، وذهبت قوة رجليه[2]؟! ألا ترى أن السكران إذا غاب ذهنه وعقله عن قلبه، استرخت رجلاه، فاختلفتا، فربما يقع، فإذا ثاب إليه عقله وذهنه، قوي[3]؟! ليعلم أن قوة جميع الأركان بالقلب، إذا كان العقل والذهن معه، فكان قلب رسول الله ﷺ مشحون بكنوز المعرفة؛ كشحن السفينة إذا أثقلت[4]، حتى غابت في الماء إلى منطقتها، وكانت كنوزه على صنفين: عن اليمين أسرار الله، وعن اليسار سمات الله.

فالرحمة: مع الأسرار، والحق: مع السمات، وحب الله له أمامه جؤجؤ السفينة، وشوق الله شراع السفينة[5]، وفرحه به رياح الشراع.

فكان إذا مشى، مالت به الصنفان، فمرة: أثقال أسرار الله تميل به، ومرة أثقال سمات الله تميل به، فإذا استقر قائماً على المنبر، أو قاعداً في مجلس، استقرت به أثقال الحب، فإذا هبت رياح الأفراح، وهاج الشوق، قام إلى الصلاة، فقرت عينه.

فذلك قوله ﷺ:

---

(١) في «ن»: فالشيء.

(٢) في «ن»: رجلاه.

(٣) في «ن»: قوى ذلك.

(٤) في «ن»: ثقلت.

(٥) في «ن»: سفينته.

«حُبِّبَ إِلَيَّ الصَّلاَةُ، قِيلَ لي: خُذ مِنهَا مَا شِئتَ»، «وَإِنَّ اللهَ جَعَلَ قُرَّةَ عَينِي فِي الصَّلاَةِ»[1].

فأثقال الأسرار: مطوية عن الخلق أجمعين، إلا عن أهل خدمة الله، الذين أدرجهم لمحمد[2] ﷺ، وجعلهم[3] قرة عينه، فسار بهم على طريقه، وجعل سقياهم من مشربه، ومرعاهم من مِلك[4] الملك بين يديه على مائدته، تلك[5] ضيافة محمد ﷺ لقرَّات[6] عينه في عرش الله، وهو بدء الربوبية، وبدء التدبير، وذلك حكم[7] الله.

ولا يعدل السمات حشوها في الأثقال العلا، والأسماء الحسنى، فتلك حكمة الخلق، فالحق موكل بهذه، والرحمة[8] العظمى منهضة بذلك، فصار هذا القلب كسفينة موقرة[9] من كنوز المعرفة، مشحونة بعلم الله، محفوفة بآلاء الله، تجري في بحر غيب الله، وهو بحر الذكر، الذي من شرب منه شربة، نسي نفسه، ولم يلتفت إليها إلى يوم اللقاء.

---

(١) تقدم تخريجهما في الأصل الأربعين والمئتان.

(٢) في «ن»: أهل جذبة الله الذين أدرجهم بمحمد.

(٣) في «ن»: جعلهم.

(٤) في الأصل: في ذلك، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: تلك إلى، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في «ن»: لقرة.

(٧) في «ن»: حكمة.

(٨) في الأصل: الرحمة، وما أثبتناه من «ن».

(٩) في الأصل: موقورة، والصواب من «ن».

فذهبت في شوق الله إلى عبده، ورفعت السفينة بما فيها من الكنوز، وميلانها مرة هكذا، ومرة هكذا، فالحق يمسكها عن الانقلاب من جانبه، والرحمة تمسكها عن الانقلاب من جانبها، والعدل على كَوْثَل[1] السفينة يستقيم بسيرها بمجدافها، ومجدافها مشيئة الله، فلولا المجداف، لكان الشراع ورياحها تطير بها، فيضرب بها صخرة حتى تنكسر، أو تغرق، أو يعدو بها إلى جزيرة يابسة، فتلقيها على الأرض لوحاً لوحاً، ولكن المجداف، والموكل به على كوثله[2] يستقيم بصدرها.

فالثبات من المشيئة يخرج إلى العبد، فلولا الثبات من الله لعبده، لرمى أهبوب هذه الرياح بهذه السفينة، وطار بها كل مطير، حتى يصدم بها جبال[3] البحر، فتكسر[4] كالزجاجة قطعة قطعة، وتذهب الكنوز في ذلك الماء غرقاً.

ولكن ولي السفينة وكل بالسفينة في الأمواج، وفي السواكن من البحر مجدافاً، وهو مشيئة الله ووضع المجداف في يد العدل حتى يستقيم صدر السفينة، فتبقى مستوية، وما فيها مستقر، فالحب غالب على الأشياء التي في قلب المؤمن، فإذا قوي الحب، فصار إلى حب الله له، فناله من هناك، فلولا الثبات من الله بالمشيئة، لطار الحب به كل مطير،

---

(١) كوثل السفينة: مؤخرها، أو سكانها. «القاموس المحيط» (ص: ١٣٥٩) مادة: الكوثل.

(٢) في «ن»: كوثلته.

(٣) في «ن»: حيال.

(٤) في «ن»: فتنكسر.

ورمى به في واد قفر، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٧٤] ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾[الإسراء: ٧٥].

فانظر أيُّ وعيد هذا؟! فإنما هاج من رسول الله ﷺ ذلك الحب حتى حرصه على دخولهم في الإسلام، وقبولهم ما جاء به، فأجابوه إلى الدخول في الإسلام، على شريطة أن لا يركعوا في صلاتهم، وأن يتركهم حتى يتمتعوا[1] باللات سنةً.

فكان رسول الله يكاد يحترق من حريق الحب لله[2]، فيحرص على دخولهم في الإسلام، وأن يوافقهم في أشياء مما يجوز على التداري منه لهم، فلما جاؤوا بهذه الكلمة، وهم ثقيف أهل الطائف، وجد رسول الله ﷺ من هذه الكلمة وجداً شديداً، فاشتعل ناراً، ودعا بوضوء كالمبرد؛ حتى قال عمر: أحرقتم رسول الله، أحرقَ اللهُ أكبادكم.

وإنما احترق رسول الله ﷺ من أجل أنهم طمعوا فيه أن يجيبهم إلى ذلك؛ لما رأوا من رفقه، وعطفه، ولينه، وبشاشته وسروره بمجيئهم، بعد أن كان قد حاصرهم شهراً، فهال رسولَ الله ﷺ طمعُهم فيه، وخاف أن يكون قد أفرط في تعظيم مجيئهم، وسروره بهم، فدعا[3] بماءٍ، وتوضأ، وقال عمر: أحرقتم رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾[الإسراء: ٧٣]،

---

(١) في الأصل: يتنعموا، والصواب من «ن».

(٢) لفظة لله: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: حتى دعا.

وذلك أنهم كانوا سألوه[1] أن يمتعهم باللات سنة، فإن سأله المسلمون عن ذلك، قال: إن ربي أمرني[2] أن أرخص لهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾، ثم قال: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا [3]﴾[الإسراء: ٧٤][4]، فلم ينسبه إلى أنه: همَّ بالركون، أو مال إليهم، وأعلمه أن الثبات هو الذي عصمه، يعلمه أن حبه هذا يهيج حرصه، حتى تجد النفس إلى القلب سبيلاً[5]، فشاركه في المحبة؛ لأن الحب في القلب، والحرص في النفس.

فلولا الثبات، لافتتن، فأعلمه المنة عليه، وأنه[6] لولا ذلك الثبات، لقد قربت من الفتنة، والركون إليهم فيما سألوك[7]، فعصمتك بمشيئتي، فأعطيتك الثبات، يعلمه خطر الحب أن شأنه عظيم، وأنه يسبي القلب، فإذا لم يكن له ثبات، ذهبت قوة القلب، فطارت به؛ لغلبة الفرح الذي في الحب بمنزلة السفينة التي طارت، فصدمت به جبلاً، فتكسرت قطعاً قطعاً، وتبددت كنوزه في بحر الغيب غرقاً، فلا حق بقي، ولا رحمة.

❑ ❑ ❑

---

(١) في «ن»: سألوا.

(٢) في الأصل: أمرني بهذا، والصواب من «ن».

(٣) ﴿شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾: زيادة من «ن».

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٨/ ١١٨).

(٥) في «ن»: سبيلاً إلى القلب.

(٦) وأنه: زيادة من «ن».

(٧) في «ن»: سألوا.



(١٣٣٢) ـ نا إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة ابن كهيل، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن سلمة بن كهيل، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «الأَشْـرِبَةُ مِن خَمسٍ: مِنَ الحِنطَـةِ، وَالشَّـعِيرِ، وَالتَّـمرِ، وَالزَّبِيبِ، وَالعَسَلِ، فَمَا خُمِّرَ، فَهُوَ خَمرٌ»[1].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

قوله: «الأَشرِبَةُ مِن خَمسٍ»؛ أي: إن هذه أشياء ينبذ عليها الماء، فيستخرج[2] بالماء ما فيهن من القوة.

---

(١) أخرجه الدارقطني في «السنن» (٤/ ٢٥٣) من طريق إبراهيم بن إسماعيل، به.
وأخرج البخاري (٤٣٤٣)، ومسلم (٣٠٣٢)، وأبو داود (٣٦٦٩)، والنسائي (٨/ ٢٩٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٦٧)، وابن أبي الدنيا في «ذم المسكر» (ص: ٦٦)، وابن حبان في «الصحيح» (٥٣٥٣) من طرق عن الشعبي عن ابن عمر، عن عمر رضي الله عنهما، من قوله، بلفظ: «إن الخمر حرمت يوم حرمت، وهي من خمسة: من العنب، والعسل، والتمر، والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل».

(٢) في الأصل: فيخرج، وما أثبتناه من «ن».

«فَإِذَا خَمَّرتَهُ، فَهُوَ خَمرٌ»؛ يعني: إذا تركته نيئاً على هيئته التي خرج، فلم[1] يأخذ قوته بالنار، فشربته[2]، خالطت القوة التي فيها قوة العدو الذي أعطي؛ لأنه[3] موكل بما أعطي بهذه الأشربة، فإذا تركتها بقوتها، جاء العدو بما نبذه، فخلطها به[4]، ثم وجد السبيل إلى المعدة بنصيبه، فإذا دخل الجوف، خمر القلب؛ أي: غطاه، وحال بين القلب والعقل؛ لأن العقل في الرأس، وشعاعه[5] في الصدر.

فالتدبير للعقل مع القلب في الصدر؛ لأن عيني الفؤاد في الصدر، وشعاع العقل يشرق[6] في الصدر، فبذلك الإشراق يهتدي القلب لما حسن من شأن وما قبح[7]، وإنما نزل القرآن بتحريم الخمر.

فالخمر: اسم فيه صفة الفعل الذي يظهر منه الفساد؛ لأنه يخمر الفؤاد؛ أي: يغطيه، ويحول بينه وبين شعاع القلب، فكل شراب كانت فيه هذه الصفة، فقد لزمه اسم الخمر، ولزمه التحريم.

ولذلك قال عمر: الخمر ما خامر العقل[8].

---

(١) في الأصل: ولما، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: فتشربه، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: بأنه، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: فخالطها بها، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: وشغله، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في الأصل: يشعل، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في «ن»: فما شَانَ وقبح.

(٨) أخرجه البخاري (٥٢٥٩)، ومسلم (٣٠٣٢)، وغيرهما، وقد تقدم تخريجه في حديث الباب.

أي: غطاه.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مُسكِرٍ حَرَامٌ، وَكُلُّ خَمرٍ حَرَامٌ»[1].

ذلك لتعلم أن الخمر اسم لزم أنواع الأشربة، ولو لم يكن كذلك، لم يقل: كُلُّ، ثم بيَّن أن علامة الخمر: كل شيء أسكر، والمسكر هو المفعل للسكر.

والسكر: سد العقل، ومنه يقال لسد النهر: سكر، ومنه قوله تعالى: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا﴾[الحجر: ١٥]؛ أي: سدت.

فهذا الماء جارٍ في النهر، فإذا ألقي في بعض طريقه كيس من التراب، أو غيره[2]، بقي الماء إلى حيث انتهى، وصار ما أسفل من الكيس من بطن النهر خالياً. فكذلك العقل: قراره في الدماغ، ثم شعاعه جار[3] إلى الصدر، إلى عيني الفؤاد؛ لتدبير الأمور، وتمييز الحسن والقبيح، والضرر والنفع، فإذا شرب هذا الشراب، ولم يكن أخذ قوته بالطبخ، فالعدو معه بتصببه يخلص إلى الصدر برجاسته، ونجاسته[4]، فإذا وقعت هذه النجاسة،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠٣)، وأبو داود (٣٦٧٩)، والترمذي (١٨٦١)، والنسائي (٨/ ٢٩٦)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٦)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٢٦٠)، وابن حبان في «الصحيح» (٥٣٦٨)، وغيرهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام».

وقال الترمذي: حديث ابن عمر حديث حسن صحيح.

(٢) في «ن»: وغيره.

(٣) في «ن»: جاري.

(٤) ونجاسته: ليست في «ن».

والظلمة في هذا الطريق بين عيني الفؤاد والرأس، صار سداً، فبقي الصدر مظلماً، وما وراء الصدر مما يلي الرأس، مضيئاً مشرقاً، لا ينفع بذلك عيني الفؤاد، فيبقى الصدر خالياً، كما بقي النهر، ويبقي عين الفؤاد في ظلمة ما جاء به العدو، فسمي ذلك في النهر: سَكراً - بفتح السين -، وسمي هذا سُكراً - بضم السين -.

فمن أجاز طلاق السكران، وفرق بينه وبين المعتوه، والمجنون، والصبي؛ لأن السكر سد، والعقل وراء السد قائم، وهو حجة الله على العبد، بوجوب الأحكام عليه، والصبي لم يعط عقل الحجة، وهو تمام العقل الذي به تقوم حجة الله[1].

وعلامته: أنه إذا تم ذلك النور[2]، فحرارة ذلك النور يؤدي إلى الصلب، فيخرج منه الماء الذي يوجب الغسل، إما بحلمٍ، وإما بجماعٍ.

فلذلك صيَّروا الحلم علامة للإدراك، وجرى الحكم عليه؛ لأن العقل قد تم، وقبل ذلك كان صغيراً لا يحتمل دماغه ذلك العقل.

وأما العتاهة: فهو التحير، وهو أن يهيج من المرة، فيتمادى إلى الدماغ، فيفسد العقل ويخالطه، فليس هناك عقل يقدر أن يعمل شيئاً؛ لأنه قد خالطه، وكذلك الجنون، هو من المِرَّة، فكلما ستر العقل من داء، فذلك[3] يخالط العقل ويفسده، وما كان من شراب، فإن ذلك سد وظلمة من رجاسة العدو، والعقل من ورائه على هيئته، لم يخالطه شيء، إلا أنه

---

(١) من قوله: على العبد. . . إلى قوله: حجة الله: ليس في «ن».

(٢) ذلك النور: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: فذاك.

متمكن لانسداد الطريق.

وقد يكون هذا السد سداً رقيقاً، وسداً كثيفاً، فربما عمل بعض عقله من خلال ذلك السد، ألا ترى أنه يعقل شيئاً، ولا يعقل شيئاً؛ لأن العقل بمكانه لم يخالطه شيء، وفي حال الجنون خالط العقل ذلك الداء؛ لأنه خلص إلى الدماغ.

وأما[1] الصبي: فإنه لم يعط تماماً، وهو يزاد قليلاً قليلاً باللطف، حتى يبلغ من السن ما يحتمل ذلك، ويجد العقل مكاناً ينفسح، فالذي فرق بين طلاق السكران، وطلاق المعتوه، والمجنون، والصبي إنما فرق لهذا.

وأما الذين لم يجيزوا طلاقه، فإنهم إنما نظروا إلى افتقاد القلب العقل، فإذا افتقد[2]، لم يلزموه شيئاً من الأحكام؛ لأنه إنما تقوم الحجة بالعقل.



(١) في «ن»: أما.

(٢) في «ن»: افتقده.





الأصل الرابع والخمسون والمئتان

(١٣٣٣) ـ أنا أبو عبدالله محمد بن علي الحكيم رحمه الله، قال: نا إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل، قال[١]: حدثني أبي، عن أبيه، عن سلمة بن كهيل، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان بن عفان، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً، فأمَّر عليهم أميراً منهم هو أصغرُهم، فلم يسيروا، فلقي النبيُّ ﷺ رجلاً منهم، فقال: «يَا فُلاَنُ! مَا لَكَ؟ أَمَا انطَلَقتُمُ؟»، فقال: يا رسول الله! أميرنا يشتكي رجله، فأتاه النبي ﷺ، أو بعث إليه، فقال: «بِاسمِ اللهِ وَبِاللهِ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدرَتِهِ مِن شَرِّ مَا فِيهَا، سَبعَ مِرَارٍ[٢]»، فبرأ الرجل، فقالوا: يا رسول الله! أتؤمِّره علينا وهو أصغرنا؟!

---

(١) في الأصل و«ن»: عن أبيه قال، وهي زيادة والصواب إسقاطها.

(٢) في «ن»: مرات.

فذكر النبي ﷺ قراءته للقرآن، فقال: يا رسول الله! لولا أني أخاف أن لا أقوم به.

فقال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ القُرآنَ مَثَلُهُ كَجِرَابٍ[1] فِيهِ مِسكٌ قَد رَبَطتَ فَاهُ، فَإِن فَتَحتَهُ، فَاحَ رِيحُ المِسكِ، وَإِن تَرَكتَهُ، كَانَ مِسكاً مَوضُوعاً مِثلَ القُرآنِ إِن قَرَأتَهُ، وَإِلاَّ، فَهُوَ فِي صَدرِكَ»[2].

(١٣٣٤) ـ نا محمد بن ميمون المكي، قال: نا شعيب ابن حرب، قال: حدثني حريز بن عثمان، عن القاسم أبي[3] عبد الرحمن، عن أبي أمامة، يبلغ به النبي ﷺ،

---

(١) في «ن»: كمثل جراب.

(٢) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٠٥) من طريق الحكيم الترمذي، به، مقتصراً على جزئه الأخير.

وقال: هذا يروى بخلاف هذا المتن، ومن طريق أصلح من هذا.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧/ ١٥٠) من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦١): وفيه: يحيى بن سلمة بن كهيل، ضعفه الجمهور، ووثقه ابن حبان، وقال: في أحاديث ابنه عنه مناكير.

وقد أخرج لفظه الأخير: الرامهرمزي في «أمثال الحديث» (ص: ٨٦) من طريق يحيى بن سلمة، به.

(٣) في «ن»: عن أبي.

قال: «لاَ تَغُرَّنَّكُم هَذِهِ المَصَاحِفُ المعَلَّقَةُ، إِنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُ قَلباً وَعَى القُرآنَ[(١)]»[(٢)].

(١٣٣٥) ـ نا قتيبة بن سعيد، قال: نا ابن لهيعة، عن مشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَو كَانَ القُرآنُ فِي إِهَابٍ، مَا مَسَّتهُ النَّارُ»[(٣)].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فمن حرمة القرآن: أن لا يمسه إلا طاهراً.

---

(١) في الأصل: وعاء للقرآن.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٣٠) من طريق شبابة بن سوار عن حريز ابن عثمان، به، موقوفاً.

وأخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص: ٨٧)، وأحمد في «الزهد» (ص: ٢٠٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٣٣)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٥٢٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٧) عن أبي أمامة رضي الله عنه، من قوله.

وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٧٩) عن الموقوف: أخرجه ابن أبي داود بإسناد صحيح.

ولم أجده مرفوعاً فيما بين يدي من مراجع.

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٤٦٩) من طريق قتيبة بن سعيد، به.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٥١)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٥٢٢)، وأبو يعلى في «المسند» (١٧٤٥)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٩٥)، وتمام الرازي في «الفوائد» (١/ ٣٧٦) من طريق ابن لهيعة، به.

عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١/ ٢٦٩) لابن الضريس، والحكيم الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

ومن حرمته: أن يقرأه على[1] طهارة.

ومن حرمته: أن يستاك، ويتخلل، ويطيب[2] فاه؛ إذ هو طريقه.

ومن حرمته: أن يستوي له قاعداً إن كان في غير صلاة، ولا يكون متكئاً.

ومن حرمته: أن يتلبس له كما يتلبس للدخول على الأمير؛ لأنه مناجي.

ومن حرمته: أن يستقبل القبلة لقراءته.

(١٣٣٦) ـ وحدثنا الجارود، عن عمر بن هارون، عن سلمة[3]، قال: كان أبو العالية إذا قرأ، اعتَمَّ، ولبسَ، وارتدى، واستقبلَ القبلة[4].

ومن حرمته: أن يتمضمض كلما تنخَّع.

وروي عن شعبة، عن أبي حمزة، عن ابن عباس: أنه كان يكون بين يديه تور، إذا تنخع، مضمض[5]، ثم أخذ في الذكر، وكان كلما تنخع، مضمض[6].

---

(١) في «ن»: وهو على.

(٢) في الأصل: ويتطيب، والصواب ما أثبت.

(٣) في الأصل: أبي جلدة، وما أثبتناه من «ن».

(٤) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

عمر بن هارون متروك كما تقدم مراراً.

(٥) في «ن»: تمضمض.

(٦) قوله: وكان كلما تنخع مضمض: زيادة من «ن».

وانظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٢٧).

ومن حرمته: أنه إذا تثاءب، أن يمسك عن القراءة؛ لأنه إذا قرأ، فهو مخاطب ربه، ومناج، والتثاؤب من الشيطان.

ومن حرمته: أن يستعيذ بالله عند ابتدائه للقراءة من الشيطان الرجيم، ويقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، إن كان ابتداء قراءته من أول السورة، أو من حيث بلغ.

ومن حرمته: إذا أخذ في سورة، لم يشتغل بشيء حتى يفرغ منها، إلا من ضرورة.

ومن حرمته: إذا أخذ في القراءة، لم يقطعها ساعة فساعة بكلام الآدميين من غير ضرورة.

ومن حرمته: أن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلام، فيخلطه بجوابه؛ لأنه إذا فعل ذلك، زالت عنه سلطان الاستعاذة في البدء[1].

ومن حرمته: أن يقرأه على تؤدة، وترسيل، وترتيل.

ومن حرمته: أن يشتغل فيه ذهنه، وفهمه؛ حتى يعقل ما يخاطب.

ومن حرمته: أن يقف على آية الوعد، فيرغب[2] إلى الله، ويسأله من فضله، وأن يقف على آية الوعيد، فيستجير بالله منه.

ومن حرمته: أن يقف على أمثاله، فيمتثلها.

ومن حرمته: أن يلتمس غرائبه وإعرابه[3].

---

(١) في «ن»: الاستعاذة التي استعاذ.

(٢) في الأصل: فيرتغب، والمثبت من «ن».

(٣) وإعرابه: ليست في «ن».

ومن حرمته: أن يؤدي لكل حرف حقه من الأداء؛ حتى يبرز الكلام باللفظ تماماً؛ فإن له بكل حرف عشر حسنات.

ومن حرمته إذا انتهت قراءته: أن يصدق بربه، ويشهد بالبلاغ لرسوله ﷺ، ويشهد على ذلك أنه حق، فيقول: صدقت ربنا، وبلغت رسُلك[1]، ونحن على ذلك من الشاهدين.

اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط لك، ثم يدعو بدعوات.

ومن حرمته: إذا قرأ[2] لا يلتقط الآي من كل سورة فيقرأه؛ فإنه روي لنا عن رسول الله ﷺ: أنه مر ببلال وهو يقرأ من كل سورة شيئاً، فأمره أن يقرأ على السور.

أو كما قال.

ومن حرمته: إذا وضع الصحيفة: أن لا يتركه منشوراً، وأن لا يضع فوقه شيئاً من الكتب حتى يكون أبداً عالياً لسائر الكتب، علماً كان أو غيره.

ومن حرمته: أن يضعه في حِجْره إذا قرأه، أو على شيء بين يديه، ولا يضعه بالأرض.

ومن حرمته: أن لا يمحوه من اللوح بالبزاق، ولكن يغسله بالماء.

ومن حرمته: إذا غسله بالماء: أن يتوقى النجاسات من المواضع، ومن المواضع[3] التي توطأ؛ فإن لتلك الغسالة حرمة، وكان من قبلنا من السلف منهم من يستشفي بغسالته.

---

(١) في الأصل: رسلنا، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: قرأه.

(٣) في «ن»: والمواضع.

ومن حرمته: أن لا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب؛ فإن ذلك جفاء عظيم، ولكن يمحوها بالماء.

ومن حرمته: أن لا يُخْلِي يوماً من أيامه من النظر في المصحف مرة.

وكان أبو موسى يقول: إني لأستحي أن لا أنظر كل يوم في عهد ربي مرة[1].

ومن حرمة القرآن: أن يعطي عينه حظها منه؛ فإن العين تؤدي إلى النفس، وبين النفس والصدر حجاب، والقرآن في الصدر، فإذا قرأها عن ظهر قلب، فإنما تسمع أذنه، فيؤدي إلى النفس، وإذا نظر في الخط، كانت العين والأذن قد اشتركتا[2] في الأداء، وذلك أوفر للأداء، وكان قد أخذت العين حظها كالأذن.

(١٣٣٧) ـ نا عبد الأعلى بن واصل الأسدي[3]، قال: نا أحمد بن عاصم بن عنبسة بن عبد الرحمن الكوفي، عن زيد ابن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَعطُوا أَعيُنَكُم حَظَّهَا مِنَ العِبَادَةِ»، قالوا: يا رسول الله! وما حظُّها من العبادة؟ قال ﷺ: «النَّظَرُ

---

(١) لم أجده من قول أبي موسى.

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٠٩) من قول عثمان رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: اشتركا، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل، و«ن»: عبد الأعلى بن عاصم الأموي، والصواب ما أثبتناه.

فِي المُصحَفِ، وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ، وَالاعتِبَارُ عِندَ عَجَائِبِـهِ»[1].

(١٣٣٨) ـ نا عبد الأعلى، قال: نا أحمد بن عاصم، عن حفص[2] بن عمر بن ميمون، عن محمد بن سعيد، عن مكحول، عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ القُرآنِ نَظَراً»[3].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٢٢٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٠٨) من طريق عبد الأعلى بن واصل، قال: حدثني أحمد بن عاصم ابن عنبسة العباداني، قال: ثنا حفص بن عمر بن ميمون، عن عنبسة بن عبد الرحمن الكوفي، عن زيد بن أسلم، به.

وهذا إسناد تالف موضوع، حفص بن عمر ضعيف، وتركه بعضهم كما في «تهذيب التهذيب» (٢/ ٣٥٣).

وعنبسة بن عبد الرحمن قال ابن حجر في «التقريب» (ص: ٤٣٣): متروك، رماه أبو حاتم بالوضع.

(٢) في الأصل: جعفر، والصواب من «ن».

(٣) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١/ ٢٥٨) للحكيم الترمذي عن عبادة ابن الصامت ﷺ.

هذا إسناد تالف موضوع، حفص بن عمر ضعيف، وشيخه محمد بن سعيد المصلوب هالك، متهم بالكذب ووضع الأحاديث على رسول الله ﷺ كما في «تهذيب التهذيب» (٩/ ١٦٣).

وقد أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٢٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣٥٤) من حديث النعمان بن بشير ﷺ بإسناد ضعيف بدون قوله: «نظراً»، والله أعلم. =

ومن[1] حرمة القرآن: أن لا يتأوله عندما يعرض له من أمر الدنيا.

= وعزاه بعضهم لأبي نعيم في «فضائل القرآن» من حديث أنس بسند ضعيف بمثل حديث النعمان كما قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٧٣، إحياء).

(١) جاء قبل هذا في نسخة الأصل، وقد سقط من نسخة «ن»، وإنما جاء فيها هذا النص بعد هذا بصفحات أثبته هناك لمناسبته للكلام، وهو:

قال أبو عبدالله ﷺ:

فالقلب أمير على الجسد، وكذلك ﴿يسٓ﴾[يسٓ: ١] أمير على سائر السور، موجود فيه كل شيء، وافتتحها الله ـ بالياء والسين ـ، وفيها مجمع الخير، ودل المفتتح على أنه القلب، وأنه أمير على سائر السور، مشتمل على جميع القرآن.

ونا الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، قال: نا شهاب بن عباد العبدي، قال: نا الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «من شغله ذكري وقراءة القرآن عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على جميع خلقه».

قال أبو عبدالله ﷺ:

فهذا فضل لا يحاط بكنهه؛ إذ كان لا يحاط بفضل الله على جميع خلقه، وإنما صار هكذا؛ لأنه كلامه منه خرج.

نا يحيى بن الأحمر الطائي، قال: نا محمد بن مسلم الطائفي، عن عمرو بن دينار، قال: أدركت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يقولون: الله الخالق، وما سواه مخلوق، غير الكلام؛ فإنه منه خرج، وإليه يعود.

قال أبو عبدالله: يحيى بن زياد الأحمر هو ابن أخي زياد الأحمر.

(١٣٣٩) ـ حدثنا عمرو بن زياد الحنظلي، قال: نا هشيم[1] بن بشير، عن المغيرة، عن إبراهيم، قال: كان يكره أن يتأول[2] شيء من القرآن عندما يعرض له شيء من أمر الدنيا[3].

والتأويل مثل قولك للرجل إذا جاءك[4]: ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾[طه: ٤٠]، ومثل قولك: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾[الحاقة: ٢٤]، هذا عند حضور الطعام، وأشباه هذا.

ومن حرمة القرآن: أن لا يقال: سورة كذا؛ كقولك: سورة النحل، وسورة البقرة، وسورة النساء، ولكن يقال: السورة التي يذكر فيها كذا[5].

ومن حرمة القرآن: أن لا يتلى منكوساً؛ كفعل معلمي الصبيان، يلتمس أحدهم بذلك أن يرى الحذق من نفسه، والمهارة؛ فإن تلك مجانة.

ومن حرمة القرآن: أن لا يقعر في قراءته كفعل هؤلاء الهمزيين

---

(١) في «ن»: ثنا هشام.

(٢) في الأصل: يتناول، والصواب من «ن».

(٣) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.
عمرو بن زياد إن كان هو الباهلي، وهو الغالب، فهو كذاب متهم بالوضع. انظر: «لسان الميزان» (٤/ ٣٦٤).

(٤) في «ن»: جاء.

(٥) تعقبه القرطبي في «التفسير» (١/ ٢٩)، فقال: هذا يعارضه قوله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة، كفتاه» خرجه البخاري، ومسلم من حديث أبي مسعود البدري.

المبتدعين المتنطعين في إبراز الكلام من تلك الأفواه المنتنة تكلفاً؛ فإن ذلك محدث، ألقاه إليهم الشيطان، فقبلوه منه.

ومن حرمة القرآن: أن لا يقرأه بألحان الغناء؛ كلحون أهل الفسق، ولا ترجيع النصارى، ولا نوح الرهبانية؛ فإن ذلك زيغٌ كله.

(١٣٤٠) ـ حدثنا سليمان بن أبي هلال الذهبي، قال: نا بقية بن الوليد، عن حصين بن مالك، قال: سمعت شيخاً يكنى: أبا محمد، وكان قديماً يحدث، عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرَؤُوا القُرآنَ بِلُحُونِ العَربِ وَأَصوَاتِهَا، وَإِيَّاكُم وَلُحُونَ أَهلِ الفِسقِ وَأَهلِ الكِتابَينِ؛ فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ مِن بَعدِي قَومٌ يُرَجِّعونَ بِالقُرآنِ تَرجِيعَ الغِناءِ، وَالرَّهبَانيَّة وَالنَّوحِ، لاَ يجَاوِزُ حَناجِرهُم»[1].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧/ ١٨٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٤٠) من طريق بقية بن الوليد، به.

قال الطبراني رحمه الله: لا يروى هذا الحديث عن حذيفة إلا بهذا الإسناد، تفرد به بقية.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦٩): رواه الطبراني في «المعجم الأوسط»، وفيه راوٍ لم يسم، وبقية أيضاً.

وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١١٨): هذا حديث لا يصح، وأبو محمد مجهول، وبقية يروي الحديث عن الضعفاء، ويدلسهم.

(١٣٤١) ـ ونا محمد بن يحيى البصري، قال: نا ابن إدريس[١]، عن الأعمش، قال: قرأ غورك اللهبي عند أنس[٢].

ومن حرمة القرآن: أن يجلل تخطيطه إذا خطه.

(١٣٤٢) ـ حدثنا محمد بن علي الشقيقي، عن أبيه، عن عبدالله بن المبارك، قال: أنا عبد الملك بن شداد الضبعي، قال: أخبرني عبدالله بن سليمان العبدي، عن أبي حكيمة: أنه كان يكتب المصاحف بالكوفة، فمر عليٌّ ـ كرم الله وجهه ـ، فنظر إلى كتابه، فقال له: أجل قلمك، فأخذت القلم، فقَطَطتُ من طرفه قَطّاً، ثم كتبتُ وعليٌّ قائم ينظر إلى كتابتي[٣]، فقال: هكذا نوِّرهُ كما نوَّرَهُ الله[٤].

---

(١) في «ن»: أبو إدريس.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١١٩)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٥٦٦) من طريق عبدالله بن إدريس، به.
ولفظه عند الدارمي: قرأ رجل عند أنس بلحن من هذه الألحان، فكره ذلك أنس.
قال أبو محمد ـ الدارمي ـ: وقال غيره: قرأ غورك بن أبي الخضر.

(٣) في «ن»: كتابي.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٢٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٤٥)، والسمعاني في «أدب الإملاء» (ص: ١٦٦) من طريق عبد الملك، به.

قال أبو عبدالله:

(١٣٤٣) ـ وأخبرني علي بن المبارك[١] عن أبي حكيمة، عن علي، بنحوه[٢].

ومن حرمة القرآن: أن لا يجهر بعض على بعض في القراءة، فيفسد عليه حتى يبغض إليه ما يسمع، ويكون كهيئة المغالبة.

ومن حرمة القرآن[٣]: أن لا يماري، ولا يجادل فيه في القراءات، ولا يقول لصاحبه: ليس هكذا[٤]، ولعله أن تكون تلك القراءة صحيحة جائزة بين القراء، فيكون قد جحد في كتاب الله.

ومن حرمة القرآن: أن لا يقرأه في الأسواق، ولا في مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء.

ألا ترى أن الله تعالى ذكر عباد الرحمن، وأثنى عليهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراماً، هذا لمروره بنفسه، فكيف إذا مر بالقرآن الكريم تلاوة بين ظهراني أهل اللغو ومجمع السفهاء.

ومن حرمة القرآن: أن لا يتوسد المصحف، ولا يعتمد عليه، ولا يرمي به إلى صاحبه إن أراد أن يناوله.

---

(١) علي بن المبارك من شيوخ عبدالله بن المبارك، فهو بالإسناد السابق، والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٢٤٠) من طريق وكيع عن علي بن المبارك.

(٣) أن لا يجهر بعض على بعض في القراءة فيفسد عليه حتى يبغض إليه ما يسمع ويكون كهيئة المغالبة ومن حرمة القرآن: زيادة من «ن».

(٤) في «ن»: هكذا هو.

ومن حرمة القرآن: أن لا يصغر المصحف.

(١٣٤٤) ـ نا محمد بن علي الشقيقي، عن أبيه، عن عبدالله، عن ابن شقيق، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علي ﷺ، قال: لا تصغر المصحف[١].

ومن حرمة القرآن: أن لا يخلط به ما ليس منه.

ومن حرمة القرآن: أن لا يُحلى بالذهب، ولا يكتب بالذهب، فيخلط به زينة الدنيا.

(١٣٤٥) ـ نا محمد بن علي الشقيقي، عن أبيه، عن عبدالله بن المبارك، عن أبي عوانة، عن المغيرة[٢]، عن إبراهيم: أنه كان يكره أن يُحَلَّى المصحف، أو يكتب بالذهب، أو يُعَلَّم عند رؤوس الآي، أو يُصَغَّر[٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٢٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٤٥) من طريق الأعمش، به.

فيه: عن علي: أنه كان يكره أن يكتب المصحف في الشيء الصغير.

(٢) في «ن»: مغيرة.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٤٧) من طريق أبي عوانة، به.

وأخرجه مقتصراً على صدره ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٤٩).

أخرج ابن أبي شيبة (٢/ ٢٣٩)، والداني في «نقط المصحف» (ص: ١١) من طريق المغيرة بلفظ: جردوا القرآن.

(١٣٤٦) ـ نا سهل بن العباس، قال: نا عبد الرحمن المحاربي، عن إسماعيل بن عياش، عن صخر بن صدقة، عن رجل من أهل دمشق، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا زَخرَفتُم مَساجِدَكُم، وَحَلَّيْتُم مَصَاحِفَكُم، فَالدَّمارُ عَلَيكُم»[١].

(١٣٤٧) ـ نا سهل، قال: نا أبو عوانة[٢]، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن ابن عباس: أنه رأى مصحفاً قد زُيِّن بفضة، قال: يُغرون به[٣] السارق، وزينته في جوفه[٤].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ١٥٤)، وأحمد في «الورع» (ص: ١٨٣) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، موقوفاً.

قال العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٩٥): أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن أبي الدرداء رضي الله عنه، ووقفه ابن المبارك في «الزهد»، وابن أبي الدنيا في «المصاحف» على أبي الدرداء رضي الله عنه.

قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص: ٢٥): لا يصح رفعه.

(٢) في الأصل: أبو معاوية، والصواب من «ن».

(٣) به: ليست في «ن».

(٤) أخرجه ابن معين في «الجزء الثاني من حديث يحيى بن معين» (ص: ١٢٨)، وابن أبي داود في «كتاب المصاحف» (ص: ٣٤٣) من طريق عاصم عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، به.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٤٩) من طريق ابن عباس رضي الله عنهما، به.

ومن حرمة القرآن: أن لا يكتب على الأرض، ولا على حائط، كما يُفعل بهذه المساجد المحدثة.

(١٣٤٨) ـ نا محمد بن علي الشقيقي، عن أبيه، عن عبدالله بن المبارك، عن سفيان، عن محمد بن الزبير، قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يحدث، قال: مر رسول الله ﷺ بكتاب في أرض، فقال لشاب من هذيل: ما هذا؟ قال: من كتاب الله، كتبه يهودي، قال: «لَعنَ اللهُ مَن فَعلَ هَذَا، لاَ تَضعُوا كِتابَ اللهِ إلاَّ مَوضِعَهُ»[1].

قال محمد بن الزبير: رأى عمر بن عبد العزيز ابناً له يكتب القرآن على حائط، فضربه.

ومن حرمة القرآن: أنه إذا اغتسل بكتابته مستشفياً من سقم: أن لا يصبُّه على كناسة، وفي موضع نجاسة، ولا على موضع يوطأ، ولكن ناحية من الأرض في بقعة لا يطؤها الناس، أو يحفر حفيرة في موضع طاهر، حتى ينصبَّ من جسده في تلك الحفيرة، ثم يكبسها، أو في نهر كبير يختلط بمائه، فيجري.

ومن حرمة القرآن: أن يفتتحه كلما ختمه، حتى لا يكون كهيئة

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١/ ٣٠٩) للحكيم الترمذي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.
هذا مع إرساله ضعيف جداً، محمد بن الزبير فيه كلام، حتى قال ابن حجر: متروك كما في «التقريب» (ص: ٤٧٨).

المهجور، ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا ختم يقرأ من أول القرآن قدر خمس آيات[1]؛ لئلا يكون في هيئة المهجور.

(١٣٤٩) ـ نا محمد بن عمارة[2]، قال: نا زيد بن حباب، قال: نا صالح المري، قال: نا قتادة، عن زرارة ابن أوفى العامري، عن ابن عباس، قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله! أيُّ الأعمال[3] أفضل؟ قال ﷺ: «عَلَيكُم بِالحالِّ المُرتَحِلِ»، قال: وما الحالُّ المرتحلُ؟ قال: «صَاحِبُ القُرآنِ يَضربُ مِن أَوَّلِهِ حَتَّى يَبلغَ آخِرَهُ، ثمَّ يَضرِبُ مِن[4] أَوَّلِهِ، كُلَّما حَلَّ ارتحَلَ»[5].

---

(١) في الأصل: خمسين آية، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن»: ابن عمارة بن صبيح.

(٣) في «ن»: العمل.

(٤) في «ن»: في.

(٥) أخرجه الرامهرمزي في «أمثال الحديث» (ص: ١١٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٥٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٧٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣٤٨) من طريق زيد بن الحباب، به.
وقال الحاكم: تفرد به صالح المري، وهو من زهاد أهل البصرة، إلا أن الشيخين لم يخرجاه.
وأخرجه الترمذي (٢٩٤٨)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٥٦٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٦٨) من طريق صالح المري، به.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بالقوي.

ومن حرمة القرآن: أن لا يكتب التعاويذ منه، ثم يدخل به الخلاء[1]، إلا أن يكون في غلاف من أَدَم أو فضة أو غيره، فيكون كأنه في صدرك.

ومن حرمة القرآن إذا كتبه وشربه: سمى الله على كل نفس، وعظَّم النية فيه؛ فإن الله يؤتيه على قدر نيته.

(١٣٥٠) ـ نا عبد الأعلى، قال: نا محمد بن الصلت، عن عمرو بن ثابت، عن محمد بن مروان، عن أبي جعفر، قال: من وجد في قلبه قسوة[2]، فليكتب ﴿يسٓ﴾[يسٓ: ١] في جام بزعفران، ثم يشربه[3].

(١٣٥١) ـ نا عبد الأعلى، قال: أنا[4] عبيدالله بن

---

(١) في «ن»: به في الخلاء.

(٢) في «ن»: قساوة.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٦٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٨٢) من طريق عمرو بن ثابت، به.

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: كذا روي في هذه الحكاية، وفي الحديث قبلها، وكان إبراهيم يكره ذلك، ولو صح الحديث ـ الذي ساقه في فضل شرب ماء يسٓ من حديث أبي بكر الصديق مرفوعاً وسيأتي عند المصنف ـ، لم يكن للكراهة معنى، إلا أن في صحته نظراً، والله أعلم.

قلت: في السند عمرو بن ثابت، وهو ليس بثقة، وقد تركه ابن المبارك؛ لأنه كان يسب السلف، فإن كان ذلك، فلا كرامة. انظر: «تهذيب الكمال» (٢١/ ٥٥٧).

(٤) في «ن»: أنبأنا.

موسى، عن حسن بن صالح، عن ليث، عن مجاهد، قال: لا بأس أن يكتب القرآن، ثم يسقيه المريض[1].

(١٣٥٢) ـ نا أبي رَحِمَهُ اللَّهُ، ونا عبد الأعلى، قالا: نا ابن أبي أويس، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الجدعاني، عن سليمان بن مرقاع[2] الجندي، عن هلال بن الصلت: أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «سُورةُ يسٓ تُدعَى في التَّوراةِ: المُعِمَّةَ»، قيل: وما المعمة؟ قال: «تعمُّ صَاحبهَا خيرَ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَتُكابدُ عَنهُ بَلوَى الدُّنيَا، وَتَدفَعُ عَنهُ أَهاوِيلَ الآخِرَةِ، وَتُدعَى: الدَّافِعةَ وَالقَاضيةَ، تَدفعُ عَن صَاحبِـهَا كُلَّ سُوءٍ، وَتَقضِـي لَهُ كُلَّ حَاجةٍ، ومَن قَرأَهَا، عَدلَتْ لَهُ عِشرينَ حجةٍ، ومَن سَمعَها، عَدَلَتْ لهُ أَلفَ دِينارٍ في سَبيلِ اللهِ، ومَن كَتبهَا، ثمَّ شَربهَا، أَدخلَت جَوفَهُ أَلفَ دَواءٍ، وَأَلفَ نُورٍ، وأَلفَ يَقينٍ، وأَلفَ بَركةٍ، وأَلفَ رَحمةٍ، وَنَزعَ مِنهُ كُلَّ غِلٍّ وَداءٍ»[3].

---

(١) إسناده ضعيف؛ لضعف ليث، والله أعلم.

(٢) في الأصل: رقاع، والصواب من «ن».

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٨٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٨٨) من طريق ابن أبي أويس، به.

قال البيهقي: تفرد به محمد بن عبد الرحمن هذا عن سليمان، وهو منكر. =

قال أبو عبدالله:

وحق لسورة يس أن تبلغ ذلك من صاحبها؛ فإنه رُوي عن رسول الله ﷺ: «أَنَّهَا قَلبُ القُرآنِ».

(١٣٥٣) ـ نا قتيبة بن سعيد، وسفيان بن وكيع، وأبو طالب الهروي، عن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، عن هارون أبي محمد، عن مقاتل بن حيان، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ شَيءٍ قَلبٌ، وقَلبُ القُرآنِ ﴿يسٓ﴾، وَمَن قَرَأَهَا، فَكَأَنَّمَا قَرَأَ القُرآنَ عَشرَ مَرَّاتٍ»[١].

= أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٨٧) من حديث أنس بن مالك ؓ.

ثم قال الخطيب عقب هذا الحديث: وهذا الحديث بهذا الإسناد باطل أيضاً ـ أي: حديث أنس ـ، وإنما يحفظ من حديث محمد بن عبد الرحمن...، والمتن الذي أورده محمد بن عبد سواء، غير أن في الألفاظ خلافاً يسيراً، ولا أعلم يروى هذا الحديث إلا من طريق الجدعاني، وفي إسناده غير واحد من المجهولين، وقد سرق متنه محمد بن عبد، ووضع الإسناد الذي قدمناه.

قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص: ٣٠١): رواه الخطيب عن أنس مرفوعاً، وهو موضوع، اتهم بوضعه محمد بن عبد بن عامر السمرقندي، وقد رواه العقيلي عن أبي بكر الصديق ؓ مرفوعاً، وفي إسناده: محمد بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الجدعاني، وهو متروك، وقد أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» من طريقه، وفي إسناده مجاهيل وضعفاء.

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٨٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ١٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٧٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٠/ ١٠٢)، =

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالقلب أمير على الجسد، وكذلك يسٓ أمير على سائر السور، موجود فيه كل شيء، وافتتحها الله ـ بالياء والسين ـ، وفيها مجمع الخير، ودل المفتتح على أنه قلب، وأنه أمير على سائر السور، مشتمل على جميع القرآن، فأما حديث قتيبة عن ابن لهيعة؛ فقد فسرناه في كتاب الصلاة.

(١٣٥٤) ـ وناالحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، قال: نا شهاب بن عباد العبدي، قال: نا [محمد بن] الحسن ابن أبي يزيد[1] الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: «مَن شَغَلَهُ ذِكرِي وَقِرَاءَةُ القُرآنِ عَن مَسأَلَتِي، أَعطَيتُهُ أَفضَلَ مَا أُعطِي السَّائِلِينَ، وَفَضلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ

= والمزي في «تهذيب الكمال» (٣٠/ ١٢٢) من طريق قتيبة بن سعيد، به. وزاد الترمذي: وسفيان بن وكيع.

ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حميد بن عبد الرحمن، وبالبصرة لا يعرفون من حديث قتادة إلا من هذا الوجه، وهارون أبو محمد شيخ مجهول.

أخرجه الدارمي في «السنن» (٢/ ٥٤٨) من طريق حميد بن عبد الرحمن، به.

قلت: اتفقت جميع الأسانيد على زيادة الحسن بن صالح بين حميد بن عبد الرحمن وهارون، وهو الصواب.

(١) في الأصل: الحسن بن أبي زيد، والصواب ما أثبتناه.

كَفَضلِ اللهِ عَلَى جَمِيعِ خَلقِهِ»[1].

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فهذا فضل لا يحاط بكنهه، إذ كان لا يحاط بفضل الله على جميع خلقه، وإنما صار هكذا؛ لأنه كلامه، منه خرج.

(١٣٥٥) ـ نا يحيى بن الأحمر الطائي[2]، قال: نا محمد بن مسلم الطائفي، عن عمرو بن دينار، قال: أدركت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، كلهم يقولون: الله الخالق، وما سواه مخلوق، غير الكلام؛ فإنه منه خرج، وإليه يعود[3].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٢٦)، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص: ١٥٩)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص: ١٠١) من طريق شهاب بن عباد، به.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وأخرجه الدارمي في «السنن» (٢/ ٥٣٣)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٧٧)، والطبراني في «الدعاء» (ص: ٥١٩) من طريق محمد بن الحسن بن أبي يزيد، به.
قال ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٦٦): ورجاله ثقات إلا عطية العوفي، ففيه ضعف.
كذا قال، مع أنه قال في «التقريب» (ص: ٤٧٤) في محمد بن الحسن: ضعيف.

(٢) في «ن»: يحيى بن الأحمر بن زياد بن الأحمر الطائي.

(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص: ١٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٤٣)، والضياء في «اختصاص القرآن» (ص: ٣٠) عن عمرو بن دينار، قال: أدركت أصحاب النبي فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خرج، وإليه يعود.

قال أبو عبدالله:

يحيى بن زياد الأحمر هو ابن أخي زياد الأحمر[1].

وكذلك ما روي عن طاوس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا رَدَّ العِبَادُ إِلى اللهِ شَيئاً أَحَبَّ إِلَيهِ مِن كَلَامِهِ»[2].

(١٣٥٦) ـ وسمعت الجارود بن معاذ يقول: سمعت وكيعاً يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: سمعنا[3]: أن قراءة

---

(١) في «ن»: يحيى بن الأحمر بن زياد بن الأحمر هو: ابن أخي جعفر بن زياد بن الأحمر.

من قوله: فالقلب أمير على الجسد إلى قوله: زياد الأحمر: وقع في هذا الأصل نفسه بعد الحديث القائل: «أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظراً» في نسخة المخطوط الأصل، ووقعت في نسخة «ن» في هذا الموضع، لذا حذفته من هناك، وجعلته في الحاشية، وجعلته هنا في أصل النص؛ لمناسبته للكلام، والله أعلم.

(٢) لم أجده عن طاوس.

وأخرجه الدارمي في «السنن» (٢/ ٥٣٢)، وفي «الرد على الجهمية» (ص: ١٦٦) عن عطية بن قيس.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٣١) للبيهقي في «الأسماء والصفات» عن عطية بن قيس.

وله شاهد بنحوه أخرجه الترمذي (٢٩١١)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٨)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٢٠٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٥١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٨٨) عن أبي أمامة ﷺ، بلفظ: «. . . وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه ـ يعني: القرآن ـ».

(٣) في «ن»: سمعت.

القرآن أفضل من الذكر[1].

قال أبو عبدالله:

وجاد ما غاص قائل هذا القول؛ لأن الذكر هو شيء يبتدعه العبد من تلقاء قلبه، من علمه بربه.

والقرآن هو شيء قد تكلم به الرب تعالى، فإذا تلاه العبد، فإنما يتكلم بشيء قد كان عند الرب، ولم يَخلق منذ نزل إلى العباد، ولا يَخلق، ولا يتدنس، وهو على طراوته وطيبه وطهارته، وله كسوة، والذكر الذي يذكره العبد مبتدعاً من عنده لا كسوة له، وأيضاً: إنَّه هو الذي يؤلفه، وليس تأليف الله كتأليف العبد.

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء: ٨٨].

ألا ترى إلى قول الوليد بن المغيرة حيث استمع إلى القرآن، تحير فيه فقال: قد عرضته على رجز الشعر، وهزجه، وقريضه، فلم يشبهه، وليس بسحر، ولا كهانة، وإن عليه لطلاوة، وإن له لحلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وليس هذا من كلام البشر[2].

فهذا قول رجل ممتلئ من علم النفس، خال من علم القلب، فقلبه

---

(١) وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٨٢) عن صدقة بن يسار، قال: سألت مجاهداً عن قراءة القرآن أفضل يوم عرفة، أو الذكر؟ قال: لا، بل قراءة القرآن.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ١٥٦) عن ابن عباس ﷺ، مطولاً.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه.

في غلاف، والباب مردوم.

(١٣٥٧) ـ أنا أبي رَحِمَهُ اللهُ، قال: نا أصرم بن حوشب، عن بقية بن الوليد، عن المعتمر بن أشرف، عن محمد بن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «القُرآنُ أَفضَلُ مِن كُلِّ شَيءٍ دُونَ اللهِ، وَفَضلُ القُرآنِ عَلَى سَائِرِ الكَلاَمِ كَفَضلِ اللهِ عَلَى خَلقِهِ، وَمَن وَقَّرَ القُرآنَ، فَقَد وَقَّرَ اللهَ، وَمَن لَم يُوَقِّرِ القُرآنَ، لَم يُوَقِّرِ اللهَ، وَحُرمَةُ القُرآنِ عِندَ اللهِ كَحُرمَةِ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ، القُرآنُ شَافِعٌ وَمُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، فَمَن شَفَعَ لَهُ القُرآنُ، شَفَعَ، وَمَن مَحَلَ بِهِ القُرآنُ، صَدَقَ، وَمَن جَعَلَهُ أَمَامَهُ، قَادَهُ إِلى الجَنَّةِ، وَمَن جَعَلَهُ خَلفَهُ، سَاقَهُ إِلى النَّارِ، حَمَلَةُ القُرآنِ هُمُ المَحفُوفُونَ بِرَحمَةِ اللهِ، المُلبَسُونَ نُورَ اللهِ، المُعَلَّمُونَ كَلاَمَ اللهِ، مَن وَالاَهُم، فَقَد وَالى اللهَ، وَمَن عَادَاهُم، فَقَد عَادَى اللهَ.

يقول الله تعالى: يَا حَمَلَةَ القُرآنِ! استَجِيبُوا لِرَبِّكُم بِتَوقِيرِ[1] كِتَابِهِ، يَزِدكُم حُبّاً، وَيُحَبِّبكُم إِلَى عِبَادِهِ، يَدفَعُ عَن مُستَمِعِ القُرآنِ بَلوَى الدُّنيَا، وَيَدفَعُ عَن تَالي القُرآنَ شَرَّ

---

(١) في الأصل: بتوقر، والصواب من «ن».

الآخِرَةِ، وَمَن استَمَعَ آيَةً مِن كِتَابِ اللهِ، كَانَ لَهُ خَيراً مِن ثَبِيرٍ ذَهَباً. وَمَن قَرَأَ آيَةً مِن كِتَابِ اللهِ، كَانَ أَفضَلَ مِمَّا تَحتَ العَرشِ إِلى التُّخُومِ، وَإِنَّ فِي كِتَابِ اللهِ لَسُورَةً تُدعَى: القَرِيرَةَ، يُدعَى صَاحِبُهَا: الشَّرِيفَ يَومَ القِيَامَةِ، تَشفَعُ لِصَاحِبِهَا أَكثَرَ مِن رَبِيعَةَ[١] وَمُضَرَ، وَهِيَ سُورَةُ ﴿يسٓ﴾»[٢].

❐ ❐ ❐

---

(١) في الأصل: ربيع، والصواب من «ن».

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١/ ٢٦٥) لأبي نصر السجزي في «الإبانة» عن عائشة، وفيه: هذا من أحسن الحديث وأعذبه، وليس في إسناده إلا مقبول ثقة، والحكيم عن محمد بن علي، مرسلاً، والحاكم في «التاريخ» عن محمد بن الحنفية، عن علي بن أبي طالب، موصولاً.

وأخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ١٨٩) في لفظ مختصر من حديث أنس بن مالك ﷺ.

قلت: هو فضلاً عن كونه مرسلاً فيه أصرم: هالك؛ كما في «لسان الميزان» (١/ ٤٦١). وبقية: صدوق، مدلس، وقد عنعن، وشيخه لم أجده هكذا.

وجاء في «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٠٣) لابن أبي حاتم: معتمر بن أبي شرف روى عن حجاج بن أرطاة، روى عنه بقية بن الوليد، سمعت أبي يقول ذلك.



الأصل الخامس والخمسون والمئتان

(١٣٥٨) ـ نا الحسن بن قزعة البصري، قال: أنا سفيان بن حبيب، قال: نا شعبة، عن ثوير[1]، عن الطفيل بن أُبَيِّ بن كعب، عن أبيه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[الفتح: ٢٦]: لاَ إِلهَ إلاَّ اللهُ»[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

وإنما سميت كلمة التقوى؛ لأن العبد إذا نطق بها، فإنما ينطق عن نور التوحيد الذي في قلبه، فإذا انتهى إلى الصراط، صار ذلك النور له

---

(١) في الأصل، وفي «ن»: ثور، والصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٦٥)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٣٨)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/ ٥٥٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٩٩)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ١٠٧)، والطبري في «التفسير» (٢٦/ ١٠٤) من طريق الحسن بن قزعة، به.

إلا أنهم قالوا: عن ثوير عن أبيه عن الطفيل عن أبيه وهو الصواب.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة، قال: وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث، فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه.

وقاية، ولذلك النور بَردٌ يُخمد لهب النار؛ لأن ذلك النور نور الرحمة، وتلك الرحمة هي حظ المؤمن من ربه، فإذا نال العبد تلك الرحمة، أشرق القلب بنور التوحيد، وامتلأ الصدر من ذلك الإشراق، ونطق اللسان عن نور وضوء، فإذا انتهى إلى الصراط، صار ذلك الضوء والنور له وقاية.

فالنور يخمد ما تحت قدميه، والضوء يضيء له أمامه، وينفرج له الطريق عن تلك[1] الظلمة التي على الصراط من سواد النار، فلذلك قيل: كلمة التقوى؛ لأنه بها يتقي من النار، وإنما هي في الأصل: وقْوَى؛ من قوله: وَقَى يَقِي وِقَايَة، وهو وَقوَى، فحولت الواو تاء؛ كقوله: تُراث، وإنما هو: وُراث، وقوله: تُكلان، وإنما هو[2] وُكلان، وهذا من قالب الافتعال، كان حقه أن يقول: اوتقى، فأدغمت[3] الواو في التاء، فقيل: اتَّقى يتَّقي، والاسم منه: تقوى.

فكلمة: لا إله إلا الله، أولها: نفي الشرك، وآخرها: تعلق بالله، فلا يقدر العبد أن يتعلق بالله، حتى يلزمه الله، وإنما يلزمه الله بعد ما يجعل له إليه[4] سبيلاً، فإذا رحم عبداً، فتح له من قلبه الطريق إليه، حتى إذا صار القلب إلى محل التوحيد، فهناك يُلزمه الله نورَ الكلمة، فيصدر القلب عن الله بتوحيده إلى النفس؛ حتى تطمئن النفس[5]، وتسكن إلى ذلك، وتستقر عن التردد والجَوَلان في طلب معبود سواه، فيستقر القلب والنفس

(١) في الأصل: ذلك، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: وهو، والمثبت من «ن».

(٣) في الأصل: فاندغمت، والمثبت من «ن».

(٤) إليه: زيادة من «ن».

(٥) النفس: ليست في «ن».

جميعاً للعبودة لله، بما يأمر وينهى، وصار تعلقها جميعاً به في العبودة، وهو قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[البقرة: ٢٥٦].

فلم يصر العبد مستمسكاً بالعروة، إلا بعد تعلقه بقلبه ونفسه بالله، فهذه عقدة القلب، وطمأنينة النفس وسكونها، ثم من بعد ذلك تمضي النفس في شهواتها حلاً، وحرماً عليه، وفتنة، وهي مع ذلك بالله مطمئنة أنه معبودها، إلا أنها تخف وتطيش لأهبوب[1] رياحها التي فيها من الشهوة على إضمارها أنها تقضي شهوتها، وتعود إلى مكانها ثانية.

وأما القلب فهو منكر[2] لذلك، معتقد عقيدته[3]، مستمسك بعروته، مقهور في سلطان النفس، حتى إذا أقبل الله على عبده بالرحمة، وأعطاه سلطان التوبة، فبتلك[4] القوة يعرض عن النفس، ويرمي بتلك الشهوة في وجه النفس، ويقصد إلى الله نازعاً، وتخمد نار الشهوة في النفس؛ لما نال العبد من قدر التوبة والنور؛ لأن ذلك النور جاء من الرحمة، فإذا ورد على القلب، خمدت نار الشهوة، فخرج القلب من أسر النفس وقهرها، وصارت النفس مقهورة مزجورة، فالعروة الوثقى هي ذلك النور الذي ألزم الله قلب العبد، فاستمسك القلب به تقوى، ووجد قائمة وقراراً تلك عروة: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾[البقرة: ٢٥٦]؛ أي: لا انفصال لها، ولا انقطاع عن الله، فقد اتصل العبد بربه اتصالاً لا يجد العدو إليه سبيلاً أن يدخل عليه فيما بينه

---

(١) في «ن»: وتطيش بهبوب.

(٢) في الأصل: القلب مقر، والمثبت من «ن».

(٣) في «ن»: ينعقد عقدته.

(٤) في الأصل: فتلك، والمثبت من «ن».

وبين ربه في توحيده، حتى يلقي فيه الشك، فيزيغ القلب، فإذا انتهى إلى الصراط، صار ذلك النور وقايةً له من تحت قدمه، وفوقه، وحوله، وصار الضوء أمامه، يطرق له في تلك الظلمة حتى يجوزها، وصارت الرحمة معلقة ومستمسكة[1]، فعلى قدر حظه من الرحمة تكون سرعة جوازه على الصراط، وعلى قدر حظه من الرحمة يكون من العبد الوفاء لهذه الكلمة أيام حياته.

فقد قلنا بدءاً: إن كلمة: لا إله إلا الله أولها: نفي الشرك، وآخرها: تعلق بالله، فإنما يتعلق بالله إذا استكمل التقوى، وذلك أن الشرك على ضربين: شرك عبودة، وشرك الأسباب، وكلاهما علاقة.

وإنما سمي شركاً؛ لأنه علاقة، وهو مشتق من الشَّرك الذي ينصب، فيتعلق به الصيد، فإنما يُنصب الشرك، ويُلقى هناك حبوبٌ، فينخدع الطائر له بحاجته إليها، حتى يقع فيه فيتعلق، وكذلك السمك، إنما يقع في حبالته لشهوة بطنه، وكذلك الآدمي، إنما يقع في حبالة العدو، حين يتولى دون ربه إلهاً، ويتخذه معبوداً لشهوة نفسه، يشتهي أن يعاين معبوده، فيلتذ بالعبادة له[2]، وطلب معبوده، فلما لم يجده، نبذه[3] العدو إلى شيء، وصوَّت له من جوفه، وزينه له[4]، فالتذ بصوته، فعبده، وهو يعبد الشيطان ولا يدري، يحسب أنه يعبد ذلك الوثن. وذلك قوله لهم يوم القيامة: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[يس: ٦٠]، وقال:

---

(١) في «ن»: ومتمسكة.

(٢) له: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: مده.

(٤) له: ليست في «ن».

﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ ﴾[الإسراء: ٦٤].

قال له قائل: ما ذلك الصوت؟.

قال: ذاك صوت أعطي العدو ليفتن به الآدميين؛ أي: يهيج الحرقة التي في جوف الآدمي.

قال قائل: وما تلك الحرقة؟.

قال: تلك حرقة الفرح الذي خلق من النار، فوضع بباب النار، وحفت النار بها، وهي الشهوات، فمن تبعها[١] من المخذولين، فقد سباه، ومن تبعها[٢] من الموحدين، لم يقدر أن يسبيه؛ لأن الله تعالى قد منَّ عليه بالرشد، ومن منَّ عليه بالرشد، كَرَّهَ[٣] إليه الكفر والفسوق والعصيان.

وقد قال في تنزيله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗ﴾[الحجرات: ٧ ـ ٨]، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ﴾[الأنبياء: ٥١].

فمن أوتي الرشد، لم يلتذ بذلك الصوت، ومن وجد قلبه خالياً عن ذلك، سباه لذلك الصوت.

ألا ترى: أن الموحدين لما سمعوا صوته في المزمار والمعازف، افتتنوا به، فلولا أنه يمازج بصوته ذلك الصوت من المعازف والمزامير[٤]، ما التذوا به التذاذاً لا يصبرون عنه، وقد كره الله الكفر إلى المؤمن[٥]، ولم

---

(١) في «ن»: سمعها.

(٢) في «ن»: سمعها.

(٣) في «ن»: فقد كره.

(٤) والمزامير: زيادة من «ن».

(٥) في الأصل: المؤمنين، والصواب من «ن».

يكره إليه المعازف، والمزامير، وأمره بالمجاهدة؛ ليكون مجاهداً في ذاته إلى وقت، فإذا ابتلي، فصبر عنه، فتح له في الغيب، فنال من الأنوار ما لا تجد لذة هذه المعازف إليه سبيلاً؛ لأن الذي في جوفه من الشهوة قد مات، وإنما كان يلتذ قبل ذلك؛ لملاقاة تلك الأصوات من المعازف، والممازجة بصوت العدو، فيهتاج ما في جوفه، فيجد لذته، فلما وقع العبد في منازل القربة، بعد مجاهدته في ذات الله، ماتت شهوته من خوف الله، وانخشع قلبه من جلال الله، وعلته الهيبة، فلم يجد العدو سبيلاً إليه لما جاء به، وصارت لذة قلبه حب الله، فدقت حلاوة جميع الأشياء عنده، وصارت الأشياء مرفوضة.

وإنما يتعلق القلب بالله إذا نجا من تعلقه بالشهوات، والمشيئات، والإرادات، فهذا[1] كله شرك الأسباب، فإذا تخلص من هذا الشرك، فلم يبق له متعلق، تعلق القلب بالله، فعندها: صدق الله في مقالته لا إله إلا الله، وبتلك المقالة يملأ الكفة من الميزان حتى يستميل بالسماوات والأرض، ومن فيها من الخلق.

(١٣٥٩) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا[2] أصبغ بن الفرج المصري[3]، قال: نا ابن وهب، عن[4] عمرو بن

---

(١) في الأصل: فهذه، والصواب ما أثبتناه.

(٢) في «ن»: أنبأنا.

(٣) في «ن»: البصري.

(٤) في الأصل: ابن، والصواب ما أثبتناه.

الحارث، عن[1] دراج أبي السمح، عن[2] أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ، قال: «قَالَ مُوسَى عليه السلام: يَا رَبِّ! عَلِّمنِي شَيئاً أَذكُرُكَ بِهِ، قَالَ: قُل يَا مُوسَى: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، قَالَ: يَا رَّبِّ[3]! كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَكَذَا قال: قل: لا إله إلا الله، قال[4] إِنَّمَا أُرِيدُ شَيئاً تَخُصُّني بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى! لَو أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبعَ وَعُمَّارَهُنَّ[5] وَالأَرضِينَ السَّبعَ فِي كِفَّةٍ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ في كِفَّةٍ، لَمَالَت[6] بِهِنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»[7].

---

(١) في «ن»: أخبره عن.

(٢) في «ن»: حدثه عن.

(٣) يا رب: ليست في «ن».

(٤) قال: قل: لا إله إلا الله، قال: زيادة من «ن».

(٥) في «ن»: وعمارهن غيري.

(٦) في «ن»: مالت.

(٧) أخرجه الحاكم (١/ ٧١٠) من طريق أصبغ بن الفرج، به.
وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٧٠)، وفي «عمل اليوم والليلة» (ص: ٤٨٢)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٢١٨)، والطبراني في «الدعاء» (ص: ٤٣٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٢٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٣٧) من طريق ابن وهب، به.
وأخرجه أبو يعلى في «المسند» (١٣٩٣) من طريق دراج، به.



الأصل السادس والخمسون والمئتان

(١٣٦٠) ـ نا صالح بن عبدالله، قال: نا عبد الأعلى ابن عبد الأعلى، عن الجريري[١]، عن أبي السليل، عن عبدالله بن رباح الأنصاري، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَبَا المُنذِرِ: أَيَّةُ آيَةٍ مَعَكَ مِن كِتَابِ اللهِ أَعظَمُ؟»، قلت: الله ورسوله أعلم؟ قال: «أبا المُنذِرِ! أَيةُ آيةٍ مَعكَ مِن كِتابِ اللهِ أعظمُ؟»، قلت[٢]: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، قال: فَضَرَبَ في صَدرِي، وَقَالَ: «لِيَهنِكَ[٣] العِلمُ أَبَا المُنذِرِ، فَوَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! إِنَّ لِهَذِهِ الآيَةِ لِسَاناً وَشَفَتَينِ تُقَدِّسُ اللهَ عِندَ سَاقِ

---

(١) في الأصل: الجرير، والصواب من «ن».

(٢) أعظم قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أبا المنذر! أية آية معك من كتاب الله أعظم؟ قلت: ساقط من الأصل، زدتها من «ن».

(٣) في الأصل، و«ن»: ليهن لك، ولعل الصواب ما أثبتناه.

العَرشِ»[1].

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فهذه آية أنزلها الله تعالى، وجعل[2] ثوابها لقارئها عاجلاً وآجلاً.

فأما في العاجل: فهي حارس لمن قرأها من الآفات، فإن الله تعالى خلق آدم، فأحسن خلقه، وجمَّل صورته، وقال في تنزيله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

فمن ذا يقدر على صفة من هو في أحسن تقويم؟! وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]، فمن ذا يقدر على صفة تسويته، وتعديله، وليس أحد من خلقه في مثل هذه الصفة من التقويم، والتسوية، والتعديل؟! ثم قال تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨].

فأخرج تقويمه، وتسويته، وتعديله من باب الرحمة، وأخرج تركيب الصورة من باب المشيئة والفردية، ثم فضله بالروح، وقربه باليقين، وجعل

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٩٢)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ٤٢٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٥٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٣٣٠) من طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى، به.

وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٣٧٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٤١)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٤٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٥٥) من طريق الجريري، به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) وجعل: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

فيهما الحياة للحراك للعبودة، ثم جعل تلك البضعة الجوفاء خزانته، وهي القلب.

وجعل لها عينين تبصران الغيب، وأذنين تعيان وحيه وكلامه، وجعل لها باباً إلى الصدر، للسراج المتوقد شعاعه في الصدر، وجعل تلك البضعة معدناً لجواهر التوحيد من الحكمة البالغة، والعلوم العالية، وقبض عليها ضناً بها، فلم يطلع عليها ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، وهو مقلبها على مشيئته، ثم خلق الآيات في ذلك اليوم الذي خلقه، وذلك يوم الجمعة، ليقابل كل شيء من صنعه الجميل في آدم، وولده في الظاهر منه.

وفي الباطن آفة ذلك الشيء؛ ليكون الآدمي حامداً له وشاكراً، يرتبط ذلك الصنع الجميل على نفسه، ولنفسه بذلك الحمد والشكر، وليكون آخذاً لحرزه من الآفات بهذا الحمد والشكر، وليكون داخلاً في ستره، فجعل أول الحمد في الكلمة العليا، وهي كلمة: لا إله إلا الله.

فإذا قالها، صار له عبداً متعبداً، فإذا شهد بها، صار من شهدائه، وأوليائه، والقائمين بالقسط له، ثم يثني هذه الكلمة بالحمد لله، فعندها يصير قوله: الحمد لله مقبولاً، ولا يقبل الحمد من عبيده[1]؛ حتى يكون على مقدمته قول[2]: لا إله إلا الله.

ثم اقتضى العبد بعد ذلك تحقيق هاتين الكلمتين بالشكر، وهو[3] أن يفي بالعبودة له بهذه الجوارح السبعة؛ فينتهي عما نهاه عنه من فعل هذه

---

(١) في «ن»: من عبده.

(٢) قول: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

(٣) في الأصل: وهي، والصواب من «ن».

الجوارح[1] السبعة، ويأتمر بما افترض عليه في جسده وماله الذي جعله قياماً بجسده.

فهذا الشكر المقتضي من العبد تحقيقٌ لما تقدم منه من قوله: الحمد لله؛ حتى يقر حمده بهذا الشكر، فإذا وقره بهذا، كان ذلك الحمد تحقيقاً للكلمة العليا التي تقدمت، وهي: لا إله إلا الله، وسماها في تنزيله كلمة التقوى، تقيه آفات الدنيا والآخرة.

ثم صار[2] للعبد في هذه المهلة غفلات وهفوات مما يلحقه من نزغات العدو، وهمزاته، وحضراته، ونفحاته، ونفثاته؛ من أجل الشهوة المركبة فيه، والهوى الهفافة فيها لأهبوب تلك الشهوات، وهما سلاح العدو، وسبيله[3] إلى الآدمي، بهما يصل إلى غوايته.

فإذا كان ذلك، دخل في الشكر تقصير، وفي الحمد تكدير، وفي الكلمة العليا ترخيم، وعلى العروة الوثقى توهين؛ حتى يصير العبد قلبه معلقاً بعد أن كان منتصباً، ويصير معقلاً بعد أن كان منطلقاً، ويصير منقبضاً بعد أن كان منبسطاً، ويتحرج صدره بعد أن كان منشرحاً، فعندها الآفات كائنة، وعلى كل[4] شيء من جميل صنعه فيه لازمة، فيجده أعمى بعد أن كان بصيراً، وأصم بعد أن كان سميعاً، وأبكم بعد أن كان نطوقاً، وزَمِناً بعد أن كان يدب على وجه الأرض، وعاجزاً بعد أن كان قابضاً وباسطاً،

---

(١) فينتهي عما نهاه عنه من فعل هذه الجوارح: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

(٢) في «ن»: ثم لما صار.

(٣) في «ن»: ووسيلة.

(٤) كل: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

وفي الباطن كذلك أيضاً يلحق من الآفات كل شيء قابل نعمة من نعمه، فإنما لحقت العبد تلك الآفات لما دخل في التقصير في الشكر، وقال في تنزيله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وقال فيما جرى في[1] الخبر عن الله تعالى من قوله لبني إسرائيل: إني أبتدئ عبادي[2] بنعمتي، فإن قبلوا، أتممت، وإن شكروا، زدت، وإن غيروا، بدلت، وإذا بدلت، غضبت.

ثم أعطى العباد[3] بعد ذلك من باب الرحمة من جوده وكرمه[4] ـ عطفاً عليهم ـ ما يحترزون به من الآفات مع هذا التقصير الذي جاؤوا به، وجعل لتلك الأشياء حرمة، فإذا نطق بها العبد، وجبت للعبد حرمة؛ لحرمة تلك الأشياء، فوقع في حراسته من تلك الآفات؛ عطفاً منه على عباده، ومكرمة لمحمد ﷺ في أمته، واختصاصاً لهم بالفضل الذي برز لهم على الأمم، وأنزلها على رسول الله ﷺ في تنزيله، فمن تلا تلك الآيات، ونطق بتلك الكلمات، صارت للعبد شفيعاً إلى ربه، يسأل حراسته وكلاءته حتى يقع العبد في حصن الله[5].

وروي لنا عن نوف البكالي: أنه قال: آية الكرسي تدعى في التوراة: ولية الله، ويدعى قارئها[6] في ملكوت السموات: عزيزاً.

---

(١) في الأصل: عن، والصواب من «ن».
(٢) في الأصل: لعبادي، وما أثبتناه من «ن».
(٣) في الأصل: العباد من بعد، والمثبت من «ن».
(٤) في «ن»: من جوده وكرماً.
(٥) في «ن»: حصن الله من الآفات.
(٦) في «ن»: ويدعى لقارئها.

(١٣٦١) ـ نا بذلك عمر بن أبي عمر، قال: نا فهد[(١)] ابن سلام، عن جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار، عن نوف البكالي[(٢)].

قال: وكان عبد الرحمن بن عوف إذا دخل بيته، قرأ آية الكرسي في زوايا بيته الأربع؛ كأنه[(٣)] يلتمس بذلك أن تكون له حارساً من جوانبه الأربع، وأن ينفي عنه الشيطان من زوايا بيته.

وروي عن عمر ﵁: أنه صارع جنياً، فصرعه عمر ﵁، فقال له الجني: خلِّ عني حتى أعلمك ما تمتنعون به منا، فخلى عنه، وسأله، فقال: إنكم تمتنعون منا بآية الكرسي[(٤)].

ومما يحقق قوله:

ما جاء عن رسول الله ﷺ: أن أبي بن كعب شكا إليه أنه يدخل بيت[(٥)] التمر، فيراه ناقصاً، فحرسه، فإذا هو شيء شبيه الهر يدخل من الكوة، فوثب إليه فأخذه، فقال: خلِّ عني ولا أعود، فخلى عنه، ثم غدا إلى

---

(١) في «ن»: مهدي. قلت: مر في الأصل الرابع والثلاثين والمئتين بأن اسمه مهدي ابن سلام.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) في «ن»: معناه كأنه.

(٤) أخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٨٨)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٣/ ٣١٦) عن عبدالله بن مسعود ﵁، بلفظ: لقي رجل من أصحاب محمد رجلاً من الجن، فصارعه، فصرعه الإنسي، وفي آخره الإفصاح أنه عمر.

(٥) في الأصل: بيته، والصواب من «ن».

رسول الله ﷺ، فأخبره، فقال رسول الله ﷺ[1]: «كَذَبَكَ، وهُو مُعاوِدٌ، وإنَّه لَكَذُوبٌ»، فحرسه من الليلة الثانية حتى جاء فدخل من الكوة، فأخذه، فعل ذلك ثلاث ليال، فقال الجني في الثالث: خلِّ عني حتى أعلمك ما إذا قرأته، لم نقدر على الدخول، ولا على شيء، فقال: ما هو؟ قال: آية الكرسي، فغدا على رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «الآنَ صَدقَكَ، ولاَ يَعودُ»، أو كما قال[2].

قال أبو عبدالله:

فقد تأذَّى الشيطان بما تضمنت هذه الآية من السلطان، وتوقى[3] حيث تُقرأ هذه الآية؛ لأن الله تعالى قد أوجب لها سلطاناً وحراسة، وروي[4]: أن المؤمنين ندبوا إلى المحافظة على قراءتها في دبر كل صلاة.

(١٣٦٢) ـ نا عتيق بن محمد، قال: نا ابن أبي فديك، عن أبي سُليم، عن الحوشَبِي، عن أبان، عن أنس ـ رفع

---

(١) في الأصل: فأخبره رسول الله، فقال، والصواب من «ن».

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٧٩٦)، والحارث في «المسند» (٢/ ٩٥٢ زوائد الهيثمي)، وابن أبي الدنيا في «الهواتف» (ص: ١٠٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٧٨٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٢٠١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٤٩) عن أبي بن كعب ﷺ.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١١٨): رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

(٣) في الأصل: ويدري، والمثبت من «ن».

(٤) في «ن»: روي.

الحديث إلى رسول الله ﷺ ـ، قال: «أَوحَى اللهُ تَعالى إِلى مُوسى ـ عَليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ: مَن داوَمَ علَى قِراءةِ آيَةِ الكُرسِي دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ، أَعطَيتُهُ قُلوبَ الشَّاكِرينَ، وَأجرَ النَّبِيِّينَ، وَأعمالَ الصِّدِّيقينَ، وَبسطتُ عَليهِ يَمِيني بِالرَّحمةِ، وَلم يَمنعهُ مِن[1] أَن أُدخِلَهُ الجنَّة إِلاَّ أَن يَأتِيَهُ مَلَكُ المَوتِ.

قَالَ مُوسى: يَا ربِّ! مَن سَمعَ بهَذا لاَ يُداومُ عَليهِ؟ قالَ: إِنِّي لاَ أُعطيهِ مِن عِبادِي إلاَّ نَبيٌّ أَو صِدِّيقٌ، أَو رَجُلٌ أُحِبُّهُ، أَو رَجُلٌ أُرِيدَ قَتلَهُ في سَبيلِي»[2].

(١٣٦٣) ـ نا عبد الوهاب بن فليح قال: حدثني جدي اليسع بن طلحة قال: أنا[3] طاوس قال: قال الله تعالى: وذكر نحوه[4].

---

(١) من: ليست في «ن».

(٢) في سنده أبان، متروك كما تقدم.

وأخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٤٠) من حديث جابر رضي الله عنه.

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٠٦) من طريق إسحاق، عن عباد ابن كثير البصري، عن بعض أهل العلم.

(٣) في «ن»: أنبأنا.

(٤) انظر ما قبله.

(١٣٦٤) ـ نا الجارود، قال: نا زيد المروزي[١]، رفعه إلى رسول الله ﷺ: أنه قال: «مَن قَرأَ آيَةَ الكُرسِيِّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ، كَانَ الَّذي يَلي[٢] قَبضَ رُوحهِ ذُو الجَلالِ وَالإِكرامِ، وَكانَ كَمَن قَاتلَ عَن أَنبياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ حَتَّى يُستَشْهَدَ»[٣].

(١٣٦٥) ـ نا محمد بن إسحاق بن إبراهيم العامري، قال: نا زكريا بن حازم، قال: أنا[٤] الربيع بن أنس، عن أبي بن كعب، قال: قال الله تعالى: «يَا مُوسَى! مَن قَرَأَ آيَةَ الكُرسِيّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ، أَعطَيتُهُ ثَوَابَ الأَنبِيَاءِ»[٥].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

معناه عندنا: أنه يُعطى ثواب عمل الأنبياء، فأما ثواب النبوة، فليس لأحد إلا للأنبياء.

---

(١) في «ن»: يزيد المروزي.

(٢) يلي: ليست في «ن».

(٣) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١/ ٢٨٤) للحكيم الترمذي عن زيد المروزي، معضلاً.

(٤) في «ن»: أنبأنا.

(٥) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

(١٣٦٦) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا مسلم بن إبراهيم، عن حرب بن ميمون، عن عبد الكريم الصفَّار، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ: أن موسى ابن عمران لقي جبريل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، فقال له: ما لمن قرأ آية الكرسي كذا وكذا مرة؟ فذكر نوعاً من الأجر لم[1] يقوَ عليه موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فسأل بربه أن لا يضعفه عن ذلك، ثم أتاه جبريل مرة أخرى، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: إن ربك يقول: «مَن قَالَ في دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ مَكتُوبَةٍ مَرَّةً واحِدَةً[2]: اللَّهُمَّ إنِّي أُقَدِّمُ إلَيكَ بَينَ يَدَي كُلِّ نَفَسٍ وَلَمحَةٍ وَطَرفَةٍ يَطرِفُ بِهَا أَهلُ السَّمَاوَاتِ وَأَهلُ الأَرضِ[3]، وَكُلِّ شَيءٍ هُوَ في عِلمِكَ كَائِنٌ، أَو قَد كَانَ، أُقَدِّمُ إلَيكَ بَينَ يَدَي ذَلِكَ كُلِّهِ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]؛ فَإِنَّ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ أَربَعَةٌ وَعِشرُونَ سَاعَةً، لَيسَ مِنهَا سَاعَةٌ إلاَّ يَصعَدُ إِليَّ فِيهَا سَبعُونَ أَلفَ أَلفِ حسَنَةٍ، حَتَّى يُنْفَخَ في

---

(١) في «ن»: ما لم.

(٢) مرة واحدة: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: أهل السماوات والأرض.

الصُّورِ، وَتشتَغِلَ المَلائِكَةُ[1]»[2].

قال أبو عبدالله:

حصلنا حساب ليلة، فبلغ ثمانَ مئة ألفِ ألفٍ، وأربعين ألفَ ألفٍ، وبالنهار مثله، فذلك ألفُ ألف، وست مئة ألفِ ألفٍ، وثمانونَ ألفَ ألفٍ، هذا ليوم وليلة، فحقيق أن يشتغل الملائكة بذلك.

فأما معنى قوله: «أقدم إليك بين يدي» هذه الأشياء التي أجمل ذكرها؛ لعجزه عن إحصائها على الانفراد، فقال: أقدم إليك[3] بين يدي هذه الأشياء[4]: الله لا إله إلا هو الحي القيوم[5]، كأنه يؤدي معناه إلى أنه قديم لم يزل، كان[6] قبل هذه الأشياء التي أجمل ذكرها، فقد كان بجميع هذه الصفات التي وصف بها نفسه في هذه الآية؛ من[7] أنه حيٌّ، به حييت الأشياء، فتحركت، فخرجت حركاتها إلى الله بما رضي وسخط، وأنه قيوم، به قامت الأشياء، فاستقرت قرارها، وسكنت، والله بريء من الحركات والسكون.

---

(١) في الأصل: وتشتغل الصورة، والمثبت من «ن».

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٢/ ٥٩) للحكيم الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه. وإسناده ضعيف جداً.

(٣) إليك: زيادة من «ن».

(٤) في الأصل: الاشياء أنه، والمثبت من «ن».

(٥) الحي القيوم: ليس في «ن».

(٦) في «ن»: قد كان.

(٧) في الأصل: من حيث، والمثبت من «ن».

ثم قال: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾[البقرة: ٢٥٥]، فالسِّنة: النعاس، والنوم: خروج النفس من الجسد، معناه: أنه لا تأخذه هذه الأشياء[١]، فيذهل عن إمساك خلقه، ثم قال: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ يخبر عن ملكه لهذه الأشياء التي في السموات والأرض، ثم قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[البقرة: ٢٥٥] يسأل كالمستخبر من ذا الذي[٢]؟ كقولك: من هذا الذي يفعل كذا وكذا؟ نافياً أن يفعل ذلك أحدٌ إلاَّ بإذنه.

وقوله: ﴿يَشۡفَعُ﴾ هو: الدعاء، والمسألة، إنما قيل: يشفع؛ لأن الشفع ضم الشيء إلى الشيء حتى يصير! اثنين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾[الفجر: ٣].

فالشفع ضد الوتر، فإنما قيل في المسألة: شفع؛ لأن صاحبها وتر عن تلك الحاجة، فإذا سأل حاجته[٣]، كان هو والحاجة اثنين، قضيت أو لم تُقض، والوتر الخالي عن تلك الحاجة، فإذا سألها؛ فإنما يسأل أن يضم إليه تلك الحاجة مقضية حتى يكون في وقت الصدر شيئين: السائل، وحاجته.

فيقال: شفع إليه يشفع؛ أي: رفع إليه شخصه وحاجته، وكان في البدء وتراً، فقال: لا يفعل هذا عنده أحد إلا بإذنه، وكل الأشياء لا تكون إلا بإذنه، وإنما خص الدعاء في هذه الآية؛ لأن الدعاء هو فعل قد أذن الله فيه، وندب العباد إليه، وفتح لهم الباب، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر: ٦٠].

---

(١) الأشياء: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

(٢) الذي: ليست في «ن».

(٣) في «ج»: سأل حاجة.

وليس هذا في سائر الأشياء، ولم يجئنا أنه قال: اعملوا وأتقبل منكم، بل قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧]، والدعاء قد يتقبل من غير المتقين.

ألا ترى: أن أهل الجاهلية كان يدعو بعضهم على بعض، فيجاب إلى ذلك، فأعلم العباد أن المسألة والدعاء مرتبته[1] من بين الأعمال ليس إليه سبيل أيضاً حتى يأذن فيه؛ كسائر الأشياء من الطاعات، ثم قال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[البقرة: ٢٥٥]، فما بين أيديهم: الآخرة، وما خلفهم: الدنيا، وإن قلت: ما بين أيديهم: الدنيا، وما خلفهم: الآخرة، وكلاهما يؤديان إلى أنه عالم بكليهما من أمر[2] الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة: ٢٥٥]؛ أي: لا يحيط خلق السماء وخلق الأرض بشيء من علمه إلا بما شاء أن يعطيهم من ذلك العلم.

وتأويل آخر: أنهم لا يحيطون بشيء[3] من علم البدو، وعلم صفاته إلا بمقدار ما شاء، يعلمهم أن العباد عجزة عن جميع علومه، فإنما يعطيهم من كل شيء من أنواع علم صفاته شيئاً بمقدار احتمالهم لذلك.

ثم قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[البقرة: ٢٥٥]: يعلمهم أن الكرسي مظل على السموات والأرض، قد دخلتا في جوف الكرسي، ووسع الكرسي ـ لسعته ـ السموات والأرضين.

---

(١) في الأصل: والدعاء سر، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن»: عالم بكلاهما بأمر.

(٣) وخلق الأرض بشيء من علمه إلا بما شاء أن يعطيهم من ذلك العلم. وتأويل آخر: أنهم لا يحيطون بشيء: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

وروي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[البقرة: ٢٥٥]، قال: علمه[1].

فإنما ذهب ابن عباس في قوله هذا إلى أن الكرسي العلم؛ لأن للرب تعالى علوماً، فعلمه بالخلائق، وعدد أنفاسهم وحركاتهم مقرونٌ بفرش الحياة للخلق[2]، فإنما أقامه تحت الكرسي لحياة الخلق وحركاتهم بالحياة.

ولذلك قال ابن عباس في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[البقرة: ٢٥٥]، قال: علمه.

فليس تأويل قول ابن عباس: أن نفس الكرسي: هو العلم، وكيف يكون الكرسي علماً، وهذا ما لا يعرف في اللغة؟.

وإنما ذكر ابن عباس عند ذكر الكرسي: العلم؛ أي: أنه وسع ذلك العلم الذي عند الكرسي السموات والأرض، وإنما وضع الله علمه بحركات الخلق هناك؛ لأن الحركات مبتدؤها من فرش الحياة، فالعلوم كثيرة، ولكن علم الحركات هناك لما وصفنا، ثم قرن الحفظ بذلك العلم، فكما لا يؤوده علم الحركات، كذلك: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾[البقرة: ٢٥٥]؛ أي: حفظ السموات والأرض بما فيهما من أثقال الحركات وأوزانها ومقاديرها.

ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]؛ أي: علا شأنه عن هذا،

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٥٠١)، وابن جرير الطبري في «التفسير» (٣/ ٩)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص: ٢١).
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٦) لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس ﷺ.

(٢) في «ن»: مقرون بغرس الحياة لأن غرس الحياة للخلق.

وجلت عظمته عن أن يؤوده شيء، فيعجزه، أو يفوته، أو يعزب عنه ـ تبارك الله رب العالمين ـ.

وأما قوله: «إن لها لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش».

معناه: أن قراءة القارئ بها، تصعد إلى الرحمن، فتقدس ملكه عند ساق العرش، وبالتقديس يسأل الحراسة لقارئها؛ لأن القدوس[1] به تتقدس الأشياء، فإذا تقدست الأشياء، بقيت على هيئتها التي خلقها الله، وتحصَّنت من الآفات؛ لأن القدس ينحِّي الآفات، ويبعدها عن الأشياء، ويحصنها منها.

فقراءة العبد اعترافٌ بما تضمنت الآية من صفاته، وتجديد إيمان به، فإذا تجدد إيمانه، وقعت لقراءته حرمة تنتهي إلى ساق العرش، فتقدس، فإذا قبل تقديسها، جعل ثواب التقديس حراسة العبد لكل ما هيأ الله له من الحال المحمود والمرغوب فيه.

❐ ❐ ❐

---

(١) في «ن»: القدس.



الأصل السابع والخمسون والمئتان

(١٣٦٧) ـ نا محمد[١] بن مقاتل، قال: نا معن القزاز، قال: نا عبدالله بن المؤمل المخزومي، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «زَمزَمُ لِمَا شُرِبَ[٢] لَهُ»[٣].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

معناه: أن هذا بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، أنبطه الله له غياثاً في وقت الاضطرار، والإشراف على الموت، بعدما كان يتمايل عطشاً، فبعث الله سبحانه[٤] جبريل عليه السلام، فأدار بطرف جناحه على تلك البقعة، ثم دفعها بعقبه دفعة، فانفتقت عن الماء من عين الجنة، من قبل الركن الذي يستلمه الناس اليوم.

فروي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «لَولا أنَّ أمَّ إسمَاعيلَ اغترَفتْ؛ لَكانَ زَمزمُ عَيناً مَعيناً».

---

(١) في الأصل: محمود، والصواب ما أثبتناه كما تقدم عند المصنف.

(٢) في «ن»: شربت.

(٣) تقدم تخريجه في الأصل التاسع والخمسين والمئة.

(٤) في «ن»: الله تبارك وتعالى.

(١٣٦٨) ـ نا حميد بن الربيع اللخمي الخزاز، قال: نا محمد بن حميد المعمري، عن معمر، عن أيوب، وكثير ابن كثير بن المطلب بن أبي وداعة، يزيد أحدُهما على الآخر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أمَّ إسمَاعيلَ، لَو تَركَت زَمزمَ»، أو قال: «لَو لمْ تَغرفِ[١] الماءَ؛ لَكانَ زَمزمُ عَيناً مَعيناً»[٢].

قال أبو عبدالله:

المعين[٣]: الظاهر الجاري الذي تراه العيون، واشتقاق المعين من رؤية العين؛ أي: عاينته العيون.

(١٣٦٩) ـ نا عبد الجبار، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح[٤]، عن مجاهد، قال: ماء زمزم لما شرب له، إن شربته لشبع، أشبعك الله، وإن شربته لظمأ، أرواك الله، وإن شربته لشفاء، شفاك الله، وزمزم هزمَةُ جبريل عليه السلام بعقبه، وهي سقيا الله إسماعيل، وزمزم اشتقت من الهزمة[٥].

---

(١) في «ن»: تغترف.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل العاشر.

(٣) في «ن»: والمعين.

(٤) في «ن»: عن سفيان بن أبي نجيح.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ١١٨) من طريق سفيان بن عيينة، به. =

قال أبو عبدالله:

والهزمة: الدفعة، ومنه اشتقاق الهزيمة، وهو قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٥١]، وهو الدفع والكسر.

(١٣٧٠) ـ نا هارون بن أبي زياد[1] البجلي، قال: نا يونس بن بكير، قال: حدثني محمد بن إسحاق[2]، قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري، عن مرثد بن عبدالله اليزني[3]، عن عبدالله بن زرير[4] الغافقي، قال: سمعتُ عليَّ بنَ أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ يحدث بحديث زمزم، قال: بينما عبد المطلب نائماً في الحِجْر، أُتي فقيل له: احفر

= وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٥٣) لعبد الرزاق في «المصنف»، وسعيد ابن منصور، والأزرقي، والحكيم الترمذي، عن مجاهد رحمه الله.

وأخرجه الدارقطني في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٤٦) من طريق محمد بن حبيب الجارودي، نا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد إن سلم من الجارودي، ولم يخرجاه.

(١) في «ن»: أبي بردة. وقد تقدم في حديث رقم (٤٤٦): هارون بن أبي زائدة، ولم أجده.

(٢) قال: حدثني محمد بن إسحاق: ليس في «ن».

(٣) في الأصل: الهروي، والصواب ما أثبتناه.

(٤) في الأصل: يزيد، والصواب ما أثبتناه.

بَرَّةَ، قال: وما بَرَّةُ؟ ثم ذهب عنه، فلما كان[1] الغد، عاد لمضجعه ذلك[2]، فأتي فقيل له: احفر المضنونة، قال: وما مضنونة؟ ثم ذهب عنه، فلما كان الغد، فنام في مضجعه[3]، فأتي فقيل له: احفر طَيْبَة، فقال: وما طيبةُ؟ ثم ذهب عنه، فلما كان الغد، عاد لمضجعه فنام فيه، فأتي[4] فقيل له: احفر زمزم، قال: وما زمزم؟ قال: لا تنزف، ولا ترم، ثم نعت له موضعها، فقام يحفر حيث نعت له، فقالت قريش: ما هذا يا عبد المطلب؟ قال: أُمرت بحفر زمزم، فلما كشف عنه، أبصر الطَّوِيَّ، قالوا: يا عبد المطلب! إن لنا حقاً فيها معك، إنها بئر أبينا إسماعيل عليه السلام، قال: ما هي لكم، لقد خُصصت بها دونكم، فحفرها[5].

---

(١) في «ن»: عنه حتى إذا كان.

(٢) في «ن»: الغد نام في مضجعه.

(٣) في الأصل زيادة: ذلك.

(٤) في الأصل: فنام أتي، والمثبت من «ن».

(٥) رجاله وصفوا بالصدق والثقة إلا شيخ المصنف، فلم أجد ترجمته.
وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٩٣ ـ ٩٤) من طريق يونس بن بكير به.
وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٤/ ٥٥) لابن إسحاق في «المبتدأ»، والأزرقي، والبيهقي في «الدلائل».
وأخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١١٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بنحوه.

قال أبو عبدالله:

فهذه الأسماء التي ذكرت لعبد المطلب في منامه، دليلة على ما فيها.

فأما قوله: «برة» فمعناه: أنها تعطيك الصدق من نفسها؛ لأنها من الجنة، وكل شيء من الجنة، فإن الأشياء المشتهاة كائنة جميعها في واحدة منها، وذلك قوله تعالى[1]: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾[الزخرف: ٧١]، فكل شيء من الجنة موجود في واحدة منها جميع الشهوات.

ألا ترى أن العينان النضاختان المذكورتان في التنزيل، تنضخان بألوان الأشياء، فإن اشتهى ولي الله من تلك العين طعاماً، نضخت، وإن اشتهى شراباً، نضخت، وإن اشتهى دواباً[2] ملجمة مسرجة، نضخت، وبذلك جاء الخبر.

وروي في الخبر أيضاً: أن السحابة تحدق[3] على رؤوسهم، فتنظر ما يشتهون، فتمطر عليهم ما يشتهون.

حتى قال يزيد بن مرثد في حديثه: لئن أشهدنا الله ذلك، لأقولن لها: أمطرينا جوارياً مزينات.

(١٣٧١) ـ نا بذلك عبد الرحيم بن حبيب[4].

---

(١) في «ن»: قوله: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾[الأنبياء: ١٠٢] وقال.

(٢) في «ن»: وإن اشتهى جوارياً، نضخت، وإن اشتهى دواباً.

(٣) في «ن»: أن السحابة تجيء تقف.

(٤) أخرج ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٧٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢١٤): عن بقية بن الوليد، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن=

وإن الأشجار لتنطق، وإن الأقداح لتطير[1]، فتغترف بمقدار شهوة الشارب، وذلك قوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾[الإنسان: ١٦]؛ أي: لا يفضل عن الري، ولا ينقص منه، فقد ألهمت الأقداح معرفة مقدار ري المشتهي حتى تغترف بذلك المقدار، وإن الرجل منهم ليمشي في بيوتاته، ويصعد إلى قصوره، وبيده قضيب يشير به[2] إلى الماء، فيجري معه حيثما دار في منازله على مستوى الأرض في غير أخدود، ويتبعه حيثما صعد من أعالي قصوره، وذلك قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[الإنسان: ٦].

وروي[3] **في الخبر**: أن ولي الله يشير بذلك القضيب إلى الماء، فيعدل معه حيثما عدل، فهو التفجير، وأن الثوب الذي يلبسه ولي الله يتلون عليه في اليوم الواحد سبعين لوناً، كلما خطر بباله لون، تغير لباسه، وتلون[4] عليه بما اشتهت نفسه.

وكذلك فيما يطعم ويشرب، كلما تمنى أو خطر بباله شيء، تغير ذلك الذي في فيه يمضغه إلى طعم ما خطر بباله، فهذا كله وفاء ربنا لعبيده حيث قال لهم: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾[الأنبياء: ١٠٢]؛ لأنهم ردوا

= كثير بن مرة، قال: إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة، فتقول: ما تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئاً إلا أمطروا، قال خالد: يقول كثير: لئن أشهدني الله ذلك: لأقولن لها: أمطرينا جواري مزينات.

(١) في «ن»: لتنطق والأقداح تطير.

(٢) في «ن»: بها.

(٣) في «ن»: فروي.

(٤) وتلون: ليست في «ن».

شهوات النفس في الدنيا من المعاصي في نفوسهم، فشكر الله لهم في دارهي، فكلما تناولوا شهوة من طعام، أو شراب، أو لباس، أو مركب، أو مسكن، أو شيء من الأشياء، فخطر ببالهم في ذلك الشيء شهوة غيرها، تحول ذلك الشيء إلى ما اشتهت نفسه؛ لئلا يتنغص عليه عيشه، ولا يتكدر عليه عطاء ربه؛ لأن الله تعالى وعده في تنزيله: أن [في] الجنة ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[هود: ١٠٨]؛ أي: غير مقطوع، فلو كان إذا خطر بباله شيء من الشهوات، احتيج[١] إلى مهلة[٢] حتى ينالها، لم يكن في ذلك وفاء للوعد، فجعل الله الجنة ونعيمها له هنيئة، كلما خطر بباله شهوة في شيء، تحولت له تلك في أسرع من طرفة عين إلى الشهوة الأخرى؛ وفاء لما وعد؛ ليكون عطاء غير مجذوذ دائماً أبداً[٣].

ألا ترى أنه يأتي زوجته وهي بكر، فإذا قضى منها شهوته، عادت بكراً على حالها؟.

فهكذا شأن الجنة، فإذا خرجت من الجنة إلى الدنيا تلك الأشياء، تغيرت أحوالها؛ لأن الجنة محرمة على الآدميين حتى يذوقوا الموت.

ألا ترى أن الحجر الأسود والركن كانت تضيء كالشمس، فاسودت لأدناس الآدميين، وسترت زينتها عنهم، فهي في الباطن على هيئتها، ولكنها مستورة، ولو دُقت، فصارت رضيضاً، لم تجده إلا أسود في رأي العين، وهي في الباطن على هيئتها.

---

(١) في «ن»: احتاج.

(٢) في «ن»: إلى مهلة ومدة.

(٣) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

(١٣٧٢) ـ **نا** سلمة بن شبيب، قال: نا إبراهيم بن الحكم ابن أبان العدني[١]، قال: نا[٢] أبي، عن وهب بن منبه، عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «لَولاَ مَا ضيعَ مِن الرُّكن مِن أَنجَاسِ[٣] الجَاهِلِيَّةِ وَأَرجَاسِهَا، وَأَيدِي الظَّلَمَةِ وَالأَثَمَةِ، لاستُشفِيَ بِهِ مِن كُلِّ عَاهَةٍ، وَلأَلفَاهُ اليَومَ كَهَيئَتِهِ يَومَ خَلَقَهُ اللهُ، وَإِنَّمَا غَيَّرَهُ اللهُ بِالسَّوَادِ؛ لِئَلا يَنظُرَ أَهلُ الدُّنيَا إِلَى زِينَةِ الجَنَّةِ، وَإِنَّها لَياقُوتَةٌ بَيضاءُ مِن يَاقوتِ الجنَّة، وَضَعَهُ اللهُ لآدَمَ[٤] حِينَ أَنزَلَهُ في مَوضِعِ الكَعبةِ قَبلَ أَن تَكونَ الكَعبةُ، وَالأَرضُ يَومئذٍ طَاهرةٌ، لم يُعمَل فيهَا شَيءٌ مِن المعَاصِي، وَليسَ لهَا أَهلٌ يَنجِّسونهَا، وَوضَعَ لهَا صَفّاً مِن المَلائِكةِ علَى أَطرافِ الحَرمِ يَحرُسُونهُ مِن جَانِّ الأَرضِ، وَسُكَّانُها يومَئِذٍ الجِنُّ، وَليسَ يَنبَغي لَهُم أَن يَنظُرُوا إِليهِ؛ لأَنَّه شَيءٌ مِن الجَنَّة، وَمن نَظَرَ إِلى الجَنَّة، دَخَلها[٥] وهُم علَى أَطرافِ الحَرَمِ حَيثُ أَعلامُهُ اليومَ يُحدِقُونَ

---

(١) في «ن»: أبان العبدي.

(٢) في «ن»: حدثني.

(٣) في الأصل: لولا ما صنع من أنجاس، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: وضعه لآدم، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: يدخلها، وما أثبتناه من «ن».

بِه مِن كلِّ جَانبٍ، فَلذلكَ حُرِّم، وسُمِّيَ: الحرَم»[1].

(١٣٧٣) ـ نا سلمة، قال: نا محمد بن يحيى، عن ابن أبي إلياس[2]، عن أبيه، عن وهب بن منبه، قال: كان الركن كرسياً لآدمَ يجلسُ عليه[3].

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالركن: حجر من الفردوس، بعثه الله يوم الميثاق، فوضعه بينه وبين العباد؛ ليبايعوه على ذلك الحجر، فيمسحونه بأيديهم بيعة لله، ولذلك أمر باستلامه.

(١٣٧٤) ـ نا الحسين بن جنيد الدامغاني[4]، قال: نا أبو أسامة، عن سفيان بن سعيد، عن أبي الوليد القرشي،

---

(١) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٥٥) من طريق الحكم بن أبان، به.
وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٥٥)، و أخرجه في «المعجم الأوسط» (٦/ ٢٢٩) مختصراً من طريق وهب بن منبه، به.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٤٣): وفيه من لم أعرفه، ولا له ذكر.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣٢٣) للأزرقي، والجندي، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) في الأصل: ابن الراتب، والصواب من «ن».

(٣) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٣١١) لابن المنذر، والأزرقي عن وهب ابن منبه.

(٤) في الأصل، و«ن»: الحسن بن حميد، والصواب ما أثبتناه، والله أعلم.

قال: سمعتُ فاطمةَ بنتَ الحسين[1] تقول: لما أخذ الله ميثاق العباد، جعله في الحَجَر، فمن الوفاء لله بالعهد استلامُ الحجر[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فكذلك ماء زمزم، هي بهيئتها[3] على ما في الجنة من حلاوتها ولذتها، ولونها، إلا أنها ممتنعة أن يوجد الشاربون[4] تلك الهيئة التي فيها من الجنة، وأقرت فيها خلة واحدة، وهي الغياث؛ لأنها أخرجت من الجنة؛ لإغاثة ولد خليل الله ـ عليهما الصلاة والسلام ـ؛ لأن إبراهيم لما ولَّى، نادته هاجر: يا إبراهيم! إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله، فكان خليل الله صادقاً في قوله، نطق عن مجادة في الباطن، فخرج القول منه مجيداً، وهو فيه صادق، فوفى الله له لصدقه، ومكن لقوله بين يديه على مجادته، وأغاث ولده في وقت الاضطرار، ووفى الوكالة، فبقي ذلك الغياث لمن بعده ممن نواه وشربه، ولم يرتجع فيه ذنباً، وذلك قول رسول الله ﷺ: «زَمزَمُ لِمَا شُرِبَ لَهُ».

---

(١) في الأصل: الحسن، والصواب من «ن».

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٦٠٥) لعبد الرزاق في «المصنف»، وأبي الشيخ عن فاطمة بنت الحسين.

قلت: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٣٢)، إلا أنه قال: عن فاطمة بنت سفيان، ولعله وهم.

(٣) في «ن»: زمزم هو بهيئته.

(٤) في «ن»: الشاربين.

(١٣٧٥) ـ **نا** الجارود بن معاذ، قال: نا النضر بن شميل، قال: نا[١] يونس بن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرب، عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: كانت سارة بنتَ مَلِك، فتزوجها إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فلما كان من أمر الجبار ما كان، وحال الله بينه وبينها، فأعطاها هاجرَ، فوهبتها لإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ على أن لا تسوءَني فيها، فولدت له إسماعيل، وولدت سارة بعد ذلك إسحاق عليه السلام، فلما أيفع الغلامان، وتحركا، أمرهما إبراهيم، فاستبقا، وهو جالس بفِناء بيته، فسبقه إسماعيل، فكان[٢] أشدَّ الغلامين، فأخذه إبراهيمُ فاحتضنه، ثم جاء إسحاق فأخذه، فوضعه على فخذه، فخرجت سارة غَيرى، فقالت: احتضنتَ ابنَ الأَمَة، وأخذتَ ابني فأجلستَه على فخذِك، وقد شرطتني أن لا تسوءَني فيها؟ قال: أجل، قالت: فاعزلهما عني، فانطلق بهما إلى وادي مكة[٣]، ومعها قربة لها شنة فيها ماء، ونفد الماء، وبلغ الغلام العطش، فقالت له

(١) في «ن»: أنبأنا.

(٢) في «ن»: وكان.

(٣) في «ن»: فانطلق بهما حتى أنزلهما وادي مكة.

أمه: يا أشمويل! اذهب هاهنا في أعلى الوادي؛ فإني لا أطيق أن أراك إذا مت، فأمرته، فانطلق الغلام ينحب[1]، وجاء جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال: من أنتِ؟ قالت: أنا جارية إبراهيم، قال لها: فمن معك هاهنا؟ قالت: معي ابنه إسماعيل، قال: أين هو؟ قالت بلغه الجهد، فلم أستطع أن أراه إذا مات، فأمرته فذهب هاهنا[2] في أعلى الوادي، أو أسفله، قال لها: إلى من وكلكما؟ قالت: قلتُ له حين ولى: إلى من تكلنا؟ قال: أكلكما إلى الله، قال: جبريل[3]: قد وكلكما إلى كهف، ادعيه، ثم قال لزمزم، فنقبها، ثم قالت بالسريانية: يا أشمويل! ثلاث مرات، فلما سمع الغلام الصوت، أقبل يجد؛ أي: يتمايل من العطش، وقامت هي بقربتها تنضخ عليها الماء.

فقال لها: اقربيها[4]؛ فإنها ريَّاءُ، ولو قُضي أنك لم تكوني وضعتِ يدك[5] فيها، لجرت، فجاء إبراهيم ـ عليه

---

(١) في «ن»: يتمايل.

(٢) من قوله: معي ابنه. . .إلى قوله: فذهب هاهنا: ساقط من الأصل، زدتها من «ن».

(٣) في «ج»: جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

(٤) في الأصل: أقربها، والصواب ما أثبتناه.

(٥) في «ن»: بيدك.

الصلاة والسلام ـ، قالت: جاءنا خير الناس، قال إبراهيم: ذاك جبريل، ثم إن إسماعيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ تزوج، فقال إبراهيم لسارة: أتأذنين لي فآتي إسماعيل فأزوره؟ فقالت: نعم، على أن لا تنزل، فانطلق حتى أتى منزله، فسلم واستأنس، قال: كيف أنتم؟ فتجهمت امرأته، ولم تقتف به ـ قال النضر: أي: لم تكرمه، ولم تلطف به ـ، فقال لها: أين إسماعيل؟ قالت: هو في غنمه، قال: أقرئيه السلام إذا جاء، وقولي له: غيِّر أُسكُفَّة بابك؛ فإني لا أرضاها لك، فلما جاء إسماعيل، وجد الريح، فقال: قد جاءكم خير، قالت: جاءنا شيخ هاهنا، قال: فما قال لكم؟ قالت: سألنا عنك، ثم قال: أقرئيه السلام، وقولي له: فليحول أسكفة[1] بابه؛ فإني لا أرضاها له، قال: أنتِ هي، فخلَّى سبيلَها، وتزوج بعد ذلك امرأة، فقال إبراهيم لسارة: أتأذنين لي في أن آتي إسماعيل فأسلم عليه؟ قالت: نعم، على أن لا تنزل، فانطلق حتى أتى منزله، وسلم واستأنس، قال: كيف أنتم؟ فقالت: بخير، وبَشَّت به، ورحبت به، قال: فأين إسماعيل؟ قالت: هو في غنمه، فأخرجت له غسلاً،

---

(١) من قوله: بابك فإني لا أرضاها . . . إلى قوله: فليحول أسكفة: ليس في «ن».

وقربت الحجر، فوضع قدمه عليه، فأخذت أحد جانبي رأسه فغسلته، ثم حولته من الجانب الآخر، فوضع قدمه عليه، فغسلت رأسه، ودهنته.

فقال لها: إذا جاء إسماعيل، فقولي له: قد جاء والدك هاهنا، وأمرك بأسكفة بابك خيراً، فلما جاء، وجد الريح، قال: قد جاءكم الخير اليوم؟ قالت: نعم، قد جاءنا والدك، فسألنا، فأخبرناه أنك في الغنم، فقال: أقرئيه السلام، وقولي له: أمرك بأسفكة بابك خيراً؛ فإني قد رضيتها لك، قال: فأنتِ أسكفةُ بابي، ثم أُنزلت السكينة كأنها قطعة ضبابة فيها رأس يتكلم[1].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فقول رسول الله ﷺ: «زمزم لما شربت له» جار للعباد على مقاصدهم، وصدقهم في تلك المقاصد، وتلك النيات؛ لأن العبد الموحد إذا نابه أمر، فمن شأنه المفزَع إلى ربه، فإذا فزع إليه، استغاث به، فوجد شيئاً قد هيأه الله له[2] على مقدمة نوائب العباد غياثاً أنبطه لولد خليله عليه السلام، فالغياث أمر جامع يعكس ويطرد في جميع الأمور، فإذا ناب العبدَ نائبة، كائناً ما كان، فنواه وقصده، وجد ذلك الغوث فيه موجوداً، وإنما يناله العبد على قدر نيته.

---

(١) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.
ورجاله ثقات.

(٢) له: ليست في «ن».

(١٣٧٦) ـ نا قتيبة بن سعيد، قال: نا هشيم بن أبي ساسان الصيرفي، قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إنما الرُّقى والدعاء بالنية[١].

قال أبو عبدالله:

فالنية تبلغ بالعبد عناصر الأشياء، والنيات على قدر طهارة القلوب، وسعيها إلى ربها إلى تلك المراتب.

وتفسير النية: النهوض، يقال في اللغة[٢]: ناء ينوء؛ أي: نهض ينهض، فالنية نهوض القلب بعقله ومعرفته إلى الله تعالى، فعلى قدر العقل والمعرفة يقدر القلب على السعي والطيران إلى الله تعالى.

فالشارب لزمزم: إن شرب لشبع، أشبعه الله، وإن شربه لري، أرواه، وإن شربه لشفاء، شفاه الله، وإن شربه لسوء خلق، حسن خلقه، وإن شربه لغنى النفس، أغناها الله، وإن شربه لرياضة نفس، كفاه الله، وإن شربه لطهارة قلب، طهره الله، وإن شربه لانفلاق ظلمات الصدر، فلقها الله[٣]، وإن شربه لحاجة، قضاه الله، وإن شربه لأمر نابه، كفاه الله، وإن شربه لكربة، كشفها الله، وإن شربه لنصرة، نصره الله[٤]، وإن شربه لقوة، قواه الله،

---

(١) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

ورجاله ثقات، وهشيم وثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو حاتم: صالح الحديث.

(٢) في اللغة: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: أفلقها الله.

(٤) من قوله: وإن شربه... إلى قوله: نصره الله: ليس في «ن».

وإن شربه لرفعة في الدين، رفعه الله، وبأية نية شربها من أبواب الخير والعافية والصلاح[1]، وفى الله له بذلك؛ لأنه استغاث بما أظهره الله من جنته على جديد أرضه غياثاً.

(١٣٧٧) ـ حدثني أبي رحمه الله، قال: أخذني البول في ليلة ظلماء في الطواف حتى شغلني، وكرهت الخروجَ مخافةَ أن أطأ عَذِرات الناس، وذلك في أيام الموسم، فذكرت هذا الحديث: «إن ماء زمزم لما شرب له» فملت إليها، فشربت منها شربة تضلَّعتُ منها، فانقطع عني البول إلى الصباح.

فأما قوله: «مضنونة»: فإنما سميت مضنونة[2]؛ لأنه[3] قد ضن بها عمن قبلهم من الآدميين، فجاد الله بها على أبي العرب إسماعيل ـ عليه الصلاة السلام ـ؛ لتبقى مكرمتها في ولده محمد ﷺ، وفي أمته.

وأما قوله: «طيبة»: فإنما طابت بدار الله التي خلقها بيده، ثم طابت بجود الله، وعطفه[4] على ولد خليله عليهما السلام[5].

---

(١) في «ن»: والفلاح.

(٢) مضنونة: ليست في الأصل، زدتها من «ن».

(٣) في «ن»: لأنها.

(٤) في «ن»: وبعطفه.

(٥) في «ن»: خليله صلى الله عليهما وسلم.



الأصل الثامن والخمسون والمئتان

(١٣٧٨) ـ نا محمد بن أبان مستملي وكيع، قال: أنا أبو همام الأهوازي، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أبي زهير[١] الأنماري، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه، قال: «اللَّهُمَّ اغفِر لي ذَنبِي، وأَخسِئ[٢] شَيطَانِي، وَفُكَّ رِهَانِي، وثَقِّل ميزاني[٣]، وَاجعَلنِي في النَّدِيِّ الأَعلَى»[٤].

---

(١) في الأصل و«ن»: أبي رمثة، والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: وأخسئ لي، والمثبت من «ن».

(٣) وثقل ميزاني: زيادة من «ن».

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢٩٨)، وفي «مسند الشاميين» (١/ ٢٥٣)، وفي «الدعاء» (ص: ١٠٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩٨) من طريق محمد بن أبان، به.

وأخرجه تمام الدمشقي في «مسند المقلين» (ص: ٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٢٤) من طريق محمد بن الزبرقان أبي همام الأهوازي، به.

وأخرجه أبو داود (٥٠٥٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/ ٣٣١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢٩٨) من طريق ثور بن يزيد، به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

قال أبو عبدالله رحمه الله:

قوله: «اغفر لي ذنبي»؛ فقد أمر بالاستغفار، فقال في تنزيله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[محمد: ١٩].

فالمغفرة: درجات، بعضها أعلى من بعض، فمغفرة الرسل ـ عليهم السلام ـ: أعلى[١] من مغفرة من دونهم[٢]، ومغفرة محمد ﷺ أعلاها.

ألا ترى أنه جاء عنه عليه السلام: أنه قال: «إِنَّ لي دَعوَةً أَخَّرتُهَا إِلى يَومِ القِيَامَةِ، وَإِنَّ إِبرَاهِيمَ عليه السلام لَيَرغَبُ إِليَّ فِي ذَلِكَ اليَومِ»[٣].

وقال: «إِذَا زَفَرَت النَّارُ عَلَى أَهلِ المَوقِفِ، قَالَت الأَنبِيَاءُ وَالرُّسُلُ[٤]: نَفسِي نَفسِي، وَقَالَ نَبِيُّنَا عليه السلام[٥]: أُمَّتِي أُمَّتِي»[٦].

فهذا لعلو درجته في المغفرة، فإنه أمره أن يستغفر، فلم يزل ذلك دأبه بعد ما بشره الله في سورة الفتح بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح: ٢]، فنزلت عليه في آخر أمره: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ

---

(١) في «ن»: أعظم.

(٢) في «ن»: مغفرة ذنوبهم.

(٣) تقدم تخريجه في الأصل الثالث والسبعين.

(٤) في «ن»: والرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

(٥) في «ن»: نبينا ﷺ.

(٦) انظر: في «الدر المنثور» (٦/٢٣٩) للسيوطي.

وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٤٤٣٥)، ومسلم (١٩٤) في حديث الشفاعة الطويل.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[النصر: ١ ـ ٣]، فإنما نزلت هذه بعد فتح مكة، والبشرى بالمغفرة في سورة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[الفتح: ١] قبل ذلك بنحو من سنتين، وذلك عند فتح خيبر، فلم يزل ذلك دأبه، ولم يفارق[1] الاستغفار إلى أن قبضه الله، ومن يحيط بالمغفرة إلا الله، فكلما استكثر العبد من سؤالها، كان منها أوفر حظاً.

وروي في الخبر المأثور: أن الاستغفار يخرج يوم القيامة ينادي: يا رب! حقي حقي، فيقال: خذ بحقك، فيحتفل أهله، ويجتحفهم[2].

وروي: أن داود ـ عليه الصلاة و السلام ـ خرج يستسقي[3]، فلما انتهى إلى البَراز قال: اللهم اغفر لنا، ورجع، فما تتام آخرُ الناس حتى رجع أولُهم، فكأنهم استقلوا ذلك منه، فأوحى الله إليه أن قل لقومك: إن من أغفر له مغفرة واحدة، أصلح له بها أمر دنياه وآخرته[4].

قوله ﷺ: **«أَخسِئ شَيطَاني»**؛ فإنه ليس من آدمي إلا وكِّل به شيطان يوسوس إليه، وهو الوسواس الخناس، ولذلك أمر ﷺ أن يستعيذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس.

وروي عن رسول الله ﷺ: «مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إلاَّ وَقَد وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الشَّيَاطِينَ»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «وَلاَ أَنَا، إِلاَّ أَنَّ اللهَ قَد

---

(١) في الأصل: يفارقه، والمثبت من «ن».

(٢) جحف الشيء، قشره، والجحف والمجاحفة: أخذ الشيء واجترافه، انظر: «لسان العرب» (٩/ ٢١).

(٣) في الأصل: استسقى، والمثبت من «ن».

(٤) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص: ٧٣) عن أبي الجلد.

أَعَانَنِي عَلَيهِ فَأَسلَمَ»(1).

ثم تأول المتأولون هذه الكلمة من قوله: فأسلم على معنيين، فأحد المعنيين ذهب به[2] إلى السلامة؛ أي: أسلمُ من كيده ودواهيه؛ لأنه أمر بالتعوذ منه، فلم يكن ليأمره بالتعوذ فيفعل، إلا وقد سلم منه بما أمره من التعوذ، ونفروا من أن يحملوا معناه على الإسلام، وليس ذلك على ما ذهبوا؛ لأن قوله: أسلمَ ـ مفتوح الميم ـ معناه؛ أي: انقاد، وأعطى بيده[3] سلماً؛ كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[الحجرات: ١٤]؛ أي: أعطينا بأيدينا سلماً؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾[النحل: ٨٧]؛ أي: أعطوا بأيديهم، وألقوا أنفسهم إلى الله تسليماً.

فقوله: أخسئ شيطاني؛ أي: إنك إذا أخسأته، خسئ، فلم يبق معه شر ولا كيد، والخسء في لغة العرب: الفرد، والزكا: الزوج، وكل شيء انضم إليه شيء، فزَاوجَه، فهو زكا، ومنه سميت الزكاة في المال زكاة، وفي كل شيء زاد وربا من الزرع والثمار ريعه، قيل: زكا الزرع، وزكت الثمرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾[البقرة: ٢٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[النور: ٢١]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[فصلت: ٦ ـ ٧]؛ أي: لا يؤتون كلمة لا إله إلا الله، فيحتشون من نورها، فإذا لم يقولوا، فهم خسءٌ؛ أي: فرد خال عن النور والخير، فيقول الله لهم في النار: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الرابع عشر.

(٢) به: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: بيديه.

﴿فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون: ١٠٨]؛ أي: كونوا في خلاء مني، ومن رحمتي ونوري وجودي وعطفي، فعندها ينقطع الكلام، والنداء، ويطبق عليهم، فلا يبقى لهم من الرب شيء، فذاك الحال أخلى خلاء.

فقوله عليه السلام: **«أخسئ شيطاني»**؛ أي: أخله من جميع الشر الذي فيه[1]؛ لأنه خلق من نار، حتى لا يبقى له قوة أن يكيدني بشيء، وإن دق.

وقوله ﷺ[2]: **«فك رهاني»**؛ فإن النفوس حظها من الدنيا النعمة: نعمة البصر، ونعمة السمع، ونعمة اللسان، ونعمة سائر الجوارح، وسائر النعم التي تربى[3] بها الجوارح، وحظها من ربها الحياة، والعلم والذهن، والمعرفة والعقل، والحفظ والفهم، والفطنة والقوة، ومن يحصي نعم النفس وقوامها؟! ودوامها في الشكر، فالنفوس مرتهنة بالنعم، فإنما يفكها الشكر، فعلم الرسول ﷺ أن العباد لا يبلغون كنه الشكر، ففزع إلى ربه أن يتولى فك رهانه بجوده وفضله، وقال تعالى في تنزيله: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[الطور: ٢١]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾[المدثر: ٣٨ ـ ٣٩].

فأصحاب اليمين: هم الموحدون، وحَّدوا الله بقلوبهم، ثم أبرزوا ذلك التوحيد على ألسنتهم، فنطقوا بلا إله إلا الله، فاقتضى الله عباده بالوفاء بصدقها، وصدقها مستور عن الخلق، وعند الله ظاهر، فاقتضى حفظ الجوارح السبع عن المناهي، وأداء الفرائض؛ ليبرز صدق الصادق، وكذب الكاذب.

---

(١) في الأصل: منه، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: قولك.

(٣) في الأصل: يرى، والصواب ما أثبتناه.

وكل الموحدين قد أخذوا بسهم من سهام يُمن اليمين كل على قدر صدقه يتوفر من ذلك اليمين، فأول أصحاب اليمين: الرسل ـ عليهم السلام ـ، وآخرهم: من أتى بكلمة التوحيد نطقاً بها، ليس معه وراء ذلك شيء، وأصحاب الدرجات فيما بين ذلك.

فكل من أتى الله مع هذه الكلمة بشيء من أعمال البر؛ من حفظ جارحة، وأداء فريضة واحدة، فقد أتى بسهم من الشكر، وإن دق، فعلى قدر ذلك من الشكر، فك رهانه، وبقي سائر السهام عليه غرماً، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[الفرقان: ٦٥].

فأوفرهم حظاً من حفظ الحدود، وأداء الفرائض، أوفرهم حظاً من الشكر، وهذا شكرهم، فينجو من الغرم بقدر ذلك، ويفك من رهنه بقدر ما نجا من الغرم، حتى ينتهي ما وصفنا إلى درجات الرسل ـ عليهم الصلاة السلام ـ، فهم أحفظ الخلق للجوارح، وأتقاهم عليها[1]، وأداء[2] الفرائض ـ، وهم ـ مع هذا ـ مقصرون عند أنفسهم في الشكر، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾[عبس: ٢٣]؛ أي: لن يبلغ أحد أن يقضي أمره على كنهه، وكيف يقدر آدمي على أن يخرج من لحمه ودمه الذي أصله من التراب، ومعه شهوات نفسه، ووسواسه ما يبلغ كنه أمره الذي هو أهله؟! هيهات هيهات! فالآدميون عجزوا عن هذا، فلذلك فزع إلى ربه، فقال: «**فك رهاني**» حتى يكون الذي عجز عنه الآدميون هو الذي يفكه بجوده، فينجو من رهان الشكر.

---

(١) في الأصل: عليهم، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: وأدائها.

ألا ترى إلى قول موسى ﷺ: «يَا رَبِّ! أَسبَغتَ عَلَيَّ النِّعَمَ السَّوَابِغَ، فَشَكَرتُكَ عَلَيهَا، فَكَيفَ لي شُكرُ شُكرِكَ؟ قَالَ: يَا مُوسَى! تَعَلَّمتَ العِلمَ الَّذِي لاَ يَفُوقُهُ عِلمٌ، حَسبُكَ أَن تَعلَمَ أَنَّ ذَلِكَ مِن عِندِي»[1].

فهذا موضع العجز، فإذا بلغ العبد موضع العجز، فزع إلى الله حتى يجود عليه بما بقي عليه من الشكر، فيفكه[2] من رهنه.

قوله ﷺ: «ثَقِّل مِيزَانِي»: فالرسل في ستر الله الأعظم، فإذا نصبت الموازين، امتلأت الكفتان جميعاً من نور أعمال النبوة، وأفعال الرسالة، والصدق لسان موازينهم، فأصدقُ الخلق الرسلُ والأنبياء ـ عليهم الصلاة السلام ـ في أقوالهم وأفعالهم.

فأهل الموقف في أشد الأهوال في ذلك الموقف؛ لأن الرحمة لم تخرج بعد من الحجب إلى أهل الموقف، والرب تعالى غضبان محتجب عن خلقه؛ لشرك المشركين، وعبادة الأوثان، وفرية المفترين على الله، فذلك وقت الأهوال، فإذا نصبت موازين الرسل، وطارت أنوار أعمالهم في النبوة، وأفعالهم في الرسالة من الميزان إلى الله، سكن الغضب، ورضي عنهم الرب، وخرجت[3] الرحمة من الحجب إلى أهل التوحيد، فأحاطت بهم[4]، فصار الموحدون في سرادقها، فعندها توزن أعمال العباد، فإنما قال: ثقل ميزاني؛ أي: وفر علي أنوار النبوة والرسالة حتى أكون أعظمهم

---

(١) لم أجده في ما بين يدي من مراجع.

(٢) في الأصل: ففكه، والمثبت من «ن».

(٣) في «ن»: فقال وخرجت.

(٤) بهم: ليست في الأصل، وزدتها من «ن».

نوراً، وأوفاهم وفاء، وأصدقهم صدقاً، حتى يكون عملي هو الذي يسكن غضبـك على خلقك، وتخرج الرحمـة إلى الموحدين بما وافى بـه ذلك[١] المقـام.

وأما قوله ﷺ: «واجعَلنِي في النَّدِيِّ الأَعلَى»؛ فإن الأنبياء في الموقف، لهم مراتب على نحو مقاومهم بقلوبهم[٢] في دار الدنيا، فمن كان أقرب منزلة بقلبه في دار الدنيا، فهو أقرب منه مرتبة هناك، فالندي هم: السابقون[٣] المقربون الذين يبدأ بهم، فسأل أن يكون في أعلاهم مرتبة أقربهم إليه، فكان هذا دعاؤه حتى بشر بالمقام المحمود، وهو أقرب المقام، ولذلك قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾[الإسراء: ٧٩]، قال: يجلسه على عرشه.

وروي[٤] لنا: أنه ينشىء ناشئة من العرش كهيئة الشجنة، فيحمله من الموقف إلى العرش، حتى ينظر إليه الخلق في تلك الوقفة، فيتلهفون على ما فاتهم من أداء حقه إذا رأوا له تلك المنزلة عند ربه.

(١٣٧٩) ـ نا أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: نا[٥] محمد بن الحسن، قال: نا عبدالله بن المبارك، قال: أنا معمر، عمن[٦] سمع محمد بن

---

(١) ذلك: زيادة من «ن».

(٢) في الأصل: فهم بقلوبهم، والمثبت من «ن».

(٣) في الأصل: فالندي السابقون، والمثبت من «ن».

(٤) في «ن»: فروي.

(٥) في «ن»: رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنبأنا.

(٦) في الأصل: معمر عن محمد سمع محمد، والصواب ما أثبتناه.

عبدالله بن أبي يعقوب يحدث عن بشر بن شغاف، قال: سمعت عبدالله بن سلام يقول: أكرمُ خليقةِ الله على الله أبو القاسم ﷺ، قلت: لا يكون ملكاً مقرباً، فنظر وقال: تدرون كيف خلق الملائكة؟ إنما خلق الملائكة كخلق السماء والأرض، وكخلق الجبال والسحاب، وإن[1] أكرمَ خليقة الله على الله تعالى أبو القاسم ﷺ، فإذا كان يوم القيامة، وضرب الجسر على جهنم، نادى مناد[2]: أين محمد وأمته؟ فيقوم نبي الله، وأمته تتبعه[3]، فيمضي النبي والصالحون حتى ينتهي إلى ربه، فيوضع له كرسي عن يمين الرحمن ـ تعالى وتقدس ـ[4].

❐❐❐

---

(١) في الأصل: وإنما، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن»: منادي.

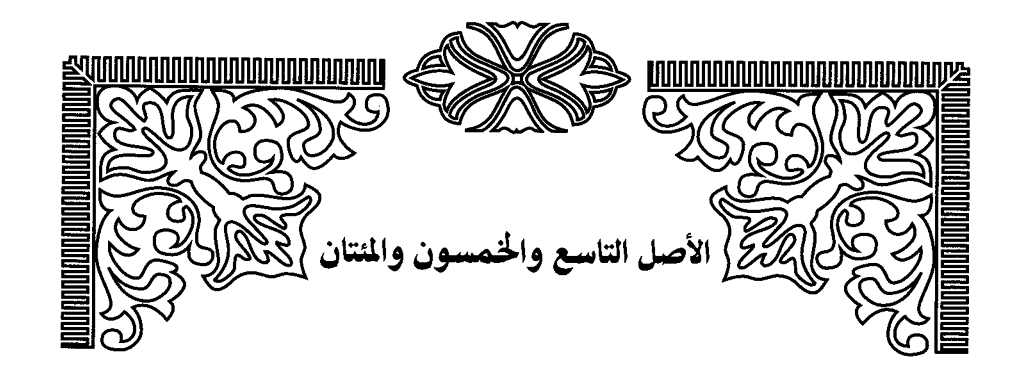
(٣) في «ن»: نبي الله ﷺ وتتبعه أمته.

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ١١٨) عن معمر، عمن سمع محمد بن عبدالله، به.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ١٧٠) من طريق محمد بن عبدالله بن أبي يعقوب، به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وليس بموقوف؛ فإن عبدالله بن سلام على تقدمه في معرفة قديمة من جملة الصحابة، وقد أسنده بذكر رسول الله ﷺ في غير موضع، والله أعلم.





الأصل التاسع والخمسون والمئتان

(١٣٨٠) ـ نا أبي رحمه الله، قال: نا إسماعيل بن صبيح اليشكري، قال: نا عنبسةُ بن سعيد أخو أبي الربيع السمان، عن مهاجر [بن] أبي المنيب الهذلي، عن أبي المليح، عن أبيه: أن رجلاً أتى رسولَ الله ﷺ فقال: إني أدخل في صلاتي، فما أدري أعلى شفع أنفتل أم على وتر؛ من وسوسة أجدها في صدري، فقال رسول الله ﷺ: **«إِذَا وَجَدتَ ذَلِكَ، فَاطعَن إِصبَعَكَ هَذِهِ ـ يَعنِي: السَّبَّابَةَ ـ فِي فَخِذِكَ اليُسرَى، وَقُل: بِاسمِ اللهِ؛ فَإِنَّهَا سِكِّينُ الشَّيطَانِ، أَو مُديَةُ الشَّيطَانِ»**[1].

---

(١) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٠٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٩٢) من طريق عنبسة بن سعيد، به.

وعنبسة ضعيف كما في «تهذيب التهذيب» (٨/ ١٤٠).

وشيخه قال العقيلي: مجهول بالنقل، لا يتابع على حديثه، ولا يعرف إلا به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٥١): أخرجه الطبراني في «الكبير»، والبزار لم يحسن سياقة الحديث، لعله من سقم النسخة، والله أعلم، وفيه: =

قال أبو عبدالله رحمه الله:

معناه عندنا: أن هذه الطعنة بالسبابة مدية الشيطان إذا كان مبتدؤها باسم الله، والمدية: السكين الذي له وجهان، كالخنجر في المقدار، إلا أنها ذات وجهين، فباسم الله تخلص تلك الطعنة بالسبابة إلى الشيطان، فينال منه فخذه وساقه[1]، حتى يصير مقعداً زَمِناً، وذلك أن الوسواس جاءنا صفته في الحديث كيف هو من الآدمي.

(١٣٨١) ـ نا صالح بن عبدالله، قال: نا إسماعيل بن إبراهيم، عن الجريري، عن عثمان بن أبي العاص: أنه شكا إلى رسول الله ﷺ الوسواسَ، فقال: «ذَاكَ شَيطَانٌ يُقَالُ لَهُ: خَنزَبُ، فَإِذَا أَحسَستَ بِشَيءٍ مِنهُ، فَاتفُل عَن شِمَالِكَ ثَلاَثاً، وَتَعَوَّذ بِاللهِ مِنهُ»[2].

= المهاجر بن المسيب، عن أبي المليح، وهو مجهول.

قلت: أخرجه البزار في «المسند» (٦/ ٣٢٧) من طريق أبي سعيد عن مهاجر أبي حبيب، عن أبي المليح، عن أبيه.

وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١/١٣٨) للحكيم، والبارودي، عن أبي المليح، عن أبيه.

(١) في «ن»: وساقيه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢١٦) من طريق إسماعيل بن إبراهيم، به.

وأخرجه مسلم (٢٢٠٣)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٤٩٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٧٦)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ١٤٨)، =

(١٣٨٢) ـ **نا صالح**، عن عمرو بن محمد العنقزي، عن أبي بكر الهذلي، عن شهر بن حوشب، عن أبي ثعلبة الخشني، قال: سألت الله أن يريني الشيطان ومكانه من ابن آدم، فرأيته يداه في يديه، ورجلاه في رجليه متشاعبة في جسده، غير أن له خطماً كخطم الكلب، فإذا ذكر الله، خنس ونكص، وإذا سكت عن ذكر الله، أخذ بقلبه[١].

فعلى نحو ما وصف أبو ثعلبة أنه متشاعب[٢] في الجسد؛ أي: في كل عضو منه شعبة منه.

وروي عن عبد الرحمن بن الأسود أو غيره من التابعين: أنه قال بعد ما كبر سنه وضعف: ما أمنت الزنا، وما يُؤمنني أن يدخل الشيطان ذكري، فيوتده؟

= والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٤٤) من طريق الجريري، به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. كذا قالا، وقد تقدم عند مسلم، والله أعلم.

قلت: لعل في سند الحكيم الترمذي هنا سقطاً، وهو يزيد بن عبدالله بن الشخير أبو العلاء بين الجريري وعثمان بن أبي العاص، والصواب إثباته في السند كما هو عند باقي المخرجين، والله أعلم.

(١) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

وأبو بكر الهذلي واهٍ. انظر: «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٤٧).

(٢) في الأصل: متشاعبة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

فهذا القول ينبئك أنه يتشعب في الجسد.

(١٣٨٣) ـ نا الجارود، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن خيثمة: أنه قال: يقول الشيطان: كيف ينجو مني ابن آدم، وأنا في صدره، فإذا[1] غضب، طرت حتى أكون في رأسه[2]؟!

فهذا تحقيق ذلك أيضاً، وإنما يطير[3] إلى الرأس في وقت الغضب؛ لأن العقل في الرأس، وإشراقه من الرأس إلى الصدر؛ لينظر عين الفؤاد بنور العقل، فيميز بين الأمور، ويدبر، فإذا رأى الشيطان الغضب قد هاج من الآدمي، طار إلى رأسه، حتى يحجب العقل عن أن يشرق في الصدر.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الشَّيطَانُ يَجرِي مِنِ ابنِ آدَمَ مَجرى الدَّمِ»[4].

---

(١) في الأصل: وإذا، والمثبت من «ن».

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٣٥٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٦٦)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٦٠٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٣١١) من طريق أبي معاوية، به.

(٣) في «ن»: وإنما يطر.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧١٩)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٥٦) وأبو يعلى في «المسند» (٣٤٧٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ١١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/٣٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ١٠) من حديث أنس ﷺ.

وأخرجه البخاري (٣١٠٧)، ومسلم (٢٤) من حديث صفية بنت حيي ـ رضي الله عنها ـ.

فمجرى الدم: هي العروق المشتملة على جميع الجسد، فقال رسول الله ﷺ في حديث أبي المليح؛ حيث أمره أن يطعن بالسبابة في فخذه اليسرى، يدل[1] على تحقيق هذه الأحاديث التي ذكرناها: أنه متشاعب في الجسد، ثم سلطانه ومقعده في الصدر في وقت الوسوسة.

وروى أبو الأشهب، عن يحيى بن أبي كثير، قال: الوسواس له باب في صدر ابن آدم يوسوس إليه منه[2].

(١٣٨٤) ـ نا عمر بن أبي عمر العبدي، قال: نا عصام ابن المثنى بن وائل الحمصي، قال: حدثني أبي، عن وهب ابن منبه: أن إبليس وضع ابناً له بين يدي حواء، وقال: اكفليه، فجاء آدم فقال: ما هذا يا حواء؟ قالت: جاء عدونا بهذا، وقال لي: اكفليه، فقال: ألم أقل لك: لا تطيعيه في شيء؛ هو الذي غرنا حتى وقعنا في المعصية، وعمد إلى الولد فقطعه أربعة أرباع، وعلق كل ربع على شجرة؛ غيظاً له، فجاء إبليس وقال[3]: يا حواء! أين ابني؟ فأخبرته بما صنع آدم، فقال: يا خناس! فحيي، فأجابه، فجاء به إلى حواء، قال: اكفليه، فجاء آدم، فحرقه بالنار، وذرَّ رماده

(١) في «ن»: يدخل.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (ص: ٩١).

(٣) في «ن»: فقال.

في البحر، فجاء إبليس فقال: يا حواء! أين ابني؟ فأخبرته بفعل آدم إياه، فذهب إلى البحر فقال: يا خناس! فحيي، فأجابه، فجاء به إلى حواء[1] الثالثة، فقال: اكفليه، فنظر إليه آدم، فذبحه، وشواه، وأكلاه جميعاً، فجاء إبليس فسألها، فأخبرته حواء فقال: يا خناس! فحيي، فأجابه من جوف آدم وحواء، فقال إبليس: هذا الذي أردت، وهذا مسكنك في صدور ولد آدم[2].

وهو[3] ملتقم قلب ابن آدم ما دام غافلاً يوسوس، فإذا ذكر الله، لفظ قلبه، وانخنس.

(١٣٨٥) ـ نا عمر بن أبي عمر[4]، قال: نا عبدالله ابن عبد الوهاب الحجبي[5]، عن عدي بن أبي عمارة، قال: حدثني زياد النميري، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشَّيطَانُ مُلتَقِمٌ قَلبَ ابنِ آدَمَ، فَإِذَا**

---

(١) في الأصل: الحواء، والصواب من «ن».

(٢) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.
وشيخ المصنف ضعيف.

(٣) في «ن»: فهو.

(٤) ابن أبي عمر: ليس في «ن».

(٥) في الأصل: الحجي، والصواب من «ن».

ذَكَر اللهَ، خَنَسَ عَنهُ، وَإِذَا نَسِيَ اللهَ، التَقَمَ قَلبَهُ»[1].

وأما التفل الذي أمر رسول الله ﷺ أن يتفل عن يساره، فإن التفلة واصلة إلى وجه الشيطان، فتصير قروحاً، وكذلك رمي الجمار إنما يرمي رأس الشيطان ومطلعه حيث طلع لآدم، ثم لخليل الله ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، فبقيت سنة؛ لأن تلك الطلعة منه كائنة لكل مسلم حاج، فإذا رمى الحاجُّ، شدخ رأسَه وطلعته حتى يخنس، وإنما أمر بسبع حصيات؛ لأنه أطلع رأسه من سبع أرضين، ونفسه موثوقة في سجين، وذلك سجنه تحت الأرض السابعة، فبكل حصاة يخنس في أرض حتى تبلغ خنساته بالسابعة في[2] الأرض السابعة إلى مستقره، فكذلك التفلة، مع تعوذك بالله، ترد الذي جاء به من النزغة والوسوسة كالنار إلى وجهه، فتحرق وتصير قروحاً.

وروي عن الربيع بن خثيم: أنه قُصَّ عليه رؤيا منكرة، وذلك أنه أتاه آت فقال: إني رأيت في المنام كأن قائلاً يقول: أخبر الربيع أنه من أهل النار، فتفل عن يساره ثلاثاً، وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فرأى ذلك الرجل في منامه في الليلة الثانية كأن رجلاً جاء بكلب، فأقامه بين يديه، وفي عنقه حبل، وعلى جبهته قروح، فقال: هذا ذلك الشيطان الذي أراك في منامك رؤيا الربيع، وهذه القروح تلك التفلات الثلاث التي كانت منه، والله ﷻ أعلم.

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١/ ٢١٤) للحكيم الترمذي عن أنس بن مالك ﷺ.

وهذا إسناد ضعيف جداً.

(٢) أرض حتى تبلغ خنساته بالسابعة في: زيادة من «ن».





الأصل الستون والمئتان

(١٣٨٦) ـ نا عيسى بن أحمد العسقلاني، قال: نا شبابة، قال: نا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَم[1] يَكمُل مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَرِيَمُ بِنتُ عِمرَانَ، وَآسِيَّةُ بِنتُ مُزَاحِمٍ، وَفَضلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[2].

---

(١) في «ن»: فلم.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٤١) من طريق شعبة، به.

وأخرجه البخاري (٣٥٥٨)، ومسلم (٢٤٣١)، وأبو داود (٣٧٨٣)، والترمذي (١٨٣٤)، وابن ماجه (٣٢٨٠)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٨٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/ ٣٩٣)، وأبو يعلى في «المسند» (٧٢٤٥)، وابن حبان في «الصحيح» (٧١١٤)، وغيرهم من طريق شعبة عن عمرو بن مرة، عن مرة الهمداني، عن أبي موسى، به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي هذا الحديث عن عائشة وأنس.

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فكمال المرء سبعة: في العلم، والحق، والعدل، والصواب، والصدق، والأدب، واللبق، وذلك أنه إذا لم يعلم، فهو جاهل بأمر الله، فإذا علم أمر الله، احتاج إلى أن يكون محقاً، فيعمل بذلك العلم[1]، فإذا عمل بذلك، احتاج إلى إصابة الصواب في ذلك العمل؛ لأنه قد يعمل بذلك العلم[2] وهو حق، ولكنه في غير وقته، فلم يصب الصواب؛ بمنزلة رجل صلى ركعتين في وقت طلوع الشمس، فالصلاة حق، ولكنه لم يصب وقتها فيكون صواباً، وبمنزلة رجل صلى وأمه تدعوه، فيترك إجابتها، وبمنزلة رجل غزا بغير إذن أبويه، فالفعل حق، ولكنه لم يصب الصواب، فإذا عمل وأصاب الصواب، احتاج إلى العدل قبل ذلك، فيكون يريد به وجه الله في ذلك العمل، فإذا عدل، احتاج إلى الصدق؛ بأن لا يلتفت إلى نفسه فيوجب لها ثواباً، أو يقتضيه ثواباً، فتحتجب عنه المنة، فإذا احتجبت المنة، صار معجباً، متعظماً في نفسه، فإذا أقام الصدق في ذلك، وهو صدق العبودة احتاج إلى الأدب، وهو[3] أن يعمله كأن الله يراه، فهو[4] يعمل على يقظة أن يرى الله تعلقه[5] بما يرى، حتى يعمل بوقار وسكينة، وهيبة ووفارة ذلك العمل؛ فإن الأدب بساط العمل، فما[6] لم يبسط

---

(١) في «ن»: العمل.

(٢) قوله: فإذا عمل إلى قوله: بذلك العلم، ليس في «ن».

(٣) وهو: ليست في «ن».

(٤) في الأصل: وهو، والصواب من «ن».

(٥) تعلقه: ليست في «ن».

(٦) في «ن»: فإذا.

البساط، لم يتميز الأشياء، ولم ينقسم حتى يحضره ما به بتوفر العمل، فإذا أقام الأدب، احتاج إلى اللبق، فإذا لبق، قبل، وإنما يدرك اللبق بحياة القلب بالله، فإذا حيي القلب بالله كان عمله لبقاً، فهذا الكامل؛ لأنه يعمل على المشاهدة على بصيرة.

وذلك قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾[القيامة: ١٤ـ١٥]؛ أي: لا ينفعه المعاذير، ولا يقبل معذرته؛ لأنه قد أعطي البصيرة، فأعماها بهوى النفس ومشيئاتها وشهواتها، فإذا أعمى بصيرته فاللائِمَةُ لازمة لها، وعذره غير مقبول.

(١٣٨٧) ـ نا عمر بن أبي عمر العبدي، قال: نا محمد ابن مخلد أبو أسلم(١) الرعيني، قال: نا يعلى بن الأشدق الطائفي، قال: سمعت عمي عبدالله بن جراد يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيسَ الأَعمَى مَن يعمَى بَصَرُهُ، وَإِنَّمَا الأَعمَى مَن تَعمَى بَصِيرَتُهُ»(٢).

قال أبو عبدالله رحمه الله:

وذلك قوله تعالى في تنزيله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[الحج: ٤٦].

فالبصر في العين الناظرة الظاهر(٣) من نور الروح، والبصيرة على

---

(١) في الأصول: مسلم، والصواب من «ن».

(٢) تقدم تخريجه في الأصل التاسع والثلاثين.

(٣) في «ن»: في العين الظاهرة.

النفس من القلب من نور معرفة الفطرة، وذلك أن الله تعالى كان ولا شيء، ثم قدر المقادير، فأبرز علمه في خلقه يوم المقادير، ولا عرش ولا كرسي، ولا جنة ولا نار، ولا مكان ولا وقت ولا زمان، ولا خلق مخلوق، ثم عرضهم، فنظر إليهم حتى أنفذهم بصره، فمعرفة الفطرة من ذلك النور الذي أنفذهم بصره[1]، فمن ثم عرفوه، فقال في تنزيله: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[القيامة: ١٤]؛ أي: من نور معرفة الفطرة عليها بصيرة تبصره أن هذا الذي يبصر بعين الرأس هو آيات الله، وآثار قدرته.

فهذا الإنسان خرج من بطن أمه مع هذه البصيرة لا يقدر أن يجحد ربه ولا ينكره؛ لأن بصيرته معه، فلما تحركت منه الشهوات التي في نفسه، عميت بصيرته؛ لأن القلب مال إلى الفرح بالشهوات، والنفس[2] مالت إلى اللذة بالشهوات، فعميت بصيرته، فصار[3] كمن لا يعرف؛ لأنه افتقد قوة المعرفة، فذهب اعتمالها، فلذلك قبل من العدو ما جاء به من الشرك والعبادة لمن دونه، واتخاذ وليّ من دونه، فظلمة الشهوات حجبت تلك البصائر، بصائرَ الهدى من الناس، ثم منَّ الله على مختاريه من ولد الآدميين، فاختار من كل ألف واحداً، فوضع فيه الخير حتى صار مختاراً، ثم منَّ عليه بنور التوحيد، وفي جوف ذلك النور نور المحبة، ونور البهاء، فقيد قلبه ونفسه الشهوانية بنور المحبة، فلما وجدت النفس حلاوة نور المحبة،

---

(١) قوله: فمعرفة الفطرة إلى قوله: أنفذهم بصره، ليس في «ن».

(٢) في الأصل: فالنفس، والمثبت من «ن».

(٣) فصار: ليست في «ن».

رفضت حلاوة عبادة الوثن، وبنور البهاء دان للتوحيد لله، وقبح عنده الشرك، فرفضه، فبوجود نور المحبة، ونور البهاء، لم تعجز بصيرته، وازدادت البصيرة قوة بوجود هذه الأنوار التي جاءت من المنة، فمن صار[1] هذه الأنوار له، وتخلص من دخان النفس وحريق الشهوات، قويت بصيرته قوة تهتك كل حجاب بينه وبين ربه من حجب الآدميين، وصدرت أعماله من صدره إلى الأركان على مشاهدة اليقين، ومعاينة القلب محل[2] المقادير، ومحل القضاء من ملك الجبروت.

وذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[يوسف: ١٠٨]، ثم قال: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِىۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨].

فلم يجعل الدعاء إلى الله على بصيرة إلا لتابعي محمد[3]، وتابعوه: من هاجر عما نهى الله عنه، ونصر الحق في كل موطن، وكان له السبق، فهذا عبد قد رضي الله عنه، فأعطاه حبه، فأحبه[4]، فاحتدت بصيرته، حتى انتهت إلى المقام بين يديه، فباطن الأشياء له معاينة، كظاهر الأشياء لأهل الغفلة معاينة، فأهل الغفلة ينظرون إلى الأشياء بنور الروح، وهذا[5] الموقن

---

(١) في «ن»: صان.

(٢) في الأصل: على، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: محمد ﷺ.

(٤) فأحبه: ليست في «ن».

(٥) في الأصل: وهو، والمثبت من «ن».

الذي وصفناه، ينظر إلى الأشياء بنور الله.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤمِنِ، فَإِنَّهُ يَنظُرُ بِنُورِ اللهِ»[1].

وقال رسول الله ﷺ في الحديث الذي يأثره عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى: أنه قال: «مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدٌ[2] بِمِثلِ أَدَاءِ فَرَائِضِي، وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بَعدَ ذَلِكَ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِن أَحبَبتُهُ، كُنتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي بِهِ يَنطِقُ، وَيَدَهُ الَّتِي بِهَا يَبطِشُ، وَرِجلَهُ الَّتِي بِهَا يَمشِي، وَفُؤَادَهُ الَّذِي بِهِ يَعقِلُ، فَبِي يَستَعمِلُ هَذِهِ الأَشيَاءَ»[3].

فإذا أدى الفرائض، وهو إقامة الأمر والنهي، فقد هاجر، وإذا انتقل بعد إقامة الأمر والنهي، فقد نصر الحق، وإذا قطع العلائق، نال السبق؛ لأنه قد انفلت من المتعلقين، فطار إلى ربه، فهذا التابع بإحسان قول الله تعالى في تنزيله: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فالسبق والأولية في كل أمر وعمل لهذه الطبقة التي هاجرت عن الآثام، ونصرت الحق، فهم أهل الرضا، ومحبوبو الله أيام الدنيا؛ لأنهم اتبعوا رأس المحبين محمداً ﷺ، فنالوا من تلك المحبة التي أعطيت محمداً عليه السلام.

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل التاسع والعشرين والمئتين.

(٢) في «ن»: عبدي.

(٣) أخرجه البخاري (٦١٣٧)، وابن حبان في «الصحيح» (٣٤٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بنحوه.

وقال في تنزيله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١]، فجعل اتباع محمد ﷺ علامة لمحبة الله، فمن اتبعه صدقاً، نال حبه صدقاً.

(١٣٨٨) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا الحسن بن الربيع البجلي، قال: نا عمرو بن أبي هرمز[1]، قال: نا أبو عبد الرحمن الدمشقي، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي الدرداء، عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١]، قال: «عَلَى البِرِّ وَالتَّقوَى، وَالتَّوَاضُعِ، وَذِلَّةِ النَّفسِ»[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالبر والتقوى هو: الهجرة التي ذكرناها، والتواضع هو: السبق؛ لأنه[3] من تواضع لله، رفعه الله، وذلة النفس نصرة الحق.

قال له قائل: وكيف صار نصرة الحق في النوافل دون الفرائض؟.

قال: إن نصرة الحق منه في الفرائض منكمنة؛ لأنه إن ترك الفرائض،

---

(١) في الأصل: عمر بن أبي هرم، والصواب من «ن».

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٧/ ٥٩) من طريق الحسن بن الربيع، به. إلا أنه أسقط اسم عطاء من السند.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٧٩) للحكيم الترمذي، وأبي نعيم، والديلمي، وابن عساكر، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

وقد تقدم برقم (٨٨٠)

(٣) في «ن»: لأن.

فخوف الوعيد يحمله على القيام بها، فما دام يؤدي الفرائض، فهو ناصر للحق، لكن[1] النصرة منكمنة؛ لأنه ربما أداها من خوف العقاب والوعيد، فإذا تنفل، فقد انكشفت النصرة؛ لأنه يعمل لا من خوف الوعيد، إنما يريد أن يتودد، ويتقرب، ويتحبب إلى ربه بتلك النوافل.

ألا ترى أنه قال في حديثه: «وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّب إِلَيَّ بَعدَ ذَلِكَ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ».

فإنما أوجب له حبه بما تحبب إليه بالنوافل، فقد تقرب العبد بالفرائض، وتحبب، ولكن كان ذلك منه[2] منكمناً؛ لأن خوف الوعيد قد مازجه، فبالنوافل ظهر ما كان منكمناً، فأظهر له حبه، وأوجب له.

(١٣٨٩) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا محمد بن الطفيل[3]، عن أيوب بن سيار[4] الزهري، قال: نا محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: جاء العباس إلى رسول الله ﷺ، وعليه ثياب بيض، فتبسم رسول الله في وجهه، فقال: يا رسول الله! ما الجمال؟ قال: «صَوَابُ القَولِ بِالحَقِّ»، قال: فما الكمال؟ قال: «حُسنُ الفِعَالِ بِالصِّدقِ»[5].

---

(١) في «ن»: ولكن.

(٢) منه: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: محمد بن المنكدر الطفيل، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: يسار.

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤/١٣٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» =

(١٣٩٠) ـ **نا** عمر، قال: نا فهد بن سلام، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، بمثله، غير أنه زاد فيه: فرآه تبسم، فقال: ما يضحكك يا رسول الله أضحك الله سنك؟ قال: «**يُضحِكنِي جَمَالُكَ**»، قال: وما الجمال يا رسول الله؟ فذكر بقية الحديث(١).

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فهذا الكمال موجود في الرجال بفضل العقول وتفاوتها؛ لأن المعرفة مع العقل، والنساء منقوصات في العقول، وعقولهن على النصف من عقول الرجال، ولذلك صارت شهادة امرأتين تعدل بشهادة رجل؛ لنقص عقولهن، فأما مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم(٢)، فإنهما برزتا على النساء بما أعطيتا فكملتا.

= (٢٦/ ٣٤٥) من طريق أيوب بن سيار، به.

وقال البيهقي رحمه الله: تفرد به عمر بن إبراهيم، وليس بالقوي. كذا قال.

وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ١٣٩) للحكيم عن جابر رضي الله عنه.

وفي «فيض القدير» (٣/ ٣٥٧) قال المناوي: أخرجه الحكيم الترمذي عن جابر، وقضية صنيع المصنف: أنه لم يره مخرجاً لأحد من المشاهير الذين وضع لهم الرموز، وهو عجيب، فقد رواه أبو نعيم في «الحلية»، والديلمي في «الفردوس»، والبيهقي في «الشعب»، فعدوله للحكيم، واقتصاره عليه الموهم غير لائق، ثم إن فيه أيوب بن سيار الزهري.

قال الذهبي: ضعيف جداً، تفرد به عنه عمر بن إبراهيم، وهو ضعيف جداً.

(١) هذا إسناد ضعيف.

(٢) بنت مزاحم: ليست في «ن».

قال له قائل: ماذا أعطيتا حتى كملتا[1]؟.

قال: أعطيتا[2] السبيل إلى الوصول إلى الله، ثم الاتصال به حتى علمتا[3]، وذلك ما ندب الله إليه عباده المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة: ٣٥]، وفيما قص الله علينا من نبأيهما دليل على كمالهما من قوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾[التحريم: ١١]؛ أي[4]: صفة للذين آمنوا ليمتثلوا[5]، فيطلبوا هذا المثال من أنفسهم، فقال: ﴿امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ [التحريم: ١١].

والعند في اللغة[6] أقربُ القرب بين يديه، فسألت ربها مستقراً بين يديه في داره، في مكان القربة، فلم تسأل ذلك إلا وقد طالعت نور القربة، ثم قالت: ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾[التحريم: ١١] سألت أن يخلصها من سلطان فرعون، حتى لا يجتمعا في شأن البضاع على رائحة الشرك.

ولذلك حرم الله تعالى على المؤمنين مشركات النساء؛ لئلا يجمع رائحة التوحيد مع رائحة الشرك، وأباح نساء أهل الكتاب؛ لأنهن غير

---

(١) حتى كملتا: زيادة من «ن».

(٢) أعطيتا: زيادة من «ن».

(٣) حتى علمتا: ليست في «ن».

(٤) أي: ليست في الأصل، وزدتها من «ن».

(٥) في الأصل: ليمثلوه، والمثبت من «ن».

(٦) في «ن»: في الفقه.

مشركات[1]، ثم قال: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾[التحريم: ١٢].

فالتصديق بالكلمة أعظمُ الأشياء؛ لأنها لم تعاين الملائكة، وإنما سمعت صوت البشرى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾[آل عمران: ٤٥]، فصدقت، ولم تتردد، فسماها الله صديقة في تنزيله، فقال: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾[المائدة: ٧٥]، فبالاتصال تبلغ العباد أعلى منازل الصديقين، فلا يبقى لهم في أمر الله حيرة.

ألا ترى أن سارة لما بشرت بإسحاق كيف اضطربت حتى أنكرت الملائكة من قولها: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[هود: ٧٣].

فتبين منها هاهنا[2] نقص، وتبين الكمال من مريم حيث بشرت بالكلمة من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[آل عمران: ٤٥ ـ ٤٦]، فعندها قالت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾[آل عمران: ٤٧]، فإنما سألت: من أين هذا الولد؛ لأنه قد جاءها من أمر الله ما ليس في البشر مثله، والذي جاء من أمر سارة ليس بمستنكر لا يكون مثله في البشر.

ألا ترى أنه لما جاء الولد من إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وسارة لم[3] يفتتن الخلق به، ومجيء عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ صار فتنة على المفتونين.

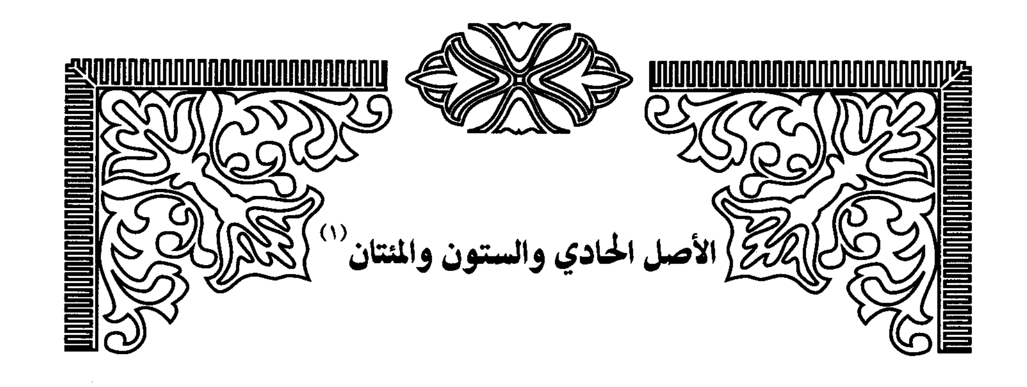
---

(١) في «ن»: لأنهن من الضلال الكفار، وغير مشركات.

(٢) في «ن»: فتبين هاهنا منها.

(٣) في «ن»: ولم.





الأصل الحادي والستون والمئتان[1]

(١٣٩١) ـ نا أبي رَحِمَهُ اللهُ، قال: نا مكي بن إبراهيم، قال: نا عبد الواحد بن زيد، قال: حدثني عبدالله بن راشد، قال: حدثني مولاي عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ للهِ مِئَةً وَسَبعَةَ عَشَرَ خُلُقاً، مَن أَتَاهُ بِوَاحِدَةٍ مِنهُنَّ، دَخَلَ الجَنَّةَ»**[2].

(١٣٩٢) ـ نا محمد بن مرزوق البصري، قال: نا شداد بن علي الهزاني، وكان صام ثمانين سنة متتابعة فيما ذُكر، ونا عبد الواحد بن زيد، عن عبدالله بن راشد مولى عثمان بن عفان، بمثله[3].

---

(١) جاء هنا في النسخة «ن» زيادة أصل تم إلحاقه في آخر الكتاب.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل السابع والستين.

(٣) تقدم تخريجه في الأصل السابع والستين.

(١٣٩٣) ـ نا علي بن الحسين النيسابوري، عن عبد الرحيم ابن يحيى[١] بن الأسود، عن عثمان بن عمارة، عن إبراهيم بن أدهم، عن رجل من أهل بلخ، عن أبيه، قال: سمعت مروان بن الحكم يقول: سمعت عثمان بن عفان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ للهِ مِئَةً وَسَبعَةَ عَشَرَ خُلُقاً، مَن جَاءَ بِخُلُقٍ مِنهَا، دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ»، فقلنا: بينها لنا؟ قال: «كَظمُ الغَيظِ، وَالعَفوُ عِندَ المَقدِرَةِ، وَالصِّلَةُ عِندَ القَطِيعَةِ، وَالحِلمُ عِندَ السَّفَهِ، وَالوَقَارُ عِندَ الطَّيشِ، وَوَفَاءُ الحَقِّ عِندَ الجُحُودِ، وَالإِطعَامُ عِندَ الجُوعِ، وَالعَطِيَّةُ عِندَ المَنعِ، وَالإِصلاَحُ عِندَ الفَسَادِ، وَالتَجَاوُزُ عَنِ المُسِيءِ، وَالعَطفُ عَلَى الظَّالِمِ، وَقَبُولُ المَعذِرَةِ، وَالإِنَارَةُ لِلحَقِّ، وَالتَّجَافِي عَن دَارِ الغُرُورِ، وَتَركُ التَّمَادِي فِي البَاطِلِ، أَلاَ وَلَيسَ فِي أَخلاَقِ اللهِ شَيءٌ أَحَبُّ إِلَيهِ مِنَ الجُودِ وَالكَرَمِ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبدٍ خَيراً، وَفَّقَهُ لأَخلاَقِهِ، فَتَخَلَّقَ بِهَا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبدٍ سُوءاً، خَلَّى بَينَهُ وَبَينَ أَخلاَقِ إِبلِيسَ؛ فَإِنَّ مِن أَخلاَقِ إِبلِيسَ: أَن يَغضَبَ فَلاَ يَرضَى، وَأَن يَسمَعَ فَيَحقِدَ، وَشَرَاهَةَ النَّفسِ وَنَهمَتَهَا، وَأَخذَ مَا لَيسَ

---

(١) في «ن»: عليّ.

لَهَا، وَنزَقَهَا إِلى اللَّهوِ وَالبَاطِلِ، أَلاَ وَإِنَّ إِبلِيسَ لَيسَ هُوَ عَلَى أَحَدٍ أَشَدَّ مِنهُ عَلَى القُرَّاءِ الَّذِينَ هُم عِندَ أَنفُسِهِم قُرَّاءٌ، لاَ يَزَالُ فِيمَا بَينَهُم يَذهَبُ وَيَجِيءُ حَتَّى يُورِثَ بَينَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغضَاءَ، فَلَو قُلتَ: حَقّاً حَقّاً، مَا أَقَلَّ مَن يَجتَمِعُ مِنهُم غَداً في الآخِرَةِ، إِلاَّ قَومٌ عَطَفَ بَعضُهُم عَلَى بَعضٍ، وَتَرَكُوا الحِقدَ وَالغَضَبَ، وَأَلَحُّوا في الطِّلبَةِ إِلى اللهِ أَن يَقبَلَهُم، وَيَقبَلَ مَعذِرَتَهُم»[1].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالأخلاق موضوعة في الطبع، ومعملها[2] في الصدر، ومثل ذلك مثل ملك له خزانة، وقواد، ومملكة، فإن كانت الخزانة قليلة كنوزها، وكورته صغيرة، ضاق بهؤلاء القواد، وقال بعضهم لبعض: هذا ملك له اسم الخزانة والكنوز، وليس لكنوزه مادة تجري علينا، وتعيننا، حتى نتخذ عدة العدو الذي هو بمرصد منا، ومن ملكنا هذا، وليست له مملكة فسيحة ننتشر فيها، فيأخذ كل قائد منا ناحية من المملكة، فيدبر أهل الملك في أهل ناحيته، وإنما قوة الملك في الخزائن الجمة بالكنوز والجواهر، وفي

---

(١) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

وهذا إسناد ظاهر النكارة والضعف، ففيه مجهولان، وجاء في ترجمة عبد الرحيم بن يحيى في «ميزان الاعتدال» (٤/٣٤٠): عبد الرحيم عن عثمان بن عمارة بحديث في الأبدال اتهمه به أو عثمان.

وانظر ترجمة عثمان بن عمارة في «لسان الميزان» (٤/١٥٠).

(٢) في الأصل: معلمها، والصواب من «ن».

القواد، وحسن التدبير في هذين، فيدبر أمره وأمورنا بحسن ما عنده من الكياسة، فيدر علينا كنوزه وقتاً وقتاً، شهراً شهراً، ويعد جواهره للنوائب العظام، فلا نرى هاهنا عدة ولا فسحة، فتعالوا ننتقل[1] عن هذا إلى مَلك لمملكته فسحة ومنتشَر، نتسع في نواحيها، ونعمل القيادة، فنقود الجنود إلى أعمالنا؛ فإن العدو بمرصد، ولا نأمن أن ينتهز منا فرصة، وإلى ملك له مع هذه المملكة الفسيحة كنوز جمة، ولكنوزه مادة من غلات المملكة، وله كنوز وأمصار، وقرى وبر وبحر[2]؛ كملك الهند، أوملك[3] الروم، أوملك العرب، وما نصنع بهذا الضعيف العاجز؟! فيطلبون ملكاً بهذه الصفة، ولا يثبتون مع هذا.

فالملك هو القلب، وخزانته جوف القلب، فيه كنوز المعرفة، وجواهر العلم بالله، والعقل وزيره، والصدر فسحته وساحته ومملكته، والأخلاق فؤاده، والأركان رعيته ونواحيه، وهي الجوارح السبع، فهؤلاء القوَّاد هي الأخلاق في الصدر قوَّاد الملك قيام بين عيني الفؤاد، والعقل شعاعه يشرق بين عيني الفؤاد يدبِّر أمر القلب، والنفس في الجوف رابضة في مكانها تطلب الملك، وترصد الانتهاز للفرصة؛ لتخرج على الملك؛ لأن شهوة الإمرة فيها، والهوى بباب النفس يتلهب ويتلظى بين يدي بصيرة النفس، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[يوسف: ٥٣].

فهي أبداً في طلب الإمارة؛ ليتملك ويتأمَّر على الجوارح، فإذا

---

(١) في الأصل: نتقل، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: وقرى وبحر وبر.

(٣) في الأصل هنا والموضع التالي: وملك، والمثبت من «ن».

خطرت الخاطرة في الصدر بين عيني الفؤاد، نظر العقل، فإن رآها حسنة، وأمراً رشيداً، قدَّر ودبَّر، ماذا يراد؟ وكم يراد؟ ومتى يراد؟ وإلى متى يراد؟ وإن رآها سيئة وغياً، نفاها من الصدر، ففي هذا الوقت للنفس منازعة مع القلب، وللهوى مع العقل في هذه الخاطرة.

فالنفس تشتهي، والهوى يزعج النفس ويشجعها، والعدو يزين ويمنِّي ويغر، فإذا جاء مدد الأخلاق، بطلت زينة العدو وأمانيه، وانكشف غروره، وارتد الهوى قهقرى إلى معدن مهبه، وجاء مدد الكنوز كنوز المعرفة، ومد الملك يده إلى جواهر الخزانة، وانمحقت[1] الخاطرة وأسبابها ومعتملها، وجنوده، فولت[2] الخاطرة.

فإن الخاطرة[3] طليعة النفس من الهوى[4]، والعدو، إذا كانت خاطرة الغي، وإن كان رشداً، كانت طليعة الحق، فعز[5] هذا الملك ومنعته وقوام مملكته بهذه الكنوز وهؤلاء القواد.

فكما أن ذلك كذلك، فعز القلب ومنعته بكنوز المعرفة، وجواهر العلم بالله، وبهذه الأخلاق التي أحدقت بالقلب[6] بين عيني الفؤاد، فالعقل معدنه في الرأس، وشعاعه ملتهب بين عيني الفؤاد، يدبر الفؤاد بالعقل أمر

---

(١) في الأصل: انمحقت، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: ولت، وما أثبتناه من «ن».

(٣) فإن الخاطرة: ليست في «ن».

(٤) في «ن»: النفس والهوى.

(٥) في «ن»: فعسى.

(٦) بالقلب: ليست في «ن».

القلب، والنفس في الباطن[1] رابضة مكانها[2]، والهوى بباب النفس يتلهب ويتلظى بين عيني بصيرة النفس، فإذا عرض للقلب أمر، فإنما يعرض خطرات في الصدر بين عيني الفؤاد، نظر العقل، فإن رآه حسناً، قدر ودبر ماذا يراد؟ وكم يراد؟ ومتى يراد؟ وإلى متى يراد؟ وإن رآه سيئاً، نفاه، فإذا[3] دبر العقل وقدر ما رآه حسناً، أمضاه القلب على ذلك المقدار إن كانت محاسن الأخلاق في الطبع كائنة للعبيد؛ لأن النفس إنما تتماسك في الأمر، وينقاد القلب[4] بالطبع.

فإذا كان الخلق في الطبع، ظهر ذلك الخلق، وسلطانه في الصدر، حتى يقوى القلب به، فيخرج من الصدر إلى الأركان ذلك الخاطر العارض[5] الذي قدره العقل فعلاً حسناً مقدراً مدبراً في يسر بلا عسر، ولا تلجلج، ولا تردد، ولا تقديم، ولا تأخير، ولا غلو، ولا تقصير، ولا التفات إلى رشوة النفس من طريق الثواب، والعلائق؛ لأن الأخلاق تصيِّر النفس حرة سخية، وسخاوتها حريتها.

والسخاء، والخساء بمعنى واحد، إلا أن الخساء هو: الفرد من الأشياء، والسخاء هو: انفراد النفس من الأشياء، وعتقها من رقها.

والخسا، والزكا، ضدان[6]، فالخسا: الفرد، والزكا: الزوج، وهما

---

(١) في «ن»: في البطن.

(٢) في «ن»: في مكانها.

(٣) في «ن»: وإذا.

(٤) في «ن»: للقلب.

(٥) في «ن»: ذلك العارض الخاطر.

(٦) في «ن»: هما ضدان.

مقصوران غير ممدودين[1].

فجميع محاسن الأخلاق تؤول إلى الجود والكرم والسخاء، إذا سخت النفس، تكرمت، وإذا تكرمت، جادت، فأخلاق الله تعالى أخرجها لعباده من باب القدرة، وخزنها للعباد في الخزائن، وقسمها على أسمائه الحسنى، وأمثاله العلا، فإذا أراد الله بعبد خيراً، منحه منها خلقاً؛ ليُدرر عليه من ذلك الخُلق، فعلاً حسناً جميلاً بهياً، فجبله في بطن أمه على ذلك الخلق وإن لم يكن مجبولاً بذلك الخلق في بطن أمه، فقد دله على علم ذلك وحسنه وبهائه؛ ليتخلق العبد بذلك، وتخلقُه: أن تحمله نفسه على فعل ذلك الخلق، حتى تعتاد نفسه ذلك.

وروي عن وهب بن منبه: أنه قال: من داوم على خلق أربعين يوماً، صار ذلك له خلقاً.

أي: بقي معه ذلك، ولا يكون أصلياً؛ لأن المجبول عليه منيحة الله، وهديته، وإذا أُهدي له، ثبت له ذلك، وكانت نفسه معجونة بذلك الخلق، والرب تعالى لا يرتجع في هديته.

ومما يحقق قول وهب[2] في المداومة على الخلق أربعين يوماً ما جاءنا عن رسول الله ﷺ: أنه قال: **«مَن أَدرَكَ التَّكبِيرَةَ الأُولَى في صَلاَةِ الجَمَاعَةِ[3] أَربَعِينَ يَوماً، كُتِبَ لَهُ عِتقٌ مِنَ النَّارِ»**.

---

(١) في «ن»: ممدودان.

(٢) في «ن»: وهب بن منبه.

(٣) في «ن»: الجمع.

(١٣٩٤) ـ نا أبي رَحِمَهُ اللهُ، قال: نا الحماني، عن إسماعيل ابن عياش، عن عمارة بن غزية، عن أنس بن مالك، عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى أَربَعِينَ لَيلَةً في جَمَاعَةٍ لاَ تَفُوتُهُ الرَّكعَةُ الأُولى، كُتِبَ لَهُ عِتقٌ مِنَ النَّارِ»[1].

فهذا إذا صار المشي إلى الجماعة أربعين يوماً خلقاً، فكذلك سائر الأخلاق؛ لأن الأخلاق احتمال أثقال المكاره، فبالمشي[2] إلى الجماعة،

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٦٢) من طريق الحماني، به.

وأخرجه ابن ماجه (٧٩٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٦٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٨٨) من طريق إسماعيل بن عياش، به.

وأخرجه الترمذي (٢٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٦١) عن أنس، عن النبي ﷺ.

قال الترمذي: وقد روي هذا الحديث عن أنس موقوفاً، ولا أعلم أحداً رفعه، إلا ما روى سلم بن قتيبة، عن طعمة بن عمرو، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أنس. وإنما يروى هذا الحديث عن حبيب بن أبي حبيب البجلي، عن أنس بن مالك، قوله، حدثنا بذلك: هناد ووكيع، عن خالد بن طهمان، عن ابن أبي حبيب البجلي، عن أنس، نحوه، ولم يرفعه. وروى إسماعيل بن عياش هذا الحديث عن عمارة بن غزية، عن أنس بن مالك، عن عمر بن الخطاب، عن النبي ﷺ، نحو هذا، ولم يرفعه. وروى إسماعيل بن عياش هذا الحديث عن عمارة بن غزية، عن أنس بن مالك، عن عمر بن الخطاب، عن النبي ﷺ، نحو هذا. وهذا حديث غير محفوظ، وهو حديث مرسل، وعمارة بن غزية لم يدرك أنس بن مالك.

(٢) في «ن»: فالمشي.

احتمل أثقال المكروه[1]؛ لأنه لو شاء، صلاها في بيته، فلما أمر بالمشي إلى الجماعة، احتمل أثقال المكروه[2]، فقدر له رسول الله ﷺ مقدار أربعين يوماً؛ ليصير له خلقاً، وتسقط عنه الأثقال؛ لأنَّ سوء الخلق في طلب الراحة، وإن هذه الأخلاق تفضَّل الله بها على عبيده، على قدر منازلهم عنده، فمنح أنبياءه منها.

فمنهم من أعطاه منها خمساً، ومنهم من أعطاه منها[3] عشراً وعشرين، وأكثر من ذلك وأقل، فمن زاده منها، ظهر منه حسن معاملته لربه[4]، وحسن معاملته لخلقه[5] على قدر تلك الأخلاق، ومن نقَّصه منها، ظهر عليه ذلك، ولذلك ابتلي يونس ـ عليه الصلاة والسلام ـ بما ابتلي به، حتى صار ذنباً، وسجنه في بطن الحوت حتى طهره، وجعل ما حل به موعظة للموحدين، فإنما سماه في تنزيله: آبقاً؛ لأنه[6] أبق إلـى الفلك المشحون؛ لتضايق أخلاقه، وتركه احتمال أثقال الخلق في ذات الله، فعتب الله عليه، ثم اجتباه بعطفه ورحمته، وهذَّبه بكرمه.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بُعِثتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخلاَقِ[7]»[8].

---

(١) في «ن»: الجماعة احتمال مكروه.

(٢) قوله: لأنه لو شاء إلى قوله: أثقال المكروه، ليس في «ن».

(٣) منها: ليست في «ن».

(٤) في الأصل: ربه، والمثبت من «ن».

(٥) في «ن»: خلقه.

(٦) لأنه: ليست في «ن».

(٧) في «ن»: لأتمم مكارم الأخلاق.

(٨) سيأتي تخريجه في الأصل الخامس والستين والمئتين.

فأنبأنا في قوله هذا: أن الرسل قد مضت، ولم يتمموا هذه الأخلاق؛ كأنه قد بقيت عليهم[1] من هذا العدد بقية، فأُمر أن يتممها[2].

يعلمنا في قوله هذا: أن تلك الأخلاق التي كانت في الرسل هي فيه، ثم هو مبعوث لإتمام ما بقيت عليهم[3]؛ ليقدم على الله بجميع أخلاقه التي ذكرها مئة وسبعة عشر خلقاً، فلا يجوز لنا أن نتوهم عليه أنه بعث لأمر، فقدم على ربه، وهو غير متمم[4] له.

ومن أشرق في صدره نور اسم من أسماء الله تعالى، كانت له تلك الأخلاق التي لذلك الاسم، هذا للمجبولين، ومن تخلق بذلك الخلق[5]، ولم يكن جُبِلَ عليه، كان تخلقه طهارة لصدره وقلبه، ومن دنس الخلق السيئ الذي هو ضد هذا الخلق، فإذا تطهر من سيئ الأخلاق خُلقاً خُلقاً؛ لتخلقه بمحاسن الأخلاق بجهد وكد، شكر الله له ذلك، فوجد قلبه طريقاً إلى ذلك الاسم، وانكشف الحجاب عنه، حتى يشرق في صدره نور ذلك الاسم، وذلك[6] قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أحسن[7] أخلاقه جهداً، فكان الله معه في التأييد والنصرة، والعون[8]،

---

(١) في الأصل: عليه والمثبت من «ن».
(٢) في الأصل: يتمها، والمثبت من «ن».
(٣) في الأصل: عنهم، والمثبت من «ن».
(٤) في الأصل: مقيم، والصواب من «ن».
(٥) الخلق: زيادة من «ن».
(٦) في «ن»: وكذلك.
(٧) في «ن»: حسن.
(٨) والعون: ليست في «ن».

حتى تمت المجاهدة، فأعطى[1] من نفسه المجهود والطاقة، فشكر الله له ذلك، وهداه السبيل إلى[2] أن كشف عنه السوء [3] حتى أشرق في صدره نور ذلك الاسم، وهو قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾[النمل: ٦٢].

فإذا كشف السوء، صلح للخلافة في دينه، ووجبت عليك طاعته، وذلك قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء: ٥٩]، فلذلك قيل في حكمة الحكماء: المعرفة في: صفاء الأخلاق، وطهارة القلب.

فإذا تطهر القلب من الرَّيب، وصفت[4] الأخلاق من الدنس والكدورة، نال العبد المعرفة التي في القربة، والوصول إلى ربه، فإذا وصل القلب إلى ربه[5]، دان له، فعندها أصاب الدين الذي يدين الله به، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «الخُلُقُ وِعَاءُ الدِّينِ».

(١٣٩٥) ـ نا بذلك عمر بن أبي عمر، قال: نا محمد ابن عبدالله الدمشقي، عن ثابت بن عجلان، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «الخُلُقُ وِعَاءُ الدِّينِ»[6].

---

(١) في الأصل: وأعطي، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن»: السبيل إليه، وفي الأصل: السبيل أن، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) السوء: زيادة من «ن».

(٤) في «ن»: وضعفت.

(٥) قوله: فإذا وصل القلب إلى ربه، ساقط من الأصل، وزدته من «ن».

(٦) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ٤) للحكيم الترمذي عن أنس ﷺ. =

فالدين هو: خضوع القلب لله، مشتق من الدون والوضع، فإذا تواضع القلب، وانخشعت النفس، وألقت بيديها لله سلماً، فذاك دين العبد، فإذا أمره بأمر، ائتمر، وإذا نهاه[1]، انتهى، وإذا قسم له من الدنيا، قنع، وإذا حكم عليه بحال، رضي، محبوباً كان أو مكروهاً، فهذه عبودة العبد، فإنما قدر العبد على إقامة العبودة في هذه الأشياء لله بخشعة النفس، وخضعة القلب وتواضعه، فذاك دينه.

فإنما قال: **«الخُلُقُ وِعَاءُ الدِّينِ»**؛ لأن ذلك الخلق إذا كان للعبد؛ مثل: الجود والسخاء والكرم، وكانت النفس حرة من رق الهوى، والقلب[2] حر من رق النفس، فهان عليه التواضع والخضوع لله، والائتمار بأمره، والقناعة بما قسم، والرضا بما حكم، فإنما يسر عليه إقامة الدين من أجل ذلك الخُلق فإذا كان للعبد ذلك الخُلق، كان ذلك الخُلق وعاء لدينه، ومن ذلك الخُلق يخرج له الدين، وهو الخضوع والخشوع، وبذل النفس لله، واحتمال أثقال المكروه، ولما كان هذا الإسلام أشرف الأديان، أعطاه أقوى الأخلاق وأشرفها، وهو الحياء.

(١٣٩٦) ـ نا علي بن خشرم، قال: نا عيسى بن

= وقال المناوي في «فيض القدير» (٣/ ٥٠٧) بعد عزو السيوطي الحديث للحكيم: لكنه لم يذكر له سنداً، بل علقه، فإطلاق المصنف العزو إليه غير صواب.

قلت: كذا قال، والصواب خلافه، وهذا إسناد واهٍ.

(١) في الأصل: وإذا نهي، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: فالقلب، والصواب من «ن».

يونس، عن معاوية بن يحيى، عن الزهري، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقاً، وَخُلُقُ الإِسلَامِ: الحَيَاءُ»**[1].

والحياء أصله من الحياة، فإذا حيي القلب بالله، استحيا، فكلما ازداد حياة بالله، ازداد منه حياء، ألا ترى أن المستحي يعرق في وقت الحياء، فعرقه من حرارة الحياة التي هاجت من الروح، فمن هيجانه تفور الروح بتلك الحرارة، فيعرق الجسد منه، ويعرق منه[2] ما علا؛ لأن سلطان الحياة في الوجه والصدر.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٨١)، وابن الجعد في «المسند» (ص: ٤٢١)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٨٤٩)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٥٧٣)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١/٣١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ١٢٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٢٣٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٨٤) من طريق عيسى بن يونس، به. وجعله بعضهم عن معاوية ابن يحيى، ومالك بن أنس عن الزهري.
وقال البوصيري في «الزوائد» (٤/ ٢٣٠): معاوية بن يحيى الصدفي أبو روح الدمشقي: ضعفوه.
وأخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص: ٤١) من طريق معاوية بن يحيى عن محمد بن عبد العزيز، عن الزهري، به.
وفي «العلل المتناهية» (٢/ ٧٠٩) قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، قال يحيى بن معين: معاوية بن يحيى ليس بشيء، وقال السعدي: ذاهب الحديث، وقال الدارقطني: وقد روي عن مالك عن الزهري، ولا يصح عن مالك، والحديث غير ثابت.

(٢) منه: زيادة من «ن».

(١٣٩٧) ـ نا أبي رَحِمَهُ اللهُ، عن[1] صالح بن عبدالله، عن محمد بن الحسن القرشي، عن خصيب بن جحدر، عن راشد بن سعد، عن عروة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: إن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ نزل على النبي ﷺ، وبين يديه شيء من حبوب يأكلهُ متكئاً، فجلس يتصبب عرقاً، فقمت إليهِ، فجعلت أمسح العرق عن وجهه، وأقول: بِأَبِي وأمي يا رسول الله! ما لك؟ قال: «**إِنَّ جِبرِيلَ أَتَانِي وَأَنَا آكُلُ مُتَّكِئاً، فَقَالَ: يَسُرُّكَ أَن تَكُونَ مَلِكاً؟ فَهَالَنِي قَولُهُ**»، قالت عائشة: فما رأيت النبي ﷺ أكل شيئاً متكئاً بعد ذلك حتى فارق الدنيا[2].

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فإنما تصبب عرقاً؛ لفوران حرارة حياته بالله، فكلما كانت حياة القلب بالله أعظم، كان تسليمه نفسه لله أكثر وأوفر، ونفسه أسلس للانقياد؛ لأن الإسلام هو: تسليم النفس لله[3]، والدين: خضوعها وانقيادها، ولذلك

---

(١) في «ن»: ثنا.

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٥/ ١٠٨) للحكيم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

وهذا إسناد تالف، فيه الخصيب بن جحدر، كذبه شعبة، والقطان، وابن معين، والبخاري، وغيرهم. انظر: «لسان الميزان» (٢/ ٣٩٨).

(٣) لله: ليست في «ن».

صار هذا الحياء خلقاً للإسلام، ووعاء للدين، يستحي فيتواضع، ويستحي فيخضع، ويستحي فيذل نفسه لله، ولا يبخل بها عليه، من الحياء انكسار النفس، وذهاب رجوليتها.

ألا ترى أن المرأة لما فضلت على الرجل بتسعة وتسعين جزءاً من الحياء، كيف كسرت شهوتها التي فضلت بها على الرجال؟.

وروي لنا[1] عن رسول الله ﷺ: «أَنَّ المَرأَةَ فُضِّلَت عَلَى الرَّجُلِ بِتِسعَةٍ وَتِسعِينَ جُزءاً مِنَ الشَّهوَةِ، وَفُضِّلَت مِنَ الحَيَاءِ بِتِسعَةٍ وَتِسعِينَ جُزءاً؛ لِتَكسِرَ تِلكَ الشَّهَوَاتِ، بِمَا فُضِّلَت بِهِ مِن أَجزَاءِ الحَيَاءِ»[2].

فقد بان لك أن الحياء يكسر [3]، ويذهب بالقوة، والجلادة، والصلابة من النفس، وإذاً، كان ذلك يقوي القلب؛ لأن الحياء من الحياة بالله من نفس المعرفة.

---

(١) لنا: ليست في «ن».

(٢) أخرج الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ١٧٨) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما بلفظ: «أعطيت قوة أربعين في البطش والنكاح، وما من مؤمن إلا أعطي قوة عشرة، وجعلت الشهوة على عشرة أجزاء، وجعلت تسعة أجزاء منها في النساء، وواحدة في الرجال، ولولا ما ألقي عليهن من الحياء مع شهواتهن؛ لكان لكل رجل تسع نسوة مغتلمات».
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٩٣): أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»، وفيه المغيرة بن قيس، وهو ضعيف.
وأخرجه ابن أبي الدنيا في «العيال» (ص: ٢٩٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مختصراً.

(٣) في الأصل: يكسر القلب، والمثبت من «ن».

فأما ما ذكرنا من شأن المجبول على خلق، ومن شأن الممنوح المتخلق به.

(١٣٩٨) ـ فحدثنا(١) عمر بن أبي عمر العبدي، قال: نا أصبغ بن الفرج الأموي، عن ابن وهب، عن عبد الرحمن ابن شريح الإسكندراني، عن العلاء بن كثير: أن رسول الله ﷺ قال: **«إِنَّ مَحَاسِنَ الأَخلاَقِ مَخزُونَةٌ عِندَ اللهِ، فَإِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبداً، مَنَحَهُ مِنهَا**(٢) **خُلُقاً حَسَناً، أَو خُلُقاً صَالِحاً»**(٣).

(١٣٩٩) ـ نا محمد بن صدران بن سليم بن ميسرة الأزدي، قال: نا طالب بن حجير(٤) البصري، قال: نا هود

---

(١) في الأصل: نا، والصواب من «ن».

(٢) منها: ليست في «ن».

(٣) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ٥) للحكيم عن العلاء بن كثير، مرسلاً.

وله شاهد أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص: ٢٦)، فقال: حدثني علي بن شعيب، نا ابن أبي فديك، عن بعض أشياخه، رفعه، فذكر الحديث.

وأخرجه أيضاً (ص: ٢٦) عن طاوس.

وله شاهد آخر من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨/ ٢٧٥).

(٤) في «ن»: حجر.

العبدي العصري، عن جده، قال: بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحابه، إذ قال لهم: «**إِنَّهُ سَيَطلُعُ عَلَيكُم مِن هَذَا الوَجهِ رَكبٌ هُم مِن خَيرِ أَهلِ المَشرِقِ**»، فقام عمر بن الخطاب، فتوجه في ذلك الوجه، فلقي ثلاثة عشر راكباً، فرحب وقرب، وقال: من القوم؟ قالوا: نفر من عبد القيس، قال: فما أقدمكم هذه البلاد، لتجارة؟ قالوا: لا، قال: فتبيعون سيوفكم هذه؟ قالوا: لا، قال: فلعلكم إنما قدمتم في طلب هذا الرجل؟ قالوا: أجل، فمشى معهم يحدثهم، حتى إذا نظر إلى النبي ﷺ، قال: هذا صاحبكم الذي تطلبونه، فرمى القوم بأنفسهم عن رحالهم، فمنهم من سعى، ومنهم من هرول، ومنهم من مشى حتى أتوا النبي ﷺ، فأخذوا بيده فقبلوها، وقعدوا إليه، وبقي الأَشَجُّ، وهو أصغر القوم، فأناخ الإبل وعقلها، وجمع متاع القوم، ثم أقبل يمشي على تؤدة حتى أتى النبي ﷺ، فأخذ بيده[1] فقبلها، فقال له[2] النبي ﷺ: «**فِيكَ خَصلَتَانِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ**»، قال: وما هما يا نبي الله؟ قال: «**الأَنَاةُ وَالتُّؤَدَةُ**»،

---

(١) في «ن»: يده.

(٢) له: ليست في «ن».

قال: يا نبيَّ الله! أجبلاً جبلت عليه، أم تخلُّقاً مني؟ قال ﷺ: **«بَل جَبلاً جُبِلتَ عَلَيهِ»**، فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله، وأقبل القوم قِبَلَ تميرات يأكلونها، فجعل النبي ﷺ يخبرهم بها، يسمي لهم: «هذا كذا، وهذا كذا»، قالوا[1]: أجل يا نبي الله، ما نحن بأعلم بأسمائها منك، قال: أجل، فقالوا لرجل منهم: أطعمنا من بقية القوس الذي بقي من نوطك[2]، ـ والقوس قطعة تمر ـ، فأتاهم بالبرني، فقال رسول الله ﷺ: **«هَذَا البَرنِيُّ، أَما[3] إِنَّهُ مِن خَيرِ تَمرِكُم لَكُم، أَمَا إِنَّهُ دَوَاءٌ لاَ دَاءَ فِيهِ»**[4].

(١٤٠٠) ـ نا الجارود، قال: نا سليمان[5] بن عمرو

---

(١) في «ن»: قال.

(٢) قوله: بقية القوس الذي بقي من نوطك، ساقط من الأصل، وزدته من «ن».

(٣) في الأصل: ألا، والمثبت من «ن».

(٤) أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٦٨٥٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ٣١٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٣٤٥)، وابن المقرئ في «تقبيل اليد» (ص: ٦٦) من طريق محمد بن صدران، به.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٨٨): رواه الطبراني، وأبو يعلى، ورجالهما ثقات، وفي بعضهم خلاف.

(٥) في «ن»: سليم.

النخعي، قال[1] قال رسول الله ﷺ: «قِلَّةُ الحَيَاءِ كُفرٌ»[2].

قال أبو عبدالله:

والكفر: الغطاء على القلب، فإذا حل الغطاء بالقلب، ذهب الحياء، ومات القلب، وإذا انكشف الغطاء[3]، فإنما ينكشف بحيائه بالله، فإذا أُحيي، استحيا.

ولذلك قال سفيان بن عيينة: «الحياء أخو التقوى، ولا يخاف العبد أبداً حتى يستحي، وهل دخل أهل التقوى في التقوى، وفي أمر الله تعالى إلا من الحياء؟!».

(١٤٠١) ـ نا بذلك الجارود بن معاذ[4]، عن مغلس ابن شداد، عن سفيان بن عيينة[5].

---

(١) في الأصل: قال أبو عبدالله قال، والصواب من «ن».

(٢) لم أجده بإسناده.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢١٣)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص: ٣٧)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٦٢٦) من طريق الأحوص عن أبي عون، عن سعيد بن المسيب، به.

قال الحافظ ابن حجر: سعيد بن المسيب: هو أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه.

(٣) قوله: بالقلب، ذهب الحياء، ومات القلب، وإذا انكشف الغطاء: ليس في الأصل، وهو زيادة من «ن».

(٤) في الأصل: الجارود، قال: نا معاذ، والصواب من «ن».

(٥) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

وروي عن أنس بن مالك، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِن العَذرَاء فِي خِدرِهَا»[1].

وقال أبو بكر: استحيوا من الله؛ فإني لأدخلُ الكنيف، فأقنع رأسي حياءً من الله[2].

رجعنا إلى مبتدأ ما وصفنا من شأن المثل المضروب.

قلنا: فإذا أراد العبد أن يتخلق بخلق من هذه الأخلاق، احتاج إلى أن يمكن له في الصدر الذي هو ساحة القلب، فمن كان أوسع صدراً، كان بمنزلة من كان أوسع مملكة من الملوك، حتى يجد قواد الملك منفسحاً، فيأخذ كل قائد ناحية، فيتملك بها على حشمه، فإذا اتسع صدره، وجد كل خلق من هذه الأخلاق ناحية من صدره، وتمكن منه، وسهل على القلب إنفاذ أمور الله، وإذا ضاق صدره، لم يستقر[3] فيه خلق، بمنزلة أولئك

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٣١٢٤) عن أنس بن مالك ﷺ.
وأخرجه البخاري (٥٧٥١)، وفي «الأدب المفرد» (٥٩٩)، ومسلم (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١٨٠)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٧١)، وابن الجعد في «المسند» (ص: ١٥٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢١٣)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٣٠٨)، وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) أخرجه هناد في «الزهد» (٢/ ٦٢٧).
وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ١٠٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١/ ١٠٠)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص: ٤٠)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٨٢٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ١٤٢)، بنحوه.

(٣) في «ن»: لم يستقم.

القواد، لما لم يجدوا فسحة، انتقلوا[1] إلى ملك آخر أوسع مملكة منه، وأوفر كنوزاً، وكذلك سأل موسى أول ما سأل حيث بعثه إلى فرعون فقال: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾[طه: ٢٥ ـ ٢٦].

فيشرح الصدر على قدر احتمال أثقال المكروه، حيث احتاج إلى أن يستقبل فرعون بالمكاره، وقد هرب منه خوفاً من القتل.

فمبتدأ هذا الأمر أن يعمل في توسيع الصدر حتى تصير[2] له هذه الأخلاق، وتوسيعه: أن يترك الشهوات والنهمات، وتحمل المكاره على النفس، حتى تصير مدبوغة، فعندها تظهر الأخلاق، وتشرق أنوار الأسماء في صدره، ويغزر علمه بالله، فيعيش غنياً بالله ما عاش، وبالله التوفيق.

❐ ❐ ❐

---

(١) في الأصل اتلفوا، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: حتى تميز، والمثبت من «ن».





الأصل الثاني والستون والمئتان

(١٤٠٢) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا حرملة بن يحيى، قال: أنا ابن وهب، عن إسماعيل بن رافع، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَربَعٌ مَن كُنَّ فِيهِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ، وَحُفِظَ مِنَ الشَّيطَانِ: مَن مَلَكَ نَفسَهُ حِينَ يَرغَبُ، وَحِينَ يَرهَبُ، وَحِينَ يَغضَبُ، وَحِينَ يَشتَهِي، وَأَربَعٌ مَن كُنَّ فِيهِ نَشَرَ اللهُ عَلَيهِ رَحمَتَهُ، وَأَدخَلَهُ في مَحَبَّتِهِ[١]: مَن آوَى مِسكِيناً، وَرَحِمَ الضَّعِيفَ، وَرَفِقَ بِالمَملُوكِ، وَأَنفَقَ عَلَى الوَالِدَينِ»**[٢].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

---

(١) في «ن»: وأدخله الجنة

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٥/ ٣٦٢) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن أبي هريرة رضي الله عنه وهذا إسناد ضعيف، شيخ المصنف ضعيف واه؛ كما تقدم مراراً، وإسماعيل بن رافع كذلك ضعيف كما في «تهذيب التهذيب» (١/ ٢٥٨).

فالنفس في هذا الجسد، ومعدنها في البطن، ثم هي منفشيةٌ في جميع البدن[1]، والروح معدنه في الرأس، وهو متنفسٌ في جميع الجسد، والجسد قالب الروح والنفسِ كليهما.

والحياة موضوعة في كليهما، وحياة الروح أقوى، وأكثر وأخلص، وأصفى من حياة النفس، والدليل على ذلك: أن الروح تأمر بالطاعة، فذاك[2] لأن حياته أكثر وأقوى؛ لأن أصله من روح الحيوان الذي ماء الحيوان منه الذي إذا شرب منه أهل الجنة بباب الجنة لم يموتوا، وقال في تنزيله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾[العنكبوت: ٦٤]، فهاهنا حياة، وفي الدار الآخرة حيوان.

فهذه الحياة التي في الروح قليلة، والماء الذي في الجنة والنهر الذي بباب الجنة للاغتسال[3] يوم يدخلونها، كله من ماء الحيوان، والماء الذي تحت العرش بحر راكد على مقدار أرزاق العباد، هو من ماء الحيوان، والماء الذي تحت العرش[4]، وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[الأنبياء: ٣٠].

فإذا أنزل الله إلى الأرض منه، أحيا به[5]، وذلك قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾[قٓ: ٩]، ثم قال تعالى:

---

(١) في «ن»: جميع الجسد.

(٢) في «ن»: فذلك.

(٣) في «ن»: بباب الجنة لاغتسال أهل الجنة.

(٤) والماء الذي تحت العرش: ليس في «ن».

(٥) في «ن»: أحيا به الأرض.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً﴾[فصلت: ٣٩]؛ أي: ميتة لا تتحرك، ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾[الحج: ٥]، فاهتزازها، وربوها، وحركتها من الحياة التي دخلت فيها، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا﴾[فصلت: ٣٩]؛ يعني: الأرض ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾[فصلت: ٣٩]، وقال: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾[ق: ١١]، فإنما إحياء الأرض بماء الحيوان.

وينزل الله تعالى على أهل القبور قبل نفخة الصور من ماء الحيوان، حتى تنبت أجسادهم[١]، وتبعث الأرواح وهم في قبورهم أحياء يتحركون.

قال له قائل: وكيف يتحركون بلا أرواح؟ قال: بالحياة التي نالتهم من ذلك الماء، ويتحركون كما تتحرك الأرض بماء الحياة ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾.

فاهتزازها بالحياة، وبالحياة التي نالت أغصان الأشجار حتى [أ]ورقت، وكل شيء يتحرك، فإنما يتحرك بالحياة.

فالروح أوفر الأشياء حظاً من هذه الحياة، إنه خرج من روح الحياة الأصلي، ثم من بعد ذلك أوفر الأشياء حظاً بعد الروح[٢] هذه النفس، فالنفوس لجميع الدواب والبهائم، والطيور، وفضل الآدمي بالروح للخدمة؛ لأنه خادم ربه، وسائر الخلق سخرة للآدمي، فالروح بما فيها من الحياة تدعو القلب إلى الطاعة، والنفس بما فيها من الحياة تدعو إلى الشهوات والأفراح، والقلب أمير على الجوارح، وعن أمره يصدرون إلى الأعمال، فالأمير يأمر بقوة المعرفة، والعلم بالله؛ فإن للمعرفة والعلم

---

(١) في «ن» زيادة: وتحيا ثم.

(٢) قوله: إنه خرج، إلى قوله: بعد الروح، ليس في الأصل، وزدتها من «ن» لتمام المعنى.

سلطاناً عظيماً[1].

فقوله ﷺ: «**مَن مَلَكَ نفَسَهُ**».

فالملك للقلب على النفس، فمن كان قلبه مالكاً لنفسه في هذه الأحايين الأربعة: حين الرغبة، وحين الرهبة، وحين الشهوة، وحين الغضب، فقد حرم الله جسده على النار، واختسأ شيطانه؛ لأن الدنيا كلها في هذه الأربعة، فإذا ملك القلب النفس بقوة المعرفة، والعلم بالله، فإن للمعرفة والعلم سلطاناً عظيماً، وجنوداً كثيفة، وكنوزاً[2] جمة للجنود، فقد دقت دنياه في عينه، وصغرت وتلاشت حتى صارت كالهباء.

ومن ملك نفسه قلبه بقوة الهوى، وسلطان هذه الأربع وحدتها، وغليانها، صارت دنياه في عينه كل شعبة منها كالجبال، وكالبحور، وعظم في عينه شأنها، وشأن أحوال نفسه فيها، وصارت الآخرة في قلبه كالحلم، فإن المحتلم يتعشق في منامه على جارية حسناء، ويميل إليها، ويلقي نفسه عليها من شدة الشبق؛ لأن شيطانه يريه ذلك، ويخدع نفسه البلهاء فيما مثل له[3] في منامه، فإذا انتبه، وجد نفسه خالياً مما رأى، وإذا هو لم يزد على أن بال في فراشه، وضحك به الشيطان[4].

فهذه[5] صفة من يتعشق على الخيال من شهوة نفسه بسماع الأذن،

---

(١) فإن للمعرفة والعلم سلطاناً عظيماً: ليس في «ن».

(٢) في «ن»: سلطانٌ عظيمٌ وجنودٌ كثيفة وكنوزٌ.

(٣) ذلك، ويخدع نفسه البلهاء، فيما مثل له: ليس في «ن».

(٤) هذه العبارة جاءت في «ن»: في فراشه، فهذا لم يزد على أن ضحك شيطانه.

(٥) في «ن»: فهو.

لا بحياة القلب، وإذا هو ميت على الدنيا؛ من حبها وتعظيمها تعظيماً لا ينام ولا ينيم؛ حرصاً وأشراً وبطراً، حتى يأخذها من الشبهات[١]، بتضييع الأمانات، وتعطيل[٢] الفرائض، ونسيان الموت والمعاد، والقبر والقيامة والحساب بين يدي الله تعالى، وقطع النار على الجسر، ويمنع الحقوق، ويُعرِضُ عن مواعظ الله تعالى، وإذا تلا القرآن، فكأنما ينشد شعراً، أو يحكي كلام الناس، لا يتحرك قلبه لوعدٍ ولا لوعيد، ولا لنبأ من أنباء القرون[٣]، ولا تدمع عينه، ولا يدري ما تلا، إنما همه بأن يطيب نفسه بأني قرأت، وتلوت، فهو مثل هذا القلب الخرب الممتلئ من الغش، والغل، والحقد، وطلب العلو، والتعزز، والتجبر، والغرور، وإهمال الجوارح، والتكبر والاستبداد، وتضيع التزكية على الجوارح السبع.

وهي الميثاق، يتعشق على الحور، ويتلمظ على فواكه الجنة، ويتشمم رياحين الجنان من بعد سماع الآذان[٤]، أبله من الأبالهة، غُتمياً من أغتام الدين، زبوناً من زبون الشياطين، أحمق من حمقى أهل الغي[٥]، ليس فيه من الحياة في قلبه أن إذا سمع بذكر الجنة، قال: الجنة دار الله، فغمض[٦] عينه حياء من الله، وقال: مثلي يصلح لدار الله، وأنا لا أصلح لدار أمير المؤمنين الذي هو عبده في دار الدنيا؟! ثم دمعت عيناه، واحترق

---

(١) في «ن»: من الشهوات.

(٢) في «ن»: وتفريط.

(٣) في «ن»: القرآن.

(٤) في «ن»: الأذن.

(٥) في «ن»: الغرة.

(٦) في «ن»: يغمض.

جوفه مخافة الفوت، والبعد من الله لفوتها، وأخذته الحسرة والندامات حتى أداه ذلك إلى التضرع، والحزن الدائم، والتوقي، والتورع، وملك النفس.

فهذه النفس بغفلتها هي[1] كالمحتلم الذي وصفنا أنه إذا انتبه، استحيا من نفسه لما سخر به شيطانه، ووجد في نفسه حسرة؛ حيث رأى نفسه خالياً عما رأى في منامه، فهو بين حسرة وحياء، فكذلك هذا المتعشق بغفلته، إذا قدم على الله، استحيا منه، حتى يتصبب عرقاً، وتحسرت نفسه إذا رأى ما فاته من موعود الله للمطيعين الأتقياء.

فمن آتاه الله المعرفة والعلم به، امتلأ قلبه وصدره منهما، فقهر الهوى، وهزمه، ونفَّر شيطانه، فإذا لاحظ الجنان، بكى حياءً من الله إن رأى جسده قد توسخ، وتدنس، الوسخ من الآثام، والدنس من العيوب، ورأى الجنة مقدسة بقدس الله، مطهرة بطهر الله، مسفرة تضحك إلى أولياء الله، فرجع العبد[2] إلى نفسه، فرآها مع الأوساخ والأدناس، فاستحيا من الله، وبكى على أيامه التي عطلها عن اكتساب رضوان الله، واكتسب بها معاصي الله، فهذا له الرجاء كل الرجاء إذا قدم على الله[3].

فالنفس في هذه الأربعة صورتها عجيبة إذا اشتهت، فصورتها كالريشة تهب بها الرياح[4]، فصاحب الشهوة إذا هاجت به الشهوة، وجد هبوب ريحها بحرارتها بجميع[5] جسده على قدر تلك الشهوة؛ لأن شهوة الأشياء

---

(١) في «ن»: هي بغفلتها.

(٢) العبد: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: العبد، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: بها الريح.

(٥) في «ن»: في جميع.

متفاوتة، وفرح النفس بكل شهوة على قدرها من النظر، والسمع واللمس، والشم، والمطعم، والمشرب، والمركب، والملبس، وكل شيء، فهذه اللذات متفاوتة، والأفراح بها متفاوتة، وبعضها[1] أقوى من بعض، فإذا هاجت شهوة شيء[2] من هذه الأشياء، فالشهوة في أوله، واللذة في آخره، وإنما قيل: شهوة؛ لهشاشة النفس، والميلان إلى ذلك الشيء، والمسارعة لحب الوصول إليه، والمبادرة إليه مخافة الفوت، فتلك هشاشة، يقال: هش واهتش، وشهى واشتهى، فالشهوة مأخوذة من هناك، واللذة إذا نال الشيء فانتهى إلى آخره، فذلَّ ذلك الهيج، وسكن سلطان الهشاشة، يقال: لذَّ وذلَّ، فالذل انكسار النفس في الأمور، ولذ؛ أي: انكسرت شهوته عن الاهتياج والاغتلام[3] والغلي.

وإنما هي باضطرام نار في أولها حتى تنتهي منتهاها، من الحريق[4]، من يسكن فيبقي جمرة متلظية، حتى إذا قضاها، صارت كجمرة علاها الرماد، فذهبت الحرارة.

فأول الشهوة كضرمة النار، ولهبها، ودخانها، وآخرها، وهي اللذة كالجمرة التي تتلظى، وقد سكن ضرامها، ولهبها، وإذا انقضت، فهي جمرة خامدة، فقد ذهب تلظيها وحرارتها.

فصورة النفس في الشهوة، كريشة هبت بها ريح نكباء، فهي[5] تدير

---

(١) في الأصل: بها متغاورة بعضها، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: هاجت بشيء، والمثبت من «ن».

(٣) في الأصل: بالاغتلام، والمثبت من «ن».

(٤) في الأصل: حتى ينتهي في آخرها منتهاه، ثم الحريق، والمثبت من «ن».

(٥) في الأصل: فهي صورة النفس تدير، والمثبت من «ن».

النفس دوران الرحا، وصورة النفس في الرغبة، كعطشان يكاد ينقطع عنقه من العطش، فإذا رأى الماء، عبَّه عبّاً[1]، يكاد يلتهم القدح التهاماً[2]، أو كجائع غرثان[3]، وجد طعاماً، فالتقمه، ويلعه بلعاً من غير مضغ.

وصورة النفس في الرهبة، كالعلق من الديدان، بينما هي منبسطة مقدار إصبع طويلة، إذا هي منقبضة مقدار فتر، وكالقنفذ من الهوام، بينما هي منبسطة ترى صورتها، وخلقتها، إذا هي منقبضة كالكرة قد اقشعرت، وشكست لضيق خلقها، وكالكلب اللهثان والمخلوع الفؤاد من الجبن، وكاللبدة البالية الملقاة ذلة وجبناً.

وصورة النفس في الغضب مرة كالأسد الذكر يفترس، ويكسر ويمزق، ويقعد عليه، ومرة كالنمر يثب وثبة من لا يهاب، ولا يبالي، فيمزق، ويكسر، ويبدد.

فإذا كان القلب أميراً، وللأمير كنوز، وجنود، فقد ملك النفس، وإذا ملك النفس، ذهب سلطانها وأفعالها، فحفظ القلبُ بعقله ومعرفته، وبعلمه بالله، حدود[4] الله في هذه الأحايين الأربعة، فإذا اهتاجت الشهوة من النفس، والنفس مملوكة في يد القلب، أعطاها القلب من هذه الشهوة بمقدار ما أذن الله له[5] فيه، وأحل لها، ومنعها ما حرم عليها، وأعطاها من

---

(١) في «ن»: غبه غباً.

(٢) يكاد يلتهم القدح التهاماً: ليس في «ن».

(٣) في «ن»: أو كجيعان.

(٤) في الأصل: بحدود، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: لها.

هذه[1] الرغبة ما أحل الله له، وصيره له غذاء، وقوة في دينه ودنياه، ومن الرهبة بمقدار ما حذره الله أن يرهب، وأعطاها من الغضب بمقدار ما أطلق الله له ذلك، فلا يحمله غضبه على أن يجاوز الحدود في الأمور، ولا يتعدى إلى الظلم، فيكون مع غضبه على من غضب[2] متمسكاً بالعدل، فلا يتعداه إلى جور[3]، فصاحب هذه الصفة هو الذي قال [فيه] رسول الله ﷺ: **«أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فِيهِ، حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»**.

أي: كان فيه ملك النفس في هذه الأحايين الأربعة في حين الشهوة، فاستوثق منها حتى لا يتطاير شررها، وتشتعل نيرانها في العروق، حتى يجاوز الحدود؛ لأن قوة النفس في العروق، واستوثق من الرغبة في حينها[4]، حتى لا تفيض من مجراها، وتطفح من الجانبين، فينبثق من المجاري[5]، وقوى الرهبة في حينها، وأيدها وشجعها؛ فإن الرهبة هرب النفس في الخوف الذي نالها، فأيدها وشجعها بقوة العلم بالله[6]، وأيدها بالمعرفة بالله، وإذا خلا القلب من هذه المعرفة، والعلم بالله، ووفارة العقل، صار أسيراً للنفس بعد أن كان أميراً عليها، وذهب سلطانه، وصار مملوكاً للنفس، فبرزت الشهوة في وقتها، فأحرقت، والرغبة[7] في وقتها، فأفسدت،

---

(١) هذه: ليست في «ن».

(٢) في الأصل: من يبغضه، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: الجور، والمثبت من «ن».

(٤) في «ن» في هذا الموضع والتالي: جنبها.

(٥) في «ن»: من المجرى.

(٦) في الأصل: العلم به، والصواب من «ن».

(٧) في الأصل: الرغبة، والصواب من «ن».

والرهبة في وقتها، فانهزمت، والغضب في وقته، فيتسلط، فجاء الخراب والفساد والضياع، فهذا ملك النفس للقلب، وذاك ملك القلب للنفس.

(١٤٠٣) ـ نا سفيان بن وكيع، نا جرير، عن مغيرة، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلاَ إِنَّ في الجَسَدِ مُضغَةً إِذَا صَلُحَت، صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ[١]، وَإِذَا فَسَدَت، فَسَدَ الجَسَدُ [كُلُّهُ]، أَلاَ وَهِيَ القَلبُ»[٢].

فالقلب ملك، بصلاحه يصلح الجسد؛ لأن التدبير إليه، والنفس تحب الملك وتشتهيه، وتسامي وتباري القلب، فهي تطلب الفرصة، فإذا نالت، تملكت على القلب فأفسدته، وبفساده يفسد الجسد؛ بمنزلة أمير وقع في الحبس، وخارجي قد تملك على البلد، فضاعت الحدود والأحكام، وخربت الكورة، وظهر الظلم، والعدوان والحريق، والغارات، فالحريق: المعاصي، والغارات: غارات كنوز القلب، وصار الصدر[٣] كله معدن الجهل، والشره والبطر، والشهوة والرغبة، والكبر والعلو، والحرص، والحسد والحقد، وأخلاق الكفر، وقد أمر[٤] الله بمجاهدة النفس، فقال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[الحج: ٧٨].

وقال رسول الله ﷺ: «الجِهَادُ جِهَادَانِ، وَأَفضَلُهُمَا جِهَادُ النَّفسِ»[٥].

---

(١) كله: ليست في «ن».

(٢) تقدم تخريجه في الأصل الثاني والعشرين والمئتين.

(٣) في «ن»: وصار العبد.

(٤) في الأصل: أمره، والصواب من «ن».

(٥) تقدم تخريجه في الأصل الخامس والثلاثين والمئة.

فإذا التقى القلب والنفس للمحاربة، هذا بجنود الله؛ من العلم، والعقل، والمعرفة، والفهم، والفطنة، والحفظ، والكياسة، وحسن التدبير، والحراسة، فتشعبت هذه الأنوار، فأشرقت، واشتعل الصدر بهذه الأنوار، فأبرقت، واضطرم شعاعها[١]، والنفس بجنود العدو؛ من الهوى، والشهوة، والغضب، والرغبة، والكبر، والحرص، والمكر، والخدائع، والخنادق، والمدد من الزينة[٢]، والأفراح، فاضطربا وتحاربا، فذاك وقت يباهي الله بعبده عند ملائكته، والنصرة موضوعة في تلك المشيئة في حجاب القدرة، فيعطى العبد نصرة بمشيئته، فتصل إلى العبد في أسرع من اللمحة واللحظة[٣].

فلما رأى الهوى النصرة، ذلَّ وانهزم، فانهزم العدو بجنوده، وأقبل القلب بجمعه وجنوده على النفس حتى أسرها، وحبسها في سجنه، وقعد أميراً، وجمع جنوده وقواده التي ذكرنا في الباب الأول، وهي الأخلاق، وفتح باب بيوت الأموال، والخزائن، ورزق[٤] الجنود من الأموال، وزادهم من الخزائن في الآلة والعدة.

فهذا ملك القلب للنفس حين يغضب، وحين يرهب[٥]، وحين يشتهي، قد خسأ شيطانه، وحرمت جوارحه على النار، كما قال رسول الله ﷺ.

وإذا التقى القلب والنفس للمحاربة، والتقى الجمعان، كانت صفته

---

(١) في الأصل: وترقت واضطرمت شعاعاتها، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: الرية، والصواب ما أثبتناه.

(٣) في «ن»: أسرع من اللحظة.

(٤) في الأصل: وزوّد، والمثبت من «ن».

(٥) في «ن»: وحين يرهب وحين يرغب.

كجبريل مع محمد ﷺ يوم بدر، وإبليس مع الكفار يشجعهم، ويقوي أمورهم، ويعدهم ويمنيهم، فلما رأى جبريل، نكص على عقبيه هارباً، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾[الأنفال: ٤٨].

إنما خاف الأسر أن يأسره جبريل فيفضحه، ويريه الناس، فهرب وترك الجمع، فكذلك الهوى، لما رأى المعرفة بسلطانها قد أقبلت، والعقل على مقدمتها، والعلم بالله محيطاً بالعسكر والجنود، نكص الهوى على عقبه، وتبرأ من الجنود.

فهذا ملك النفس للقلب، وملك القلب للنفس، ثم من بعد هذا الملك ملك آخر لأولياء الله، فذاك قلب يملكه الله، فإذا تعدى الحدود في الظاهر، لم يفسد، ولم يخرب، ولم يجترئ أحد على أن يستقبله بتغيير؛ لأن ذلك حد الله في الباطن، وقد خفي على الخلق، والحد عندهم في الظاهر غير ذلك.

فهذا قلب غلب عليه سلطان القبضة، فملكته، واستعمله الله في قبضته، كما استعمل الخضر في خرق السفينة، وفي قتل الغلام، وكان ذلك في الباطن حد الله، وفي الظاهر مخفي على الخلق، ولذلك أنكره موسى.

فهذه قلوب قد ملكها سلطان القبضة، وتلك قلوب قد[1] ملكها سلطان الحق، والقلوب التي ذكرنا بدءاً ملكها سلطان النفس.

ومما يحقق ما قلنا:

(١٤٠٤) ـ ما حدثنا بـه أبـو بكر بن سـابق الأمـوي،

---

(١) قد: ليست في «ن».

قال: نا عمر بن عبيد، رفعه إلى علي ـ كرم الله وجهه ـ: أنه مر برجل وهو مقاوم امرأة، فأصغى إليه سمعه[1]، فأنكر ما سمع منه، فشجه، فجاء الرجل إلى عمر رضي الله عنه والدم يسيل، فقال: ويحك! من فعل بك؟ فقال[2]: علي، فقال عمر: ما هذا يا أبا الحسن؟ فقص عليه، فقال عمر: أصابتك عين من عيون الله، إن لله في الأرض عيوناً، وإن علياً من عيون الله[3].

(١٤٠٥) ـ نا عبد الجبار بن العلاء، قال: نا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، سمعه من قيس، قال: عرض أبو بكر رضي الله عنه فرساً له، فقال غلام من الأنصار: احملني

---

(١) في «ن»: بسمعه.

(٢) في «ن»: قال.

(٣) إسناد المصنف ظاهر الضعف.

وأخرج عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤١٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٤٢) من طريق معمر عمن سمع الحسن، بلفظ: «مر رجل على رجل معه نسوة قد ألقين له وسادة، فهن يحدثنه، وهو يخضع لهن بالقول، فضربه بعصا كانت معه حتى شجه، فذهب به إلى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين! مر علي هذا، وأنا مع نسوة لي أحدثهن، فضربني بعصا حتى شجني، فقال عمر: لم ضربته؟ فقال: يا أمير المؤمنين! مررت عليه، فإذا هو مع نسوة لا أعرفهن يحدثنه، وهو يخضع لهن، فلم أملك نفسي، فقال عمر: أما أنت أيها الضارب، فيرحمك الله، وأما أنت أيها المضروب، فأصابتك عين من عيون الله».

عليها يا خليفة رسول الله، فقال: لأَنْ أحمل عليها غلاماً قد ركب الخيل بغرلته، أحبُّ إليَّ من أن أحملك عليها، فقال: لِمَ؟ فوالله! لأنا خير منك فارساً ومن أبيك، قال مغيرة: فما ملكت نفسي أن أخذت برأسه فركبته، فأقبل منخراه كأنهما عزلا مزادة[1]، فبلغ أبا بكر أن أناساً[2] من الأنصار يتوعدونه، فقال أبو بكر: بلغني أن ناساً من الأنصار[3] يتوعدون[4] المغيرة بن شعبة، والله[5]! لأَنْ يخرجوا من ديارهم أسرع من أن أقيدهم بوزعة الله تعالى[6].

❑ ❑ ❑

---

(١) العزلاء: فم القربة.

(٢) في «ن»: أن ناساً.

(٣) قوله: يتوعدونه، إلى قوله: من الأنصار، ليس في «ن».

(٤) في «ن»: يتواعدون.

(٥) في «ن»: فقال والله.

(٦) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٠/ ٣٠) من طريق إسماعيل، به.
وأخرجه المروزي في «مسند أبي بكر» (ص: ١٦١) مطولاً من طريق قيس بن أبي حازم، به.



الأصل الثالث والستون والمئتان

(١٤٠٦) ـ **أنا محمد بن علي الترمذي**، قال:

نا صالح بن محمد، قال: نا معلى بن هلال، عن ابن أبي ليلى، عن الشعبي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَفضَلُ العِبَادَةِ الفِقهُ، وَأَفضَلُ الدِّينِ الوَرَعُ»**[1].

(١٤٠٧) ـ **نا عيسى بن أحمد العسقلاني**، نا يزيد بن هارون، عن يزيد[2] بن عياض، عن صفوان بن سليم، عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا عُبِدَاللهُ بِشَيءٍ أَفضَلَ مِن فِقهٍ في الدِّينِ، وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيطَانِ مِن أَلفِ عَابِدٍ، وَلِكُلِّ شَيءٍ عِمَادٌ، وَعِمَادُ هَذا الدِّينِ الفِقهُ»**[3].

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل التاسع عشر.

(٢) في «ن»: قال أنبأنا يزيد.

(٣) تقدم تخريجه في الأصل التاسع عشر.

(١٤٠٨) ـ نا محمد بن زنبور المكي، قال: نا إسماعيل ابن جعفر، قال: نا[١] عبدالله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ: أنه[٢] قال: «مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ»[٣].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالفقه مشتق من التفقي، وهو انكشاف الغطاء عن الشيء، يقال: تفقأت الثمرة عن أكمامها، وتفقأ العين عما فيه، وفقأ عينه: إذا انخرق الحجاب، وانكشف عن الحدقة.

فعلوم الأشياء في الصدر مجتمعة، متراكمة بعضها على بعض، فإحساس[٤] القلب من ذلك العلم هو علم القلب، أداه إلى الذهن، وإلى الحفظ، فالذهن قبله، واستودعه[٥] الحفظ، حتى يؤديه إليه عند الحاجة، فأداؤه في وقت الحاجة، كنبعان العين ينفجر منه الشيء بعد الشيء، فما دام هكذا، فهو ساكن خامد لا قوة له، فإذا تصور في الصدر لعيني[٦] الفؤاد، قوي القلب بذلك الذي تصور، فذلك علم مستتر[٧]، وفي القلب بقية من

---

(١) في «ن»: أنبأنا.

(٢) أنه: زيادة من «ن».

(٣) تقدم تخريجه في الأصل التاسع عشر.

(٤) في الأصل: وإحساس، والمثبت من «ن».

(٥) في «ن»: قبله ثم استودعه.

(٦) في «ن»: لعين.

(٧) في الأصل: مستنير، وما أثبتناه من «ن».

الضعف والخمود.

فإذا انكشف الغطاء عن الصورة التي تصورت في الصدر، فذلك الفقه؛ لأنه حين تصور في الصدر، أحس القلب بتلك الصورة علماً، ولم يره؛ لأن الغطاء قائم بينه وبين العلم، وهو ظلمة الهوى، وهو عالم بذلك الشيء يترجمه بلسانه، ويتضمنه بحفظه، ويمثله صورة بعقله، وليست له قوة ينتصب قلبه لذلك، ويتشمر لفعله[1]، ويطمئن إليه مع حرارة العلم وقوته.

فإذا انكشف الغطاء عن تلك الصورة التي صورها عقله، صار عياناً للفؤاد، فيقال لذلك العيان: علم اليقين.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[التكاثر: ٥ ـ ٧].

فعين اليقين يوم القيامة، وعلم اليقين في الدنيا في الصدر، فسماه: رؤية؛ ذلك ليعلم أن هذه رؤية عين الفؤاد، وتلك في الآخرة رؤية عين الرأس، فهذا الذي انكشف له الغطاء، وانفقأ الحجاب عن مكنون العلم، أبصر بعين الفؤاد صورة ذلك الشيء المعني، فسمي ذلك فقهاً، وإنما هو في الأصل فقء ـ القاف مهموزة ـ، فلما ثقلت، أبدلت بالهمزة هاء، فقيل: فقه.

قال الله تعالى فيما يحكي قول شعيب عليه السلام حيث يقول[2] لقومه: يا قوم[3] ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[هود: ٨٦]، ويا قوم ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا

(١) لفعله: ليست في «ن».

(٢) في «ن»: حيث قال.

(٣) في «ن»: يا قوم ويا قوم.

إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾[هود: ٩٠]، ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ ﴾[هود: ٨٩].

وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيباً يقول: «ذَاكَ خَطِيبُ الأَنبِيَاءِ»[1]؛ لحسن دعائه قومه، ومراجعته، وتلطفه في الدعوة، فقال[2] في آخر ذلك: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾[هود: ٩١].

فمن فقه ما يقال له، تبين عليه أثره، فهؤلاء الذين انتحلوا هذا الرأي، وأكثروا[3] الخوض فيه، واجتمعت[4] عندهم كتب الرأي، أعجبوا بهذا الشأن حين سموا هذا فقهاً، وخيل إليهم أن هذا هو الذي ما عُبدالله بمثله، وهو هذه المسائل التي عندهم قط، ولا يعلمون أن أساتذتهم تكلموا بها، ثم قالوا: وددنا أنا نجونا منه كفافاً، لا لنا ولا علينا، منهم: إبراهيم النخعي[5]، والشعبي، والحسن، وابن سيرين في زمانهم، وأبو حنيفة، وسفيان الثوري، والأوزاعي، ومالك في زمانهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

فكلٌّ يتمنى الخلاص منه، لا له ولا عليه، وإنما هذا نوع[6] من العلم

---

(١) أخرجه الطبري في «التاريخ» (ص: ١٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٢٠) عن محمد بن إسحاق، مرسلاً.
وأخرجه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (ص: ١٢٤)، والطبري في «التفسير» (٧/ ١٠٣) عن سفيان الثوري، قال: «كان يقال: شعيب خطيب الأنبياء».

(٢) في الأصل: فقالوا، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: وأكثروا هذا الخوض، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: فاجتمعت.

(٥) النخعي: زيادة من «ن».

(٦) في الأصل: النوع، والصواب من «ن».

لابد للناس منه لحفظه على الأمة، فأما سائر العلوم التي حاجة الناس إليها في كل وقت، في ليلهم ونهارهم، فأعرضوا عنها حتى صاروا في خلو من ذلك كله، وصار هذا النوع عندهم فتنة، فتراه الشهر والدهر يقول: لا بأس، ويجوز، ولا يجوز، يدخل[1] فيما بين الله وبين عباده، مع الحيرة في ذلك، ولا يدري أصواب هو أم خطأ؟

ثم تراه في خاصة[2] أمره ودينه في عِوَجٍ كله، فإقباله على نفسه حتى يكف منها ما لا يجوز، خير له من إهماله نفسَه، وإقبالِه على إصلاح الناس، وذلك لتعلم أنه مفتون، ويسعى في الخراب، وكان المتقدمون أولى بالشفقة على الأمة، والحدب على الدين، والنصيحة لله، فشغلهم إصلاح أنفسهم عن الانهماك في هذه الأشياء، حتى تلهيهم[3] عن عيوب أنفسهم[4]، والقيام عليها بإصلاحها.

فيقال لهذا الذي توهم أن هذه الفضائل، وهذه الرتبة[5] لمن تفقه في هذا النوع الواحد[6]، فإذا فهمه، ماذا يجري عليه من نفعه، وهو لا يدري متى ينـزل به؟ ومتى يحتـاج إليه[7] هـو أو غيـره[8] حتـى ينتصب لفتياه؟

---

(١) يدخل: ليست في «ن».

(٢) في الأصل: خاص، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: حتى يلهيه، والمثبت من «ن».

(٤) في الأصل: عيوب نفسه، والمثبت من «ن».

(٥) في «ن»: وهذه الندبة.

(٦) في الأصل: هذا الواحد، والمثبت من «ن».

(٧) إليه: زيادة من «ن».

(٨) في الأصل: هو وغيره، والمثبت من «ن».

فإعجابك بهذا كل هذا: كيف[1] إذا فقهت كلام رب العالمين الذي أدب به عبيده، ووعظهم، وعطف به عليهم؛ كي يجعلهم غداً ملوكاً في دار السلام؟

فمن فقه عن الله قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة: ٧ ـ ٨]، أمسك عن الصغير والكبير، والدقيق والجليل من الشر، ولم يستحقر ما دق من الخير وصغر، ولم يستهن[2] به، وأمات هذا الوعيد من نفسه البطالات كلها.

ألا ترى إلى الأعرابي الذي سمع من رسول الله ﷺ هذه السورة، قام، وركب راحلته، وقال: حسبي حسبي، ومر على وجهه، فقال رسول الله: **«فَقُهَ الأَعْرَابِيُّ»**[3]؟!

فهكذا يكون الفقه.

من فقه ما في هذه السورة؛ من شأن الأرض وما يحل بها[4]، ومن شأن النفس حين ترمي بها الأرض، وما تخبر الأرض، وتنطق عن سرائره، وذكر الصدر من بين يدي الله تعالى: ﴿أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾[الزلزلة: ٦]،

---

(١) في الأصل: فكيف، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن»: ولم يستحقر.

(٣) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٦٩٤)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٥٩) عن صعصعة عم الفرزدق.
وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧١١) عن صعصعة بن معاوية عم الأحنف.
وقد تقدم تخريجه في الأصل التاسع عشر.

(٤) في الأصل: شأن الأرض ماذا يحل بها، والمثبت من «ن».

ثم وجد أعماله موزونة بمثاقيل الذر[1] من الخير والشر، فكيف لا يكون هذا حسبه فيما بينه وبين الله تعالى؟

ومن فقه عن الله قوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧].

فكيف لا يكون هذا حسبه فيما بينه وبين العباد، حتى ينصف الخلق من نفسه، ويؤدي إلى كل ذي حق حقه من نفسه وماله؟

ومن فقه عن الله تعالى قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود: ٦]، كيف لا يكون حسبه فيما بينه وبين معاشه، ولا يخرج هَمَّ الرزق من قلبه حتى يثق بربه ويطمئن إلى ضمانه؟.

ومن فقه عن الله قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[سبأ: ٣٩] الآية[2]، فكيف لا يكون هذا[3] حسبه من الثقة بخلَفه، حتى لا يجد في وقت الإنفاق ضيقاً في صدره، ولا حزازة في نفسه.

ومن فقه عن الله قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾[آل عمران: ١٤] ثم ذكر أصناف الشهوات، ثم قال: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[آل عمران: ١٥].

كيف لا يكون هذا حسبه في نزوله على ما اختار له ربه، حتى يلهو

---

(١) في الأصل: ذر، والصواب من «ن».

(٢) الآية: ليست في «ن».

(٣) هذا: زيادة من «ن».

عن حب هذه الشهوات[1]، ويتشمر في طلب الذي أعلمه الله[2] أنه خير من ذلك، فيطلب تلك الخصال التي عدها[3] لنوال هذا الخير من قوله تعالى: ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[آل عمران: ١٧] الآية[4].

ومن فقه عن الله قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الكهف: ٧] الآية ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[الكهف: ٣٠].

كيف لا يكون هذا حسبه من معاملته ربه، حتى ينكمش في الإحسان، ويطلب من نفسه حسن الأشياء في كل أمر[5] لمعبوده؟

ومن فقه عن الله قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

كيف لا يكون هذا حسبه، حتى يعلم أنه خلق للعبودة، وأن عبودته في جميع حركاته كلها، فإن كانت حركاته مما قد حسنها الله في تنزيله، وعلى ألسنة الرسل ـ عليهم السلام ـ، فقد عبده، وإن كانت سيئة قد قبحها الله تعالى، فقد ترك عبودته.

ومن فقه عن الله قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا

---

(١) في الأصل: هذه الأشياء، والمثبت من «ن».

(٢) في الأصل: الله أعلمه، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: أعدها.

(٤) الآية: ليست في «ن».

(٥) في «ن»: كل شيء أمر.

﴿كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[الشورى: ٣٠].

كيف لا يكون هذا حسبه، حتى يهون عليه المصائب؟ لأنه أخبره أني صيرت هذه المصيبة قصاصاً ببعض[1] ما عملت من السوء، وعفوت عن الكثير الباقي؛ كأنه قال: إنما قاصصتك بهذه المصيبة بشيء يسير من ذنوبك، حتى أنبهك من رقدتك، وعامتها باقية جمة، فوعدك العفو عن ذلك الكثير الجم، فعظم أملك لربك.

ومن فقه عن الله قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾[يونس: ١٠٧].

كيف لا يكون هذا حسبه، حتى يجمع كل الرجاء في الخير، وانتظار الفرج، فيذهب بقلبه إلى بابه منتظراً ما[2] يخرج من أرحم الراحمين أقضيته، ومن أحكم الحاكمين حكمه، حتى ينقطع رجاؤه وخوفه من المخلوقين، ويصير حراً من رق نفسه، ومن تبصيص خلقه، وملقهم، ومن انهزامه عنهم، ومن تعيير الله حيث عير المنافقين[3]؟ فقال: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[الحشر: ١٣].

فإنما برأ من الفقه من كانت هذه صفته، فكانت رهبته من المخلوق طافحة[4] على نفسه، غالبة على رهبة الله، وقال[5] الله تعالى حكاية

---

(١) في الأصل: قصاصك لبعض، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن»: ماذا.

(٣) في «ن»: عير عن المنافقين.

(٤) في الأصل: ظالمة، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: وقالوا.

عنهم[1]: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[المنافقون: ٧] الآية[2].

فمن رأى رزقه وحاجاته[3] من الدنيا بيد الخلق رؤية تلهيه عن الله، حتى يضيع حقوقه، ويداهن في دينه، قد برأه القرآن من الفقه.

ومن فقه عن الله تعالى قوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]، كيف لا يكون هذا[4] حسبه، حتى يعلم أن الله أكرمه بغاية الكرامة، ورفع درجته، وعظم شأنه، ففرح بذلك واستغنى، وعرف محله من ربه، فلو أن لملك[5] من ملوك الدنيا عبداً[6] من عبيده كتب إليه الملك[7]: ارفع إلي حوائجك، لامتلأ سروراً وغنى به، واستند إلى ذلك القول منه، وهو عبد مثله لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ربما[8] اشتغل عنه غداً، ويخلف وعده، أو عجز عنه، فلا يقدر على إنجازه، أو يموت، فهو يتكل على هذا الكتاب منه، ويمتلئ من نفسه فرحاً، وهذا كتاب رب العالمين، ينطق بأن الله قد قال هذا، فلم يخرجه مخرج الأمر والندبة[9]، ولكن أخرجه على إبراز القول،

---

(١) الله تعالى حكاية عنهم: ليس في «ن».

(٢) الآية: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: وحاجته.

(٤) هذا: ليست في «ن».

(٥) في «ن»: أن ملكاً.

(٦) في «ن»: وعبداً.

(٧) في «ن»: من عبيده وكتب له.

(٨) ربما: ليست في «ن».

(٩) في «ن»: الأمر فأمر به.

فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]، فمن يعلم ما في حشو هذه الكلمة؟ فمن علمها، استغنى بها عن الحاجة، ثم إذا دعا، دعا على يقين من الإجابة، ثم ينتظر الوقت، كما قال لموسى وهارون: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[يونس: ٨٩] الآية[١]؛ أي: أن[٢] سبيل الذين لا يعلمون الاستعجال[٣].

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَزَالُ العَبدُ بِخَيرٍ مَا لَم يَستَعجِل رَبَّهُ»، قيل: كيف يستعجل ربه يا رسول الله؟ قال: «يَقُولُ: دَعَوتُ فَلَم يَستَجِب لي»[٤].

---

(١) الآية: ليست في «ن».

(٢) أن: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: الاستعجال....

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٣)، وفي «الزهد» (ص: ٤٦)، والحارث في «المسند» (٢/ ٩٦٤ زوائد الهيثمي)، وأبو يعلى في «المسند» (٢٨٦٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٦٥)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٢١٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٠٩ ـ ٣١٠)، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٧): وفيه أبو هلال الراسبي، وهو ثقة، وفيه خلاف، وبقية رجال أحمد، وأبي يعلى رجال الصحيح.

والحديث عند البخاري (٥٩٨١)، ومسلم (٢٧٣٥)، وأبي داود (١٤٨٤)، والترمذي (٣٣٨٧)، وابن ماجه (٣٨٥٣)، ومالك في «الموطأ» (١/ ٢١٣)، وابن حبان في «الصحيح» (٩٧٥)، وغيرهم من حديث أبي هريرة ﷺ، بلفظ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوتُ فلم يستجب لي».

فهل استعجاله إلا من قلة فقهه[1]؟! لا يفقه أن ربه قد خار له حتى يأتي وقته، فيعطيه أكثر مما سأل.

ألا ترى أنه روي في الخبر عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «إِذَا دَعَا العَبدُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالى: يَا جِبرِيلُ! احبِس حَاجَةَ عَبدِي؛ فَإِنِّي أُحِبُّ صَوتَهُ، وَقَد أَجَبتُهُ إِلى مَا سَأَلَ»[2].

وروي عن رسول الله ﷺ[3]: أنه قال مثل ذلك، وقال: «يا جبريل! احبس حاجته»[4].

ولا يخطر ببال هذا العبد هذه الحاجة إلا وله مع كل خطرة مغفرة[5]، أو كما قال.

فيصل إلى[6] العبد في وقته مع مغفرة كثيرة، فإذا فقه هذا، لم يستبطئ إجابته، ولم يستعجل ربه.

فالفقه في هذا، لا في تلك المخاتلات[7] والخدائع التي يحدثها[8] العبيد الأباق في سيرهم إلى الله في معاشهم؛ من نهب الدنيا حرصاً وجمعاً،

---

(١) في الأصل: قلة الفقه، والمثبت من «ن».
(٢) تقدم تخريجه في الأصل الثاني والثمانين والمئة.
(٣) في الأصل: وروي عن إبراهيم خليل الله، والصواب من «ن».
(٤) أخرجه الحارث في «المسند» (٢/ ٩٦٦ زوائد الهيثمي)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢١١) من حديث جابر بن عبدالله ﷺ.
(٥) مغفرة: ليست في «ن».
(٦) إلى: ليست في «ن».
(٧) في الأصل: المحالات، والصواب من «ن».
(٨) في الأصل: يجدها، والصواب من «ن».

وتضييعاً لدين الله[1]، فتنظر إليهم بعين الرحمة فيما تزعم نفسك، فتشتغل بتسوية أمورهم في عامة نهارك، وتضييع الفقه في دينك في خاصة نفسك، وتنسى نفسك[2] وتذكرهم، فلينظر صاحب هذا لا يكون ممن قد خدعته نفسه، فتلذذ بما احتواه، وشخصت أبصارهم إليه، حتى صيره تلذذه عبداً، جباراً، متملكاً، مقتدراً، فهو يعامل الخلق في تسوية أمورهم على التمليك، والاقتدار، والتجبر، والاعتداء، حتى تكون محبته أن ينزل الخلق كلهم على قوله، ويصدروا عن مشيئاته، فإذا هو جبار عاتٍ قد رَمى بالعبودة، وتشبه بالأرباب.

❐ ❐ ❐

---

(١) في «ن»: وتضييعاً.

(٢) من قوله: فتشتغل بتسوية، إلى قوله: وتنسى نفسك: ليس في «ن».



الأصل الرابع والستون والمئتان

(١٤٠٩) ـ نا سفيان بن وكيع، قال: نا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن يوسف بن أبي بردة، قال: سمعت أبي، قال: سمعت عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الخلاء، قال: «غُفرَانَكَ»[1].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

---

(١) أخرجه الترمذي (٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص: ١٧٢)، والدارمي في «السنن» (١/ ١٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (ص: ٢٤٠)، وابن الجارود في «المنتقى» (ص: ٢٣)، وابن خزيمة في «الصحيح» (١/ ٤٨)، وابن حبان في «الصحيح» (١٤٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٦١) من طريق إسرائيل، به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث إسرائيل عن يوسف ابن أبي بردة، وأبو بردة بن أبي موسى اسمه: عامر بن عبدالله بن قيس الأشعري، ولا نعرف في هذا الباب إلا حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ.

قلت: انظر في: «عمدة القاري» (٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) للعيني؛ فإن فيه كلاماً عن هذا الحديث ينظر للفائدة.

قوله: «غُفرانَكَ»: طلبٌ من المغفرة على قالب فُعلان، وهي أعظم القوالب وأوفرها؛ كقولك: رحيم ورُحمان، وعار وعُريان، وكفر وكُفران[1].

فرُحمان: وفارةُ الرحمة، وبلوغ الرحمة العظمى، وعُريان: الذي تعرى من الكسوة، فهو بِبُشرةٍ، والعاري: الذي تعرى[2] من الثياب، والعريان تعرى من الكسوة، فغفران وسبحان وكفران، هذه كلها يراد به: الوفارة والكثرة، وبلوغ غاية[3] من الغايات.

فسأل ربه عند خروجه من الخلاء المغفرةَ الوافرة، وإنما صارت هذه الكلمة بين الكلام[4] في هذا المكان؛ لأنه نظر إلى أمر عظيم، وذلك: أن آدم عجن الله طينته، وخمره، وصوره وخلقه بيده، ووضع فيه أموراً عظاماً في باطنه، ونفخ فيه من روحه، فكان بديع فطرته، وصنع يده.

(١٤١٠) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا حيوة بن شريح الحمصي، عن محمد بن شعيب بن شابور، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَ اللهُ آدمَ مِن تُرَابٍ، وَعَجَنَهُ بِمَاءٍ مِن مَاءِ الجَنَّةِ»[5].

---

(١) في «ن»: كقولك: يا رحمن يا رحيم، وعريان وعاري، وكفران وكفور.

(٢) في «ن»: والعاري: الذي خلعت ثيابه وقد تعرى.

(٣) في الأصل: الغاية، والمثبت من «ن».

(٤) في «ن»: هذه الكلم من بين الكلم.

(٥) أخرج ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/٢٨١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» =

فلم يكن يصلح له مكان يليق به مع هذه المكارم إلاَّ داره، فتوَّجه وكلَّله، وختم بخاتم الملك، وكساه، ونظَّفه، ووضعه على سرير هو وزوجته، وأمر ملائكته بحملهما إلى داره، فلم يزالا في داره طاهرين بتطهير[1] الله، عالمين بالله، فرحين مسرورين مكرمين، حتَّى إذا جاء وقت الشقوة، وغلب القضاء والقدر على جميع ما أعطاهما، وخلص العدو إليهما، فأكلا بأمر العدوِّ، فصار تلك الأكلة فرصة إبليس منهما، والمأكول حظُّه منهما، فصارا عاريين من جميع هذه الكرامات، وأخرجا مذمومين، وصار مستقرُّ تلك الأكلة سلطان إبليس ومملكته[2]، والشيء المأكول منتناً[3]، وإنما نتن؛ لكينونة العدو ونجاسته، وكفره فيها، فكلما ظهر من ذلك الموضع بلة، أو غائط، أو ريح، أمر بالوضوء، وغسل ذلك المكان، فالوضوء من توضئة الأعضاء التي هي جوانب الجسد، حتى تصير وضيئة.

فإنما لاحظ رسول الله ﷺ حين خرج من الخلاء ذلك الذي حل بأبيه، فورثه عنه، فظهر ذلك عليه، فالتجأ إلى عظيم المغفرة، فقال: **«غفرانك»**؛ أي: ما لقينا من تلك الخطيئة.

= (٢/ ٣٤٥) من طريق أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «خلق الله آدم من تراب الجابية...».

وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٦/ ٥١) للحكيم الترمذي، وابن عدي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) في «ن»: بطهر.

(٢) جعله في المطبوع المختصر إلى هنا من حديث النبي ﷺ، ولم أجد من ساقه بهذا السياق، ونسبه للحكيم أو غيره. والله تعالى أعلم بالصواب.

(٣) منتناً: ليست في «ن».

فلو أن رجلاً وقف تحت ميزاب الكعبة حتى جرى من الميزاب، فتلقاه بفيه من الماء الذي[1] نزل من السماء، ولم يمازجه شيء من الدنيا، فدخل جوفه، ثم خرج من هذه المخارج، لأمر بالغسل والوضوء، وحكم له بحكم النجاسة، فإذا فكر في هذا، فهم أن هذا الماء الذي نزل من السماء، ولم يمازجه شيء من الدنيا، فدخل جوفه، ثم خرج من هذه المخارج[2] قد وصل[3] إلى المعدة في مجاورة العدو الذي جعل له السبيل إلى هذا الآدمي.

كما قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ الشَّيطَانَ يَجرِي مِنِ ابنِ آدَمَ مَجرَى الدَّمِ»** قالوا: ومنك يا رسول الله؟ قال: **«وَمِنِّي، إلاَّ أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيهِ، فَأَسلَمَ»**[4].

فمستقره تحت المعدة على مطحن العلف، ثم يجري مع الدم في العروق سلطانه، فلو أن السماوات والأرض زالتا بتلك الخطيئة، ما كان بمستنكر.

فالمتنبه: إذا دخل الخلاء، وأحس حياة قلبه بما يخرج منه، استحيا، وعرف أن هذا ميراث تلك[5] الخطيئة، وذكر بدو أمره[6]، فاستحيا

---

(١) في الأصل: والذي، ما أثبتناه من «ن».

(٢) قوله: الذي نزل، إلى قوله: هذه المخارج: ليس في «ن»

(٣) في «ن»: قد صار.

(٤) أخرجه الترمذي (١١٧٢)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٠٩)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٤١١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ١٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٥) تلك: ليست في «ن».

(٦) في «ن»: وذكر آدم وأمره.

من الله[1]، فإذا خرج، التجأ إلى الغفران؛ لأنه بعد ما حل به من ميراث تلك الخطيئة حتى ألقاه في الدنيا[2]، ونتن في[3] أجواف ولده الطعام الطيب، وأمر بغسل الأطراف[4] منها، أذنب أيضاً أمثال الجبال، فعَظُم شأن ذنوبه عنده في ذلك الوقت، فالتجأ إلى سؤال الغفران، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقنِّع رأسه.

(١٤١١) ـ نا محمد بن علي الشقيقي، قال: نا[5] أبي، قال: نا عبدالله، قال: أنا أبو بكر بن أبي مريم، عن حبيب ابن صالح: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ المِرفَقَ؛ لَبِسَ حِذَاءَهُ، وَغَطَّى رَأْسَهُ»[6].

ويروى عن أبي بكر الصديق: أنه[7] قال: إني لأدخل الكنيف،

(١) في «ن»: من ربه.

(٢) في الأصل: من ميراث الخطيئة التي ألقاه إلى الدنيا، والمثبت من «ن».

(٣) في: ليست في «ن».

(٤) في الأصل: أطراف، والمثبت من «ن».

(٥) في «ن»: أنبأنا.

(٦) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/٣٨٣) من طريق عبدالله بن المبارك، به.
وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١/٩٦) من طريق أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم، به.
المِرفَقُ: من مَرافِق الدَّار من المُغتَسل والكَنِيفِ ونحوه. انظر: «تاج العروس» (ص: ٦٣٣٢).

(٧) أنه: زيادة من «ن».

فأقنِّع رأسي حياءً من الله تعالى[1].

فهذه ملاحظة الرسل والأنبياء والأولياء.

فأما العامة، فليسوا من هذا في شيء، فهم لا يَرون هذا بقلوبهم، ولا يعرفونه، وإنما أدبوا بالحمد بأن يقولوا: الحمد لله الذي أخرج عني الأذى وعافاني، فردوا إلى حال النفس، ونعمة الله عليهم.

(١٤١٢) ـ نا صالح بن محمد، قال: نا الربيع بن بدر، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى الخلاء، قال: «**اللَّهُمَّ أَذهِب عَنِّي الرِّجسَ النَّجِسَ، الخَبِيثَ المُخبِثَ، الشَّيطَانَ الرَّجِيمَ**»، فإذا خرج من الخلاء، قال: «**الحَمدُ للهِ الَّذِي أَذهَبَ عَنِّي الأَذَى وَعَافَانِي**»[2].

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الحادي والستين والمئتين.

وقد صححه البيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٩٦) عن أبي بكر رضي الله عنه.

(٢) إسناد المؤلف تالف، أبان بن أبي عياش متروك. انظر: «تهذيب التهذيب» (١/ ٨٥).

وأخرج صدره ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ١٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨/ ٣٤٥) من طريق أنس رضي الله عنه.

وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٧/ ٢٠) لأبي داود في «مراسيله» عن الحسن، مرسلاً، وابن السني عنه عن أنس رضي الله عنه.

وأخرج قسمه الثاني ابن ماجه (٣٠١) عن أنس رضي الله عنه.

فهذا فعلُ رسول الله ﷺ فيما بينه وبين الأمة، فأما الكلمة الأولى، ففيما بينه وبين الله، وكذلك شأن الكبراء، كلامُهم في الباطن مع الله غيرُ كلامهم في الظاهر.

قال له قائل: مثل ماذا؟.

قال: في[1] الظاهر مع الخلق يقولون: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وفي الباطن يقولون معه[2]: لا إله إلا الله فقط[3].

وفي الظاهر يقولون: الحمد لله الذي أطعمني، وسقاني، وأرواني، وكساني، وأشبعني، ولو شاء أجاعني، وأظمأني، وأعراني.

وكذلك روي لنا عن رسول الله ﷺ.

وفي الباطن يقولون: الحمد لله فقط.

وفي الظاهر يقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن[4]، وفي الباطن يقولون: ما شاء الله، ينشرون مع الخلق عن الله[5] ذكر ربوبيته، وإلهيته، وصنائعه ذلك منشوراً مشهوراً مستفيضاً لنباهة القلوب المستمعة إليه.

وفي الباطن إذا قالوا: لا إله إلا الله؛ ولهت قلوبهم في ألوهيته[6]،

---

(١) في: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

(٢) معه: ليست في «ن».

(٣) فقط: ليست في «ن».

(٤) في «ن»: وما لا يشاء لا يكون.

(٥) في «ن»: ينشرون عن الله مع الخلق.

(٦) قوله: وصنائعه ذلك... إلى قوله: في ألوهيته: ساقط من الأصل، وزدته من «ن».

ولا يلتفتون إلى شرك الشركاء فلا يذكرونه، فإن القلوب الوالهة به[1] إذا نزهت[2] عيون الأفئدة منهم في ملكه، صعب عليهم في ذلك الوقت أن يلتفتوا بقلوبهم إلى شرك مدع لا يحبون أن يذكروا معه أحداً، وكذلك في الحمد إذا رفعوا الحمد لله بقلوبهم إلى عش الحمد[3] أثقل عليهم أن يلتفتوا إلى ذكر النعمة، وكذلك في المشيئة إذا وقعوا في بحرها، ارتفع عنهم ذكر كان ويكون.

(١٤١٣) ـ نا أبي، عن صالح بن محمد، عن ابن[4] مقاتل، قال: كان ابن سيرين إذا خرج من الكنيف، فلم يره أحد، ولم ير أحداً، خر ساجداً باكياً؛ لما أنعم عليه أن سهل له خروج الأذى[5].

❑ ❑ ❑

---

(١) به: ليست في «ن».

(٢) في «ن»: تنزهت.

(٣) في «ن»: عش الحمد في المشيئة عنده.

(٤) في «ن»: عن أبي.

(٥) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.



الأصل الخامس والستون والمئتان

(١٤١٤) ـ حدثني إبراهيم بن المستمر الهذلي، قال: نا محمد بن بكار العقيلي، قال: نا سعيد بن بشير، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ذكوان أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رجل: يا رسول الله! إني كنت أصلي في بيتي، فأسره، فاطلع علي رجل، فأعجبني، فقال رسول الله ﷺ: **«لَكَ أَجرَانِ: أَجرُ السِّرِّ، وَأَجرُ العَلَانِيَةِ»**[1].

---

(١) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٤/ ٨٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٥٠٨) من طريق محمد بن بكار عن سعيد بن بشير، به.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٧١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ١٠) من طريق محمد بن معاذ عن سعيد بن بشير، به.

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن سعيد بن بشير إلا محمد بن بكار، ومحمد بن معاذ.

وليس في هذين الطريقين ذكر حبيب بن أبي ثابت إلا عند الحكيم، والله أعلم.

وفي «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٩٠): رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله ثقات. =

(١٤١٥) ـ نا أبي، قال: نا أبو نعيم، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي صالح ـ ولم يذكر أبا هريرة ـ، قال: قال رجل: يا رسول الله! إني أُسِرُّ العمل، فإذا اطلِع عليه، أعجبني، قال ﷺ: «لَكَ أَجرَانِ: أَجرُ السِّرِّ، وَأَجرُ العَلاَنِيَةِ»[١].

قال أبو عبدالله ﵀:

فهذا رجل صديق، ناصح الله في خلقه، أسرَّ العمل لا عن ضعف يقين، ولكن خلا بربه يناجيه، فلما اطلع عليه، أعجبته رؤيته إياه؛ كي

= وأخرجه الترمذي (٢٣٨٤)، وابن ماجه (٤٢٢٦)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٣١٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٣٧٥)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/٣٦٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٧٤) من طريق حبيب ابن أبي ثابت، به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقد روى الأعمش وغيره، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي صالح، عن النبي ﷺ، مرسلاً، وأصحاب الأعمش لم يذكروا فيه: عن أبي هريرة.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٦٣) من طريق سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت عن ذكوان، عن أبي مسعود الأنصاري.

وصوَّب الدارقطني في «العلل» (٦/ ١٩٩) المرسل، وهو الآتي.

(١) أخرجه هناد في «الزهد» (٢/ ٤٤٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٧٦) من طريق الأعمش، به.

وأخرجه أبو مسهر في «نسخة أبي مسهر» (ص: ٦٤) من طريق حبيب بن أبي ثابت، به.

يبتدر بمثله، ويقتدي به، فهذا لقوة يقينه، لم تعمل فيه رؤيته، فتتحرك من نفسه شهوة الفرح، واتخاذ المنزلة عند من رآه في ذلك، ولكن أعجبته رؤيته، حتى يحل بصدره ما رأى منه، فيقتدي به.

وكذلك قال رسول الله ﷺ:

«خَيرُ أَعمَالِكُم الَّتِي تُحِبُّونَ أَن يُعلَمَ بِهَا».

قال زيد: والرَّجلُ يكتُمُها لِيسلمَ.

(١٤١٦) ـ نا بذلك صالح بن محمد، قال: نا عبد المجيد بن عبد العزيز، عن معمر، عن زيد بن أسلم، عن رسول الله ﷺ[(١)].

وقد أثنى الله على قوم، وسماهم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[الفرقان: ٦٣]، وبين أن مثواهم غرف الجنة، وعد خصالهم التي بها أثنى عليهم، ثم حكى عن دعائهم له قوله: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾[الفرقان: ٧٤] الآية، فهم أهل الغرف في أعلى الدرجات، سألوه أن يجعلهم أئمة لمن يقتدي بهم، فلا يكون أمر هذا مكتوماً، وكيف يأتم به إن أسر العمل؟! فهؤلاء نصحاء الله، والدعاة إلى الله، فيدعون بألسنتهم، ويدعون بأفعالهم التي يظهرونها على أعين الخلق، يحثون الخلق على ذلك.

فإنما قال رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة: «لَكَ أَجرَانِ: أَجرُ السِّرِّ، وَأَجرُ العَلانِيةِ»؛ لأنه نوى بالسر أمراً، وبالعلانية أمراً، ولو لم يكن

---

(١) هذا مرسل.

وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٤٥١) من طريق معمر، به.

هكذا، لم يكتب له أجران، فإنه: «لاَ أَجرَ لِمَن لاَ نِيَّةَ لَهُ»[١].

فهذا عبد قد نوى أن يسر بعمله؛ ليخلو بربه؛ لئلا يشكر عليه أحد غير ربه، ثم إذا اطلع عليه، نوى الانتفاع به، وأن يقتدي به مقتد، فالسر مضاعف على العلانية بسبعين ضعفاً، والعلانية صاحب هذا مضاعفة على سره بسبعين ضعفاً؛ لأن سره: خلوُّه بربه؛ لئلا يشكره عليه أحد غيره، وإعلانه: نصيحة له في عباده، ليس به في وقت سره التفات إلى مدح الناس، فيهرب منه، ولا في وقت علانيته المنزلة عند الناس.

(١٤١٧) ـ نا الفضل بن محمد الواسطي، قال: نا محمد بن مصفى الحمصي، قال: نا بقية، قال: نا عبد الملك ابن مهران، عن عثمان بن زائدة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «السِّرُّ أَفضَلُ مِنَ العَلاَنِيَةِ، وَالعَلاَنِيَةُ أَفضَلُ لِمَن أَرَادَ الاقتِدَاءَ»[٢].

فإنما صار عمل السر مضاعفاً على العلانية بسبعين ضعفاً من جهات:

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والأربعين والمئتين.

(٢) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٠٢)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٨٢٢) من طريق محمد بن مصفى، به.

وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٧٦) من طريق بقية، به.

وقال: تفرد به بقية عن عبد الملك بن مهران هذا.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٧٧) للبيهقي عن ابن عمر ﷺ، وضعفه.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ. قال العقيلي: عثمان ابن زائدة حديثه غير محفوظ، وعبد الملك مجهول.

فجهة منها: أن الذي يسرها، إنما يسرها لتصفو له؛ لأنه إذا أحست نفسه بشعور الناس، علمت أنه ينال بذلك عند الخلق رفعة وكرامة، وصارت له من القلوب منزلة بقضاء حوائجه، ويعظم على ذلك، ففرحت بذلك، وقويت بما دخلها من الفرح، فإذا هو يطلب الجزاء من الله، والثواب من الخلق، فهذا الذي في نفسه هذه الفتنة كائنة، يجاهد نفسه في وقت العمل إذا أعلـن به، حتى ينكـر ذلك عليها، ولا يرضى، ولا يقبل منها هذا الوسواس، ولا يطمئن إليها.

فإن أغفل المجاهدة طرفة عين، وجد نفسه في عين هذه الفتنة، فإن تراخى، ولم يتشمر لرد ذلك عليها، صار عمله رياءً، وإن لم يقبل ذلك من نفسه، وكره بقلبه ما جاءت به، وثقل عليه شأنها، ثبت له عمله مع المجاهدة، فصاحب هذا ضعيف اليقين.

فإذا هرب من الإعلان وأسرَّه، ضوعف له عمله سبعين ضعفاً؛ لأنه يفرغ لله قلبه من إشغال النفس، ومن تلك الهيئات التي كانت النفس تورد على قلبه، حتى كان يحتاج إلى الاشتغال بالمجاهدة، فهو عمل ظاهر قد خلا بطاعة ربه وعبودته في ذلك الوقت في ذلك العمل، فصارت الواحدة سبعين؛ لأن التربية ألقيت إلى التوحيد، فهو الذي يربيها، فإذا أعلنها نصحاً لله في عباده، وحباً لأن يعبده الخلق بمحابه، صار السبعون مضاعفاً الضعف الذي لا يحصيه إلا الله.

فإذا لم يكن من رجال الإعلان، ولم يبلغ قلبه من المنازل محلاً، تموت فتنة نفسه، ويفتقد منها حب المدح من الخلق، وفرح الرئاسة، والعلو، أمسك عن الإعلان، وأسرَّه، فإذا أسره، فقد صانه، وخلا بطاعة

ربه وعبودته، وحسم على نفسه باب الفرح بشعور الناس به، ولم تجد النفس ما ترجو به نفعاً، أو تأمل به عند الخلق جاهاً ورفعةً، فأيست وسكنت، وصفا العمل لصاحبه بتلك النية الصادقة في مبتدأ عمله، وسلمت النية، وإنما سلمت بما أسره، فهذا للمقتصدين.

ووجه آخر للسابقين المقربين، فإذا أسر العمل، فإنما يسره ليخلو بربه في تلك الطاعة؛ فإن الله تعالى موجود بكل مكان، وفي كل طاعة، فإذا أسر العمل، وخلا بربه في العمل، برز له وجوده في صدره بين عيني فؤاده، فمن يقدر أن يصف ذلك البروز، وتلك الحلاوة، وذلك الطيب؟ ومن يقدر أن يصف تصور القلب في أحواله، وهشاشة النفس في أحوالها؟ وهو:

قول رسول الله ﷺ حين سأله جبريل عليه السلام: ما الإيمان؟ وما الإسلام؟ وما الإحسان؟ فأجابه في كل ما سأله، وقال: «**الإِحسَانُ أَن تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَم تَكُن تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قال: فإذا فعلت ذلك، فأنا محسن؟ قال: «**نعَم**»، قال: «**صَدَقتَ**». فعجبنا من تصديقه له[1].

لأنهم لم يعرفوا أنه جبريل حتى أخبرهم رسول الله ﷺ بعد ذلك.

وروي عن ابن عمر: أنه لحقه عروة بن الزبير في الطواف، فخطب إليه ابنته، فلم يكلمه ابن عمر، فلما قدما المدينة، ولقيه عروة، قال له ابن عمر: إنك كلمتني في الطواف، فما كلمتك، وإنا كنا نتراءى الله بين أعيننا، فهل لك فيما سألت؟ قال: نعم، فزوجه بعد ذلك.

(١٤١٨) ـ نا قتيبة بن سعيد، وإسماعيل بن نصر، عن

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الخامس والعشرين والمئة.

محمد بن يزيد الخنيسي، قال: نا عبد العزيز بن أبي رواد، قال: نا نافع، عن ابن عمر، قال[1].

(١٤١٩) ـ نا عبد الرحيم بن يوسف، قال: نا يعلى بن عبيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبدالله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن جده عبد الرحمن[2]، عن أُبي ابن كعب، قال: كنا جلوساً في المسجد، فدخل رجل، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم جاء آخر، فقرأ سوى قراءة صاحبه، فلما انصرفا، دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ، فأخبرته بذلك، فقال رسول الله ﷺ: **«أَحسَنتُمَا أَو أَصَبتُمَا»**، فلما رأيت رسول الله ﷺ قد حسن شأنهما، سقط في نفسي، وودت أني كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ما غشيني، ضرب بيده في صدري، ففضت عرقاً، وكأني أنظر إلى الله فرقاً، فقال: **«يَا أُبَيُّ! إِنَّ رَبِّي أَرسَلَ إِليَّ أَن أَقْرأَ القُرآنَ عَلَى حَرفٍ، فَرَدَدتُ إِليهِ: أَي رَبِّ! هَوِّن عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ أَن**

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٦٧) من طريق محمد بن يزيد، به.
وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٢٧١) عن عروة بن الزبير، به.

(٢) في الأصل: عن جده عن عبد الرحمن، والصواب ما أثبتناه.

اقرأَ عَلَى حَرفَينِ، فَقلتُ: يَا رَبِّ! هَوِّن عَلى أَمَّتي، فَردَّ إِليَّ الثَّالثةَ أَن اقرَأَهُ عَلى سَبعةِ أَحرفٍ، وَلكَ بِكلِ رَدَّةٍ رَدَدَتهَا مَسألةٌ تَسأَلُنيهَا، فَقلتُ: اللَّهُمَّ اغفِر لأُمَّتِي، مَرَّتَينِ، وَأَخَّرتُ الثَّالِثةَ إِلى يَومٍ يَرغَبُ إِليَّ فِيهِ الخَلقُ، حَتَّى إِبرَاهيمُ»[1].

(١٤٢٠) ـ نا أبي، قال: نا محمد بن يزيد الخنيسي، عن عبد العزيز بن أبي رواد، رفعه إلى رسول الله ﷺ في قصة حارثة؛ حيث قال له: «كَيفَ أَصبَحتَ يَا حَارِثَةُ؟»، قال: مؤمناً حقاً، قال عليه السلام: «وَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟»، قال: كأني أنظر إلى الله فوق عرشه[2].

هذا في رواية عبد العزيز.

---

(١) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٧٥٩)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» (ص: ٨٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٣٨٣) من طريق يعلى بن عبيد، به.

وأخرجه مسلم (٨٢٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٢٧)، وابن حبان في «الصحيح» (٧٤٠)، والطبري في «التفسير» (١/ ٣٥) والخطابي في «غريب الحديث» (١/ ٥٨٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٣٢٨) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، به.

(٢) لم أجد من رواه بهذه الرواية، والله أعلم.

وهذا منكر، عبد العزيز بن أبي رواد من كبار أتباع التابعين، فهو معضل، وتلميذه محمد بن يزيد قال ابن حجر عنه: مقبول. انظر: «التقريب» (ص: ٥١٣).

(١٤٢١) ـ نا عبد الجبار بن العلاء، قال: نا يوسف ابن عطية، عن ثابت، عن أنس، عن رسول الله ﷺ، فقال في حديثه: كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً[١].

رجعنا إلى ذكر صفة السابقين المقربين آيةً: والسابق المقرب إذا أسر العمل، خلا بربه في العمل، وسر به، فبرز له وجوده على القلب في الصدر.

والأول: المقتصد، أسر العمل، فخلا بطاعته وعبودته، لا بربه، فبرز له توحيده على قلبه في صدره، وهو قول رسول الله ﷺ في حديث جبريل حيث قال: «فَإِن لَم تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[٢].

فهذا علم أنه يراه، فيطيبه هذا العلم، فيتولى تربيةَ عمله توحيدُه، والسابق يتولى تربية عمله ربه الجواد الكريم، فإذا أسر السابق ـ الذي هذه صفته ـ عملاً من أعماله، فإنما يسره؛ ليخلو بربه، فيجده في العمل.

وذلك قول عامر بن عبد قيس: ما نظرت إلى شيء إلا ورأيت الله فيه أقرب[٣].

---

(١) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٣٥٩)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٥٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٣٦٢) من طريق يوسف بن عطية، به.

وفي «مجمع الزوائد» (١/ ٥٧): رواه البزار، وفيه يوسف بن عطية لا يحتج به.

وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٤/ ٢٢٠، إحياء): أخرجه البزار من حديث أنس، والطبراني من حديث الحارث بن مالك، وكلا الحديثين ضعيف.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل الخامس والعشرين والمئة.

(٣) ذكره القرطبي في «التفسير» (١٧/ ٢٣١)، وابن رجب الحنبلي في «شرح حديث لبيك» (ص: ٣٢).

وقول محمد بن واسع: ما نظرت إلى شيء إلا ورأيت الله فيه[1].

فقد تباين قولاهما، مع رفعة قوليهما، وجلالة حظيهما في القولين.

فإذا وجده السابق في العمل، على مشاهدة القلب، عظمه وحسنه، وزينه وبالغ فيه، ثم جعلـ[ـه] من وراء ظهره، فلم يلتفت إليه؛ لأنه إنما يسره من أجل شيئين:

أحدهما: أنه يريد أن يطفئ نار شوقه إلى ربه بوجوده في العمل؛ لأنه إذا وجده، فأول[2] ما يلاقي قلبه بردُ الرحمة، وقرة العين، فإذا قرت عينه، وناله برد الرحمة، أطفأت نار الشوق، فسكنت، فهذا وجه.

ووجه آخر: أن عين قلبه مادة إلى جلاله وعظمته، باهتة في كبريائه، ومجد عظمته، فينال بذلك نزاهة النفس بعين القلب، فيزداد حياةً بالله، ولم يسره، يريد بذلك تصفيته مما يخالطه من فتنة النفوس؛ لأن نفس هذا قد ماتت، وافتقد[ت] وساوسها، وذهبت مناها منها، وصار القلب حراً، وصدره نزهاً بنزهة اليقين، وأطايب المعرفة، وعلم الآلاء.

وقال له قائل: فإذا بلغ القلب هذا المحل، وصار بهذه الصفة، فلم يسر العمل، ولم لا يعلنه، حتى يقتدي الخلق به، فيدخل عمله في ذلك التضعيف الذي لا يحصى ثوابه؟.

قال: صاحب هذا، قد لها عن الثواب قلبه، ووله بالماجد الكريم، قد وقف بعمله على مفرق الطريق، وكلا الطريقين قد صارا مستقيمين[3] إلى الله، فإذا أسر، فإنما يسره من قبل ما وصفنا من وجوده، وطفي نار

---

(١) ذكره الكلاباذي في «التعرف لمذهب التصوف» (ص: ٦٤).

(٢) في الأصل: في أول، والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: مستقيما، والصواب ما أثبتناه.

الشوق بوجوده.

ومن وجه آخر: يحب أن يسره، يريد بذلك: أن يغيبه عن أعين الخلق؛ فإن الخلق إذا رأوا صلاة، نظروا إلى زينةٍ وبهاء، وإذا رأوا صوماً، نظروا إلى زهدٍ وتزاهدٍ، وإذا رأوا عطية وصدقة، نظروا إلى سخاءٍ ومكارم الأخلاق، وإذا رأوا حجاً، نظروا إلى نسك وعبادة، وإذا رأوا صمتاً وانقباضاً، نظروا إلى خشوع وصيانة، وإذا رأوا نشر علم، نظروا إلى ملك الدين، فنزَل من قلوبهم هذه المنازل، فأكرموه، وشرفوه، وعظموه، وحملوه على الرقاب، وملك قلوبهم وأبصارهم، فإذا بدا لهم، شخصت الأبصار إليه علواً وشرفاً، وإذا خالطهم، نفذ حكمه في أمورهم، فإنما يسر أعماله، ومحاسن عبودته من الناس؛ لئلا يكسب من الخلق هذه المنزلة غيرةً لربه، فإذا أسرها من هذا الوجه، كان ممن باهى الله به ملائكته، وقال: هذا عبدي حقاً، فإذا أثنى عليه بالعبودة حقاً، نظرت الملائكة إلى بهاء هذا العبد، فرأوا أمراً عجيباً، فلم يكن الله ليباهي به، ويشهد له بحقيقة العبودة، ويثني عليه عجباً به، ثم لا يفيده شيئاً، فكان أول ما يفيده: أن ينشر ثناءه الذي أثنى به عليه في ملائكته على قلوب أهل الأرض، حتى ينظروا إليه بتلك العين، وتتناسم الأرواح برؤيته، وتتباشر القلوب بلقائه، وتلتذ العيون الشاخصة إليه برؤيته.

(١٤٢٢) ـ نا سهل بن العباس، قال: نا الفضيل بن عياض، عن منصور، عن هلال بن يساف[١]، قال: قال

---

(١) في الأصل: عن هلال عن يساف، والصواب ما أثبتناه.

عيسى ﷺ: إذا كان يوم صوم أحدكم، فليدهن شفتيه، وإذا تصدق، فليخفِ يمينه من شماله، وإذا صلى، فليدلِ على بابه سترةً؛ فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق[1].

فهذا وجه إسراره العمل، فإذا أعلنه، فإنما يعلنه حباً بأن يعبد الله تعالى في أرضه بمثل ما يعبده؛ نصحاً لله تعالى في ذاته، ونصحاً لله في دينه، ونصحاً لله في كتابه ورسوله وخلقه، ولذلك قال ﷺ:

«أَلاَ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ـ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ـ»، قيل: لمن؟ قال: «للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسلِمِينَ وَعَامَّتِهِم».

(١٤٢٣) ـ نا بذلك أبي، قال: نا أبو نعيم، عن سفيان الثوري، عن سهيل بن أبي صالح، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن تميم الداري، عن رسول الله ﷺ: أنه قال[2]:

«خِيَارُ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ يُحَبِّبُونَ اللهَ إِلَى عِبَادِهِ، وَيُحَبِّبُونَ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٣٤٥) من طريق منصور، به، مقتصراً على صدر الحديث.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٥٢) من طريق أبي نعيم، به.
وأخرجه مسلم (٥٥)، والنسائي (٧/ ١٥٦)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٠٢)، والحميدي في «المسند» (٢/ ٣٦٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٣٢٣)، وفي «السنن الكبرى» (٨/ ١٦٣) من طريق سفيان، به.
وأخرجه أبو داود (٤٩٤٤)، وابن الجعد في «المسند» (ص: ٣٩٢)، وابن حبان في «الصحيح» (٤٥٧٤) من طريق سهيل بن أبي صالح، به.

العِبَادَ إِلى اللهِ، وَيَمشُونَ لَهُ في الأَرضِ نُصَحَاء».

(١٤٢٤) ـ نا بذلك أبو الأشعث العجلي، عن حزم، عن الحسن[1].

فقوله: «**يُحَبِّبُونَ اللهَ إِلى عِبَادِهِ**»؛ أي: يذكرونهم آلاء الله ونعمه وإحسانه، «**وَيُحَبِّبُونَ العِبَادَ إِلَى اللهِ**»؛ أي: يأمرونهم بالطاعة حتى يطيعوه فيحبهم، «**وَيَمشُونَ للهِ فِي الأَرضِ نُصَحَاء**»؛ أي: دعاة إليه وإلى دينه.

فالدعاة إلى الله دأبُهم في شهرهم ودهرهم: أن يعلنوا الخير؛ كي يقتدي الناس بهم، ولذلك أثنى الله على من سأله فقال: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان: ٧٤].

فإذا أسروا: فللوجه الذي وصفنا بدءاً، فهم على مفرق الطريقين، فأي طريق فتح لهم، مروا فيه، فهم في كلا الطريقين مستقيمون وجيهون عند الله تعالى.

---

(١) رجاله ثقات.

وأخرج نحوه أحمد في «الزهد» (ص: ٢٨٥) عن الحسن رَحِمَهُ اللهُ.

وأخرجه كذلك في «الزهد» (ص: ١٤٣) عنه عن أبي الدرداء، من قوله.

وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٣١)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٩٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣٦٧) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وفيه ضعيفان.

(١٤٢٥) ـ نا حفص بن عمر[و]، قال: نا يزيد بن هارون، قال: نا العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ، قال: **«لَمَّا خلَقَ اللهُ الأَرضَ، جَعَلَت تَمِيلُ، فَخَلَقَ اللهُ الجِبَالَ، فَأَلقَاهَا عَلَيهَا، فَاستَقَرَّت، فَتَعَجَّبَت المَلائِكَةُ مِن شِدَّةِ الجِبَالِ، فَقَالَت: يَا رَبِّ! هَل مِن خَلقِكَ شَيءٌ أَشَدُّ مِنَ الجِبَالِ؟ قَالَ: نعَم، الحَدِيدُ، فَقَالَت: يَا رَبِّ! هَل مِن خَلقِكَ شَيءٌ أَشَدُّ مِنَ الحَدِيدِ؟ قَالَ: نعَم، النَّارُ، فَقَالَت: يَا رَبِّ! هَل مِن خَلقِكَ شَيءٌ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: نعَم، المَاءُ، فَقَالَت: يَا رَبِّ! هَل مِن خَلقِكَ شَيءٌ أَشَدُّ مِنَ المَاءِ؟ قَالَ: نعَم، الرِّيحُ، فَقَالَت: يَا رَبِّ! هَل مِن خَلقِكَ شَيءٌ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ: نعَم، الإنسَانُ، يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِهِ يُخفِيهَا مِن شِمَالِهِ»**[١].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٦٩)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٢٤)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٣٦٥)، وأبو يعلى في «المسند» (٤٣١٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٢٤٤)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١١/ ٤٤٣) من طريق يزيد ابن هارون، به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه.

وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٥٣) من طريق العوام بن حوشب، به.

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ١٤٧): إسناده حسن.

فهذه رواية أنس بن مالك.

فأما ما روي عن علي:

(١٤٢٦) ـ **فحدثنا** به الجارود بن معاذ، قال: نا وكيع، عن زكريا بن أبي زائدة، عن الشعبي، عن علي ـ كرم الله وجهه ـ: أنه قال ـ عندما بلغ ذكر خلق الإنسان في هذا الحديث ـ قال: ثمَّ خَلق الإنسانَ يغلبُ الرِّيحَ يتَّقيهَا بِيَدِهِ، ثمَّ خلقَ النَّومَ يَغلِبُ الإِنسانَ، ثمَّ خلَقَ الهَمَّ يغلبُ النَّومَ، فأشَدُّ خلقِ ربِّكَ الهَمُّ[1].

فهـذا موافق لحديث أنس؛ لأنه إذا صـار ممن يتصـدق سراً يخفي ذلك السر بيمينه من شماله، كان قوياً، فهذا تمثيل، فاليمين: هي القلب، والشمال: هي النفس.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ٢٧٦) من طريق زكريا عن الشعبي، عن الحارث، عن علي.

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٤٠١) من طريق زكريا بن أبي زائدة، قال: سمعت عامراً ـ الشعبي ـ يقول: سأل ابن الكواء علياً عليه السلام: أيُّ الخلائق أشد؟ فقال: أشد خلق ربك عشرة: الجبال الرواسي، والحديد تنحت به الجبال، والنار تأكل الحديد، والماء يطفئ النار، والسحاب المسخر بين السماء والأرض، يعني: يحمل الماء، والريح تُقل السحاب، والإنسان. فذكره.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٣٢): رواه الطبراني في «المعجم الأوسط»، ورجاله ثقات.

كذا قال، مع أن في سنده الحارث، وفيه كلام معروف.

ألا ترى أن الطاعات تخرج من إيمان القلب والمعاصي، وفساد الطاعات إنما تخرج من شهوات النفس والهوى؟

فتأويل هذه الكلمة عندنا الذي قال: **«يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِهِ يُخفِيهَا مِن شِمَالِهِ»**:

أي: يتصدق بقلبه، ويخفيها من نفسه، فالإيمان في القلب، والهوى في النفس، فإذا أخفاها من الهوى، فهذا إنسان يغلب الريح، يتقيها بيده؛ كما وصفه علي ﷺ؛ لأن الهوى تنفس النار، فهو ريح يخرج منها، فتمر بباب النار، فتحمل شهوات الآدمي إلى المواضع التي قد ركبت في الآدمي من تلك الشهوات، حتى ينشرها، فتشتعل في العروق، فتأخذ القلب.

فقوله: **«يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِهِ يُخفِيهَا مِن شِمَالِهِ»**، وقوله: **«يَغلِبُ الرِّيحَ يَتَّقِيهَا بِيَدِهِ»**، كلاهما مرجعهما إلى شيء واحد، وهو: أن يعمل عملاً مبتدؤه من الإيمان من القلب، فيسره الهوى، وإسراره: أن يرمي به خلف ظهره، ولا يلتفت إليه، ولا يجعله نصب عينه، حتى يعجب به، أو يرى لنفسه عملاً، فيتكل عليه ويرجو النجاة بذلك غداً، والالتفات إلى الأعمال: التفات إلى النفس، وتلك حظها، فهي تركن إلى ذلك، وتعتده، وتثق به، حتى ترجو النجاة به، فإذا هو قد تعلق بالأعمال، واتخذها ولياً من دون الله، ونزع يده من التعلق بالرحمة، فوكله الله إلى نفسه، وإلى عمله، فمنها بدأ هلاكه.

ولذلك قال: **«يَا داودُ! بَشِّرِ المُذنِبِينَ، وَأَنذِرِ الصِّدِّيقينَ، قال: وكيف ذلكَ يَا رَبِّ؟ قالَ: بَشِّرِ المُذنِبينَ: أَن لا يتعَاظمَنِي ذَنبٌ أَغفِرُهُ، وأَنذرِ الصِّدِّيقينَ: أَن ليسَ أَحدٌ منهُم أَنصِبُهُ لِلحسَابِ، وأُقيمُهُ على**

عَدلي إلاَّ هَلكَ»[1].

فالملتفت إلى أعماله يريد أن ينجو من ربه بأعماله، وإذا هو هالك.

وهذا قول رسول الله ﷺ: **«لَيسَ أَحَدٌ مِنكُم يُنجِيهِ عَمَلُهُ»**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولاَ أنَا، إلاَّ أَن يَتغَمَّدَنِي اللهُ مِنهُ بِرَحمَتهِ»**[2].

فالذي يغلب الريح هو الذي يغلب هواه، وكل بر يعمله لله، وأبر الأمور عنده: ما ثقل عليه؛ لأنه يعلم أنه أصفى، وأبرأ من هنات النفس، وموردات الهوى، فهو يجتهد أن يخفيها من نفسه.

فأما المقربون: فإنهم عملوا لله نصب العين، كأنهم يرونه، ثم شغلهم التراثي بجلاله وعظمته عن العمل، فصار العمل من وراء، وعظمة الله وبهاؤه وجلاله قبالة عيني الفؤاد في الصدر، وغاب العمل عن الانتصاب.

فلو أن أحدهم صار له عمل الأولين والآخرين، لتلاشى في عينه، إذا صار قبالته ما وصفنا، وطار عنه ذكر العمل، ورأى غناه في عظمته، وزينته في جماله، وشرفه في جلاله، ودرك مناه في بهائه.

وإنما قلنا: إن حديث علي موافق لحديث أنس؛ من أجل أن النوم في الظاهر يغلب الإنسان، وفي الباطن النوم هو الغفلة، لا غفلة القلب، ولكن غفلة النفس عن أحوالها في الدنيا، فإذا جاءت الغفلة، نام القلب عن شهوات النفس وأحوالها، وأفراحها، فإذا جاء الهم، طار النوم، فحيي القلب بالله،

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص: ٧٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٥٧) عن أبي الجلد.

وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٩٥) عن عبد العزيز بن أبي رواد.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل السابع.

فذاك الهم في الظاهر همُّ الأحوال، وفي الباطن همُّ ربه، فلذلك: قدر أن يتصدق بقلبه، ويخفيها عن نفسه؛ لأن صفته في الباطن على ما وصفنا أن همَّه بربه قطع نومه عنه، وأيقظها، وكل شيء ذكره قبل ذلك من الخلق.

فرجع الكلام إلى ما قلنا: إن المؤمن إذا صار بهذه الصفة، كان أشد وأقوى من الأرضين، والجبال، والحديد، والنار، والماء، والريح، فهو أشد خلق ربك؛ لأن ذلك الهم قد غلب الأشياء كلها التي قد تقدم ذكرها.

فلذلك قال ابن مسعود لعمر: إنا لنجد أن عمل مؤمن في يوم واحد أثقل من سبع سموات وسبع أرضين(١).

وقال موسى فيما روي عنه أنه قال: يا رب! إني أجد صفة قوم في قلوبهم من النور أمثال الجبال الرواسي، تكاد البهائم تخر لهم سجداً إذا رأوهم، من النور الذي في قلوبهم، قال: يا موسى! تلك قلوب طوائف من أمة أحمد، إنما بلغوا ذلك، بإقبالهم على أنفسهم، وذمهم لها، وإنما هلك من هلك من قومك بالعجب من أنفسهم(٢).

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ للهِ مَلاَئِكَةً مُوَكَّلِينَ بِأَرزَاقِ بَنِي آدَمَ، ثم قال: «أَيُّمَا عَبدٍ وَجَدتُّمُوهُ جَعَلَ الهَمَّ هَمّاً وَاحِداً، فَضَمِّنُوا رِزقَهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ وَالطَّيرَ وَبَنِي آدَمَ»(٣).

فإذا صار هم القلب هماً واحداً، ذهب بال نفسه وهمومها وأشغالها، وخلا القلب بربه، فلذلك قال علي ـ كرم الله وجهه ـ: أشدُّ خلقِ ربك الهَمُّ.

---

(١) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل الحادي والعشرين.

(٣) سيأتي تخريجه في الأصل الثاني والسبعين والمئتين.

فإنما هما همَّان:

فهمُّ النَّفسِ: من أحوال الدنيا يطرد النوم وينفيه.

وهمُّ القلبِ: من أحواله في الملكوت قد طرد عنه النوم: نومَ القلب، ونومَ العين.

فأما قول عيسى عليه السلام: إن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق.

فإنما يقسم الثناء على القلوب، على أقدار محل العباد عنده، وإنما يجعل العباد عنده حيث يحلون[1] ربهم من قلوبهم، وذلك قول رسول الله ﷺ: «مَن أَحبَّ أن يَعلَمَ مَا مَنزِلَتُهُ عِندَ اللهِ، فَليَنظُر مَا مَنزِلَةُ اللهِ فِي قَلبِهِ؛ فَإنَّ اللهَ يُنزِلُ العَبدَ مِن نَفسِهِ حَيثُ أَنزَلَهُ العَبدُ مِن قَلبِهِ»[2].

فقلوب الخلق في قبضته، وبين إصبعين من أصابعه، فيرى القلب من محل العبد عنده من صدق العبودة، وتذلّله له، ومد عينه إليه مراقباً، حتى يحبه العبيد، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «مَن هَابَ اللهَ، أَهَابَ اللهُ مَنهُ كُلَّ شَيءٍ، وَمَن خَافَ اللهَ، أَخَافَ اللهُ مِنهُ كُلَّ شَيءٍ، وَمَن أَحَبَّهُ، حَبَّبَهُ اللهُ إِلَى عِبَادِهِ، وَأَثنَى عَلَيهِ»[3].

---

(١) في الأصل: يمحلون، والصواب ما أثبتناه.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل الخامس والثلاثين والمئة.

(٣) لم أجده بلفظه.

وأخرج القزويني في «التدوين في أخبار قزوين» (٢/ ١٨٧)، والشيخ الفاداني في «العجالة في الأحاديث المسلسلة» (ص: ١١٥) من طريق بكر بن عبدالله المزني =

وهو قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[طه: ٣٩]، وقوله تعالى عند ذكر أنبيائه ـ عليهم السلام ـ: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾[الصافات: ٧٨]، فإنما ينزل الثناء على القلوب، ويظهر السمات على شخص.

(١٤٢٧) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا هارون الراسبي، عن جعفر بن حيان، عن أبي رجاء في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[طه: ٣٩]، قال: الحلاوة والملاحة[1].

(١٤٢٨) ـ نا عمر، قال: نا إسحاق بن عبدالله الأنطاكي، عن محمد بن الحسين، عن عقيل، عن الزهري، قال: يعطى الصادق ثلاثة: الحلاوة، والملاحة، والمهابة[2].

(١٤٢٩) ـ نا أبو بكر بن سابق الأموي، قال: نا أبو

= عن ابن عمر رضي الله عنه، رفعه، بلفظ: «من خاف الله، أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله، أخافه من كل شيء».

وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٥٤٠) من قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

(١) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والثلاثين والمئة.

(٢) إسناده ضعيف.

وأخرج نحوه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٧٠) عن يوسف بن أسباط.

مالك الجنبي، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[مريم: ٩٦]، قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالى أَعطَى المُؤمِنَ المَحَبَّةَ وَالمِقَةَ وَالمَهَابَةَ في صُدُورِ الصَّالِحِينَ»[1].

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أَولِيَاءُ اللهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا، ذُكِرَ اللهِ»[2].

وروي في حديث آخر، قال: قال موسى: يا رب! من أولياؤك؟ قال: الذين إذا ذكروا، ذكرت، وإذا ذكرت، ذكروا[3].

وقيل: يا رسول الله! من نجالس؟ قال: «خِيَارُكُم»، قالوا: ومن خيارُنا يا رسول الله؟ قال: «مَن يُذَكِّرُكُمُ اللهَ رُؤيَتُهُ، وَيَزِيدُ في عَمَلِكُم مَنطِقُهُ، وَيُزَهِّدُكُم في الدُّنيَا عَمَلُهُ»[4].

فكما كان بين الرزق تفاوت في القسمة، فكذلك الثناء له تفاوت في القسمة، فقسمة الرزق على التدبير في الباطن، وقسمة الثناء له على منازل العبد في الباطن، في كينونتهم له عبيداً، وتسليمهم إليه نفساً، ولأمره انقياداً، ولأسمائه علماً، فيورثهم خشوعاً وطمأنينة وثقة، فإذا هبته، هابك الخلق، وإذا عظمته، عظمك الخلق، وإذا أحببته، أحبك الخلق، وإذا وثقت به، وثق بك الخلق، واطمأنت نفوسهم لك، وإذا أنست به، أنس بك الخلق،

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الخامس والخمسين والمئة.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والمئة.

(٣) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والمئة.

(٤) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والمئة.

وإذا نزهته، نظر إليك الخلق بعين النزاهة والطهارة، تحكي لقلوب الخلق عن قلبك ما لربك من قلبك، فإن شئت، فازدد، وإن شئت، فانقص؛ فإن انتقصت، فإنما تنتقص حظ نفسك، فمنتهى قسمة الثناء إن خلط ذكره بذكره، وجعل على شخصه طلاوة سماته، فإذا رأوه، ذكروا الله.

قال له قائل: وما تلك السمات؟.

قال: سمات الحظوظ.

قال: حظوظ ماذا؟.

قال: حتى تخرج من المهد، وتنفطم من الارتضاع، فعندها تعرف السمات ـ إن شاء الله ـ.

قال: وما المهد؟ وما الفطام؟.

قال: إن الإنسان من حين يولد فهو راكب هواه، مستبد بأموره، غير مفارق لشهواته ونهماته ومناه، مقتدر، جبار، متكبر، متملك في مُلك الله، هذا حاله إلى أن يشيخ ويكبر، فهو في بقبقته ومناه كالصبي في المهد، يريد في كل أمر أن يبره ويلطف ويعطف عليه، ويعمل بهواه، ويعلل كالصبي، ويدارى ويوافق في مشيئاته، فهذا يدخل قبره، لم يدخل في عبودة الله قط، ولا تولى الله قط ولاية الحق، إنما تولاه ولاية التوحيد، وَحَّدَهُ بما منَّ عليه من عقد الإيمان، وقبل منه الإيمان، والإسلام، أن يكون مطمئن القلب بالله في كل حال، ساكناً عند أحكامه، مسلماً له جميع جوارحه عند أمره ونهيه، ثم هو عبد آبق منخلع العذار، مستبد، هَوِجٌ، جموح، إذا أمره، تثاقل وحزن، وإذا نهاه، جمح، وإذا قسم له بحسن تدبيره من الأحوال،

أرسل مشفريه كمشفري البعير[1]، وعبّس وجهه، وانقبض انقباض القنفذ، وإذا حكم عليه، التوى، ودلك بقدميه على الأرض.

فهذا: عبد دنياه، وعبد بطنه، وعبد فرجه وشهواته ومناه، فمن أين يقدر هذا أن يعظم أمر الله، ويعظم حقوقه، ويتذلل له عبودة؟! ومتى يصير هذا عالماً بالله، عارفاً له، وعارفاً لمننه وإحسانه، شاكراً، خاشعاً، خاضعاً، خائفاً لزوال النعمة، مستحيياً منه؟.

هيهات، ما أبعد هذا! فهذا رضيع في المهد، فأين يكون غداً من تلك العرصة العظيم شأنها، ومن تلك الصفوف، كما يكون الصبي في محافل الدنيا مع مخاطه، وأدناسه، ولهوه، ولعبه، وخرقه من وراء الباب، لا يعبأ به، ولا يهيأ له مجلس، والذي فطم حتى شب، وتأدب، والتحى، وأخذ الزينة، والهيئة، والبهاء من اللباس، والأدب أين يقعد؟.

فكذلك: من فطم نفسه عن الشهوات، والمنى عن ارتضاع حلاوة الدنيا، ورمى تعلل نفسه وبقبقته، ورفع باله عن الخلق، ماذا يقال له؟ وماذا يكون؟ أعتقه الله من رق النفس بأنوار الهدى، وحشا صدره من أنوار الحظوظ، ووسمه بسماته.

فالدنيا كلها تحت قدمه، والخلق من وراء ظهره، والله تعالى نصب عينيه، يتخطى على أعناق الخلق في الموقف إلى الله تعالى، يشق الصفوف صفاً صفاً، ويقال له: ادن، حتى يغبطه الناظرون إليه من أهل القربة، وهو قول رسول الله ﷺ.

---

(١) في الأصل: البير، والصواب ما أثبتناه.

(١٤٣٠) ـ نا بذلك صالح بن محمد، قال: نا عبد الحميد ابن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أبي مالك الأشعري، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «**اعقِلُوا، وَاعلَمُوا أَنَّ للهِ عِبَاداً لَيسُوا بِأَنبِيَاءَ، وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ؛ لِمَكَانِهِم وَقُربَتِهِم مِنَ اللهِ تَعَالى**»، فقام أعرابيٌّ، وقال: يا رسول الله! من هم؟ حَلِّهم لنا، فَسُرَّ وجهُ رسول الله، وقال: «**هُم قَومٌ لَم تَصِل بَينَهُم أَرحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، مِن أَفنَاءِ النَّاسِ، وَنَوَازِعِ القَبَائِلِ، تَحَابُّوا فِي جَلاَلِ اللهِ، وَتَصَافَوا فِيهِ، وَتَزَاوَرُوا فِيهِ، وَتَبَاذَلُوا فِيهِ، يَضَعُ اللهُ لَهُم مَنَابِرَ مِن نُورٍ، فَيَجلِسُونَ عَلَيهَا، وَإِنَّ ثِيَابَهُم لَنُورٌ، وَوُجُوهُهُم نُورٌ، لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلاَ يَفزَعُونَ إِذَا فَزِعَ النَّاسُ، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**»[١].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٣)، وابن المبارك في «المسند» (ص: ٦)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (ص: ٤٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٧/ ١٩٥ ـ ١٩٦)، والمقدسي في «المتحابين في الله» (ص: ٤٩) من طريق عبد الحميد بن بهرام، به.

إلا أنهم قالوا: عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي مالك.

وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٢٠١)، وأبو يعلى في «المسند» =

(١٤٣١) ـ نا عبد الرحيم بن حبيب، قال: نا بقية، عن هقل بن زياد السكسكي، عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبداً، أَثنَى عَلَيهِ مِنَ الخَيرِ مِثلَ عَمَلِهِ سَبعَ مَرَّاتٍ، وَإِذَا أَبغَضَ عَبداً، أَثنَى عَلَيهِ مِثلَ عَمَلِهِ مِنَ الشَّرِّ سَبعَ مَرَّاتٍ»[1].

(١٤٣٢) ـ نا العباس بن أيوب الزبيري، قال: نا أبو عاصم النبيل، قال: نا حيوة بن شريح، عن سالم بن غيلان، عن دراج أبي السمح، عن أبي الهيثم، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبداً، أَثنَى عَلَيهِ سَبعَةَ أَصنَافٍ مِنَ الخَيرِ لَم يَعمَلهُ، وَإِذَا أَبغَضَ عَبداً، أَثنَى عَلَيهِ

= (٦٨٤٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٢٩٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٤٨٦) من طريق شهر بن حوشب، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٧): رواه أحمد، والطبراني، بنحوه. . .، ورجاله وثقوا.

قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٣): رواه أحمد، وأبو يعلى بإسناد حسن، والحاكم، وقال صحيح الإسناد.

(١) هذا إسناد ضعيف جداً، شيخ المصنف ليس بشيء، واتهمه ابن حبان بالوضع. «لسان الميزان» (٤/ ٤)، وفيه عنعنة بقية، ودراج عن أبي الهيثم حاله معروف. وانظر ما بعده.

بِسَبعَةِ أَصنَافٍ مِنَ الشَّرِّ لَم يَعمَلهُ»[1].

فهذا ينبئك أن الثناء من الله تعالى على عبده بسريرته فيما بينه وبينه؛ لأن الخلق قد عاينوا علانيته، فإنما يثني الله عليه بما غاب عن أعين الخلق، وإنما يثني عليه بأصناف الخير الذي لم يعمله؛ لأنه اطلع على قلبه، فرأى فيه نية تلك الخيرات ومحبتها، والاهتمام لها، وهو باق عنها؛ لأنه لا يقدر على ذلك.

(١٤٣٣) ـ نا صالح بن عبدالله، قال: نا يوسف بن عطية، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «هَل تَدرُونَ مَنِ المُؤمِنُ؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «المُؤمِنُ: مَن لاَ يَمُوتُ حَتَّى يَملأَ اللهُ مَسَامِعَهُ مِمَّا يُحِبُّ، وَلَو أَنَّ عَبداً اتَّقَى اللهَ في بَيتٍ، أَو فِي جَوفِ بَيتٍ إِلى سَبعِينَ بَيتاً، عَلَى كُلِّ بَيتٍ بَابٌ مِن حَدِيدٍ، أَلبَسَهُ اللهُ رِدَاءَ عَمَلِهِ حَتَّى يَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ، وَيَزِيدُونَ، وَالكَلاَمُ مِثلُ ذَلِكَ في فُجُورِهِ»، قيل: وكيف يزيدون يا رسول الله؟ قالَ: «إِنَّ التَّقِيَّ لَو يَستَطِيعَ أَن يَزِيدَ في بِرِّهِ، لَزَادَ، وَالفَاجِرُ لَو

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٠) من طريق أبي عاصم النبيل، به.

وأخرجه عبد بن حميد في «المسند» (ص: ٢٨٩)، والحارث في «المسند» (٢/ ٩٨٩ زوائد الهيثمي)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٥١٠)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٨٢٦) من طريق حيوة بن شريح، به. إلا أنه عندهم عن أبي سعيد مرفوعاً.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، قال أحمد: أحاديث دراج مناكير.

يَستَطِيعُ أَن يَزِيدَ في فُجُورِهِ، لَزَادَ»[1].

قال ثابت: وبلغني أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ نِيَّةَ المُؤمِنِ خَيرٌ مِن عَمَلِهِ».

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالصادق إنما يُسر عمله؛ لئلا يكتسب به من الخلق منزلة، فيقال له غداً ما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ.

(١٤٣٤) ـ نا بذلك نصر بن يحيى، قال: نا أبو إسماعيل ببغداد، رفع الحديث، قال: «يَقُولُ اللهُ لِعَبدِهِ يَومَ القِيَامَةِ: عَبدِي عَبَدتَنِي، أَكرَمَكَ النَّاسُ وَوَضَعُوكَ عَلَى رُؤُوسِهِم، زَهِدتَ فِي الدُّنيَا رَاحَةً تَعَجَّلتَهَا، فَهَل وَالَيتَ فِيَّ وَلِيّاً، وَعَادَيتَ لي عَدُوّاً؟»[2].

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٥٩) من طريق يوسف بن عطية، به.
وقال البيهقي رحمه الله: تفرد به يوسف بن عطية الصفار عن ثابت، وروايته عنه أكثرها مناكير، لا يتابع عليه، والله تعالى أعلم.
وقد تقدم تخريجه في الأصل الرابع والثلاثين والمئتين.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣١٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٠٢)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٧/ ٤٣٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
وناقش ابن عبد البر أسانيده، وأنه موقوف أو مرفوع، فانظره.
وأخرجه ابن قدامة المقدسي في «المتحابين في الله» (ص: ٣٤) عن ابن المبارك، من قوله. =

(١٤٣٥) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا سليمان بن شرحبيل الدمشقي، قال: نا بشر بن عون الدمشقي، عن بكار ابن تميم القرشي، عن مكحول، عن واثلة بن الأسقع، عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «**يُؤتَى يومَ القِيامَةِ بِعَبدٍ مُحسِنٍ في نَفسِهِ، لاَ يَرَى أَنَّ لَهُ سَيِّئَةً، فَيُقَالُ لَهُ: هَل كُنتَ تُوَالي أَولِيَائِي؟ قَالَ: يَا رَبِّ! كُنتُ مِنَ النَّاسِ سِلماً، قَالَ: فَهَل كُنتَ تُعَادِي أَعدَائِي؟ قَالَ: يَا رَبِّ! إِنِّي لَم أَكُن أُحِبُّ أَن يَكُونَ بَينِي وَبَينَ أَحَدٍ شَيءٌ، فَيَقُولُ الرَّبُّ تَعَالى: وَعِزَّتِي! لاَ يَنَالُ رَحمَتِي مَن لَم يُوَالِ أَولِيَائِي، وَلَم يُعَادِ أَعدَائِي**»[1].

فإذا أسرَّ الصادق من هذا الوجه، كان ممن باهى الله به ملائكته، وقال: هذا عبدي حقاً، فإذا أثنى عليه بالعبودة حقاً، فإنما أثنى لعجبه به، فلم يكن ليحل العبد ربه محل الإعجاب، ثم لا يفيده شيئاً.

فأول فوائده: أن ينشر ثناءه على قلوب أهل الأرض، حتى ينظروا إليه بتلك العين، وتتناسم الأرواح برؤيته، وتتباشر القلوب بلقائه، وتلذ الأعين بالنظر إليه، فإذا أعلنها، فإنما يعلنها حباً لأن يعبد الله في أرضه،

= وهما بلفظ: «أوحى الله ﷻ إلى نبي من الأنبياء: أن قل لفلان العابد: أما زهدك في الدنيا...».

(١) تقدم تخريجه في الأصل التاسع عشر والمئة.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٩): وفيه بشر بن عون، وهو متهم بالوضع.

نصحاً لله في ذاته، ونصحاً له في دينه، ونصحاً لله في كتابه ورسوله.

(١٤٣٦) ـ نا أبي، قال: نا أبو نعيم، عن سفيان الثوري، عن سهيل بن أبي صالح، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن تميم الداري، عن رسول الله ﷺ، قال: «أَلا إِنَّ الدِّينَ نَصيحةٌ ـ ثَلاثاً ـ»، قيل: لمن؟ قال: «للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسلِمِينَ»[١].

فنصيحته لله في ذاته: أن تكون عينه مادة إلى عظمة الله.

ونصيحته له في دينه: أن تكون عينه مراقبة لجلال الله، وما يخرج من تدبيره من باب القدرة من تلك المشيئة.

ونصيحته له في كتابه: إقامة الحق، والقيام بما فيه من العمل ظاهراً وباطناً.

ونصيحته له في رسوله: تعزيزه وتوقيره، وحفظ سننه، واتباع حديثه وشمائله، والتخلق بأخلاقه.

(١٤٣٧) ـ نا أبو الأشعث العجلي، نا حزم القطعي، قال: نا الحسن البصري، عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «خِيارُ عِبادِ اللهِ الَّذينَ يُحَبِّبُونَ اللهَ إِلى عِبادِهِ، وَيُحَبِّبُونَ العِبادَ إِلى رَبِّهِم، وَيَمشُونَ للهِ في الأَرضِ نُصحاً»[٢].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

فأما الذي يعمل، فيحب أن يحمد، فهو على وجهين: فإن كان حبه للحمد؛ لأن تعلو منزلته بذلك عند الخلق، ويتخذ بذلك جاهاً عندهم للإكرام، والارتفاق بحطام الدنيا، فإذا ثبت على هذا، ورضي من نفسه، فهذه فتنة وإفساد، وإذا عمل على هذا، وطلب الحمد في العمل أن يحمد في العمل على هذا السبيل، أفسد عمله.

وإذا تراءى له من نفسه حب هذا السبيل، فرده، ولم يرض به من نفسه، ولم يقبل قلبه ذلك، فهو على خطرٍ عظيم، وفيه الداء العضال، ولكن لا يفسد عمله، وإذا كان حبه للحمد من نزاهة نفسه، وشرف قلبه في الدين، طلب الجمال والهيئة، والله تعالى جميل يحب الجمال وذوي الهيئة، فإن طلبه في أموره أن يحمد، فهو محمود؛ لأنه لم يطلب بذلك الحمد دنيا، إنما طلب به مسكة الدين والعصمة؛ لئلا يذل في خلقه ببذل دينه.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لَيسَ لِلمُؤمِنِ أَن يُذِلَّ نَفسَهُ»[1].

وقال في خطبته: «طُوبَى لِمَن تَوَاضَعَ في غَيرِ مَذَلَّةٍ»[2].

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الثالث عشر.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٨١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ٢٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه في خطبة النبي ﷺ.

وهذه الخطبة أخرجها تمام في «الفوائد» (١/ ٢٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرج نحوه الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٢٧٧) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ، مرفوعاً.

وأخرج نحوه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٣٨)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (ص: ٩٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/ ٢٥٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ٧١)، وفي «مسند الشاميين» (٢/ ٥٦)، =

(١٤٣٨) ـ نا أبي، قال: نا أبو نعيم، عن هشام بن سعد، قال: حدثني قيس بن بشر التغلبي، قال: أخبرني أبي، قال: كنت جالساً عند أبي الدرداء، فمر بنا ابن الحنظلية ـ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ـ، وكان رجلاً متوحداً قلما يجالس الناس، إنما هو صلاة، فإذا انصرف، فإنما هو تسبيح وتكبير وتهليل حتى يأتي أهله، فمر بنا يوماً، فقال أبو الدرداء: كلمنا كلمة تنفعنا ولا تضرك؟ فقال: بعث رسول الله ﷺ سرية، فقدمت، فقال رجل: لو رأيتنا حين لقينا العدو، فطعن فلان فلاناً، قال: خذها وأنا الغلام الغفاري، ورجل إلى جنبه، فقال: كيف ترى؟ فقال: ما أراه إلا وقد أبطل أجره، قال الآخر: لا أرى

= وتمام في «الفوائد» (٢/ ٢٣٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٠٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٣٦٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٢٢٥)، وفي «السنن الكبرى» (٤/ ١٨٢) من حديث ركب المصري، مرفوعاً، بلفظ: «طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسكنة...».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٩): رواه الطبراني من طريق نصيح العنسي عن ركب، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

وضعف إسناده الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٤٩٨) في ترجمة ركب المصري.

بذلك بأساً، فتنازعوا في ذلك حتى سمع رسول الله ﷺ فقال: **«سُبحَانَ [اللهِ]! لاَ بَأسَ أَن يُؤجَرَ وَيُحمَدَ»**.

فسر بذلك أبو الدرداء، فقال: أنت سمعت هذا؟ فجعل يقول: نعم[1].

وروى يزيد بن هارون، عن عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، عن ابن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، ولا أعلمه إلا عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ بن جبل، قال: قال رجل: يا رسول الله! إني أحب [أن] أُحمد، كأنه يخاف على نفسه، فقال: **«وَمَا يَمنَعُكَ أَن تَعِيشَ حَمِيداً، وَتَمُوتَ فَقِيداً؟ وَإِنَّمَا بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مَحَاسِنَ الأَخلاَقِ»**[2].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ٩٤) من طريق أبي نعيم، به.
وأخرجه أبو داود (٤٠٨٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٥٣٠)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢/ ٥٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٠٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ١٦٣) من طريق هشام بن سعد، به.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وابن الحنظلية... هو سهل بن الحنظلية من زهاد الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ.

(٢) أخرجه الحارث في «المسند» (٢/ ٨٤١ زوائد الهيثمي)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص: ٢١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٦٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٣١)، والبرجلاني في «الكرم والجود» (ص: ٣٣) من طريق يزيد بن هارون عن عبد الرحمن، عن ابن أبي حسين، عن مكحول، عن شهر، به.
وقائلُ: لا أعلمه إلا عن...: هو يزيد بن هارون.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٣): رواه الطبراني، والبزار..، وفيه عبد الرحمن بن أبي بكر؛ وهو ضعيف.

وفي رواية أخرى: أن هذا الرجل الذي سأل رسول الله ﷺ هو ثابت ابن قيس بن شماس[1].

فهذا يحب الحمد، ولتشرف نفسه، وللتجمل هرباً من الذم، ونزاهة من دناءة النفس؛ لأن الحمد والذم ضدان، فإذا فقد الحمد، ظهر الذم، وأما الذي يحب الحمد للمباهاة، وطلب العلو، فذاك مذموم مضر، وقد قال تعالى في تنزيله: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[القصص: ٨٣].

فهذا رجل مفتون يحب الدنيا، ويحب الحمد؛ للعلو فيها، والمنافسة في حطامها، والمزاحمة لأهلها في تناولها، حتى يؤديه ذلك إلى الطغيان، وأن يحب أن يحمد بما لم يفعل، وقد ذم الله تعالى في تنزيله هذه الطبقة، فقال تعالى: ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾[آل عمران: ١٨٨].

وروى ابن المبارك، عن أفلح بن سعيد، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: إن ملوك بني إسرائيل لما بدلوا حكم الله، خافوا من الرعية أن تغير عليهم، فابتغوا من يحمد أمرهم عند العامة، فدعوا علماءهم، فأكرموهم، وأعطوهم، فقبلت العامة منهم، فأنزل الله هذه الآية يعظهم بها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران: ١٨٧]؛ أي: كتموا الحق، وقبلوا من الملوك، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فوعدهم بالعذاب.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٢٣٩)، وابن حبان في «الصحيح» (٧١٦٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٦٦)، وفي «مسند الشاميين» (٤/ ٢٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٦٠).
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

(١٤٣٩) ـ نا عبدالله بن خلف بن موسى البلخي، عن الوليد بن مسلم، عن خالد بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن رسول الله ﷺ[١].

(١٤٤٠) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا هشام بن عمار الدمشقي، عن عمرو بن واقد[٢]، عن يونس بن ميسرة، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَيسَ الزَّهَادَةُ في الدُّنيَا بِتَحرِيمِ الحَلاَلِ، وَلاَ إِضَاعَةِ المَالِ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ: أَن لاَ تَكُونَ بِشَيءٍ مِمَّا في يَدِكَ أَوثَقَ مِنكَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ، وَأَن يَكُونَ ثَوَابُ المُصِيبَةِ أَحَبَّ إِلَيكَ مِن أَن لَو بَقِيَت عِندَكَ المُصِيبَةُ، وَلِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةٌ، وَلاَ يَبلُغُ العَبدُ حَقِيقَةَ الإِيمَانَ حَتَّى يَعلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَم يَكُن لِيُخطِئَهُ، وَمَا أَخطَأَهُ لَم يَكُن لِيُصِيبَهُ، وَلاَ يَبلُغُ العَبدُ حَقِيقَةَ الإِخلاَصِ حَتَّى لاَ يُحِبَّ أَن يُحمَدَ عَلَى شَيءٍ عَمِلَهُ للهِ»**[٣].

فهذا فعل السابقين الذين وصفناهم بدءاً.

---

(١) انظر ما بعده.

(٢) في الأصل: عثمان بن واقد، والصواب ما أثبتناه كما تقدم عند المصنف.

(٣) تقدم تخريجه في الأصل السابع والمئة.

ومنزلة أخرى في هذا الباب أشرفُ من هذا كله، وهو: أن يحب الحمد، ومنبع حبه الحمد من حب الله تعالى، وهو يحب أبداً أن يُكسى عبده، فترى عليه تلك الكسوة، وتنطق الألسنة بذلك الحمد، فتكون تلك الألسنة شهوداً لله في الأرض، هذا أشرف المنازل.

وهو الذي سأل الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾[الشعراء: ٨٤]؛ أي: الثناءَ الحسن، إبراهيمُ سأل، فأجيب إلى ذلك، فقال: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾[الصافات: ٧٨]، ومحمد ﷺ فوض ذلك إلى ربه، فزاده، فقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[الشرح: ٤]، فقرن ذكره بذكر نفسه، ثم جعل لأمته من ذلك أوفر الحظ.

فقال موسى عليه السلام: يا رب! من أولياؤك؟ قال: الذين إذا ذكروا، ذكرت، وإذا ذكرت، ذكروا[١].

وقيل: يا رسول الله! من أولياء الله؟ قال: «الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا، ذُكِرَ اللهُ»[٢].

(١٤٤١) ـ نا بشر بن هلال الصواف، قال: نا جعفر ابن سليمان الضبعي، عن ثابت، عن أنس، قال: مات رجل على عهد رسول الله، فأثني عليه خيراً، فقال ﷺ: «وَجَبَتْ»، ثم مات آخر، فأثني عليه شراً، فقال: «وَجَبَتْ»، فسئل، فقال ﷺ: «أَنتُم شُهداءُ اللهِ في الأَرضِ»[٣].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه في الأصل السابع والستين.

(١٤٤٢) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا محمد بن سلام، عن مخلد بن يزيد، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن عبدالله بن أبي الفضل المدني، عن أبي هريرة، قال: أتي رسول الله ﷺ بجنازة، فصلى عليها، فقال الناس: نعم الرجل، قال: «وَجَبَتْ»، ثم أتي بجنازة، قال الناس: بئس الرجل، قال ﷺ: «وَجبَتْ»، قال أبي بن كعب: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٤٣][(١)].

(١٤٤٣) ـ نا صالح بن عبدالله، قال: نا يوسف بن عطية، عن ثابت، عن أنس، قال: بينا رسول الله ﷺ قائم، إذ مرت به جنازة، فسأل عنها، فأثنوا خيراً، فقال عليه السلام: «وَجبَت»، ثم مرت أخرى، فأثنوا عليه شراً، فقال رسول الله ﷺ: «وَجبَت»، فقلنا: يا رسول الله! قلت: «وَجبَت»، قال: «إِنَّ المُؤمِنِينَ شُهَدَاءُ اللهِ في أَرضِهِ، إِذَا شَهِدُوا لِعَبدٍ بَخَيرٍ، أَوجَبَ اللهُ لَهُ الجَنَّةَ، وَإِن شَهِدُوا لِعَبدٍ بِشَرٍّ، أَوجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَمَا مِن عَبدٍ شَهِدَ لَهُ أُمَّةٌ، إِلاَّ

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ١٦٩) من طريق محمد بن سلام، به.
وأخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢/ ٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٤٣٣) من طريق الأوزاعي، به.

قَبِـلَ اللهُ شَهَادَتَهُ، وَالأُمَّةُ: الوَاحِدُ إِلى مَا فَوقَهُ»[1].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾[النحل: ١٢٠].

فهذه أمة مهدية، محبوَّةً بالكرامات، مختصَّةٌ بالرحمة، مفضَّلةٌ على سائر الأمم، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣].

فالوسط: العدل، فإنما صارت القلوب عدلاً في هذه الأمة؛ لأنها فضلت باليقين، وأعطيت العدل على القلوب، وأعطيت سبيل الهدى إلى العلم، وإلى مجالس النجوى بوافر الحظوظ، فإذا نطقوا وأثنوا، فإنما يثنون بذلك لسان صدقٍ من الله لعبده، أنطق الألسنة بذلك، ويغفر لهم ما لا يعلمون، حتى لا تسقط عدالة الأمة، فالأمة لسان الجماعة.

فإذا مات الميت، نطقت ألسنة الجماعة بالثناء بما يعرفون من الظاهر الذي يظهر عندهم، فيقبل الله شهادتهم على أقوالهم بما يثنون، وجعل له حظاً من مسألة إبراهيم لنفسه، فترك لهذا العبد الثناء الحسن في الآخرين قرناً بعد قرن.

(١٤٤٤) ـ نا صالح بن محمد، قال: نا سليمان بن عمرو، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِن مُسلِمٍ يُوضَعُ في

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ.

وهذا إسناد تالف، يوسف بن عطية متروك كما تقدم مراراً، والله أعلم.

قَبرِهِ، فَيُثنِي عَلَيهِ ثَلاثَـةُ أَهلِ أَبيَـاتٍ مِن جِيرَانِهِ خَيراً، إِلاَّ قَالَ اللهُ لِمَلائِكَتِهِ: قَبِـلتُ شَهَادَةَ عِبَادِي لِعَبدِي هَذَا فِيمَا ظَهَرَ لَهُم، وَغَفَرتُ لَهُ مَا لاَ يَعلَمُونَ»[1].

ولهذا ما جاء لنا في دعوات الجنائز من السلف: أن أحدهم كان يقول: اللهم هذا عبدك نزل بك، وأنت خير منزول به[2].

ولا نعلم منه إلا خيراً، فاستحبوا أن يقولوا في صلاة الجنائز، وخلف الجنائز، ينطقون بهذا، ويفشون الكلام بذلك؛ ليكون بذلك غياثاً للميت.

ووجدنا في حديث عبدالله بن وهب المصري، عن بكر بن مضر، عن مولى لآل معاوية: أن رجلاً كان في بني إسرائيل أوحى الله إلى موسى أنه مراءٍ، فلما توفي الرجل، وكان حسن الحال فيما يرى الناس، طفقت بنو إسرائيل تثني عليه خيراً، ويذكرون من فضله، فلما ذهبوا به يدفنونه،

---

(١) هذا إسناد مسلسل بالمتروكين، والله أعلم.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٤٢)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (١/ ٣٥٦)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٤٨١)، وابن حبان في «الصحيح» (٣٠٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٣٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٢) من طريق أنس ﷺ، به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤): ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٥١٠)، وابن الجعد في «المسند» (ص: ٢٨٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٠٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٧) عن عمير بن سعيد: أن علياً كبر على يزيد بن المكفف أربعاً، ثم قام على القبر. فذكره.

ترك موسى شهوده، وأبى أن يشهده، فأوحى الله تعالى إلى موسى: ما منعك أن تشهده؟ قال: يا رب! إنه كان مرائياً، قال: فإني قد غفرت له فيما كان بيني وبينه، وقبلت شهادة عبادي له.

رجعنا إلى عمل السر والعلانية:

(١٤٤٥) ـ فحدثنا أبو سنان البلخي، قال: نا عبدالله بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾[البقرة: ٢٧١]، قال: جعل الله صدقة السر من التطوع يفضل علانيتها بسبعين ضعفاً، وجعل صدقة الفريضة علانيتها بأفضل من سرها بخمسٍ وعشرين ضعفاً، وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها[(١)].

وإنما قال ابن عباس ذلك ـ فيما نرى ـ من قول رسول الله ﷺ: **«إِنَّ عَمَلَ السِّرِّ مِنَ التَّطَوُّعِ تَفضُلُ العَلاَنِيَةَ سَبعِينَ ضِعفاً»**[(٢)].

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٧٧): لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنه.

وأخرجه ابن جرير في «التفسير» (٣/ ٩٢) من طريق عبدالله بن صالح، قال: حدثني معاوية بن صالح، عن علي، عن ابن عباس، به.

ومعاوية ساقط عند المصنف، والله أعلم، وعلي بن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس، وبينهما مجاهد. انظر: «تهذيب التهذيب» (٧/ ٢٩٨).

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٦/ ٢٨١) للخطيب في «المتفق والمفترق»، =

وقال في حديث آخر: «**صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ - يعني بها: الفريضة - تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ وَحدَهُ بِخَمسٍ وَعِشرِينَ دَرَجَةً**».

فجعل سائر الأعمال على ذلك.

(١٤٤٦) - نا محمد بن عبدالله بن بزيع البصري، قال: نا معتمر بن سليمان، قال: سمعت سفيان الثوري يحدث عن أبي سلمة، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعةِ تَفضُلُ عَلى صَلاتِهِ وَحدَهُ خَمساً وَعشرِينَ صَلاةً**»(١).

(١٤٤٧) - نا الحسن بن قزعة البصري، قال: نا روح بن عطاء بن أبي ميمونة، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل، عن رسول الله ﷺ، قال: «**صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعةِ تَفضُلُ عَلى صَلاتِهِ وَحدَهُ**

= والديلمي عن ابن عباس رضي الله عنه، وفيه: عمر بن أبي [عمر] البلخي، شيخ الحكيم الترمذي، ضعيف. بلفظ: «فضل عمل المهاجر على الأعرابي سبعين ضعفاً، وفضل عمل العالم على العابد سبعين ضعفاً، وفضل عمل السر على العلانية سبعين ضعفاً، ومن استوت سريرته وعلانيته، باهى الله تعالى به ملائكته، ثم يقول: يا ملائكتي! هذا عبدي حقاً».

(١) أخرجه ابن ماجه (٧٩٠) من طريق أبي بن كعب رضي الله عنه، به.

خَمساً وَعشرِينَ دَرجَةً»[1].

(١٤٤٨) ـ نا أبو هشام الرفاعي، قال: نا محمد بن فضيل، قال: نا عطاء بن السائب، عن أبي الأحوص، عن عبدالله: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعةِ تَزِيدُ عَلى صَلاتِهِ وَحدَهُ بِضعاً وَعشرِينَ دَرجَةً»[2].

(١٤٤٩) ـ نا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: نا

---

(١) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ١٠٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٣٩)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ٣٣٥) من طريق عبدالملك ابن عمير، به.

وقال ابن عدي: هذا الحديث لا أعلم يرويه بهذا الإسناد عن عبد الملك بن عمير غير عبد الحكم بن منصور، وروح بن عطاء بن أبي ميمونة.

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ١٣٢): ورد من طرق ضعيفة عن معاذ، وصهيب، وعبدالله بن زيد، وزيد بن ثابت، وكلها عند الطبراني، واتفق الجميع على: «خمس وعشرين».

(٢) أخرجه البزار في «المسند» (٥/ ٤٣٢)، وأبو يعلى في «المسند» (٥٠٧٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٠٤) من طريق محمد بن فضيل، به.

وقال البزار: ولا نعلم أسند عطاء بن السائب عن أبي الأحوص عن عبدالله إلا هذا الحديث.

وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٢٢٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٣١٤)، وتمام في «الفوائد» (٢/ ٢١٠) من طريق أبي الأحوص، به.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٦١): ورجال أحمد ثقات.

يحيى بن صالح الوحاظي، عن جابر بن غانم، عن ابن صهيب، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ، بمثله[1].

(١٤٥٠) ـ **نا** عبد القدوس بن محمد بن عبد الكبير بن محمد بن شعيب بن الحبحاب، قال: حدثني عمي صالح ابن عبد الكبير، عن عمه عبد السلام بن شعيب، عن أبيه، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ، قال: «**صَلاةُ الجَماعةِ تَزيدُ عَلى صَلاةِ الرَّجُلِ خمساً وَعشرينَ ضِعفاً**»[2].

(١٤٥١) ـ **نا** عبد الكريم، أنا علي بن الحسن، أنا عبدالله، أنا مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، بمثله[3].

---

(١) أخرجه البزار في «المسند» (٦/ ٣٣) من طريق إبراهيم بن سعيد الجوهري، به.
وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٣٥) من طريق يحيى بن صالح، به.
كذا ساق المصنف الإسناد، وساقه الطبراني والبزار فقالا: عن ابن صهيب عن أبيه عن جده، ولعل صوابه: عبد الحميد بن صيفي بن صهيب عن أبيه عن جده.
وانظر «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ٣٤٤) من طريق عبد السلام بن شعيب، به.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٨): رواه البزار، والطبراني في «الأوسط»، ورجال البزاز ثقات.

(٣) أخرجه مسلم (٦٤٩)، والترمذي (٢١٦)، والنسائي (٢/ ١٠٣)، وفي «السنن الكبرى» (٩١٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٧٣)، وابن حبان «الصحيح» =

(١٤٥٢) ـ نا يحيى بن حبيب بن عربي، نا حماد بن زيد، عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن المسيب، والشعبي، عن أبي هريرة، بمثله[1].

(١٤٥٣) ـ نا أبي، عن الفضل بن دكين، عن العمري، عن نافع، عن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ: أنه قال: **«تَفضُلُ صَلاةُ الجَماعةِ بِسبعٍ أَو خَمسٍ وَعِشرينَ دَرجةً»**[2].

= (٢٠٥٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٦٠) من طريق مالك بن أنس، به.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٤٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٤٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ١٠٢) من طريق ابن شهاب، به.

أخرجه مسلم (٦٤٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٨) و(٢/ ٥٠١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٢٢٦)، وأبو يعلى في «المسند» (٦١٥٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ١١٤)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٣٣٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٤٧) من طريق أبي هريرة ﷺ.

(١) أخرجه الدارمي في «السنن» (١/ ٣٢٩)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٢/ ٣٦٤)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ١١١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٣٠٢) من طريق داود بن أبي هند، به.

ولم يُذكر الشعبي عند أحد، حتى الدارقطني في «العلل» (٩/ ١٤٠) عندما ذكر هذا الحديث وطرقه لم يذكر الشعبي، وإنما روي عن سعيد، وأبي سلمة، والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٩)، ومسلم (٦٥٠)، والترمذي (٢١٥)، والنسائي =

(١٤٥٤) ـ نا الحسن بن عمر بن شقيق البصري، عن عبد الوارث بن سعيد، عن أبان، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّلاةُ في الجَمعِ تَفضلُ عَلى صَلاةِ الرَّجلِ وَحدَهُ أَربَعاً وَعِشرِينَ دَرَجَةً، وَهي الخَامِسةُ»[1].

وروي عن أبي جعفر محمد بن علي في قوله تعالى: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾[البقرة: ٢٧١]، قال: الفرائض، ﴿وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ﴾، قال: التطوع.

قال أبو جعفر: وحق لمعدن النبوة أن يكون هكذا.

ووصف الله إبداء الصدقة وإظهارها بالنعمة، فقال: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾، وإنما هو: نَعِمَ؛ كقولك: فَعِلَ، وهو ضد بَئِس، من البؤس، فالنعمة والبؤس ضدان، فكل شيء جسم، واحتشى، ورطب، فهو نعمة، وكل شيء هزل، وصار منحولاً، ويبس، فهو بؤس، فقال: نعم.

= (٢/ ١٠٣)، وأحمد (٢/ ٦٥)، وابن حبان في «الصحيح» (٢٠٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٤٧) من طريق نافع، به.

إلا أنه بدون لفظ: «أو خمس».

(١) لم أجده من حديث أنس، إنما أخرجه ابن ماجه بنحوه (٧٩٠) من حديث أبيّ، وقد تقدم.

وأخرجه البزار في «المسند» (٥/ ٤٢٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ولم يتضح لي في سند المصنف من المقصود بأبان، وفي الرواة عن أنس: أبان ابن صالح، وهو ثقة، وأبان بن أبي عياش، وهو متروك، ولعل المراد هنا: الثاني، والله أعلم.

ثم نسب فعل نعم إلى ما، وما باطن الأشياء، ونسب الباطن إلى الصدقات؛ كأنه قال: إبداء الصدقة نعم باطنة؛ أي: باطن الإبداء نعم، وإنما نعم باطنُ الإبداء؛ لأنه فريضة افترضها الله على عباده؛ دواءً لأسقام قلوب العباد؛ لأن القلوب سقمت بحب المال، ولذلك سميت مالاً؛ لأن القلوب تميل بحبها من الله، فأمر بمفارقته على سبيل التصديق، وهو إظهار صدق الإيمان؛ لأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.

فافترض على نفوسهم أعمالاً، وفي أموالهم حقوقاً، فمن وفى له بهذه الفرائض والحقوق، فقد استوجب الجنة بالإيمان الذي قدم به على ربه، وبصدق الإيمان، فإنما سميت صدقة؛ لأنه إظهار صدق الإيمان، وصدق المبايعة التي بايع ربه، فإذا أبداها، فما في باطن هذا الإبداء شيء ناعم، فتلك مائية الإبداء.

قال له قائل: وما مائيته؟.

قال: البركة، فسميت صدقة؛ لأنه صدق إيمانك، وسميت زكاةً، والزكاة النماء، والنماء يحدث من البركة، فافترض عليك في مالك شيئاً معلوماً بعلمه، وعدله، وحكمه، لا بجهلٍ، ولا بجورٍ، ولا بجزافٍ؛ ليكون ائتمارك بذلك دواءً لسقمك، فيرجع نور انقيادك له، وائتمارك بأمره في ذلك إلى قلبك، فيطهره من أدناس الميل، ويكتسي قلبك ذلك النور الذي رجع إليك؛ لأنه بقدر ما نقص من نور قلبك لميلك عن الله إلى المال بحبك إياه، ارتحل عن قلبك من البركة الحالة بالأشياء، وعن مالك بقدر ذلك، ولذلك حلف رسول الله ﷺ فقال: «وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ! مَا نَـقَّصَت

صَدَقَةٌ مَالاً قَطُّ»[1].

وذلك أن الصدقة إذا خرجت من يد العبد، فقد زال ملكُها عن يده، وأزال حبَّها عن قلبه، ولكل ملكٍ مِلكٌ، ولكل مُلكٍ عزٌّ، فإذا زال ملكها عن يده، فقد تخلى عن الملك، وإذا تخلى عن الملك، سلَّم العز لله، وإذا سلَّم العز لله، جعل الله له من عزه حظاً، فأعزه، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون: ٨]، فإذا أزال حبها عن قلبه، صفا معدن حب الله في قلبه، ذلك الحب الذي وضعه في الإيمان، فنزه إيمانه، ونال حلاوته، ولذلك قال رسول الله : «الإِيمَانُ حُلوٌ نَزِهٌ فَنَزِّهُوهُ»[2].

فلكل حب حلاوة، فإذا مازج حلاوة حب الدنيا حلاوة حب الله، فقد خان الله، وخان الأمانة، وخان الرسول، وخان القرآن، وأهلك نفسه، فإذا تطهر وتنزه عن حب هذا المال، شكر الله له بأن نور قلبه بصفاته وبأسمائه، حتى يمتلئ صدره وقلبه من تلك الحلاوات، فهيهات أن يدخل فيه من حب الدنيا ما يقدر أن يمازجه، فرحم الله تعالى عامة المؤمنين، فأمرهم بإخراج شيء معلوم إلى الفقراء، وسماه: صدقة، وسماه: زكاة، يعلِّمهم أن هذا منهم إظهار صدق إيمانهم، وهو ما نقص من نور قلوبهم،

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٤٠٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٢٧٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
وأخرج نحوه مسلم (٢٥٨٨)، والترمذي (٢٠٢٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) تقدم ذكره في الأصل الثالث والعشرين.

وارتحل من بركاتهم عن القلوب والأموال، فلولا التهمة التي في نفوسهم، والكراهية التي تدخل عند أدائها، لم تنقص أموالهم من العدد والوزن شيئاً إذا أدوها، ولكن حجب عنهم الخلف بالتهمة التي في نفوسهم لله تعالى.

ولذلك قال رسول الله ﷺ حين تصدق عن تمرٍ قدر مد قبضةً قبضةً، والتمر بمكانه على هيئته، فقيل: يا رسول الله! أراك تعطي ولا ينقص؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَا تَقرأ القرآنَ؟ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[سبأ: ٣٩]، وَلكنَّكُم لاَ تَرونَ الخُلفَ مِن قِلَّةِ اليَقينِ».

(١٤٥٥) ـ نا بذلك الحسن بن عمر بن شقيق البصري، قال: نا جعفر بن سليمان الضبعي، عن سعيد الجريري، رفعه إلى رسول الله ﷺ[(١)].

وقال في حديث آخر: «لَو أَنَّ أُمَّ إِسمَاعِيلَ لَم تَغتَرِف مِن زَمزَمَ، لَكَانَت زَمزَم عَيناً مَعِيناً»[(٢)].

قوله: مَعيناً؛ أي: تأخذه العيون؛ كقولك: مَريئاً، ولكن لما اغترفت، وجعلت في السِّقَاء، انقطع المدد، فبقي عيناً مُستكناً غير مَعين، فأهل اليقين عرفوا هذه الخطة، فاستقاموا يقيناً، فَوفى الله لهم، فأنفقوا، فلم يفتقدوا منها شيئاً.

---

(١) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

وسعيد الجريري من صغار التابعين، وهو ثقة، إلا أنه تغير حفظه قبل موته. انظر: «تهذيب التهذيب» (٤/ ٦).

(٢) تقدم تخريجه في الأصل العاشر.

روي لنا: أنَّ عامر بن عبد قيس كان يأخذ عطاءه في ثوبه، ثم يعطيها قبضة قبضة، فإذا بلغ المنزل، وُزنت، فوُجدت كما هي، فكان بنو أعمامِه يفعلون ذلك، فينقص، فقالوا له ذلك، فقال: إنكم تجربون الله، وأنا لا أجرب.

فأما العامة من الموحدين، فإن الله تعالى أمرهم بالصدقة؛ كي يرجع نور الطاعة بالصدقة إلى قلوبهم، فيطهرها من آفات الميل، ولذلك سمي مالاً، فهو مسمًّى في التنزيل باسمين: مالٌ، وخيرٌ.

فالخير: ما كان منه منزوع الحُمَّة، وحُمَة المال وسمُّه: حبك له، فكل شيء منزوع منه حمته وسمه من قلبك، فهو خير، وكل شيء حمته وسمه باقٍ في السرِّ، وهو حبُّك، فاسمه: مال؛ لأنه مالَ بقلبك عن الله، فأما في التنزيل، فهو قوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[النور: ٣٣]، وهو قوله: ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾[ص: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[العاديات: ٨]، وقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[البقرة: ١٨٠].

فسماه خيراً عند حُضُور الموت، وزوالِ الشَهوة، وخلائِه من محبته؛ لأن فزع الموت، وهول المقدم على الله، يطفئ نار الشهوات، ويطمس حب المال عن قلبه، فسماه في ذلك الوقت: خيراً.

وقال تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[النور: ٣٣]؛ لأن ذلك وقت عطف ورحمة من السيد على عبد يرغب في عتقه من الرق، وتأخذه الحاجة؛ لأن المال مقام الدين، فمن أحب المال لحب الدين، فقد صدق الله في إيمانه، ووفَّى له، ولم يدخل عليه في حب إيمانه مُمازجة، ولا شوبٌ، وعلامتُه: أن يكون بما أعطى أشدَّ فرحاً منه بما بقي في يده.

ولذلك قال لداود عليه السلام فيما روي: «يا داود! هل تدري أيّ المؤمنين أعظم منزلةً عندي؟ الذي هو بما أعطى أشدُّ فرحاً منه بما حبس»[1].

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لَيسَ الزَّهَادَةُ في الدُّنيَا بِتَحرِيمِ الحَلاَلِ، وَلاَ إِضَاعَةِ المَالِ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَة: أَن لاَ تَكونَ بِشَيءٍ مِمَّا في يَدِكَ أَوثَق مِنكَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ، وَأَن يَكُونَ ثَوَابُ المُصِيبَةِ أَحَبَّ إِلَيكَ مِن أَن لَو بَقِيَت عِندَكَ المُصِيبَة»[2].

(١٤٥٦) ـ نا الجارود بن معاذ، قال: نا جرير، عن القاسم، عن جعفر، عن سعيد بن جبير: أنَّ ملك الموت أتى إبراهيم عليه السلام، فأخبره أنَّ لله في الأرض خليلاً، فقال: يا ملك الموت! من هو حتى أكون له خادماً؟ قال: فإنك أنت هو، قال: بماذا؟ قال: بأنك تحب أن تعطي، ولا تحب أن تأخذ[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾[ص: ٣٢]، وإنما سماه خيراً؛ لأن الله أعطاه ذلك الخيل المعروض عليه بالعشي تلك الصافنات الجياد، فكانت تلك عطية الله.

وروي لنا عن الضحاك:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (ص: ١٠٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٦٧) عن وهب بن منبه رحمه الله.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل السابع والمئة.

(٣) وعزا نحوه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٧٠٦) لابن المنذر عن ابن أبزى.
وعزا نحوه كذلك عن أبي هريرة، مرفوعاً، للديلمي بسند واهٍ.

(١٤٥٧) ـ نا بذلك صالح بن محمد، قال: نا محمد بن مروان، عن جويبر، عن الضحاك، قال: هي خيل منقوشة أخرجت لسليمان من البحر[١].

فإنما سماها خيراً؛ لأنها عطية الله، لاحقة بالملك الذي أعطاه ملك الدنيا، ثم قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[ص: ٣٩]، فحق له أن يسميه خيراً، ولا عتب عليه في حبه إياه.

قال له قائل: فما الذي حل به من حبه؛ حتى طفق مسحاً بالسوق والأعناق، فضرب سوقها وأعناقها؟.

قال: لأنه شغله حبه إياها عن صلاة العصر حتى فاتته، فلم يكن حبه حب فتنة؛ لأنه أعطي الملك بغير حساب، فعصم من الفتنة، ولكنه لما عرضت عليه الخيل، أحبها بحب الله؛ لأنها عطية الله، فشغل قلبه ذلك الحب عن حب شيء هو أعظم منه، وهو الصلاة، فلما رأى أن هذا الحب حطه عن درجة حب الصلاة، رمى بهذا الحب، فشكر الله له ذلك، فأبدله مكان هذا الخيل مركب الريح.

قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[ص: ٣٦].

فكان يركب غداة يومه في مركب من زجاج مئة طبق، في كل طبق صنف من جنوده وخدمه، وهو في أعلاها، فيما روي لنا، ثم تحمله الريح من بيت المقدس من أول النهار، حتى ينزل أرض فارس التي بها قلعة سليمان، وذلك مسيرة شهر، فيقيل بها، ثم يروح منها، فيمسي ببابل مسيرة

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الثالث والأربعين والمئتين.

شهر، وذلك قوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾[سبأ: ١٢].

فكان هذا من الله شكراً؛ حيث رأى انحطاطه عن درجة الصلاة إلى درجة عرضه الخيل؛ لأنه لا يتوهم على سليمان عليه السلام أنه اعترض الخيل تلذذاً، وتلعباً بالدنيا، ولكن نبي الله وصفيه، ومَحْبوه بالملك، إنما اعترض عطية ربه التي أعطاه بلا تبعةٍ ولا حساب، متلذذاً بعطف الله وبرأفته وبعطيته؛ ليحمده ويشكره شكراً يملأ منه سماءه وأرضه، فيكون حجة الله على ملوك الدنيا المائلين بقلوبهم عن الله بحبها، والمائلين بقلوبهم من أرباب الأموال في الدنيا، فتكون استقامته فيها لله قلباً وفعلاً، حجة لله على الآخرين، وتعييراً لهم، فلما رأى ذلك الحب شغله عن حب ما هو أعظم منه، رمى بها كالمعرض عنها حيث رأى النقص، فآثر ما آثره الله على الأشياء؛ لأنه رأى في الصلاة إقبال الله على عبده، ولم ير في العطية إقبالاً، ولا في اعتراضه العطية إقبالاً، فلما رأى فوت الإقبال، هاجت منه حرقة فوت الإقبال، فرمى بها، وتخلى عنه، فشكر الله له تلك الحرقة، فأعطاه ما لم يعط أحداً من الآدميين، وهو الريح.

والريح أصلها من المشيئة، بعثها إلى الجنة، ثم جعل للآدميين حظاً من تلك في دنياهم لأنفاسهم ومعاشهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[العاديات: ٨]، فأنبأ العباد أن هذا المال في الأصل قوام العباد في أمر دينهم، به يصلون، ويصومون، ويحجون، ويزكون ويتصدقون، ويتقربون إلى ربهم بالوسائل، قال الله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٥٨].

فأعمال الأركان لا تقوم إلا بهذا المال، وعيش الحياة في الأبدان

لا تقوم إلا بالمال؛ منه يطعم، ومنه يشرب، ومنه يكتسي، ومنه يسكن من الحر والبرد، وبه يتوقى المشقة والأذى، ويدفع الشدائد من الأحوال.

وقال في تنزيله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥].

فأعلمك أن هذا قوامك في أمر دينك ودنياك، فالمؤمن دينه ودنياه جميعاً في دنياه، فإن عمل لآخرته، فإنما يعمل في دنياه، وإن عمل لدنياه، فإنما يعمل في دنياه.

فهذا المال على ما وصفنا: هو حقيقٌ أن يسمى خيراً؛ لأن الخيرات به تقوم، فإذا أحبه، واشتد حبه له، فهذا غير معيب، ولا ملوم، ثم يفترق حبه له، فيصير على ضربين: فإن كان حبه للمال لأجل حب الله، فهو محمود، وإن كان حبه للمال من أجل حب نفسه الدنية البالية غداً في التراب، فهو مذموم؛ لأن حبه له من هذا الوجه حب فتنة، والفتنة تقدمه إلى النار؛ لأن ذلك حب الشهوة، والشهوة بباب النار[1].

وقال رسول الله ﷺ فيما روي عنه: «حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»[2].

وإن كان من حب الله، أحبه، فذاك الحب نور على نور في قلبه.

---

(١) من قوله: ومنه يسكن من الحر والبرد. . . إلى قوله: بباب النار: غير واضح في المخطوط، وزدته من المطبوع.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٢٢)، والترمذي (٢٥٥٩)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٥٣)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٤٣٧)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٢٧٥)، وابن حبان في «الصحيح» (٧١٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ١٤٧)، وغيرهم من حديث أنس بن مالك ؓ.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه صحيح.

قال له قائل: وكيف يكون حب المال من حب الله؟.

قال: علم العبد بأن الله قد أمره بأمور جعل مرضاته في تلك الأمور، وأن تلك الأمور لا تقوم إلا بالمال، فمن أحب ربه، أحب أمره، وابتغاء مرضاته في كل أمر دق أو جل، وما هيجه وقواه على تلك إلا حبه، ثم نظر، فإذا تلك الأمور لا تقوم إلا بالمال، أفليس من المحال أن يحب شيئاً من أجل حب ربه؟.

ثم يعلم أن ذلك الشيء لا يقوم، ولا يتهيأ إلا بشيء آخر، ثم لا يحب هذا الشيء الثاني، وكيف لا يحب العبد نعمة يلتذ بها، وبأثمار تلك النعمة، وهو يجد تلك النعمة، وتلك الآثار سبباً لمحبة ربه، ولحمد ربه؟ وإذا خلصت إليه لذة تلك الأشياء، هيجت منه ذكر المنعم، فأثارت في صدره نوراً بتجدد حمده، وينكشف له الغطاء عن عطف ربه عليه، ورأفته ورحمته به، فيزداد بذلك خضوعاً، وذلة، وحياء منه، وتتراكم عليه أثقال الشكر، فهذه النعم وآثار النعم على هذا الوجه محقوق أن يُحب.

وماذا يتوهم المؤمنون ما الذي حمل سليمان على أن سأل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده؟ أَحُبُّ الله حمله على ذلك، أم حب الدنيا؟ فإن توهم متوهم أنه إنما سأل ذلك لحب نفسه ودنياه، فقد عاب نبياً ورسولاً كريماً محموداً، قد أثنى عليه ربه في تنزيله، فقال تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾[ص: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[ص: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾[الأنعام: ٨٤]، ثم قال في آخر الآية: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام: ٩٠].

فسماه في تنزيله: مهدياً، وأواباً، وصاحب زلفة وحسن مآب، ونعم

العبد، فمن عاب مثل هذا العبد، فقد رد على الله، ولا آمن عليه الكفر، ومن جهل شأن هذا، افتضح كما افتضح هؤلاء القراء، وأغتام الزهاد، حتى أضمروا له على سوء جهلهم ذلك على أن قبلوا من جهلهم أحاديث روتها الزنادقة كادوا بها الإسلام، فألقوها إليهم، فقبلوها عنهم من جهلهم بالزهد ما هو، مثل حديث: «مر عبدي» وأشباهه.

وكيف يستجيز مسلم أن يقبل قول رجل يقول لسليمان نبي الله: يا خاطئ بن خاطئ، جعلت الآخرة تحت قدميك، والدنيا فوق رأسك، فأنت محجوب عن الله وداره، وغرتك الدنيا، وغرك هواك، فهذا كله كفر ممن استقبل رسولاً من رسل الله بمثل هذا، فهؤلاء الأغتام قبلوا هذا حتى كتبوه، ورووه في كتبهم[1].

قال له القائل: وكيف افتقد هذا الخلق هذه الخطة حتى صار هذا المال فتنة لهم؟.

قال: لأنهم أعرضوا عن الله، وشغلتهم شهوات نفوسهم عن ذكر الله، وقل علمهم بالله، فتدنسوا بالشهوات والأعراض، وجفوا بره ونعمه ولطفه، وأقبلوا على أهوائهم، فبعدوا عن الله، فكلما ازدادوا بعداً، ازدادوا عنه نوماً وغفلة، وسكراً، وموتاً، وبه جهلاً، فالكافر مات عن الله بالهوى، وطالبُ الشهوة سكر عن الله بالنهمة، والعابد والزاهد ناما عن الله بالغفلة.

فقال له القائل: فمن بقي؟.

قال: العارف بالله، العالم بالله.

---

(١) وهذا يدل على احترام المصنف وتقديره لمقام الرسالة والنبوة، وعدم قبوله ما جاء في الإسرائيليات مما يخالف عقيدة المسلم وفطرته السليمة.

قال: ومن هو؟.

قال: الذي حيي بالله، فرأى ربوبيته في خلقه، فلها عن خلقه، واستولى على قلبه ذكره، لما نظر إلى ربوبيته بعيني فؤاده، فلما نظر بعيني رأسه، تأدى علم ذلك إلى عين فؤاده في ربوبيته في الأشياء، فذلك المصباح الذي يتوقد في صدره من الشجرة المباركة الزيتونة التي توقد، فما زالت زيتونيته تدله على ربه، وهو يسير إليه هارباً بقلبه من جميع ما ظهر في الدنيا من ربوبيته؛ مخافة أن يصطاده شيء منها، فيكون علاقته، فهو هارب لا يطمئن إليهم، ويتوقى الفرح بهم حتى يصل إليه، فإذا وصل إليه، عرفه وعلمه، فمعرفته وعلمه يؤديانه إليه، فإذا قلَّبه اكتنفه، فإذا اكتنفه فقد احترز في الحبس، وبقي معه في القبضة، فإن أحب الأشياء، فبحبه يحب، وإن عاملهم، فعنه يعاملهم، وعن موافقته يكون معهم.

(١٤٥٨) ـ نا سفيان بن وكيع، نا ابن نمير، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبدالله، قال: لما قتل أبي يوم أحد، دعاني النبي ﷺ، فقال: «**أَتُحِبُّ الدَّرَاهِمَ؟**»، قلت: نعم، قال: «**لَو قَد جَاءَتني دَرَاهِمُ، أَعطَيتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا**»، فقُبض النبي ﷺ قبل أن يعطيني، فلما استخُلف أبو بكر، أتاه مال من البحرين، فدعاني، وقال: خذ كما قال لك رسول الله ﷺ، فأخذت بكفيَّ جميعاً، ثم أخذت

الثانية أقلَّ منه، فقلت: عُدُّوا هذا، فأعطوني مثله مرتيـن، فعد، فوجد سبع مئة وخمسين، فأعطوني مثله مرتين[1].

فلو كان حُبُّ جابر للدراهم حُبَّ النفس والدنيا، كان معيباً، وكان رسول الله ﷺ يهديه، ولكنا نظن بجابر الأولى والأحق، إذ ناطق بهذه الكلمة رسول الله ﷺ، ووعده على ذلك جزيلاً.

وبلغنا: أنه قيل لابن عون: أتحب الدراهم؟ قال: نعم، قيل: لم ذاك؟ قال: لأنها تنفعنا[2].

(١٤٥٩) ـ نا حفص بن عمرو، وهارون بن منصور بن سعيد النيسابوري، قالا: نا كثير بن هشام، عن عيسى بن إبراهيم الهاشمي، قال: نا معاوية بن عبدالله، قال: سمعت كعباً يقول: أول من ضرب الدينار والدرهم: آدمُ، وقال: لا تصلح المعيشة إلا بهما[3].

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٣/ ٢١٣) من طريق ابن نمير، به.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٤ ـ ١٥): رواه البزار، وإسناده حسن.
وأصل القصة في «الصحيحين»: البخاري (٢١٧٤)، ومسلم (٢٣١٤) من طريق محمد بن علي عن جابر، وليس عندهم ذكر سؤاله ﷺ لجابر.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٢٦٧) عن سفيان بن عيينة، قال: قلت لابن عون....

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٢٧٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤١٣) من طريق كثير بن هشام، به.

(١٤٦٠) ـ نا ابن أبي هبيرة، قال: نا ابن المبارك الصنعاني، قال: نا مرداس أبو عبيد[ة] يقول: سمعت أبا رفيق يقول: سمعت وهب بن منبه يقول: الدنانير والدراهم خواتيمُ ربِّ العالمين، وضعها الله معايشَ لبني آدم، ولا تؤكل، ولا تشرب، من جاء بخاتم رب العالمين، قُضيت حاجته[1].

فالدراهم والدنانير إحدى المسخَّرات التي قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[الجاثية: ١٣].

فإذا وصلت إليك منافع السخرة، جاءت التبعة، وهي طلب الخدمة، فمن أحب السخرة لإقامة الخدمة؛ وفى بالخدمة، وسلم من حمة السخرة، ومن أحب السخرة للشهوة والنهمة، ضيع الخدمة، وذهب بالرقبة[2].

❐ ❐ ❐

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (ص: ٤٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٥٣) من طريق زيد بن المبارك، به.
وأخرج الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٣١٦) عن أبي هريرة ﷺ، رفعه، بلفظ: «الدنانير والدراهم خواتم الله في أرضه، من جاء بخاتم مولاه، قضيت حاجته».
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٦٥): رواه الطبراني في «المعجم الأوسط»، وفيه أحمد بن محمد بن مالك بن أنس، وهو ضعيف.

(٢) في «ن» جاء هنا أصل مختلف تماماً عن هذا أضفته في آخر الكتاب.





الأصل السادس والستون والمئتان

(١٤٦١) ـ نا أبي، عن قبيصة بن عقبة[1]، عن سفيان، عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنظُرُ إِلَى صُوَرِكُم، وَلاَ إِلى أَموَالِكُم وَأَحسَابِكُم، وَلَكِن يَنظُرُ إِلى قُلُوبِكُم وَأَعمَالِكُم»[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فإنما ينظر إلى القلوب؛ لأنها أوعية الجواهر، وكنوز المعرفة فيها، وينظر إلى أعمال الجوارح؛ لأن مبتدأ الأعمال من القلوب، فإذا نظر إلى

---

(١) ابن عقبة: ليست في «ن».

(٢) أخرجه ابن منده في «الإيمان» (١/ ٤٦٠)، وتمام في «الفوائد» (١/ ٣٨ ـ ٣٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٢٤) من طريق قبيصة، به.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث الثوري عن جعفر.

وأخرجه مسلم (٢٥٦٤)، وابن ماجه (٤١٤٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٥٣٩)، وابن حبان في «الصحيح» (٣٩٤)، وابن منده في «الإيمان» (١/ ٤٦٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٣٢٨) من طريق جعفر بن برقان، به.

الجواهر، فوجدها طرية كهيئتها، محروسة من آفات النفس، مكفوفة عن تناول النفس، وتلمسها شبقاً[1]، شكر لعبده به[2]، فزاده في الجواهر، وبصره بأقدارها وأخطارها حتى يزداد بها غنى، ومن استغنى بالله؛ فلا قوي أقوى منه، وقد[3] أيست النفس من إجابتها[4]، وأيس العدو من غوايته، فإنما ندب العبد إلى التقوى، وصار العبد لله ولياً؛ بأن حرس ما في قلبه من المعرفة[5]، وصيره في وقاية من آفات النفس، فلا يصل إليه[6] آفاتها؛ من أجل صون[7] تلك الجواهر.

فإن العدو يأتي بأضدادها، يريد أن يضعها في تلك الأمكنة، وينفي عن قلبه ما وضعه الله تعالى، فإن لم يقدر على النفي، غطاه بما أورد عليه، فلبِّس عليه؛ بمنزلة رجل في يده جواهر، ودنانير، فأكب عليه خائن مخادع يصحبه[8]، ويخالطه في الأخذ والإعطاء، فإذا أخذ منه جوهراً لينظر إليه، وهي[9] ياقوتة حمراء، فلا يزال يقلِّبها في كفه ينتظر بلاهته، ويلتمس

(١) في «ن»: وتلبسها شيئاً.

(٢) في «ن»: شكر العبد.

(٣) في «ن»: قد.

(٤) في «ن»: من إجابته إياها.

(٥) في «ن»: المعرفة لله.

(٦) في الأصل: إليها، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في «ن»: صورة.

(٨) في «ن»: فيصحبه.

(٩) وهي: زيادة من «ن».

غرته، حتى يبدله بها[1] خرزة حمراء صافية تشبهها، وصاحبه قليل البصر بالجواهر، إنما معرفته بها إلى ما ينظر من ظاهرها، ويأخذ منه لؤلؤة، فيبدل بها عظماً صافياً يشبهها، ويأخذ منه زمردة، فيبدل بها فلقة من جوهر الزجاج، ويأخذ منه ديناراً، فيبدل به[2] فلساً أصفر مدوراً، فهو لا يعرف من الدينار إلا صفرته، وتدويره، وكتابته[3]، ومن الزمرد إلا خضرته[4]، ومن اللؤلؤة إلا بياضها[5]، ومن الياقوتة إلا حمرتها[6]، فإذا رأى مثلها من الهيئة واللون والصورة[7]، لم ينكر ذلك.

فكذلك هذا الموحد، أعطي المعرفة ليوحد، ويتوجه إلى الواحد، ويقبل على الواحد، ويبذل له[8] نفسه عبودة، ويأتمنه على نفسه، ويتخذه وكيلاً، ويفوض إليه أمره[9]، ويترك التدبير عليه، ويثق به، ويركن إليه، ويتذلل لربوبيته، ويتواضع لعظمته، ويتزين لبهائه، ويتخذه عدة لكل نائبة من دنياه أو آخرته[10]، فلما رأى العدو ذلك، حسده، وشمر لاستلاب

---

(١) في «ن»: حتى يبدلها.

(٢) في الأصل: بها، والصواب من «ن».

(٣) وكتابته: ليست في «ن».

(٤) في «ن»: ومن الزمردة خضرتها.

(٥) في «ن»: اللؤلؤة بياضها.

(٦) في «ن»: الياقوتة حمرتها.

(٧) واللون والصورة: زيادة من «ن».

(٨) له: ليست في «ن».

(٩) في الأصل: ويفوض إليها أموره، وما أثبتناه من «ن».

(١٠) في الأصل: من دنيا أو آخرة، وما أثبتناه من «ن».

ما أعطي العبد، فلم يقدر أن يكابره، ويستقبله بالقهر، كما قهر الكفار، وكابَرَهم، ولكنه خادعه، وأخفى خداعه في ظل النفس، فهو يوسوس إلى النفس، والنفس توسوس إلى القلب.

فإذا كان القلب أبله، ورفض[1] الكياسة، وكان مستشغلاً[2] في نوم البلاهة، والغفلة؛ انخدع لما يورد العدو، فأورد على توحيده شرك الأسباب بدلاً، وبالتوجه إليه توجهاً إلى أولياء الأسباب، وبالإقبال عليه إقبالاً على أحوال النفس، وببذل النفس له عبودةً بذل النفس لمناه وشهواته، وبائتمانه على نفسه ائتمان ما جمع وحوى من الدنيا، وباتخاذه وكيلاً، اتخاذ علمه، وبصره، وحذقه بالأمور وكيلاً، وبالتفويض إليه تفويضاً إلى تدبيره، وقوته مقتدراً، وبالركون إليه ركوناً إلى حزمه، فلبَّس ما أعطي من الكنوز بهذه الأشياء، فانقطعت قوته، ومادة معرفته من الله.

فأي مغبون أعظم[3] غبناً من هذا، فبعداً له؛ لأنه قد ترك نصيحة الله له؛ فإنه أنزل عليه نصيحته تنزيلاً، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[المنافقون: ٩].

فإنما يذكر الله من وحَّده في جميع أموره ديناً ودنيا، وتوجه إليه في جميع نوائبه، وحوائجه، وأقبل عليه بكل همومه، وبذل نفسه بذل من يعلم أنه مملوك

---

(١) في «ن»: القلب أبلهاً فرفض.

(٢) في الأصل: مستقيلاً، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: بأعظم، والصواب من «ن».

مخلوق من تراب، ممنون عليه بخلقه، وبعظائم المنن، وائتمنه على نفسه سكوناً إليه، وثقة به، واتخذه وكيلاً، فاستراح من المخاوف، وفوض إليه، وقعد ببابه ينتظر خروج تدبيره إليه، وركن إليه ركون من استند إلى جبل شامخ لا يقدر أن يؤتى من قبله، فاطمأن، فمن ألهاه حب ماله، وولده عن ذكر الله بهذه الأشياء، فخسرانه أعظم من أن يوصف؛ لأنه خدع، فأبدل بما أعطي من الجواهر من الخرز والخزف[1]، والزجاج، والعظام، والفلوس.

فليتَ شِعري في أيِّ وادٍ بقي توحيده، وفي أيِّ وادٍ هوى؟! ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[فصلت: ٤٤].

(١٤٦٢) ـ نا علي بن حجر، قال: نا يحيى بن حمزة الدمشقي، عن أبي معيد، عن حيان أو حبان بن حجر[2]، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ القُرآنُ في وَادٍ، وَهُم في وَادٍ غَيرِهِ»[3].

---

(١) والخزف: ليست في «ن».

(٢) كذا في الأصل، و«ن»، ولعل الصواب: حيَّان بن حجر.

(٣) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٠/ ٩٢) للحكيم فقال: عن جبار بن صخر. قلت: وهذا لعله وهم منه رحمه الله تعالى فجبار بن صخر صحابي جليل توفي سنة ٣٠هـ في خلافة عثمان كما في «الإصابة» (١/ ٤٤٩) والراوي عنه حفص بن غيلان أبو معيد من أتباع التابعين وإنما يروي عن حيان بن حجر، وحيان هذا قال في «اللسان» (٢/ ٣٦٩): حيان عن أبي الغادية المزني وعنه حفص لا يدرى من ذا ا.هـ فهو على هذا مرسل، والله أعلم.

فإنما صار في واد؛ لأن جواهرهم ودنانيرهم قد[1] صارت خرزاً وخزفاً، وفلوساً؛ فإن القرآن كلام رب العالمين، جرى إليهم من أصل الجواهر؛ ليعقلوا عنه كلامه بأنوار تلك الجواهر، فإذا خدعهم العدو بنفخة الكبر فيهم، ونفثة الشهوة، وسلطان الهوى؛ صارت هذه الأشياء بدلاً، فلم يوجد للخرز والخزف والفلوس أنوار تشرق، فيستنير الصدر لكلام رب العالمين.

ولم يتراء لعين الفؤاد في ظلمات الكبر تلك المعاني، واللطائف، هيهات، ما أبعد ما وقع للقوم! انخدعوا للعدو[2] بجعامة النفوس[3] حتى أهلكهم، قال الله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[الأعراف: ١٤٦].

تلك قلوب عز ربي وجل عن[4] أن ينظر إليها، حتى ترمي الخزف، والخرز[5]، والحصاة، والفلوس[6] بدل تلك الجواهر، تلك قلوب صرفها الله عن آياته، ودلائله، فعميت.

تلك قلوب طردها[7]، وأعرض عنها، فشغلها عن نفسه بما رث عليهم من دنياه الخربة، من زينتها، ولهوها، ولعبها، ومتاع غرورها.

---

(١) قد: ليست في «ن».

(٢) في الأصل: انخدعوا عن العدو، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: بخيانة نفوسهم، وما أثبتناه من «ن».

(٤) عن: ليست في «ن».

(٥) في «ن»: حتى يرى منها الخرزة.

(٦) في «ن»: والخزف والفلوس.

(٧) في الأصل: تلك قلوب غربها الله، وما أثبتناه من «ن».

تلك قلوب غار الله في سمائه وعلى عرشه أن يرمي فيها فرحاً بنفس دينه، والدنيا رثة[1] خلقة[2]، وشهوات ردية، فطمسها عن الفرح به، والفرح بفضله ورحمته، فالقلوب المضروبة[3] بالطمسة معرِض عنها خالقها، وإذا أعرض عن قلب، صار الصدر كنهار قد غربت[4] شمسه، وأتى[5] الليل بلباسه، فإذا جاء الليل، انقبضت النفوس، والتف[6] بعضها ببعض رعباً وجبناً.

وكذلك القلب، إذا أظلم الصدر بتلبس العدو، وشهوات النفس وأفراحها؛ انقبض القلب، وذبل وافتقر، وصار أسير النفس.

فالفرح بالله له برد يطفىء حرارة[7] النفس، وله شعاع ينير الصدر، وبصائر النفس[8]، وله حياة تميت[9] جميع الشهوات بتلك الحياة، ويدعوك إلى الخالق الذي أجراها إليك حتى يؤديك إليه، وله حلاوة تسكرك[10] عن كل حلاوة دونه، وله لطافة تجري إلى جميع عروقك، حتى تتأدى إلى مخ أعظمك، ويشتمل على روحك، وله لذة تلهيك عن كل شيء دونه، وله قوة

---

(١) من قوله: تلك قلوب غار. . . إلى قوله: رثة: ليس في «ن».

(٢) في «ن»: ومتاع غرورها دينية ودنياوية خلقة.

(٣) في «ن»: المصروفة.

(٤) في «ن»: كنهار ولَّى وغربت.

(٥) في «ن»: وأقبل.

(٦) في «ن»: والتفت.

(٧) في الأصل: بحرارة، وما أثبتناه من «ن».

(٨) وبصائر النفس: ليست في «ن».

(٩) في «ن»: حياة تهتز.

(١٠) في «ن»: وتسكرك.

تبعثك على كل صعب، فيهون عليك، وله يسر يغنيك عن كل شيء دونه، وله بشرى يغرق فيها جميع آمال قلبك ومنى نفسك، ويهيم قلبك في تلك البشرى هيمان من تاه في المفاوز، ودقت الدنيا والآخرة في جنب ذلك الفرح، ووَلِهَ قلبك ولوه من خرجت الدنيا والآخرة منها، والفرح بأحوال النفس ودنياها، وله حرارة تحرق وجه القلب وساحته، وهي الصدر، حتى يصير للقلب حزونة من الحريق كحزونة الأرض، فتصبح حزيناً على فوت الدنيا، وعلى فوت درك منى النفس، ويمسي كذلك حزيناً، فذاك بفيض الله، فليعمل ما شاء من أعمال البر.

وروي عن أبي جعفر محمد بن علي: أنه قال: من أصبح[1] ساخطاً على الدنيا، أصبح ساخطاً على ربه.

(١٤٦٣) ـ نا أبي، قال: نا عمرو بن خالد الأعشى، عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر، بذلك[2].

---

(١) في «ن»: أصبت مسطوراً: من أصبح.

(٢) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

وهذا إسناد تالف، عمرو بن خالد متهم، منكر الحديث؛ كما في «ميزان الاعتدال» (٥/ ٣١٠)، وكذلك شيخه متهم بالكذب؛ كما في «تهذيب التهذيب» (٣/ ٣٣٢).

وأخرج نحوه من حديث أنس، مرفوعاً: الطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ٣٠)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٦٧)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢١٣)، وضعفه.

قلت: في سنده متروك.

وفي الباب عن ابن مسعود، وضعف.

(١٤٦٤) ـ نا عبدالله بن أبي زياد، قال: نا سيار، قال: نا جعفر بن سليمان، قال: سمعت فرقد السبخي يقول: قرأت في التوراة: من أصبح حزيناً على الدنيا، أصبح ساخطاً على ربه، ومن تضعضع لغنيٍّ، ذهب ثلثا دينه، ومن نزلت به مصيبة، فشكاها إلى الناس، فإنما يشكو ربه[١].

فهذا رجل قد زاغ قلبه عن الله، فضلَّ في مفاوز الحيرة، والفرح بأحوال النفس في مروجها وغياضها، فإذا اضطرم عليها نيران الحرص، امتلأ الجوف[٢]، من دخانها، حتى يصير الصدر[٣] كالليل الدامس[٤]، وتعمى بصائر نفسه، حتى يصير في أحوال النفس كالأعمى الذي يتقي الأشياء بيده، وبالمس، والفرح بأحوال النفس له سلطان يميت القلب، ويحيي النفس[٥]، وتهتز الشهوات بتلك الحرارة في[٦] كل شيء، يستحيي من الخلق، ولا يستحيي من خالقه؛ كما قال في تنزيله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[النساء: ١٠٨].

وله حلاوة تُسكرك عن الله، فالسكران متى يعقل من معه؟ وله برد

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٣٢٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٤٥ ـ ٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢١٤) من طريق سيار، به.

(٢) في «الأصل»: الجو، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: يصير صدرها.

(٤) في «ن»: الدامس الظلماء.

(٥) في «ن»: النفوس.

(٦) في «ن»: ففي.

كبرد السم يدب في العروق إلى مخ الأعظم، حتى يحذرك عن الإيمان بالله، فيصيرك كأنك خالٍ عنه، ويشتمل على روحك حتى ينسى[1] روحك معدنه ومسراه، وينفذ إلى طبع النفس وثقلها وكدورتها، وله لذة تلهيك عن الله، وعن يوم الميثاق، ويوم الميعاد لوفاء الميثاق، وله قوة تقيمك على البغي، والبغي سيف الروح، ومحق النفس، وله أشر يطغيك، فإذا أنت طاغٍ باغٍ، وله بشرى وآمال كاذبة، وأمانيُّ خادعة غرَّارة، تهيم فيها هَيَمَان المحتلم، يثبُ على كل مفروح في الدنيا وثَبان المحتلم في منامه على جارية قد عشقها، فإذا انتبه، وجد نفسه عما وثب عليه[2] خالياً، وفي فراشه بائلاً.

فويل للفرح هكذا بهذه الصفة، كيف يمشي مكباً على وجهه في طرقات الدنيا ومزابلها يلتمس أفراحها، قد تولى عن الله، وأقبل على نفسه ودنياه، يخرب دينه، ويعمر نفسه، كيف ينتبه ويفيق من سكرته يوم يدنو منه رسول ملك الملوك لقبض روحه، ويعرج به إلى الله تعالى؟! كيف يجد نفسه خارجاً[3] من أفراح النفس ودنياها، ويَقدُمُ على ربه جُنباً، قد بال في دينه، وعبودته لربه، وراث فيها كروث الحمار الذي قد حمل عن الله أسفاراً على ظهره من قبل أن يتطهر بماء الندم.

فالكيِّس: نظر إلى هذا الحال، فاقشعر منه، ورجع إلى نفسه، فوجدها كريمة، حرة من الحرائر، تنقاد وتسلس بلا كزازة، فقام على الساق متشمراً في تصفيته قلبه، وتطهيره، التطهير؛ ليرق، والتصفية؛ ليُجلى؛ فإن المرآة إذا

---

(١) في «الأصل»: حتى يصير، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: إليها.

(٣) في «ن»: خالياً.

جليت، فقابلها نور الشمس، تولد من بينهما إشراق يضيء البيت منه، فكذلك القلب إذا جلي، ثم لاحظ نور الملكوت، أضاء الصدر، وامتلأ من شعاعه، فأبصرت عينا الفؤاد باطن أمور الله تعالى في خلقه، فذاك ظاهر إيمان القلب، حتى أداه ذلك إلى ملاحظة نور الله، فإذا قابله نور الله، تولد من بينهما إشراق يمتلئ الصدر منه، وتبصر عينا فؤاده باطن الملكوت، فذاك باطن إيمان القلب، فذاك قلب قد استكمل الزينة والبهاء بما سبق من الصفاء والطهارة، فصار قلبه موضع نظر الله من بين خلقه، فكلما نظر إلى قلبه، زاده به[1] فرحاً؛ لأنه ازداد به فرحاً، وله حباً، وعليه عزاً، ومنه قرباً، واكتنفه بالرحمة في[2] ملك الرحمة.

(١٤٦٥) ـ نا صالح بن محمد، قال: نا سليمان بن عمرو، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ في الأَرضِ أَوَانيَ، أَلاَ وَهيَ القُلُوبُ، فَأَحَبُّهَا إِلى اللهِ: أَرَقُّهَا وَأَصفَاهَا، وَأَصلَبُهَا: أَرَقُّهَا لِلإِخوَانِ، وَأَصفَاهَا مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَصلَبُهَا في ذَاتِ اللهِ»[3].

---

(١) في «ن»: زاد فيه.

(٢) في «ن»: من.

(٣) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١/ ١٣٣) للحكيم الترمذي عن سهل بن سعد ﷺ.

وهذا إسناد تالف موضوع، شيخ المصنف ساقط؛ كما في «اللسان» (٣/ ١٧٦).

وسليمان بن عمرو هو: أبو داود النخعي. والله أعلم، وهو كذاب تالف؛ كما في «اللسان» (٣/ ٩٧).

(١٤٦٦) ـ نا حفص بن عمرو، قال: نا محمد بن القاسم الأسدي، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن رسول الله ﷺ، بنحوه[١].

وفي رواية ابن المبارك: عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير زيادة[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنظُرُ إِلَى صُوَرِكُم، وَلاَ إِلى أَموَالِكُم، وَلَكِن يَنظُرُ إِلى قُلُوبِكُم وَأَعمَالِكُم، فَمَن كَانَ لَهُ قَلبٌ صَالحٌ، تَحَنَّنَ اللهُ عَليهِ»[٣].

فإنما يصلح القلب إذا سكنت النفس بشهواتها، والهوى بجنوده، واطمأن القلب أميراً مؤمراً على الجوارح نافذاً سلطانه، فعندها يحتظي

---

(١) هذا مرسل تالف، محمد بن القاسم متروك متهم بالكذب. انظر: «تهذيب التهذيب» (٩/ ٣٦١).

وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩٧) من طريق هارون بن معروف عن محمد بن القاسم، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة رضي الله عنه، به.

قال: غريب من حديث ثور، لم نكتبه إلا من حديث محمد بن القاسم.

وله شاهد قواه العراقي وغيره عن أبي عنبة الخولاني، مرفوعاً: «إن لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوبُ عباده الصالحين، وأحبها إليه: ألينها، وأرقها».

أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ١٩).

(٢) في «ن» ابن أبي كثير بن زياد.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٥٤٠)، وفيه زيادة: «... وإنما أنتم ـ بني آدم ـ أكرمكم عند الله أتقاكم».

العبد من اسمه الحنان، فإذا تحنن عليه، وجد القلبُ ريح الرأفة، فيزداد طمأنينةً إلى ربه، واهتاجت آماله.

فبالآمال يأخذ في السير إليه دؤوباً دؤوباً، فعندها تظهر الكنوز، فإذا استغنى القلب بالكنوز، وصل العبد إلى زينة الأعمال، وإنفاق الكنوز[١] بمحاسن الأخلاق، ومحمود الفعال.

فعندها يصير القلب موضع نظر الله تعالى، وتصير حركات جوارحه عظيمة هناك[٢]، فعندها ينظر الله إلى قلبه، وإلى أعماله، حتى إذا وقع في القبضة، فهناك بلغ المبلغ الذي يقع في نظرة الله إلى جنته.

❒ ❒ ❒

---

(١) في «ن»: والإنفاق للكنوز.

(٢) من قوله: فعندها يصير... إلى قوله: هناك: ليس في «ن».





الأصل السابع والستون والمئتان

(١٤٦٧) ـ نا عيسى بن أحمد العسقلاني، قال: نا المؤمل بن عبد الرحمن الثقفي، قال: نا عباد بن عبد الصمد، عن أنس بن مالك، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: **«العِلمُ بِاللهِ»**، ثم أتاه فسأله: فقال مثل ذلك، فقال: يا رسول الله! إنما أسألك عن العمل؟ قال: **«إنَّ العِلمَ يَنفَعُكَ مَعَهُ قَلِيلُ العَمَلِ وَكَثِيرُهُ، وَإِنَّ الجَهلَ لاَ يَنفَعُكَ مَعَهُ قَلِيلُ العَمَلِ وَلاَ كَثِيرُهُ»**[1].

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٠/ ٦٢) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن أنس ﷺ.

وقال المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٢٧ ـ ٢٨): قال الزين العراقي: وسنده ضعيف. انتهى، فكان على المصنف استيعاب مخرجيه إيماء إلى تقويته، فمنهم ابن عبد البر، وغيره.

المؤمل بن عبد الرحمن ضعيف. انظر: «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٣٤١).

وعباد بن عبد الصمد واهٍ؛ كما في «لسان الميزان» (٣/ ٢٣٢). =

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالعلم ثلاثة أنواع: علم بالله، وعلم بتدبير الله وبربوبيته، وعلم بأمر الله.

وروي لنا عن عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أنه قال: العلماء ثلاثة: عالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله وليس بعالم بالله، وعالم بالله عالم بأمر الله[1].

كأنه جعل عيسى ﷺ العلم بتدبيره، وربوبيته، مع العلم بالله علماً واحداً، فإنما صيرناه ثلاثة أنواع: أردنا أن يتميز عند من لا يعقل علم الله من علم التدبير؛ لأن علم التدبير للعباد، وهو داخل في باب العبودة.

وعلم الله: هو الثناء الذي يظهر على الألسنة من بساتين القلوب، فالعلم رأس كل أمر، وخلق الله الخلق أصنافاً وألواناً، ثم أعطى كل شيء علمه الذي ينبغي له، فبالعلم يعرف ربه، وبالعلم يعبد ربه.

وهو جواب موسى ﷺ لفرعون حيث[2] قال: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٤٩ ـ ٥٠]؛ أي: أعطاهم خلقهم، ثم هداهم من خلقهم، ومن كونهم، ومن قواهم[3].

فالهدى: هو العلم الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقه حتى هداهم إلى نفسه،

= بل قال ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٧١): حدثنا ابن قتيبة، ثنا غالب بن وزير الغزي، ثنا مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي، ثنا عباد بن عبد الصمد، عن أنس رضي الله عنه بنسخة أكثرها موضوعة.

(١) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والمئة.

(٢) حيث: ساقطة من الأصل، وزدناها من «ن».

(٣) في «ن»: ومن كونهم ومن تملكهم ومن قواهم.

فالعرش ومن دونه إلى الثرى، وما بين الحدين في الجو العلى، وفي الهوى إلى حدوده[1] السفلى، كلهم أعطاهم خلقتهم، ثم عرفهم نفسه[2]، وهداهم.

فالعلم جملة، والمعرفة تمييز الجملة، فالهدى: إيجاده إياهم بالقلوب على طريقه، فإذا هداهم، اهتدوا، فقصدوه بالقلوب، واستقرت النفوس له بالعبودة استسلاماً، فخلق كل شيء، ووضع فيه الحياة، وأعطاه العلم به، واقتضاه القنوت له، فقال[3]: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾[الروم: ٢٦].

فالقنوت[4]: الركود بين يديه في مقامه الذي أقامه، فخلق المكان، فركد بين يديه، ثم خلق الهواء، فركد في المكان بين يديه، ثم خلق العرش في الهواء في مكانه، فركد، ومن تحته الكرسي في مكانه، فركد، ومن تحته هواء عليين، فركد، ومن تحته السماوات والأرضون، فركدن، لا تزول، ولا يميل واحد[5] من هذه الأشياء عن حده الذي حد له قيد شعرة يميناً[6] وشمالاً، بل الكل[7] راكد في[8] حده.

---

(١) في الأصل: حدود، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: نفسهم.

(٣) فقال: ليست في «ن».

(٤) في «ن»: والقنوت.

(٥) في الأصل: تميل واحدة، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في «ن»: حد له فيصير يميناً.

(٧) بل الكل: زيادة من «ن».

(٨) في الأصل: على، والمثبت من «ن».

وكذلك البحار، والليل والنهار، والشمس والقمر، والنجوم، والرياح، والحر، والبرد، والظلمة، والنور[1]، وأمم الأرض والخلق، والخليقة، فكل شيء من هذه الأشياء قد أعطاه خلقه، وهداه إليه؛ حتى يعلمه، ويعرفه، فيعبده.

وخلق اللوح من قبل، فوضع فيه علم ما هو كائن إلى أن تنقضي الدنيا، وخلق دار الثواب، ودار العقاب: بساتين وقصوراً محشوةً بالرحمة، وسجوناً محشوة بالسخط والغضب سوداء مظلمة، ثم بدأ خلق آدم عليه السلام، وذريته، فجعل الأشياء سُخرة للآدميين، ووضع فيها تلك الأشياء التي فيها منافع الآدميين وقَوامُ معاشهم، وأعطاهم[2] علم إخراج ذلك إلى الآدميين بمقدار معلوم، ووزن معلوم، في[3] وقت معلوم، وفي موضع معلوم.

فالعرش مقصد القلوب، والسموات ظلال أبدانهم، وموضع أرزاقهم، وتدبير أمورهم، بما فيها من الشمس، والقمر، والنجوم، والرياح، والحر، والبرد، والليل، والنهار، وما في الأرض كلها سخرة لبني آدم، فهم كلهم إلى الثرى مسخرون، موكلون بإخراج ما وضع فيهن من المنافع إلى الآدميين، فأعطاهم العلم على قدر ذلك من الحاجة إلى إخراج السخرة إليهم، وخلق الآدميين للخدمة، ووضع فيهم أنواره؛ لتخرج الخدمة لله[4] من باطنه.

فالحاجة بالآدمي إلى العلم بالله حسبما له خلق، فانظر كم بين السخرة

(١) في «ن»: والبرد والنور والظلمة.

(٢) في «ن»: وأعطاها.

(٣) في «ن»: وفي.

(٤) لفظة لله: زيادة من «ن».

والخدمة! فالسخرة لنا، والخدمة لله.

فلو أن أحدنا أُقِيمَ لخدمة ملك من ملوك الدنيا؛ لعظم شأنه، واحتاج إلى علم كثير، وأدب عظيم، وكياسة متداركة حتى يصلح لخدمته، وإلى دوام القيام بين يديه ماثلاً ليله ونهاره، حتى لا يضيع شيء من خدمته، فكيف بمالك الملوك، ورب العزة وإله العالمين؟.

فعلى حسب ذلك الذي خلقنا له أعطانا من العلم، فأوتينا من العلم ما لم يؤت أحد، وعجزت الملائكة عن ذلك العلم، وقالت: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[البقرة: ٣٢]، فعندها قال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[البقرة: ٣٣].

فعندها ظهر علم الآدميين على علم أعلى الخلائق[١] في المكان، وهم الملائكة؛ لأنا خلقنا لما لم يخلق هؤلاء، فهؤلاء للسخرة لنا، وللوكالة لإخراج المنافع إلينا؛ لنقيم عبودته بأركاننا بقوة تلك المنافع، ولنمثل بقلوبنا بين يديه على مثال الخدم لا تبرح قلوبنا من بين يديه، فلو لم تصل هذه المنافع إلينا من قبل المسخرين الموكلين بنا، لشغلت النفوس منا[٢] بحوائجها وضروراتها، وصرفت إليها[٣] قلوبنا، فيزيلها عن مقاومها، ولا[٤] تكاد تثبت، فخلق لنا ما في الأرض، وسخر لنا ما في السموات.

ثم أنبأنا ذلك في تنزيله، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[البقرة: ٢٩]، ثم قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى

---

(١) في «ن»: الخلق.

(٢) منا: ليست في «ن».

(٣) وصرفت إليها: ليست في «ن».

(٤) في «ن»: فلا.

﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[الجاثية: ١٣].

فأجمل في هذه الآية علم ما ذكرنا مفصلاً[١]، فإذا انقضت المدةُ مدةُ الدنيا، رفعت العبودة، وذهبت السخرة، فأعيد مَن خُلق من التراب إلى التراب، ومن خُلق من النار والنور رجعا[٢] إلى معادنهما[٣]، فانقطعت المنافع؛ لأن العبودة قد انقضت، ومن أجل ذلك سخرت لك، فعندها[٤] تستقبلك منافع لا تنقطع في دار السلام، أو مضار[٥] لا تنقطع في دار الهوان، فإما ملك محبور، وإما عبد آبق مقهور مدحور، فأوتي هؤلاء علم السخرة، وأوتينا علم الخدمة؛ لأنهم لذلك خلقوا، ونحن لهذا خلقنا، فميز[٦] بين العلمين علم السخرة وعلم الخدمة.

ولما أحست الملائكة خلق آدم، ماجت بعضها في بعض: ما هذا الخلق الذي لم نر مثله؟! فقالوا في أنفسهم: نحن أفضل، فلما قال لهم: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[الحجر: ٢٩]، برزت لهم فضيلته، فعلموا أنه قد جاء من هو أفضل منهم، فأقروا له، ثم قالوا[٧]: لن يخلق أعلم منا، فكشف الغطاء عن خلقه، وعرضهم عليهم[٨]، وقال:

---

(١) في الأصل: ذكرنا، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: رجع، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: معادنها، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: فعندها ما، والصواب من «ن».

(٥) أو مضار: ليست في «ن».

(٦) في الأصل: فمثل، والصواب من «ن».

(٧) في الأصل: فتعززوا بأن قالوا، وما أثبتناه من «ن».

(٨) في الأصل: عليه، والصواب من «ن».

﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة: ٣١]، فعجزوا، فأوتي آدم علم الأسماء، وقيل له: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾[البقرة: ٣٣].

فعلموا هنالك أن قد جاء الأفضل، والأعلم، والآثر، والأخص، فبرز آدم بعلم الأسماء على الملائكة، وعلم الأسماء ينبئ عن مكنون الأشياء؛ لأنها سمة الأشياء، فصار العلم منه وراثة في ولده، والخدمة لهم إلى آخر المدة، فمن فهم هذا، تحير قلبه في هذا، وقال: كيف لي بالقيام[1] بخدمة ربي؟.

فلما نال العلم بالله، والعلم بتدبير الله، يسرت عليه الخدمة؛ لأن هذين النوعين يهديانك إلى الخدمة، فعندها تقف خادماً لربك، فإذا وقف قلبك في[2] مقام الخدمة، قام بعلم الأمر والنهي، وثبت، فعندها أمكن العبد[3] الائتمار بأمر الله، والتناهي عن نهي الله، دق أو جل، فاستوجب الحفظ من الله، والثبات في تقلبه في الأمور.

قال له قائل: ما الخدمة؟ وما علمها؟ وكيف لنا بأن نعلمها؟.

قال: أما الخدمة: فالقنوت بقلبك بين يديه، ماثلاً منتصباً كالمتشمر في قراطق[4] الخدمة، مخفاً مبادراً، مسارعاً، مسابقاً، مركبك في جميع أمورك الحب لله[5].

---

(١) في الأصل: لي في القيام، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: القلب.

(٤) القُرْطَق: لباس، انظر: «تاج العروس» (٢٦/ ٣٢٧).

(٥) في «ن»: أمورك له.

وأما علم الخدمة: فعلم البساطَيْن.

قال له قائل[1]: وما البساطان[2]؟

قال: بساط القدرة، وبساط العبودة.

وإذا طالعت بساط القدرة بعقل وافر، ثم[3] طالعت بساط العبودة بكياسة وجد وحزم[4]، أدركت تدبيره في العبودة، وباطن أمره ونهيه، وعلل التحليل والتحريم، ثم[5] لماذا أحل؟ ولماذا حرم؟ فبعلم بساط القدرة تملك نفسك، وبعلم بساط العبودة تملك جوارحك، وخواطر قلبك، فلم يقتض الله العباد شيئاً لم يعطهم، فالأشياء كلها من عند الله.

كان الله ولا شيء، فبسط بساط الربوبية من باب القدرة، وبسط بساط العبودة من باب العظمة، ثم كان آخر خلقه هذا الإنسان الذي بسط له هذين البساطين، فابتدأ خلقه من التراب، وجمع ترابه بالماء فعجنه، وصوره[6]، وركب جسده، وجعله أجوف، ثم وضع فيه الروح، والنفس، والحياة، والقوة، والعلم، والمعرفة، والذهن، والفهم، والفطنة، والرأفة، واللطف، والحب، والفرح، والغضب، والسخط، والحفظ، والعلم، والعقل، والحلم، والكياسة، والبصر، والشهوة، والرحمة[7].

---

(١) له قائل: زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: البساطين.

(٣) ثم: ليست في «ن».

(٤) في الأصل: بكياسة وحذق حتى، وما أثبتناه من «ن».

(٥) ثم: زيادة من «ن».

(٦) في الأصل: فعجنه ثم صوره، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في «ن»: والفطنة، والحفظ، والعقل، والحلم، والكياسة، والبصر، والشهوة، =

ثم اقتضاه استعمال ذلك كله، وإبرازها من باطنه إلى ظاهر جوارحه، فتكون أعمالاً، عليها يثاب ويعاقب، وفتح لعيني قلبه طريقاً إلى المظهر للمعاملة؛ ليقبض منه أرزاقه وعطاياه، وما يدر[1] عليه من رحمته ومن ربوبيته، وخلق العدو، وأعطاه السبيل إلى أجوافنا، فيجري في عروقنا، ومسكنه في صدورنا، وجعل جنده وعظم قوته في الهوى، والهوى يثير الشهوات، والشهوات دواعي[2] الآدمي إلى مكامن[3] العدو وغروره، فمن لم يعطه روحاً أو قوة، أو علماً أو ذهناً أو شيئاً من هذه الأشياء، لم يقتضه ما يخرج له من ذلك الشيء.

كما أنه لو لم يعطك القامة، لم يقتضك الصلاة قائماً، ولو لم يعطك القوة، لم يقتضك الصوم، ولو لم يعطك المال، لم يقتضك الزكاة، ولا الحج، ولو لم يعطك الكسوة، أجزأ عنك الصلاة عرياناً، ولو لم يعطك الماء، أجزأ عنك التيمم.

فكذلك ما في باطن[4] كل شيء، لو[5] لم يعطك، لم يقتضك استعماله، وإبرازه[6] عنك، وكل شيء أعطاكه، ووضعه فيك، فإنما أعطاك لتبرزه،

= والرحمة، والرأفة، واللطف، والحب، والفرح، والغضب، والسخط.

(١) في «ن»: وما برز.

(٢) في «ن»: ودواعي.

(٣) في الأصل: مكان، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: الباطن.

(٥) لو: ليست في «ن».

(٦) في «ن»: وإبرازه ليبرزه عنه.

فتكون بذلك[1] محموداً على ما وضع فيك، ناشراً في خلقه جماله ومحاسن فعاله، وتكون عليه مثاباً مكرماً، فإذا منعته إبرازك إياه[2]، فقد ظلمت نفسك، وضيعتها، وضاعت عنك الأشياء التي وضعها فيك، والقلب[3] أمير على الجوارح، وأصل الحياة في القلب، والروح معلق بالوتين، وهو عرق القلب، والحياة في الروح، فكلما زيد من الحياة، حتى علمه ومعرفته، وانبسط ذلك العلم في الصدر، وتميزت الأشياء، وتدبر العقل في صدره، فميز الخير من الشر، والعلم[4] قبوله إلى الذهن، والتمييز والتدبير[5] إلى العقل، فجعل للقلب عينين، وجعل لهما طريقاً إلى المظهر، وهو العرش.

ومد بصر عينك إلى المظهر نور العلم بالله، والمعرفة لله، حتى يرجع بصرك إلى صدرك بعلم غزير، وأمور مسفرة تعلم كنهها وكيفيتها، ووضع الشهوات في الجوف، ففوران الشهوات لها دخان وغيوم؛ لأنها من باب النار، وجالبها وناقلها الهوى، فإذا صارت إلى الصدر، صار الصدر كيوم مغيم، قد حال بين نور الشمس وبين عينك، فإلى أين تهتدي؟ وأي طريق تسلك في ذلك الغيم؟ وأي بئر تتوقى حتى لا تتردى فيها؟ وأي[6] أرض مشاكة تتجنبها حتى لا تقع فيها؟ وأية مزبلة تحيد عنها حتى لا تتلوث في أقذارها؟

---

(١) في «ن»: فيكون بك.

(٢) في الأصل: فإذا منعه نفسك إبرازك إياه، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: فالقلب.

(٤) في «ن»: فميز الحسن من السيئ فالعلم.

(٥) في «ن»: الذهن والتدبير والتمييز.

(٦) في «ن»: وأية.

فإذا سكنت الغيوم، وذهب الفوران، وبرزت الشمس، وأشرقت، اهتديت الطريق، وتجنبت الآفات؛ لأنها صارت رأي العين، فإذا ذهبت الغيوم، ورميت ببصر العين التي[1] على الفؤاد، امتدَّ البصر إلى الذي جعل لك الطريق إليه، فجلت ببصر عينك في ملكوت العرش، فرجعت إلى القلب[2] بالعجائب من تلك المشاهد، ووقفت على تدبير عظيم من أمر الله في شأنك، فكل حركة[3] ظهرت منك، فإنما تحركها[4] الحياة، فكل حركة ظهرت منك بغير ذكر الله، فقد فاتتك من الخدمة بقدرها وبقسطها من فقد ذِكرِ الله[5] إياك.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لَيسَ يَتَحَسَّرُ أَهلُ الجَنَّةِ عَلَى شَيءٍ إِلاَّ عَلَى سَاعَةٍ مَرَّت بِهِم لَم يَذكُرُوا اللهَ فِيهَا».

(١٤٦٨) ـ نا بذلك عمر بن أبي عمر العبدي، قال: نا سليمان بن شرحبيل الدمشقي، عن[6] يزيد بن يحيى الصباغ[7]، عن[8] ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن

---

(١) في الأصل: الذي، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: القلوب، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: فكل حركاتك، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: فإنما حصلت.

(٥) في الأصل: من فقدك ذكر الله، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في «ن»: ثنا.

(٧) في الأصل: ابن الصباغ، وما أثبتناه من «ن».

(٨) في «ن»: ثنا.

جبير بن نفير، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّهُ لَيسَ يَتَحَسَّرُ أَهلُ الجَنَّةِ عَلَى شَيءٍ، إلاَّ عَلَى سَاعَةٍ مَرَّت بِهِم لَم يَذكُرُوا اللهَ فِيهَا»**[1].

(١٤٦٩) ـ نا حفص بن عمرو، قال: نا محمد بن بشر العبدي، عن عمر بن راشد، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«سِيرُوا سَبَقَ المُفَرِّدُونَ»** قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال: **«الَّذِينَ اهتَرُوا فِي ذِكرِ اللهِ يَأتُونَ يَومَ القِيَامَةِ خِفَافاً يَضَعُ الذِّكرُ**[2] **أَثقَالَهُم»**[3].

(١٤٧٠) ـ نا الجارود، قال: نا أبو خالد الأحمر، عن الحجاج بن أرطاة، عن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَشَدُّ الأَعمَالِ ثَلاَثَةٌ: ذِكرُ اللهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَمُوَاسَاة**

---

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٩٣)، وفي «مسند الشاميين» (١/ ٢٥٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣٩٢) من طريق سليمان ابن بنت شرحبيل، به.

وانظر: «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٣ ـ ٧٤).

(٢) في «ن»: الذكر عنهم.

(٣) تقدم تخريجه في الأصل الثالث والعشرين والمئة.

الأَخِ في مَالِكَ، وَالإنصَافُ مِن نَفسِكَ»[1].

فأدوم الناس على الذكر أوفرهم للخدمة، وليس عليك في وقت الانقطاع لوم؛ لأنك لا تقدر على مداومة الذكر مع كل طرفة ومع كل نفس، إنما هذا للملائكة الذين عروا من الشهوات، وخلقوا مجبورين على ذلك، فأرواحهم وقلوبهم وعقولهم معلقة بالعظمة هائمة[2]، لا يشغلهم شيء، فلذلك صارت أنفاسهم تسبيحاً وذكراً، وأنفاسنا عبودة وخدمة، فإذا خرجت فإنما يخرجها من النفس التي هي مشغولة بالشهوات والضرورات، فلا يقدر على ما قدرت عليه الملائكة؛ لأن الحر، والبرد، والجوع، والعطش، والآلام آفة[3] الجسد التي خلقت في الدنيا تشغلنا وتولهنا[4]، فرضي منا تبارك وتعالى أن يكون ذكره منا في استعمال كل حركة، لا مع كل حركة، وذلك الجوارح السبع الكواسب للخير والشر، وهي: السمع، والبصر، واللسان، واليد، والقدم، والبطن، والفرج.

فإذا ذكرَنا مع تحريك كل جارحة، ذكرناه بخير يرضى به، وذكرناه

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٨٠)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٥٠٩) من طريق أبي خالد الأحمر، به.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢٥٧) من طريق الحجاج، به.

وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٨٣) من طريق أبي خالد الأحمر عن الحجاج عن أبي جعفر من قوله.

(٢) في «ن»: هائلة.

(٣) في «ن»: وآفات.

(٤) في «ن»: وتذهلنا.

بنعمة تلك الجارحة علينا، فهذا ذكر درجات يترقى بها العبد إلى ربه، حتى يبلغ منازل المفردين الذين أُهتِروا في ذكر الله، الذين وصفهم رسول الله ﷺ في حديثه، فهذا للسابقين المقربين الذين يدوم ذكرهم على كل حال؛ لأن قلوبهم قد ملكتها عظمة الله، وسبتها محبة الله.

فأما مَن دونهم، فإذا حرك جارحة من هذه الجوارح السبع بتلك الحياة التي فيها، فإنما يحركها بالقلب. والقلب أمير، وذاك التحريك منه استعمالٌ لها، فإذا قصد للخير، فإنما يقصد لذكر الله، وإياه أراد، وإذا قصد الشر بما دعاه إليه الهوى والشهوة، فقد حاد عن الله، واستعمل إمارته في طريق الجور، فجار على جوارحه، وظلم نفسه؛ حيث أرداها، وأوجب لها النار، وحرمها ثواب الله بالحركات التي ذكرنا أولاً[1] التي خرجت من أركانه من غير استعمال لها بقلبه مع كل نفَس، ومع كل طرفة، فتلك حركات لا تبعة عليه فيها[2]؛ لأنها حركات الحياة، ليس فيها أمر ولا نهي؛ مثل: نظرة الفجأة؛ لأن عينيك مفتوحتان، فليس عليك تبعة في وقوع بصرك على الأشياء حتى تستعمله بقلبك، وكذلك تقلبك في مقعدك من قبض يد، وبسط، واتكاء، واحتباءٍ، وأشباه هذا مما لا يمتنع منه الآدمي[3] من الحركات، فهذه حركات تظهر منك في ساعات تمر بك.

فإن كان قلبك غافلاً عن الله تعالى، فكانت خدمة قد فاتتك، وثواب

---

(١) التي ذكرنا أولاً: ليست في «ن».

(٢) في «ن»: لا تبعة عليها.

(٣) في «ن»: يمتنع الآدمي منه.

قد ضاع عنك، المنعمُ يجري عليك رزقه، ويذكرك بإدرار[١] نعمه عليك، وقد ضيعت في ذلك الوقت الخدمة، فهو في ذكرك، وأنت عنه في غفلةٍ، فإن لم تتبع بالتبعات، فقد لحقتك الحسرة التي قال رسول الله ﷺ: «وإنَّما يَتَحَسَّرُ في الجَنَّة[٢] مِن تِلكَ السَّاعةِ».

لأنه قد انكشف له الغطاء عما أوجب الله له في وقت ذكره في تلك الساعات[٣] التي ذكر فيها؛ لأن ثواب عمل الأركان من قصور الجنة، وأنهارها، ونعيمها، وثواب الذكر من فرح الله بالعبد، وحبه له، وتقريبه، والبسطة منه، والبر له، وما لا يوصف من هذا الباب أكثر من أن تحتمله القلوب في الدنيا.

فالمسخرون: قد عملوا أعمالهم، وأوصلوا منافع السخرة إلى هذا الآدمي، وضاعت الخدمة عن الآدمي بقدر ما غاب عن قلبه ذكره، ولو طرفة أو لحظة، وذلك موضوع عن الآدمي؛ لأنه لا يملكه[٤]؛ لأنه خلق عجولاً ونسياً وخطاءً، مشغولاً بالشهوات، مبتلًى بها، وخُلق في غيب، والملائكةُ خلقت في جهر، وكشف الغطاء، ينظرون إلى أنوار العظمة، وأمور منكشفة الغطاء، وعَروا[٥] من الشهوات، فلذلك قدروا على دوام الذكر، وصارت أنفاسهم تسبيحاً؛ لأن أنفاسهم تخرج من النفس التي بها تعلقت قلوبهم وأرواحهم وجميع أجسادهم.

---

(١) في «ن»: بازدياد.

(٢) في الجنة: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: الساعة.

(٤) في «ن»: يملك.

(٥) في الأصل: وعري، وما أثبتناه من «ن».

والآدمي منقسم خلقه على: قلب، وروح، وشهوة، فلما خلق الله خلقنا هكذا، رحمنا، وعطف علينا، فأعطانا في القلوب من العلم به ما أنبأنا في كتابه أن الملائكة عجزت عن ذلك العلم، وقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[البقرة: ٣٢]، وقال لآدم: ﴿أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[البقرة: ٣٣].

ومد أبصار قلوبنا إلى المظهر؛ لمطالعة[١] ما أظهر على المظهر، فالملائكة يطالعون بعيون أجسادهم ما تحت العرش، وقلوب الآدميين تطالع[٢] ما وراء الحجاب[٣] من عظائم الأمور التي لا تدور[٤] الألسن بذكرها، فيعطي في تلك المشاهد والمجالس من الفضل والرحمة والكرم ما يعدل به فوائد خدمتهم التي فاتتهم مع كل نفس؛ لاشتغالهم بالشهوات والضرورات؛ ليقدموا يوم العرضة عليه بأنوار[٥]، وبأعمال تعجب الملائكة منها، فيستنطقهم الرب تعالى، فيثنون عليه بالثناء الذي يبهت الملائكة من غزير علومهم بالله؛ فإن مراتب العلوم تظهر في المنطق إذا أثنوا عليه ومدحوه، فإنما يستنطقهم على رؤوس الملأ[٦]؛ ليعلم الملائكة أين بلغت قلوبهم من مراتبها في تلك الحجب، فيعلم هناك أنهم كانوا في أداني المملكة في الأرض مع وساوس الشيطان[٧]، ووساوس النفس مع

---

(١) في الأصل: لمعاطف، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: يطالعون.

(٣) في «ن»: الحجب.

(٤) في «ن»: لا تقدر.

(٥) في «ن»: يوم العرض بأنوار.

(٦) في «ن»: رؤوس الخلائق.

(٧) في «ن»: الشياطين.

الشهوات[1]، أدركوا هذه العلوم حتى يمدحوا[2] ربنا بهذه المدائح، ويصفوه بهذه الصفات.

ونحن هاهنا معرون من الشهوات، مبرؤون من وساوس الشياطين في أعالي المملكة، فإنما يثنون أولئك يوم القيامة على الله على منابر النور بين يديه بتلك الأسماء التي عرضها على الملائكة، فقالت: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾[البقرة: ٣٢]، فقال لآدم: ﴿أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[البقرة: ٣٣].

فركَّب في صدره مرآةً، وعلمه كلمةً هي أصل الأسماء حتى حزر[3] الأسماءَ أسماءَ الله تعالى، ثم أسماءَ خلقه، فنطق بها، وعينا قلبه تنظران في تلك المرآة، فورث أنبياءُ الله، وأولياؤه[4]، ونجباؤه من ذرية آدم تلك المرآة[5]؛ لما طهروا صدورهم، ونقوها من العلائق وغيوم الشهوات، فرأوا فيها سمات الأشياء، فظهر فيها علم تلك الكلمة التي هي أصل الكلمات، فهامت قلوبهم في بحر علم الله، وهم الذين يُنصب لهم بين يدي الله منابر من نور، وإن ثيابهم نور، ووجوههم نور، يغبطهم النبيون والشهداء؛ لمكانتهم وقربتهم من الله، ينطقون بالثناء على الله، وهم قرة عين محمد ﷺ في الموقف، وخلفاء رسول الله بعد[6] المقام المحمود.

---

(١) في «ن»: ووساوس النفوس بالشهوات.

(٢) في الأصل: مدحوا، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: حتى جرت.

(٤) وأولياؤه: ليست في «ن».

(٥) في «ن»: من زينة تلك المرأة.

(٦) في «ن»: عند.

(١٤٧١) ـ نا صالح بن محمد، قال: نا عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أبي مالك الأشعري، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «يَا أَيُّها النَّاسُ! اعقِلُوا، وَاعلَمُوا أَنَّ للهِ عِبَاداً لَيسُوا بِأَنبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَغبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ؛ بِمَكَانَتِهِم وَقُربَتِهِم مِنَ اللهِ تَعَالَى»، فقام أعرابي فقال: يا رسول الله! حَلِّهم[1] لنا، فسر وجه رسول الله ﷺ لقول الأعرابي، فقال: «هُم قَومٌ مِن أَفنَاءِ النَّاسِ، وَنَوَازِعِ القَبَائِلِ، لَم تَصِل بَينَهُم أَرحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا فِي جَلاَلِ اللهِ، وَتَصَافَوا فِيهِ، وَتَزَاوَرُوا فِيهِ، وَتَبَاذَلُوا فِيهِ، يَضَعُ اللهُ لَهُم مَنَابِرَ مِن نُورٍ، فَيَجلِسُونَ عَلَيهَا، وَإِنَّ ثِيَابَهُم لَنُورٌ، وَإِنَّ وُجُوهَهُم نُورٌ، لاَ يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلاَ يَفزَعُونَ إِذَا فَزِعَ النَّاسُ، أُولَئِكَ أَولِيَاءُ اللَّهِ لاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ»[2].

قال أبو عبدالله:

فهؤلاء أعلام هذه الأمة، أولياء الله ونجباؤه، وأصفياؤه، فما فاتهم من الخدمة لعجزهم عن دوام الذكر في كل نفسٍ وطرفة، واستدركوا وَفَارَتها بما ذكرنا من قوة الذكر، وإنما أخذوا تلك القوة من مجالس النجوى أيام الحياة.

---

(١) في «ن»: من هم؟ حلهم.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل الخامس والستين والمئتين.

وهو قوله تعالى لموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: يا رب! أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ قال تعالى: يا موسى! أنا جليس من ذكرني[1].

فمن كان جليسه رب العزة، فما ظنك بقوته في الذكر أين يبلغ[2] مداه، ومدى يقينه، ومسافة طيران قلبه إلى الله في العلا، ومستقره من تلك المجالس، ودنوه منه في ذلك الملك[3] ومشاهدته.

ثم من بعدهم صنف آخر، وهم المطلوبون، وذلك أنه لما خرجت منك الحركات من كل جارحة، فلم تستعملها بقلبك، صارت موضوعة عنك؛ لأن تلك حركات الحياة، فلما هاجت منك حركة، استعملت بها قلبك، من شهوة نفسك، حتى خرجت تلك الحركة إلى جارحة من جوارحك، فصار كسبك، فإن كان لله رضا، فهو كسبك، وهو لك، وإن لم يكن لله رضا، فهو اكتسابك، وذلك عليك، وهو[4] قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة: ٢٨٦].

وقد بينا في كتاب «رياضة النفس»: شأن الكسب والاكتساب من أين لزمهما[5]، فهذان الاسمان صار[6] أحدهما فعلاً، والآخر افتعالاً،

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص: ٦٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١/ ١٠٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٥١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١١٥) عن كعب.

(٢) في الأصل: بلغ، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: ودنوه في مُلك الملك.

(٤) في «ن»: وهو عليك وذلك.

(٥) في الأصل: من لزمها، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في «ن»: حتى صار.

فالأولى[1]: حركات الحياة، وهي موضوعة عنك، والثانية: حركات السبع جوارح[2]؛ باستعمالك قلبك بتلك الحركات؛ من يديك ورجليك، ولسانك، وسمعك، وبصرك، وبطنك، وفرجك، فهاهنا كسبك واكتسابك، الكسب للخير، والاكتساب للشر.

فالقلب مطلوب[3] برعاية هذه الجوارح السبع وحراستها؛ لئلا يتحرك[4] بباطل، إما بغفلة في غير مجاوزة الحد، وإما بمجاوزة للحد، فتصير معصية حتى تكون حركاتها خدمة للرب، فإذا أهمل القلب ذلك، فقد ضيع الخدمة، ثم هو على ضربين: فمرة أهمل القلب ذلك، حتى خرجت الحركات منه بغير ذكر ولا نية، فيما أذن الله[5] له من الأكل والشرب، والنوم، وأمور الأحياء في متقلبهم، فهو في ذلك الوقت مضيع للخدمة بطال، أجرى الله عليه رزقه، وعمل المسخرون أعمالهم[6]، وأوصلوا إليه[7] منافعه، وعطل الخدمة هو[8]، فعظمت حجة الله عليه؛ حيث لم يعبده في تلك الساعات، وضيع الخدمة، فلو قامت الملائكة تصف[9] خسرانه،

(١) في «ن»: فالأول، وفي الأصل: فأول، ولعل الصواب ما أثبتناه.
(٢) في الأصل: حركات خرجت إلى سبع جوارح، وما أثبتناه من «ن».
(٣) في الأصل: فالقلوب مطلوبة، وما أثبتناه من «ن».
(٤) في الأصل: تحرك، وما أثبتناه من «ن».
(٥) لفظة الله: ليست في «ن».
(٦) أعمالهم: زيادة من «ن».
(٧) إليه: زيادة من «ن».
(٨) هو: ليست في «ن».
(٩) في الأصل: يصفوا، وما أثبتناه من «ن».

ما قدروا عليه[1].

ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «**لَيسَ يَتَحَسَّرُ أَهلُ الجَنَّةِ عَلَى شَيءٍ إلاَّ عَلى سَاعَةٍ مَرَّت بهِم لَمْ يَذكُرُوا اللهَ فيهَا**»[2].

فهذه[3] الحسرات على أهل الجنة في الموقف، لا في الجنة، وإنما ذكر في هذا[4] الحديث أهل الجنة، فإنما صار[5] ذلك حسرة؛ لأنه لما عرضت عليهم[6] أيام الدنيا ولياليها، فرأوا ساعة ذكروا الله فيها، ورأوا أن الله ذكرهم في تلك الساعة، وماذا خرج لهم من ذكره، ثم نظروا في الساعة التي حرمهم فيها ذكره بما تركوا من ذكره، فأخذتهم الحسرات.

والضـرب الآخـر: أهمـل القلـب حتى خرجت منـه حركـات في أمر لم يأذن الله به[7]، فصار ذنباً ومعصية، فذهب العبد بالرقبة، أكل رزقه، وأبق، فما جزاء العبيد الأباق؟ فاجتمع عليه أمران: فوت ثواب الخدمة، وعار الإباق.

يقال في السموات: أبق العبد اللئيم من ربه الكريم، ويقال: أبق العبد البائس السَّفِلَة من ربه الجواد العظيم، فرأى جفاه على القلب[8] يوم يكشف له

---

(١) عليه: زيادة من «ن».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) في «ن»: ذكرنا إسناده بدءاً، فهذه.

(٤) هذا: ليست في «ن».

(٥) في الأصل، و«ن»: صارت، والصواب ما أثبتناه.

(٦) في الأصل: عليه، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في «ن»: لم يأذن به الله.

(٨) في الأصل: على القلوب، وما أثبتناه من «ن».

الغطاء عن هذا في وقفته بين يدي الله، يتقطع قلبه حسرات قطعاً قطعاً، ويتفلَّذ كبده ندامات فلذاً فلذاً، ويضطرب كل عرق منه حياءً من الله، وتصرخ منـه كل شعرة ومفصل عويلاً، وندامة، وحرقـة، وأسفاً، يقال[1] لـه: أكلت رزقي، وقبضت عن أهل سخرتي منافعك، وهربت مني، وذهبت برقبتك، وآثرت هواك ومودة نفسك، ومحابَّ عدوك عليَّ، أفٍّ لك من خادم.

فعلم الله علام الغيوب أن هذا نازل بعبيده، فلم يؤيسهم من رحمته، ولم يحيرهم في طريقه، ولم يكدر عليهم مننه، فترك بابين مفتوحين: باباً من اليمين، وهو باب التوبة، وباب تجاهه، وهو باب الدعاء، وبسط يده فتركها مبسوطة لمن[2] رجع إليه، فبايعه على رد الرقبة، وبذل النفس، والوقوف بين يديه، فقبلهم لما علم صدقهم، وقواهم وأعانهم على الوفاء بالخدمة.

(١٤٧٢) ـ نا الجارود بن معاذ، قال: نا جرير، عن العلاء بن المسيب[3]، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنبَغِي لَهُ أَن يَنَامَ، بَاسِطٌ يَدَهُ لِمُسِيءِ النَّهَارِ أَن يَتُوبَ بِاللَّيلِ، وَلِمُسِيءِ اللَّيلِ أَن يَتُوبَ بِالنَّهَارِ، حِجَابُهُ النَّارُ، لَو كُشِفَـت[4]، لأَحرَقَـت سُـبُحَاتُ وَجهِـهِ

---

(١) في «ن»: فقال.

(٢) في الأصل: فمن، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: جرير بن العلاء المسيب، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: لو كشفها.

كُلَّ شَيءٍ أَدركَهُ بَصَرُهُ»[1].

قال له قائل: فإذا تاب، فردَّ الرقبة، ومدَّ عنقها للانقياد له، فما منتهى أمره، وكيف تدبيره؟

قال: أجمع لك ذلك في خصلتين، وأتوخى الوجازة في هذا الأمر؛ فإنه إذا طال الوصف، وكثر ذكر النفس بوجوه مذاهبها[2]، تحير العقل، وأعيا القلب.

فإن قيل في الحكمة: إن ازدحام الكلام على الأذن مضلة للفهم، ووجازته أبلغ لمن كان له لب، فبلوغ الغاية في هذا الأمر: أن تطلب لقلبك استقامة على طريق الله الذي دعاك إليه، فإذا استوى قلبك على الطريق المستوي، فذلك قصد أهل الصدق، فكان الله لهم معيناً، وحافظاً، ومؤيداً،

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٤٥)، وابن حبان في «الصحيح» (٢٦٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٣٤)، وابن منده في «الإيمان» (٢/ ٧٧٠) من طريق جرير، به.

وأخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٢/ ٤٦٢)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤١٤) من طريق جرير عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، به.

وأخرجه مسلم (١٧٩)، وابن ماجه (١٩٥)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٠)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٦٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٤٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ١٤٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٣٠)، وابن منده في «الإيمان» (٢/ ٧٦٩ ـ ٧٧٠) من طريق عمرو بن مرة، به.

قال أبو عبيد: يقال في السُّبحة: إِنَّها جَلاَلُ وَجْهِهِ ونُورُه. انظر: «غريب الحديث» (٣/ ١٧٣).

(٢) في الأصل: بوجوه مداهيها هذا، وما أثبتناه من «ن».

فإذا وقف قلبك على سواء الطريق[1] إلى الله، أشرق لقلبك نوران من عنده؛ تأييداً لك من عنده[2]، وتفضلاً، وتكرماً، فإذا تطرق عينا فؤادك إلى إشراق ذينك النورين، تشبث بهما، ولزمهما، ومرَّ[3] حيث مرَّا به، وهدياه، فاهتدى[4] لما هدياه، وبادر وأسرع، فهما سراجان يضيئان له الطريق في كل أمر حادث، يبصِّرانه كيف ينبغي له[5] أن يمضي فيه.

قال له قائل: وما النوران؟.

قال: نور الحق، ونور العدل، فنور الحق: يمنعك عن الباطل، ونور العدل: يمسكك عن الميل في الحق.

فإن الميل هو: جور عن الله، فإذا ملت، وجرت[6] عن الله، ذهبت الاستقامة؛ لأن الذي يعمل بالحق في الأمر الذي يعرض له، فهو عامل بالحق، مشارك للهوى فيه، حتى يرائي في ذلك الحق، ويتصنع، ويداهن، ويعمل بعلاقة، فالعدل يمنعه عن ذلك، والحق يمنعه عن المعصية والسيئة، وهو قول الله تعالى حيث ذكر موسى ـ عليه الصلاة السلام ـ ما وجد في التوراة من عطاء[7] ربنا لهذه الأمة، فقال: هم أمة محمد، فقال: فاجعلني منهم،

---

(١) في «ن»: سواء الصراط.

(٢) في الأصل: جنده، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: تشبث ومر بهما ولزمهما.

(٤) فاهتدى: ليست في «ن».

(٥) له: ليست في «ن».

(٦) في «ن»: فإذا جرت وملت.

(٧) في «ن»: عطايا.

فوعده أن يعطي قومه ما قنع به، فرضي به، فقال تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾[الأعراف: ١٥٩]، فوفى له، وأنجز وعده.

فهم الذين روي[1] في الخبر: أنهم[2] من وراء الصين، من وراء نهر الرمل، يعبدون الله بالحق والعدل، فمع هذا الحق والعدل، لم يقدروا أن يكونوا بين ظهراني بني إسرائيل، حتى أخرجهم الله إلى ناحية من أرضه، في عزلة من خلقه[3].

فروي لنا: أن رسول الله ﷺ ليلة أُسري به ذهب به إليهم، فساءلهم وساءلوه، وآمنوا به، وعلَّمهم سوراً من القرآن، وقال لهم: «**هَل لَكُم مِكيالٌ وَميزَانٌ؟**»، قالوا: لا، قال: «**فَمِن أَينَ مَعاشُكُم؟**»، قالوا: نخرج إلى البرية فنزرع، فإذا حصدنا، وضعناه هناك، فإذا احتاج أحدنا، خرج إليه، فأخذ حاجته، قال: «**فَأَينَ نِساؤُكُم؟**» قالوا: في ناحية منا، فإذا احتاج أحدنا إلى زوجته، صار إليها في وقت الحاجة، قال: «**فَيكذبُ أَحَدُكُم في حَدِيثِهِ؟**»، قالوا: لو فعل ذلك أحدنا، لا يظن إلا أن النار[4] تنزل عليه فتحرقه، قال: «**فَما بَالُ بِيوتِكُم مُستَوِيَةٌ؟**»، قالوا: لكيلا يعلو بعضنا بعضاً، قال: «**فَما بالُ قُبورِكُم علَى أَبوابِكُم؟**»، قالوا: لكيلا[5] نغفل عن ذكر الموت.

---

(١) في الأصل: يروون، وما أثبتناه من «ن».

(٢) أنهم: زيادة من «ن».

(٣) في الأصل: من الخلق، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: أحدنا أخذته لظى أن النار.

(٥) في «ن»: لئلا.

فهذه[1] صفة القوم الذين جعل الله حاجة موسى ورضاه فيهم، فهم أهل هذه الصفة، ثم لما رجع رسول الله ﷺ إلى الدنيا من ليلة الإسراء، أنزل عليه[2]: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[الأعراف: ١٨١].

يعلمه[3] أن الذي أعطيت موسى في قومه أعطيتك في أمتك، ومع ذلك من القوة لهم ما أقاموا ذلك الحق والعدل بين ظهراني الخلق من غير حاجة إلى عزلةٍ من الناس، فمنَّ الله على موسى بأولئك، ومنَّ على محمد عليه السلام بهذه الطبقة مع القوة التي تضاعفت المنة له فيهم عليه، فشتّانَ ما بين من[4] يقيم الحق والعدل في أرزاقه ومعاشه، فهو يتقلب فيها، ويخالط[5] أهله وولده في كل وقت، ويلابس أهل المكاييل والموازين، ويخزن ما أعطي من الدنيا في خزانته، ويعمل في بنيانه[6]، ومساكنه ما يعمل الأمناء[7] من التفاوت من أجل مرافقه، وتكون قبور[8] موتاه بمعزل عن عينه، وهو مع ذلك يجري في ميدان الحق والعدل، وبين من هرب عن هذا كله، واعتزلهم، وجرى في ميدان الحق والعدل.

---

(١) في الأصل: فهذا، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: عليه فقال.

(٣) في «ن»: يعني به: أمة محمد ﷺ يعلمه.

(٤) في «ن»: أن.

(٥) في الأصل: يحافظ، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: في ثيابه، والصواب من «ن».

(٧) في «ن»: الأحياء.

(٨) في «ن»: مرافقه وقبور.

لقد بان أولئك بوناً بعيداً، وهم أمة محمد ﷺ، فإنما قووا على هذا؛ لتعلق قلوبهم بالله، فهم يمتصون حلاوة اليقين، فتجمد في قلوبهم، حتى تصير قلوبهم بقوة اليقين كالجبال الرواسي، فهم بين إشغال النفس وتزاحمها، يمرون كالسهم في ميدان الحق والعدل[1]، فهم بارزون على طبقة موسى الذين وصفهم في ليلة الإسراء، فإذا ظفرت بهذين النورين، فكانا لك، فلزمتهما، فأنت في كل أمر حدث تخرج حركاتك إلى الجوارح من قلب محق عدل، قد والى الله؛ لينصر حقه، ويقيم أمره، ويوفر خدمته، ويوفيه حقه[2]، فتولاه الله، وستره، وولي هدايته، وائتمنه[3]، فهذا قد أكل رزقه، وقبض منافعه من المسخرين، وأدى خدمته إلى الله[4]، وفي خلال ذلك يستغفر للتقصير الذي يتخوف فيه، فلم يبق للسموات والأرض[5] ولا الشمس، والقمر، والليل، والنهار عليه تبعة ولا خصومة.

ومن كان بخلاف ذلك، فهؤلاء كلهم خصماؤه، وويل له من أرضه التي يدفن فيها، ماذا تعمل به، وكيف تعصره عصراً، وكيف تضغطه ضغطاً؟! ومن سمائه التي تصعد روحه إليها[6]، ومن ملائكة الله، وحيث

---

(١) في الأصل: ميدان العدل، والصواب من «ن».

(٢) ويوفيه حقه: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: هدايته وتضمنته قبضته.

(٤) في «ن»: وأدى إلى الله خدمته.

(٥) في الأصل: والأرضين، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في «ن»: سمائه الذي يصعد بروحه إليها، وفي الأصل: تصعد روحه إليه، والصواب ما أثبتناه.

يمر[1] بروحه عليهم، ومن جميع خلقه المسخرين له، يقولون: قد استرحنا من هذا العبد الآبق الفاجر، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **«مُستَرِيحٌ وَمُستَرَاحٌ مِنهُ»**[2].

فالمستريح: من غفر له، وستر عليه مساوئ عمله.

والمستراح منه: من هؤلاء خصماؤه وأهل تبعته، يقولون: أوصلنا إليك السخرة، فأين الخدمة؟.

فمن عاد الله عليه بفضله ورحمته؛ لإنابته إليه، وندمه، وعويله، واستقامة سيره، غفر له، فسكن الخصماء، وأهل التبعة عنه[3] من المسخرين، ولهوا عنه؛ لأنه صيره حبيبه، وقال في تنزيله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة: ٢٢٢]. تطهروا بالله في قربه لما بذلوا نفوسهم له صدقاً، فوالوا الله، وتولاهم الله.

فروي لنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«يُنَادِي مُنَادٍ يَومَ القِيَامَةِ: أَلاَ مَن كَانَ[اللهُ] لَهُ وَلِيّاً، فَليَعتَزِل، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا ضَامِنٌ لِمَنِ ادَّعَى قِبَلَهُم حَقّاً»**[4].

فهؤلاء الذين ضمن الله لهم، هم[5] آدميون مثله، فوفى الله عنهم؛

---

(١) في الأصل: يعرج، وما أثبتناه من «ن».

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤٧)، ومسلم (٩٥٠)، والنسائي (٤/ ٤٨)، وفي «السنن الكبرى» (٢٠٥٧)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٩٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٤٤٣)، وابن حبان في «الصحيح» (٣٠٠٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٨)، وغيرهم من حديث أبي قتادة ﷺ.

(٣) عنه: ليست في «ن».

(٤) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

(٥) هم: ليست في «ن».

لأنهم من جنسه، وأما أهل السخرة، فسكنوا؛ لأنه أراهم أنه حبيبه، ونادى[1] في السموات جبريل بحب الله له، فبرأه من تبعة أهل السخرة، وقضى عنه ما كان من تبعات الآدميين؛ لأن الآدميين شركاؤه، وفي كرامة سجود الملائكة له، وفي العلم والخدمة، فإذا ادعوا قِبَلَه حقاً، لم تبطل حقوقهم، ولكن يتولى قضاءه عنه[2]، ولا يتركه في أيديهم.

ولذلك قال رسول الله ﷺ حيث قال: **«إِنَّ صَلاَتَكُم مَعرُوضَةٌ عَلَيَّ[3] يَومَ الجُمُعَةِ، فَأَكثِرُوا عَلَيَّ[4] الصَّلاَةَ»**، فقال قائل: يا رسول الله! كيف وقد رممت؟ قال ﷺ: **«إِنَّا ـ مَعَاشِرَ الأَنبِيَاءِ ـ حَرَّمَ اللهُ عَلَى الأَرضِ أَن تَأكُلَ أَجسَادَنَا[5]»**[6].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فقد أخبر الله عن حال الأنبياء: أن الأرض قد تبرأت عنهم، فلم يتبعهم

---

(١) في «ن»: ونادى جبريل.

(٢) في الأصل: عنهم، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: علي معروضة.

(٤) في «ن»: علي من.

(٥) في «ن»: على الأرض أجسادنا أن تأكلها.

(٦) أخرجه أبو داود (١٥٣١)، والنسائي (٣/ ٩١)، وابن ماجه (١٦٣٦)، والدارمي في «السنن» (١/ ٤٤٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ٢١٧)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٣/ ١١٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٩١٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤١٣)، وغيرهم من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه.

بما[1] أكلوا منها؛ لأنهم تناولوا ما تناولوا[2]منها بالحق والعدل، وإنما سخرها الله لهم؛ لإقامة الحق والعدل، فبالنبوة مروا في هذا الأمر، والنبوة من الحق والعدل أعطيت الأنبياء، فخلفاء النبيين من أعطي[3] الحق والعدل، وكذلك ليس للأرض عليهم سلطان.

ومما يحقق ما قلنا:

حديث جابر بن عبدالله: أن شهداء أُحُد لما نقلوا عن قبورهم إلى موضع آخر في زمن معاوية؛ حيث أراد أن يجري ذلك الماء في ذلك الموضع، فأخرجوا من قبورهم ـ بعد نحو من أربعين سنة ـ رطاباً يتثنون، حتى[4] أصابت المسحاة قدم حمزة بن عبد المطلب[5]، فانبعث دماً طرياً[6].

فإذا كان حال الشهداء في قبورهم هكذا، فانظر ما حال الصديقين؛ فإنهم أعلى منهم، فتوهم ما حال أبي بكر، وعمر في قبريهما ـ رضوان الله عليهما ـ؟ أفيتوهم[7] أحد أن للأرض عليهما سلطاناً[8] وتبعة؟ لا يتوهم هذا

---

(١) في «ن»: فيما.

(٢) ما تناولوا: ليست في «ن».

(٣) أعطي: ليست في «ن».

(٤) في الأصل: قد، والصواب من «ن».

(٥) ابن عبد المطلب: ليست في «ن».

(٦) تقدم تخريجه في الأصل الحادي والتسعين والمئة.

(٧) في الأصل: فيتوهم، والصواب من «ن».

(٨) في الأصل: أن الأرض عليهم سلطاناً، وما أثبتناه من «ن».

ذو لب يعلم هذا الأمر[1].

وفي جملة القول[2]: إن الله ـ تعالى اسمه ـ لم يقتض العباد ما لم[3] يعطهم؛ لأن الأشياء كلها من عند الله، كان الله ولا شيء، فلما أراد أن يخلق الخلق، أخرج لهم بساطين: بساط الربوبية، وبساط العبودية[4]، فقابل بساط العبودة بساط الربوبية[5]؛ ليلاحظ العباد[6] بساط الربوبية، فيقتبسوا منه علم الربوبية، فيردوه إلى النفوس[7] الناكصة عن الأمر، الخائضة[8] في النهي حتى تنقاد تلك النفوس، فتذل وتهاب ما يأتي[9] إليها من علم الربوبية.

ثم أخرج من بين البساطين بساط التدبير[10]، فأخرج من ذلك التدبير خلقاً علواً وسفلاً مسخرين للعبيد؛ قطعاً للاعتذار، والجدال، والخصومة؛ لأنه قد علم أنه خالق يوماً يبعثهم فيه، ويحشرهم إلى مقام

---

(١) في «ن»: لا يتوهم هذا إلا غافل عن هذا الأمر.

(٢) في «ن»: وفي جملة الأمر، وفي الأصل: وفي الجملة القول، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: العباد شيئاً لم، والمثبت من «ن».

(٤) في «ن»: العبودة.

(٥) قوله: فقابل بساط العبودة بساط الربوبية: ليس في «ن».

(٦) في «ن»: العبيد.

(٧) في الأصل: النفس، والصواب من «ن».

(٨) في الأصل: الجامحة، والصواب من «ن».

(٩) في الأصل: ما تأدى، وما أثبتناه من «ن».

(١٠) في «ن»: بساطاً للتدبير.

الحساب، فتأتي كل نفس تجادل عن نفسها، فبسط[1] لهم هذه البسط الثلاثة، وجعل القلوب أمراء على النفوس، وركب في كل قلب عينين ناظرتين تلاحظان بساط الربوبية، ثم تنظران بعين الكياسة بساط التدبير، ثم تنظران بعين قد استوزرت[2] العقل، وتضمنت الزهد، فتدور في فنون العبودة، وتنتبه ليوم المقتضى، وأنه مطلوب يطلبه مالك الملوك بسره وعلانيته، وحاصل ما في صدره.

فلما بسط هذه[3] البسط الثلاثة، ابتدأ في خلق السخرة علواً وسفلاً، ثم أظهر خلق الإنسان في وسط ذلك، والمسخرون حوله، وكان آخر من خلق، وذلك في يوم الجمعة في ساعة، بلغنا في الحديث: أنه أقسم: لا يسألني عبد حاجة في هذه الساعة من هذا اليوم إلا أجبته؛ تعظيماً لخلق هذا الإنسان وذريته، وفيهم الأحباب والرسل، والأنبياء، والأولياء، وأعلاهم وأولهم محمد ﷺ، فوضع في هذا الآدمي: الروح، والحياة، والقوة، والعلم، والذهن، والحفظ، والفهم، والفطنة، والعقل، والحلم، والبصر، والكياسة، هذا كله في النصف الأعلى من الجسد[4].

ووضع الشهوة والنفس والهوى فيما سَفُلَ، ثمَّ اقتضاهم استعمال ما في النصف الأعلى، وإبرازه من باطنه إلى ظاهر الجوارح، فتكون أعمالاً عليها

(١) في الأصل: فيبسط، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: استورَت.

(٣) في الأصل: هذا، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: من جسده.

يثابون، وأعلمهم أن هاهنا عدواً قد وجد السبيل إلى هذه الشهوات والهوى، كما وجد إلى أبيهم السبيل في داره، وحذرهم أن لا يلتفتوا إلى غرور هذا العدو الذي يوسوس إليهم، وأن يفروا إلى الله من هبوب الهوى إذا هب في الجوف، فأثار[1] الشهوات حتى دبت في العروق، فاشتملت على الجسد، ومالت بقلبك عن الله، فيصدك عن سبيل الله إذا اتبع قلبك الهوى، وتقدم إليك في تنزيله في قوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[ص: ٢٦].

فأعلمنا في تنزيله: أن نسيان يوم الحساب يجرئنا على استعمال الهوى، وعلى ترك الحذر من العمل بالهوى، وأعلمنا في آية أخرى: أن في يوم الحساب إبلاء السرائر، واستخراج حاصل الصدور، وليعلم العباد أن الهوى إذا ظهر، لم يطع، وإذا انكمن، لم يؤمن، فتمت حجة الله عليهم[2] بما وصفنا من العطاء، فمن لم يعطه روحاً أو قوةً، أو علماً، أو ذهناً، أو حفظاً، أو شيئاً من هذه الأشياء، لم يقتضه ما يخرج له[3] من ذلك الشيء.

كما أنه إذا لم يعطك الرِّجل، لم يقتضك الصلاة قائماً، وإذا لم يعطك القوة، لم يقتضك الصوم، وإذا لم يعطك السبيل إلى الحج، لم يقتضك الحج، وإذا لم يعطك المال، لم يقتضك الزكاة، وإذا لم يعطك الكسوة،

---

(١) في الأصل: نار، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: علينا، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: يخرج لك، والصواب من «ن».

فصليت عرياناً، أجزأتك، وإذا لم يعطك الماء، صح لك التيمم[١].

فكذلك ما في الباطن، كل شيء لم يعطك، لم يقتضك استعماله وإبرازه عنك[٢]، وكل شيء أعطاك لتبرزه إلى جوارحك، فتكون محموداً عليه مثاباً مكرماً، فإذا منعته، فقد ظلمت نفسك، وضيعتها، وضاعت عنك تلك الأشياء التي وضعها فيك[٣].

فإن قال العبد: وضع[٤] فيَّ هذه الأشياء، ولكن[٥] لا يعمل هذه الأشياء فيَّ إلا بإذنه، فإن منعني الإذن، بقيت هذه الأشياء فيَّ غير عاملة، ولا مستعملة، فخبث، وإذا أذن له، برز ذلك مني إلى ظاهر أركاني، فالإذن أحد هذه الأشياء الذي إذا منعني، صرت كأني لم أعط شيئاً، وهو رأس هذه الأشياء، والإذن من المشيئة، ومن أجل هذا ندب العباد إلى أن يكون هجير العبد ما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ لئلا يركن، ويطمئن قلبه إلى هذه الأشياء التي وضعت فيه.

فمن حجة الله تعالى أن يقول: إنما أعطيتك هذه الأشياء، ووضعتها في وعائك، والوعاء هو القلب والنفس[٦]، فإذا ذهبت بقلبك ونفسك عني،

---

(١) في «ن»: وإذا لم يعطك الماء فصليت بالتيمم أجزأك.

(٢) عنك: زيادة من «ن».

(٣) التي وضعها فيك: زيادة من «ن».

(٤) في «ن»: فإن العبد إذا قال: إنه وضع.

(٥) لكن: زيادة من «ن».

(٦) في الأصل: إنما أعطيتك هذه في مراعاتك الوعد في القلب والنفس، وما أثبتناه من «ن».

وأقبلت على الشهوات، واستعمال الهوى، فقد ذهبت بالنفس بما فيها من هذه الأشياء الموضوعة فيك، فلما غيرت؛ بأن ذهبت بنفسك، انقطع الإذن، وبقيت الأشياء غير عاملة.

وقال في تنزيله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الأنفال: ٥٣].

فإذا ذهبت بروحك، وحياتك، وقوتك، وعلمك، وذهنك، وحفظك، وعقلك، وفهمك، وفطنتك، وحلمك، وبصرك، وكياستك، فمازجتها بالهوى، والهوى دنس قد خرج من النار، ومر بالشهوات، فاحتملها إلى شهوتك الموضوعة في نفسك، فأثارها، واشتد احتدامها[١]، وهاجت أمواجها، فاغبر عليك صدرك، وبقيت عينا الفؤاد في الصدر في ذلك الغبار تائهة، فغيرت النعم؛ بأن قطعت الإذن عنك، فإن وقفت بنفسك بين يديَّ بما فيها من الأشياء الموضوعة فيك[٢]، فقد بذلت نفسك لي، وصرت أميناً من أمنائي، فأذنت الأشياء الموضوعة فيك إذناً عاماً لا تحتاج إلى أن تستأذنني في كل أمر.

وعندك مثل هذا: عبد قد ملكته[٣] من السبي، واتخذته عبداً، فكان يشتري لك من السوق الشيء بعد الشيء بإذنك، فما استدان بغير إذنك، لم يكن[٤] يلزمك ضمانه في مالك[٥]؛ لأنه محجور عليه،

---

(١) في «ن»: واشتد إحراقها.

(٢) فيك: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: مثال هذا فقد كان لك عبد ملكته.

(٤) يكن: ليست في «ن».

(٥) في مالك: زيادة من «ن».

عبد مملوك لا يقدر على شيء، وكل شيء أذنت له فيه[1]، جاز ذلك عليك[2]، وكل شيء لم تأذن له فيه، انعلقت رقبته إلى يوم العتق[3]، فيؤخذ به بعد العتق، فإذا طال مكثه في العبودة، وعرف أمورك، وجدته ناصحاً، متشمراً في أمرك باذلاً لك نفسه، صار أميناً عندك، فأذنت له بالتجارة[4]، فصار تاجراً أميناً يداين الناس ويعاملهم، فكل ما حصل عليه، فقد لزمك؛ لأنك قد[5] أذنت له في كل تجاراته ومعاملاته، فإذا اقتضاه غرماؤه، قضيت عنه دينه، فكذلك أنت[6] عبدي متى بذلت نفسك لي، ووقفت بين يدي مقام الأمناء، أذنت لكل شيء وضعته فيك أن يعمل عمله، حتى تجد في كل وقت ثمرة كل شيء وضعته فيك، وعمله[7]؛ من العلم، والذهن، والقوة، والحفظ، والعقل، وجميع الأشياء الموضوعة فيك.

ومتى رغبت عني إلى شهواتك[8] وهواك، فأنت عبد متهم، محجور عليه، لا تعمل شيئاً إلا بإذني، فمرة تجد الإذن، ومرة لا تجد؛ لأنك متهم سرك، وقلبك مع هواك، ولسانك وظاهر قلبك معي، فإذا أذنت لك في كل أمر إذناً عاماً، تخطيت الأمور، فأفسدت.

---

(١) فيه: ليست في «ن».

(٢) في «ن»: عليه.

(٣) في «ن»: لم تأذن له فيه تعلقت رقبته يوم العتق.

(٤) في «ن»: له في التجارة.

(٥) في الأصل: لأنه أذنت، والصواب من «ن».

(٦) أنت: ليست في «ن».

(٧) من قوله: حتى تجد. . . إلى قوله: فيك وعمله: ليس في «ن».

(٨) في «ن»: إلى شهوات نفسك.

وكذلك عبدك[1] المحجور إذا أذنت له إذناً عاماً في كل التجارات، ولم يكن عنده ما يضبط به ذلك، أفسده، فإنما حجرت عليه لأنه لا يضبطه[2]، ولأنه لم يبذل نفسه لك[3]، ويكون بين يديك حتى تهديه للأمور، فكذلك العبد إذا أقبل إلي صدقاً، وتخلى من الهوى والشهوة، وتقرب إلي بذلك التخلي، فما زال ذلك دأبه حتى يلقي نفسه بين يدي باذلاً لها، لا يتعلق بشيء دوني، وصعد إليَّ ضَرعه، وجؤاره، ورحمته[4]، فاجتبيته وهديته، وكذلك فعلت بأوليائي وأحبائي[5]. قال في تنزيله عندما يصف خليله شاكراً لأنعمه: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ﴾[النحل: ١٢١].

فالمجتبون والمهديون في قبضة الله، يستعملهم في محابه ومشيئته، فإذا نطق، فبه[6] ينطق، وإذا نظر، فبه ينظر، وإذا سمع، فبه يسمع، فإذا بطش، فبه يبطش، وإذا مشى، فبه يمشي، وإذا تدبر، فبه يعقل.

كذلك جاءنا: عن عروة بن الزبير، عن عائشة، عن رسول الله ﷺ، عن جبريل ـ عليه الصلاة السلام ـ، عن الله تعالى[7].

قال له قائل: فما بذل النَّفس لربِّه؟.

---

(١) في الأصل: وكذلك العبد، والمثبت من «ن».

(٢) في الأصل: عليه بضبطه، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: لم يبذل لك نفسه.

(٤) في الأصل: رحمته، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: فعلت بأحبائي، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في الأصل: عنه، الصواب من «ن».

(٧) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والستين والمئة.

قال: أن يترك جميع مشيئاته لمشيئته؛ فإن الله تعالى خلقه لما شاء، لا لما شاء العبد، ودبر له في أمر دنياه ما علم أن صلاحه فيه، لا ما علم العبد، فإذا ترك العبد مشيئاته، وصارت عينا قلبه شاخصتين[1] إلى ما تبرز له من الغيب، فيرضى به، قد فوض إليه قبل ذلك أموره، فلا يركن إلى شيء، ولا يدبر لنفسه شيئاً، إنما هو عبد مراقب لما يظهر له من غيبه من التَّدبير، فقد بذل نفسه له، وصار عبداً قد زالت عنه التُّهمة، وصار أميناً من أمنائه.

فأذن لجميع[2] ما وضع فيه أن يعملوا أعمالهم في الباطن، فيؤدوا إليه ثمراتهم، فصار عبداً مأذوناً، يدور رحى حركاته بالقطب، والقطب هو الإذن، فعندها صارت مشيئة ربه في مشيئته، فمتى ما شاء شيئاً[3]، أنفذه، وكان ذلك الشيء الذي شاء العبد مشيئة ربه، فهو الذي يقسم على ربه، وهو ما روي عن رسول الله ﷺ[4]:

(١٤٧٣) ـ نا عبدالله بن أبي زياد القطواني، قال: نا سيار، قال: نا جعفر بن سليمان، قال: نا ثابت البناني، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «كَم مِن أَشعَثَ أَغبَرَ ذِي طِمرَينِ لاَ يُؤبَهُ لَهُ، لَو أَقسَمَ عَلَى اللهِ، لأَبَرَّهُ»[5].

---

(١) في «ن»: شاخصتان.

(٢) في الأصل: فأذن له لجميع، وما أثبتناه من «ن».

(٣) شيئاً: ليست في «ن».

(٤) في «ن»: وهو قول رسول الله ﷺ.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٨٥٤)، وأحمد في «الزهد» (ص: ٢٥) من طريق عبدالله بن =

فإذا احتج العبد بأن يقول: وضعت فيَّ العقل، والقوة، والعلم، والحياة، وهذه حججك[1] عليَّ، وهذا كله خلق من خلقك[2]، أنت خلقته ووضعته فيَّ، ولا يتحرك شيء من هذا، ولا يعمل إلا بإذنك، فلم حبست عن الإذن، وهذه الأشياء كلها جنود القلب، والقلب أمين؟

فمن حجة الرب تعالى أن يقول: إني وضعت هذا فيك؛ لتكون النفس لي، وقائمة بين يدي، فخانت وزاغت عني بما وضعت فيها، وشاءت مشيئات، ولم تنظر إلى مشيئتي، ودبرت لها، ولم تنظر إلى تدبيري الذي سبق خلقها، فالخائن كالعبد المحجور يطلق له الإذن في شيء، ولايطلق له في شيء لأنه يفسد، ولا يضبط[3]، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[يونس: ١٠٠].

فالإذن للنفس بما وضع فيها.

فإن قال العبد مخاصماً: فهل أقدر أن أبذل نفسي، وأترك مشيئاتي

= أبي زياد، به.

وقال الترمذي: هذا حديث صحيح حسن من هذا الوجه.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ٢٦٤) من طريق أنس ﷺ، وزاد فيه: «. . . مصفح عن أبواب الناس، لو أقسم على الله، لأبره».

وانظر: «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٦٤).

(١) في «ن»: حجتك.

(٢) من خلقك: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: فالخائن كالعبد المحجور يطلق له في شيء لا يفسد ولا يضبط على الله تعالى، والمثبت من «ن».

إلا بما تعطيني؛ فإنك وضعت فيَّ الشهوات، وإنما زاغت بي عنك حلاوة شهواتي، وقوة هواي؟

ومن حجة الرب تعالى أن يقول: أعطيتك حلاوة معرفتي، وقوة الحياة بي، وقائمة من عندي، وتعلقاً بحبلي، فهلا جررت حلاوة شهواتك إلى حلاوة معرفتي بذكاوة تلك الحياة، وبثبات تلك القائمة، ورسوخ قدمك في القائمة، حتى تغمر حلاوة شهواتك في حلاوة معرفتي، وقوة القائمة، وتعلقك بالحبل حتى لا يقدر الهوى أن يمد بك.

فهاهنا تنقطع الحجة، فيتحير العبد، فالمؤمنون منَّ الله عليهم في السَّير بمشيئته، وليس[1] لأحد في المشيئة منازعة أن يقول: لم شئت لفلان، ولم تشأ لي؟.

وكذلك المحبة، فخلق الله الخلق في ظلمة، ثم رشَّ عليهم من نوره، فإنما أصاب من أصاب بمشيئته، وأخطأ من أخطأ بمشيئته، فقد علم من يصيبه ممن يخطئه، كذلك جاءنا عن رسول الله ﷺ.

فلما أبرز السلطان، نفر هؤلاء الذين لم ينالوا من ذلك الرش شيئاً، فتباعدوا، فورثوا البعد من الله والنفر، فلما خرجوا من صلب آدم، خرجوا سوداً عمياً عن الله، فأقروا به كرهاً على وجه التقية، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[الرعد: ١٥][2].

(١) في الأصل: بمشيئته التي ليس، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾[آل عمران: ٨٣].

(١٤٧٤) ـ نا أبي، قال: نا عمرو[١] بن طلحة القنَّاد، عن أسباط، عن السدي، عن أبي صالح، وأبي مالك، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود[٢]، بذلك[٣].

وجاءت الأخبار: عن عبدالله بن عمر، وعن أبي ذرٍّ، وغيرهما عن رسول الله ﷺ بهذه القصة.

وكذلك هؤلاء الموحدون أعطاهم كلهم آلات الطاعة في الباطن؛ من العلم، والذهن، والعقل، ثم لم يعطهم ما به يبذلون أنفسهم[٤]، حتى لا يشاؤون شيئاً[٥] إلا ما شاء، من أجل الشهوات التي رَكَّب فيهم؛ لأن للشهوات حلاوة وحباً، وذلك الذي أعطى من بذل نفسه له، وقطع عن نفسه حب الشهوات وحلاوتها مجاهداً لنفسه، محارباً لهواه، ماداً بجلدة رقبته إلى ربه، ضرعاً، باكياً، تجري دموعه على خديه، فمرة يجثو، ومرة ينتصب، ومرة يضع خده بالأرض، ومرة يدعو، ومرة يتملق، حتى رحمه ربه، واطلع على صدق بذله، فمنَّ عليه بذلك الحب الذي هو أصل الحب عنده، فأحياه بذلك، وأذاقه من حلاوته ما جرف كل حلاوة في نفسه، كالسيل الذي يجيء، فيجري في الكناسات بما فيها، وبالمزابل بما فيها من

---

(١) في الأصل: عمر، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: عن مرة الهمداني، عن ابن عباس، والصواب ما أثبتناه من «ن».

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٨/ ٨٥ ـ ٨٦) من طريق عمرو بن طلحة، به.

(٤) في «ن»: ما يبذلون به أنفسهم له.

(٥) شيئاً: ليست في «ن».

الأقذار والميتة، فصارت بقاعاً طاهرة.

فكذلك صدر[1] هذا العبد بما نال من هذا الحب، فذهبت مشيئاته تحت مشيئة خالقه، فصار منه مأذوناً[2] بجميع ما فيه من الأشياء الموضوعة، حتى أينعت ثمراتها[3]، وبرزت عمالاتها على[4] الجوارح، ثم صيره في أحوال الدنيا مقسماً على ربه في ملكه، قال الله تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[الزخرف: ٣٢] الآية.

فرتب لتارك المشيئة مرتبة القسم أن يتناول من ملكه حاجته من خزائن تلك الحاجة بقلبه، ثم يرفعه إلى ربه ممسكاً[5] ينتظر مشيئته، فيجعل الرب مشيئته في مشيئة عبده، فذلك قول رسول الله ﷺ: «لو أقسم على الله، لأبرَّ قسمه»[6].

فإقسامه أن يأخذ العبد من القسمة بمشيئته، فيمضي أخذه واقتسامه[7]، فهذا الحب بمشيئته يعطي ويمن[8]، وليس لأحد فيه خصومة لمَ شِئتَ له، ولم تشأْ لي؟ ولمَ أحبَبتَه، ولم تحبَّني؟

(١) في «ن»: صورة.

(٢) في «ن»: فصار أميناً مأذوناً له.

(٣) في الأصل: ثمرتها، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: عن.

(٥) في «ن»: متمسكاً.

(٦) في «ن»: على الله لأبره.

(٧) في الأصل: فهذا من وراثة أخرى، والصواب إسقاطها من «ن».

(٨) في «ن»: وثم.

(١٤٧٥) - نا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن سهيل[١] بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالى إِذَا أَحَبَّ عَبداً، قَالَ: يَا جِبرِيلُ[٢]! إِنِّي أُحِبُّ فُلاَناً، فَأَحِبَّهُ[٣]، فَيُحِبُّهُ جِبرِيلُ، ثُمَّ يَضَعُ لَهُ القَبُولَ في الأَرضِ»[٤].

فالعلم بالله يؤدبك في باطنك، والعلم بتدبير الله يؤدبك في ظاهرك.

قال له قائل: كيف يؤدبه في الباطن؟.

قال: يجعله في ذلك العلم مراقباً لله، فيقف به على حدود المراقبة في الأمور كلها، ويورثه الحياء منه، ويقف به على مهابة أسرار الله[٥]،

---

(١) في «ن»: سهل.

(٢) في «ن»: قال لجبريل.

(٣) في الأصل: فأحبوه، والمثبت من «ن».

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٣).

ومن طريقه أخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٣٦٥)، والدقاق في «مجلس في رؤية الله» (ص: ١٢٥).

وأخرجه مسلم (٢٦٣٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٧٤٧)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٧)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٣١٩)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٥٠)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٦٨٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ١٧٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٠٦) من طريق سهيل، به.

وأخرجه البخاري (٧٠٤٧) من طريق أبي صالح، به.

(٥) في الأصل: ويقف به على محابة وأسرار الله، وما أثبتناه من «ن».

ويقف به على الحذر والحزم، ويرضي نفسه رضاً في أثقال المنن، والمراقبة في الأمور كلها يورث الحياء [١] حتى يؤديه من[٢] هذه المنازل إلى التعلق به في كل الأحوال.

قال: فكيف يؤدبه في علم التدبير في ظاهره؟.

قال: إذا علم التدبير، تصور له صورة للأعمال، فرأى مراتب الأعمال عند الله، فالصلاة لها مرتبة، والزكاة لها مرتبة، والصدقة لها مرتبة، والصوم له مرتبة، والجهاد له مرتبة، وكذلك سائر أعمال البر لكل عمل مرتبة، ولكل عمل ثواب؛ بخلاف العمل الآخر، ولكل عمل جزاء؛ بخلاف الجزاء للعمل الآخر[٣]، ولكل عمل صورة، فالصورة أس العمل.

قال له قائل: اشرح لنا شيئاً منه نقف به على معناه[٤].

قال: الصلاة: إقبال العبد على الله، والزكاة: فرار من شركها وشبكاتها إلى الله، والصوم: وثاق النفس ورباطها لله، والجهاد: حمية وتعصب لله، والحج: وفاء البيعة الأولى، وتجديد بيعة أخرى، والجمعة: قبول ضيافة الله، وتناول جوائزه، والأعياد: اعتراض العبيد على الله، ومجالس الذكر: تملق العبيد إلى الله، ومرتع في رياض الله، ومؤاخاة المؤمنين ومعاطاتهم: مرمَّة عسكر الله، والدعاء إلى الله: نصيحة الله، والرغبة إلى الله: افتقار العبد إلى الله، فانظر إلى ما نطق به التنزيل، وإلى ما جاءت به الأخبار عن الرسل

---

(١) قوله: والمراقبة في الأمور كلها يورث الحياء: ليس في «ن».

(٢) في الأصل: في، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: الجزاء الآخر، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: على ما عناك، وما أثبتناه من «ن».

من ثواب هذه الأشياء وحسن الجزاء، هل يشبه بعضه بعضاً؟

إذا[1] نظرت إلى ذلك: علمت أن بينهن تفاوتاً، وإنما اختلفت مثوباتها؛ لاختلاف صورها، فمن التدبير خرجت الصور، فمن عرف هذه الصور من الأعمال[2]، فإنما يعرفها بالعلم بتدبير الله[3]، فعلى حسب ذلك يقيم حرمتها، ويضعها مواضعها.

ألا ترى: أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى كيف كان يعطي كل عضو منه حقه من الصلاة؟

وكذلك قال عمر: أعطوا مرافقكم حقها من السجود.

معناه: أي: لا تبسط ذراعك، فيبطل[4] حظها من السجود.

قال ابن مسعود: لأن تُرضَّ إبهامي رضّاً[5] أحبُّ إلي من أن أستقبل بهما غير القبلة إذا وضعت كفي بالأرض في حال السجود.

وكان رسول الله ﷺ إذا صلى الفريضة، لم يصلِّ في مكانه شيئاً من التطوع؛ إقامة لحرمة الفريضة.

وكان إذا صلى التطوع، تياسر، ويأمر بذلك، ولا يتيامن؛ إقامة[6]

---

(١) في «ن»: فإذا.

(٢) في الأصل: العمال، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: يعرفها بالعلم بالتدبير وهو علم تدبير الله.

(٤) من قوله: حقها من السجود... إلى قوله: فيبطل: ليس في «ن».

(٥) رضاً: زيادة من «ن».

(٦) إقامة: ليست في «ن».

لحرمة اليمين.

وكان ﷺ إذا صلى إلى سارية، وإلى عود، أو عصا[1]، جعله على حاجبه الأيسر، ولم يجعله نصب عينيه؛ إقامة لحرمة القبالة.

وكان علي رضي الله عنه إذا سلم، خفض تسليمته[2] الأخرى قليلاً من التسليمة الأولى؛ إقامة لحرمة كاتب اليمين.

فهذه وما أشبهها في جميع أعمال البر محفوظ ذلك[3] عندهم ومتعاهد، وكذا[4] في الصوم والزكاة، تركنا وصفه؛ لأنه وادٍ عميق، فإنما أدركوا ذلك؛ لأنهم علموا التدبير، ومراتب صور الأعمال، وبالله التوفيق.

❏ ❏ ❏

---

(١) في «ن»: إذا صلى إلى عمودٍ أو سارية أو عصا.

(٢) في «ن»: خفض التسليمة.

(٣) ذلك: زيادة من «ن».

(٤) في «ن»: وكذلك.



الأصل الثامن والستون والمئتان

(١٤٧٦) ـ نا عباد بن يعقوب الأسدي[1]، قال: نا عمرو ابن ثابت، عن سماك بن حرب، عن عبد الرحمن بن عبدالله ابن مسعود، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ امرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ مِنَّا؛ فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلَّغٍ هُوَ أَوعَى لَهُ مِن سَامِعٍ»[2].

---

(١) الأسدي: ليست في «ن».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٢٣٢)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤٣٦)، والبزار في «المسند» (٥/ ٣٨٢)، وأبو يعلى في «المسند» (٥٢٩٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧/ ٣٤٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٣١) من طريق سماك، به.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن عبدالله.

وأخرجه الحميدي في «المسند» (١/ ٤٧)، وأبو خيثمة في «العلم» (ص: ٢٧)، والبزار في «المسند» (٥/ ٣٨٥)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» =

(١٤٧٧) ـ نا محمد بن بشار بندار، قال: نا أبو داود، قال: نا شعبة، عن عمر بن سليمان، قال: سمعت عبد الرحمن ابن أبان يحدث، عن أبيه، عن زيد بن ثابت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نَضَّرَ اللهُ امرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً، فَبَلَّغَهُ غَيرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقهٍ إِلى مَن هُوَ أَفقَهُ مِنهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقهٍ غَيرُ فَقِيهٍ»[1].

(١٤٧٨) ـ نا أبي، قال: نا صالح بن عبدالله، عن أبي يوسف، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن محمد ابن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: قام رسول الله ﷺ بالخَيْف من منى، قال: «نَضَّرَ اللهُ عَبداً[2] سَمِعَ مَقَالَتي

= (٦/ ٤٦٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ٧٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٢١٢) من طريق عبد الرحمن، به.

(١) أخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٦٨٠) من طريق بندار، به.
وأخرجه الترمذي (٢٦٥٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٧٣) من طريق أبي داود، به.
وأخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٣/ ٤٣١)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٨٣)، والدارمي في «السنن» (١/ ٨٦)، وتمام في «الفوائد» (٢/ ١٧٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ١٤٣) من طريق شعبة، به.
قال الترمذي: حديث زيد بن ثابت حديث حسن.

(٢) في «ن»: نضر الله امرأً.

فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلى مَن لمْ يَسمَعها، فَرُبَّ حَامِلِ فِقهٍ لاَ فِقهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقهٍ إِلى مَن هُوَ أَفقَهُ مِنهُ»[1].

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فاقتضى العلماء الأداء، وتبليغ العلم، فإذا أدوه، تلقت الأسماع، ووعوه لفظاً ومعنى، ثم أدوه إلى من بعدهم من القرون، فلو كان اللازم لهم أن يؤدوا تلك الألفاظ التي بلغت[2] أسماعهم بأعيانها بلا زيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير؛ لكانوا استودعوها[3] الصحف كما فعل رسول الله ﷺ بالقرآن، فكان إذا نزل الوحي، دعا زيد بن ثابت، فكتبه[4] مع ما توكل الله له بجمعه وقرآنه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[القيامة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[يوسف: ١٢].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٠٥٦)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٨٠)، والدارمي في «السنن» (١/ ٨٦)، وأبو يعلى في «المسند» (٧٤١٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٦٢)، وتمام الرازي في «الفوائد» (٢/ ١٧٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٣٠٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ١٢٣) من طريق محمد بن إسحاق، به.

إلا أن ابن ماجه وتماماً زادا بين محمد بن إسحاق والزهري: عن عبد السلام.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٦٢) من طريق الزهري، به.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٦٣) من طريق محمد بن جبير، به.

(٢) في «ن»: تلقت.

(٣) في «ن»: يستدعونها.

(٤) في «ن»: دعا بالكتاب فكتب.

فكان الوحي محروساً، ومع الحرس يكتبه رسول الله ﷺ، فلو كانت هذه الأحاديث سبيلها هكذا؛ لكتبها أصحاب رسول الله، فهل جاءنا عن أحد منهم أنه فعل ذلك؟

وجاء[1] عن عبدالله بن عمرو: أنه استأذن رسول الله في صحيفة، فأذن له.

وأما سائر الأخبار، فإنهم تلقوها منه حفظاً، وأدوها حفظاً، فكانوا يقدمون ويؤخرون، وتختلف ألفاظ الرواة فيما لا يتغير معناه، فلا[2] ينكر ذلك أحد منهم[3]، ولا يرون بذلك بأساً.

وروي عن رسول الله ﷺ: أنه لما قال: **«مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقعَدَهُ مِنَ النَّارِ»**[4]، أمسك أصحاب رسول الله ﷺ عن الرواية مخافة تغير الألفاظ، ثم سألوه عن ذلك، فهداهم السبيل، وأوضح لهم الطريق.

(١٤٧٩) ـ نا بذلك نصر بن فضالة، قال: نا عمرو بن الحسن الجزري، عن عباد بن عباد المهلبي، عن عبدالله بن سعيد المقبري، عن أبيه، عن جده، عن أبي هريرة، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يحدث بالحديث، فيقدم ويؤخر،

(١) في «ن»: وجاءنا.

(٢) في «ن»: وكان لا.

(٣) أحد منهم: ليست في «ن».

(٤) أخرجه البخاري (١١٠)، ومسلم (٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ويزيد وينقص؟ قال ﷺ: «**إِذَا أَصَابَ المَعنَى، فَلاَ بَأسَ**»[1].

(١٤٨٠) ـ نا الحسين[2] بن سيار العسقلاني، قال: نا الوليد بن سلمة قاضي الأردن، قال: نا إسحاق بن يعقوب بن عبدالله بن أكيمة، عن أبيه، عن جده، قال: قلنا: يا رسول الله! إنا نسمع الحديث، فلا نؤديه كما سمعنا، قال عليه السلام: «**مَا لَم تُحَرِّمُوا حَلاَلاً، أَو تُحَلِّلُوا**[3] **حَرَاماً، وَأَصَبتُم المَعنَى، فَلاَ بَأسَ**»[4].

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٠/ ١٠٠) للحكيم الترمذي، عن أبي هريرة، بنحوه.
وفي سنده عبدالله بن سعيد: متروك واهٍ. انظر: «تهذيب التهذيب» (٥/ ٢٠٩).

(٢) في الأصل: الحسن، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: ولا تحلُّوا.

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ١٠٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٣/ ٣٠١) من طريق الوليد بن سلمة عن يعقوب بن سليمان بن أكيمة الليثي، عن أبيه، عن جده.
وأخرجه الخطيب في «الكفاية» (ص: ٢٠٠) من طريق الوليد عن يعقوب بن إسحاق بن عبدالله بن أكيمة، به.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٨٤): أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، ولم أر من ذكر يعقوب ولا أباه.
وفي تسمية شيخ الوليد خلاف، بينها ابن حجر في «الإصابة» (٣/ ١٦٦)، وذكر مخرجيها، فانظره.

(١٤٨١) ـ نا أبي رَحِمَهُ اللهُ، قال: نا أبـو نعيم النخعي، عن العلاء بن كثير، عن مكحول، قال: خرجنا[1] إلى واثلة بن الأسقع، فقلنا: يا بن الأسقع[2]! حدثنا بحديث غض لا تقدم فيه ولا تؤخر، حتى كأنا نسمعه من رسول الله ﷺ، قال: فغضب الشيخ، وكان شيخاً كبيراً، فقال: أجلسوني، فأُجلس، فقال: أما منكم أحد قام في ليلته بشيءٍ من القرآن؟ قلنا: ما منا إلا من قد قـام بما رزق، قال: فكان أحدكم حالفـاً بالله ما قدم حرفاً من كتاب الله ولا أخره، إنا كنا قد[3] أمسـكنا عن الأحاديث على عهد رسول الله ﷺ حتى سمعناه يقول: **«لاَ بَأسَ بِالحَدِيثِ قَدَّمتَ أَو أَخَّرتَ إِذَا أَصَبتَ مَعنَاهُ»**[4].

---

(١) في «ن»: قال جئنا.

(٢) في «ن»: فقلنا: يا واثلة بن الأسقع.

(٣) قد: ليست في «ن».

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٣٦٣) من طريق أبي نعيم، به.
والعلاء بن كثير متروك، واتهم؛ كما في «تهذيب التهذيب» (٨/ ١٧٠).
وأخرجه الترمذي في «العلل» (١/ ٧٤٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٥٤)، وفي «مسند الشاميين» (٢/ ٣٦٨)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/ ٣١) من طريق العلاء بن الحارث عن مكحول، عن واثلة، موقوفاً.
وعـزاه المتقي الهنـدي في «كنـز العمال» (١٠/ ٩٧) للحكيم، عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

(١٤٨٢) ـ نا أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: نا صالح بن عبدالله، عن الضحاك بن ميمون، عن يحيى بن أبي أنيسة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله ﷺ، بنحوه[١].

قال أبو عبدالله:

ثم لما تداولت هذه الأحاديث طبقات القرون، واشتبهت عليهم أصول العلم، وهي الحكمة، وافتقدوا غور الأمور، كثر التخليط؛ فجاؤوا؛ [بـ]ـالزيادة[٢]، والنقصان، والتقديم، والتأخير، فالحكماء: ميزوا رواية الرواة، صحيحها من سقيمها.

قال له قائل: مثل ماذا؟.

قال: مثل ما روي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: أنه قال: **«أَتَاكُم أَهلُ اليَمَنِ، أَلْيَنُ قُلُوباً، وَأَرَقُّ أَفئِدَةً»**[٣].

ثم في رواية[٤] أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: أنه قال:

---

(١) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

والضحاك جاء في «لسان الميزان» (٣/ ٢٠١): قال الأزدي: يعرف وينكر، وذكره ابن حبان في الثقات.

وشيخه ضعيف كما في «تهذيب التهذيب» (١١/ ١٦٢).

(٢) في الأصل: كثر التخليط لحال، والمثبت من «ن».

(٣) تقدم تخريجه في الأصل الثاني عشر والمئة.

(٤) في الأصل: ثم رواية، والصواب من «ن».

«أَرَقُّ قُلُوباً[1] وَأَلْيَنُ أَفئِدَةً»[2].

فاضطربت الرواة في ذلك[3]، فأتت به من وجوه على هذا اللفظ، ومن وجوه على هذا اللفظ الآخر، فإنما ميـزت الحكماء بين اللفظين، وحكموا لواحد بالصواب، وذلك أن القلب هو البضعة الباطنة، والفؤاد البضعة الظاهرة التي فيها العينان، والأذنان، والنور في القلب، ويتأدى إلى الفؤاد، فالرؤية للفؤاد، والتقلب للقلب، ولذلك سمي قلباً، والله يقلبه.

ألا ترى أنه يقال في الدعاء: «يَا مُقلِّب القُلوبِ! ثَبِّتْ قَلبِي»[4].

ولا يقال: يا مقلب الفؤاد! ثبت فؤادي، فإذا قلِّب القلب، انقلب الفؤاد معه بتقلب القلب، قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾[الأنعام: ١١٠].

فأصل التقلب للقلب، ثم قد نال[5] الفؤاد منه حظاً، فلم يسمَّ قلباً، ويسمى فؤاداً، وقال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[النجم: ١١].

فنسب الرؤية إليه[6]؛ لأن العينين على الفؤاد، يقال: هذا خبز فئيد لخبز ملة؛ لأن له ظاهراً وباطناً، فظاهره مفشي عليه، فاللين للقلب،

---

(١) في «ن»: أنه قال: «أتاكم أهل اليمن أرق قلوباً».

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ ٢٥٧).

(٣) في ذلك: زيادة من «ن».

(٤) أخرجه الترمـذي (٢١٤٠)، وأحمـد في «المـسند» (٣/ ١١٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٠٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٢٦١) من حديث أنس ﷺ.

(٥) في «ن»: ثم نال.

(٦) في الأصل: إليها، والصواب من «ن».

والرقة للفؤاد؛ لأنه إذا دخل النور القلب، فبالرحمة دخل، فرطب القلب بالرحمة ولانَ، ثم لا يزال ذلك النور يعمل في ذلك القلب بحره وحريقه[1]، حتى يرقق هذه البضعة الظاهرة لذوب[2] تلك الرحمة، فمن زيد في نور قلبه، كان أرق لفؤاده، لذوب تلك البضعة، وألين لقلبه؛ لرطوبة الرحمة، فإنما وصف أهل اليمن بذلك، وأخبر بحظهم من الله، فمن لم يصل إلى معرفة هذا الذي وصفنا[3]، وكانت روايته حفظاً، اشتبه عليه الأمر، فمرة يقول: «أَلْيَنُ قُلُوباً، وَأَرَقُّ أَفئِدَةً»، ومرة يقول: «أَلْيَنُ أَفئِدَةً وَأَرَقُّ قُلُوباً».

فقلبَ المعنى، واستحال الكلام، ولم يكن عنده تمييز الحكماء.

ومثل قوله لحديث أبي هريرة: أنه قال: «البِكرُ تُستَأذَنُ، وَالثَّيِّبُ تُستَأمَرُ[4]»[5].

فروى ابن المبارك عن علي بن المبارك، بهذا اللفظ.

وروى وكيع[6] عن علي بن المبارك: «البِكرُ تُستَأمرُ، وَالثَّيِّبُ تُستَأذنُ»[7].

---

(١) في «ن»: بحره وحدته.

(٢) في «ن»: الظاهرة فرقت.

(٣) في «ن»: وصفنا أهل اليمن بذلك.

(٤) في «ن»: قال: البكر تستأمر، والثيب تستأذن.

(٥) أخرجه أبو داود (٢٠٩٢)، والترمذي (١١٠٧)، والنسائي (٣٢٦٥)، وابن ماجه (١٨٧١)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٥٠).

(٦) في الأصل: الوكيع، والصواب من «ن».

(٧) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٩/ ١٠١).

فالذي فقه هذا، ميز الصواب من الخطأ، فقال: **«البِـكرُ تُستَأذَنُ»**.

ألا ترى أنه قال: **«وَإِذنُهَا صُمَاتُهَا، وَالثَّيِّبُ تُستَأمَرُ»**[1].

حتَّى تتكلَّم وتأمر، فإنَّها لا تستحي.

فمن روى أن البكر تستأمر، فقد استحال؛ لأن الاستئمار لمن ينطق بالأمر، والاستئذان لمن يكون سكوته إذناً، فهو للبكر.

فمن أراد أن يؤدي إلى من بعده حديثاً قد سمعه، جاز له أن يغير لفظه ما لم يغير المعنى، وجاز له أن يقدم ويؤخر فيقول: قال فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ، وفلان[2] لم يقل بذلك اللفظ، فلا يكون كاذباً في ذلك ما لم يُغير[3] المعنى.

وجاز أن يقول: أخبرني، وحدثني، وكذلك إذا كتب إليـه بذلك[4] من بلدة إلى بلدة أخرى، جاز أن يقول: أخبرني، وحدثني، وهكذا يكون الخبر إما شفاهاً، وإما بكتاب، وذلك قوله في تنزيله: ﴿مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[التحريم: ٣].

فإنما صارت نبأً وخبراً بوصول علم ذلك إليه، وكذلك يجوز له أن يقول: حدثني؛ لأنـه قـد أحدث إليه الخبر، فسواء حدث[5] شفاهاً، أو بكتاب، وكذلك إذا ناوله كتابه فقال: هذا حديثي لك، وهذا إخباري

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٢١)، وأبو داود (٢٠٩٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في الأصل: قال، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: يتغير.

(٤) بذلك: زيادة من «ن».

(٥) في «ن»: أحدث.

إياك[1]، فحدَّث عني، وأخبر عني، جاز له أن يقول: حدثني، وأخبرني، وكان صادقاً في قوله؛ لأنه قد أحدث إليه، وأخبره، فليس للممتنع أن يمتنع من هذا تورعاً، ويتفقد الألفاظ مستقصياً في تحرير السوق تحري الصدق في قوله[2]: أخبرني وحدثني، ويزعم أن ذلك لا يجوز حتى يخبره قولاً، ويحدثه شفاهاً، فهذا رجل قليل المعرفة باللغة، يتوهم أن ترجمة قوله: أخبرني وحدثني لفظه بالشفتين، وليس هو كذلك فاللفظة لفظة[3]، والكلام كلام، والقول قول، والحديث حديث، والخبر خبر.

فالقول: ترجيع الصوت، والكلام: كلام القلب بمعاني الحروف، واللفظ: ما يلفظ من شفتيه من الحروف والصوت، والحديث والخبر: إلقاء المعاني إليك[4]، فسواء ألقاه إليك لفظاً، أو كتاباً، وقد سمى الله القرآن في تنزيله: حديثاً حدث به العباد وخاطبهم، وسمَّى الذي يحدث في المنام: حديثاً، فقال: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾[يوسف: ٢١].

فكل محدِّث أحدث إليك شفاهاً أو بكتاب، فقد حدثك به، وأنت صادق في قولك: حدثني، وكل من ألقى إليك نبأ من أمر، فقد أخبرك، كان ذلك شفاهاً، أو بكتاب، والله المستعان، وعليه التكلان[5].

❑ ❑ ❑

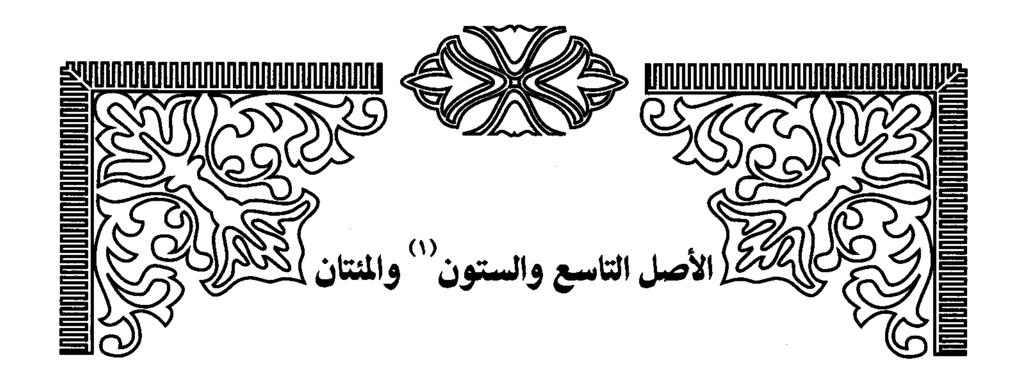
(١) في الأصل: وهذا خبري لك، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: في قوله تحري الصدق، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: بالشفتين، فاللفظ لفظ، وما أثبتناه من «ن».

(٤) إليك: زيادة من «ن».

(٥) والله المستعان وعليه التكلان: ليست في «ن».



الأصل التاسع والستون[1] والمئتان

(١٤٨٣) ـ نا عتبة بن عبدالله بن عتبة الأزدي، قال: نا[2] عبدالله بن المبارك، عن مالك بن أنس، قال عتبة[3]: وقرأت على مالك بن أنس، فأقر به عن العلاء بن عبد الرحمن: أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قَالَ اللهُ تَعَالى: قَسَمتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَينَ عَبدِي نِصفَينِ: نِصفُهَا لي، وَنِصفُهَا لِعَبدي. يَقُولُ العَبدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾**[الفاتحة: ٢] **يَقُولُ اللهُ تَعَالى: حَمِدَنِي عَبدِي. يَقُولُ العَبدُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾**[الفاتحة: ٣] **يَقُولُ اللهُ: أَثنى**

---

(١) في «ن»: الأصل الحادي والسبعون.

(٢) في «ن»: أنبأنا.

(٣) في الأصل: عن عتبة، وما أثبتناه من «ن».

عَلَيَّ عَبدِي. يَقُولُ العَبدُ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[الفاتحة: ٤] يَقُولُ اللهُ: مَجَّدَنِي عَبدِي. يَقُولُ العَبدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥] يَقُولُ اللهُ: هَذَا بَينِي وَبَينَ عَبدِي، وَلِعَبدِي مَا سَأَلَ. يَقُولُ العَبدُ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[الفاتحة: ٦ ـ ٧] يَقُولُ اللهُ: هَذَا لِعَبدِي، وَلِعَبدِي مَا سَأَلَ»[(١)].

(١٤٨٤) ـ نا عبد الجبار بن العلاء، قال: نا سفيان، قال: نا العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى: قَسَمتُ الصَّلَاةَ بَينِي وَبَينَ عَبدِي، فَإِذَا قَالَ العَبدُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، قَالَ اللهُ تَعالى: حَمِدَنِي عَبدِي، وَإِذَا قَالَ:

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ٨٤).

ومن طريقه أخرجه أبو داود (٨٢١)، والنسائي (٢/ ١٣٥)، وفي «السنن الكبرى» (٩٨١)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٦٠)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ١٢٨)، وابن خزيمة في «الصحيح» (١/ ٢٥٢)، وابن حبان في «الصحيح» (١٧٨٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٣٨).

وأخرجه مسلم (٣٩٥)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ١٢٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١/ ١١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٣٧٥) من طريق العلاء بن عبد الرحمن، به.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللهُ تعالى: أَثنى عَلَيَّ عَبدِي، وَإذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قَالَ: فَوَّضَ إِليَّ عَبدِي، وَإذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قَالَ: هَذِه بَينِي وَبَينَ عَبدِي، وَلِعَبدِي مَا سَأَلَ، فَإذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، ثم قال إلى آخرها[1]»[2].

(١٤٨٥) ـ نا صالح بن محمد، قال: نا العمري، قال: نا العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ ـ تبَارَكَ وتَعَالى ـ قَالَ: قَسَمتُ الصَّلاَةَ بَينِي وَبَينَ عَبدِي، وَلِعَبدِي مَا سَأَلَ، يَقولُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يَقولُ اللهُ: حَمِدَنِي عَبدِي، يَقولُ العَبدُ[3]: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، يَقولُ اللهُ: أَثنى عَلَيَّ عَبدِي، يَقولُ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾،

---

(١) في الأصل: قال: وقي حرَّها، والمثبت من «ن».

(٢) أخرجه مسلم (٣٩٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠١٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٤١)، والحميدي في «المسند» (٢/ ٤٣٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٣٨) من طريق سفيان بن عيينة، به.

وأخرجه الترمذي (٢٩٥٣)، وابن ماجه (٣٧٨٤)، وابن حبان في «الصحيح» (٧٧٦)، والدارقطني في «السنن» (١/ ٣١٢) من طريق العلاء، به.

(٣) العبد: ليست في «ن».

يَقولُ اللهُ: مَجَّدَنِي عَبدِي، يَقُولُ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، يَقولُ: هَذِهِ الآيَةُ بَينِي وَبَينَ عَبدِي، وَآخِرُ السُّورَةِ لِعَبدِي[1]، وَلِعَبدِي مَا سَأَلَ»[2].

(١٤٨٦) ـ نا مؤمل بن هشام البصري، قال: نا إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن جريج، قال: حدثني العلاء ابن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة، عن عبدالله ابن السائب مولى هشام بن زهرة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، بمثله[3].

(١٤٨٧) ـ نا عبدالله بن الوضاح النخعي، قال: أنا[4] سليمان بن عمرو، عن نعيم بن عبدالله مجمر الكعبة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، بنحوه[5].

---

(١) وآخر السورة لعبدي: ليست في «ن».

(٢) انظر ما قبله.

(٣) أخرجه مسلم (٣٩٥) من طريق ابن جريج، به.

وأخرجه مسلم (٣٩٥)، وأبو داود (٨٢١)، ومالك في «الموطأ» (١/ ٨٤) من طريق العلاء، به.

وانظر ما قبله.

(٤) في «ن»: ثنا.

(٥) هذا إسناد تالف، سليمان النخعي كذاب كما تقدم القول فيه.

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فالحديث صحيح من كلا الوجهين، كأنَّ العلاء سمعه من أبيه عن أبي هريرة، وسمعه من أبي السائب ـ وهو عبدالله بن السائب الجهني ـ عن أبي هريرة، فمرة رواه عن أبيه، ومرة عن أبي السائب.

(١٤٨٨) ـ نا سفيان بن وكيع، قال: نا زيد بن الحباب، عن عنبسة بن سعيد قاضي الري، عن مطرف بن طريف، عن سعد بن إسحاق[1] بن كعب بن عجرة، عن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تبَارَكَ وَتعَالى: قَسَمتُ الصَّلاَةَ بَينِي وَبَينَ عَبدِي، فَإذَا قَالَ العَبدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبدِي، فَإذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللهُ: أَثنَى عَلَيَّ عَبـدِي، فَإذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدني عَبـدِي، فَإذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إِلى آخِرها، قَالَ: هَذَا لِعَبدِي، وَلِعَبدِي مَا سَأَلَ»[2].

---

(١) في الأصل: سعد بن أبي إسحاق، وفي «ن»: سعيد بن إسحاق، والصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه الطبري في «التفسير» (١/ ٨٦)، والجرجاني في «تاريخ جرجان» (ص: ١٨٤) من طريق زيد بن الحباب، به.

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: **«قَسَمتُ الصَّلاةَ بَينِي وَبَينَ عَبدِي نِصفَينِ»، فالصلاة:** هي تصلية المرء بين يدي ربه؛ لينال من سبحات وجهه الكريم؛ لأن العبد إذا وقف بين يديه مصلياً، أقبل الله عليه بوجهه، كذلك جاءنا عن رسول الله ﷺ، وقال في تنزيله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾[الرحمن: ٦٠].

فأحسن العبدُ حيث أقبل على الله بوجهه الذي هو مكارم بدنه، ثم وضع وجهه بمكارمه على الأرض تذللاً وتواضعاً لوجهه الكريم، ولذلك جرت الأخبار من مقال الرسل من مثل داود وغيره ـ عليهم السلام ـ أن قال: سجد وجهي لوجهك[1] الكريم، فكان من جزاء الله له أن أقبل عليه بوجهه.

فالمصلي: هو كالمصطلي بنار، يقف على النار حتى يدفىء جسده من حر النار، فأمر العباد أن يقفوا بين يديه بالإقبال عليه قلباً وبدناً، فيقبل عليهم بوجهه الكريم، فينالهم من سبحات وجهه ما تحيا قلوبهم من موت الشهوات، ويطهر جوارحهم من أدناس الذنوب، فسمي ذلك الوقوف: صلاة، مشتق من الصلي.

فإذا وقف العبد، فمن أدب الوقوف: أن يترضى ربه بالثناء عليه، فيذكر[2] مدائحه وصنائعه، ثم يسأل حاجته، فكانت لمحمد ﷺ ولأمته حظوظ مخزونة عنده في سره وغيبه ليست لأحد من ولد آدم، فلو أبرزها[3]؛ لمدت الرسل والأنبياء والأمم أعينهم إلى تلك الحظوظ، وظهرت الخصومة،

(١) في الأصل: لوجهه، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: يتذكر.

(٣) في الأصل: أبرزهم، وما أثبتناه من «ن».

ويقولون في أنفسهم: نحن عبيدك من طينة واحدة، فما هذه الحظوظ لهم دوننا؟.

وتحيرت الملائكة في شأن هذه الأمة، فأسرَّ هذه الحظوظ في غيبه، وألقاها إلى الدعاء؛ ليخيل إلى الجميع أنهم إنما نالوها من الدعاء[1]، وفتح لهم باب الدعاء ما لم يفتح لأحد من الأمم، ونزلت: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[غافر: ٦٠].

وروي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: **«أُعطِيَت أُمَّتِي ثَلاَثاً لَم يُعطَ إِلاَّ الأَنبِيَاءُ: كَانَ اللهُ سُبحَانَهُ إِذَا بَعَثَ النَّبِـيَّ، قَالَ: ادعُنِي أَستَجِب لَكَ، وَقَالَ لِهذِهِ الأُمَّة: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾، وَكَانَ اللهُ إذا بَعثَ النَّبيَّ، قَالَ له: مَا جَعَلَ اللهُ عَلَيكَ في الدِّينِ مِن حَرَجٍ، وَقَالَ لِهذِهِ الأُمَّة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[الحج: ٧٨]، وَكَانَ اللهُ إِذَا بَعثَ النَّبِـيَّ، جَعلهُ شَهِيداً عَلى قَومِهِ، وَجَعَلَ هَذِهِ الأُمَّةَ شُهداءَ عَلى النَّاسِ»**.

(١٤٨٩) ـ نا بذلك أبي، قال: نا صالح بن محمد، قال: نا محمد بن عبد الرحمن، عن عباد بن كثير، قال: نا[2] أبان، وليث، عن شهر بن حوشب، عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله ﷺ بمثله يقول[3].

---

(١) في «ن»: نالوها بالدعاء.

(٢) في «ن»: أنبأنا.

(٣) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٢/ ٧٨) للحكيم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه. =

فجاءت[1] الأمور إلى العباد على أنحاء شتى، فمنها ما جاء[2]: يا أيها الناس! افعلوا كذا، ومنها ما جاء: يا أيها الذين آمنوا! افعلوا كذا.

فهذه دعوة بالكنية، والأولى[3] دعوة بالاسم.

ومنها ما جاء: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[النور: ٣٠]. ومنها ما جاء: ﴿قَالَ اللَّهُ﴾[الفتح: ١٥]. ومنها ما جاء: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ﴾[الشعراء: ٢٦].

وبين هذه الأشياء تفاوت في المعاني يطول الكلام في تفسيرها[4]، وإنما أردنا التنبيه في هذا الموضع؛ لعظم[5] قدر هذه الكلمة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠].

وكان خالد الربعي يقول: عجبت لهذه الآية: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، أمرهم بالدعاء، ووعدهم بالإجابة، وليس بينهما شرط[6].

قال له قائل: مثل ماذا؟.

قال: مثل قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[يونس: ٢]. ليس فيه شرط العمل، ومثل قوله تعالى: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[غافر: ٦٥].

= وإسناده ضعيف جداً.

(١) في «ن»: جاءت.

(٢) في الأصل: فمنها ما يقول، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: والأول، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: بتفسيرها، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في «ن»: لعظيم.

(٦) في الأصل: شيء، والصواب من «ن».

فهاهنا شرط، وقال تعالى[1]: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر: ٦٠] ليس فيه شرط.

فكانت الأمم[2] تفزع إلى أنبيائها في حوائجهم حتى يسأل الأنبياء لهم ذلك.

وروي عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ: أنه قال: أوحى الله إلى عبده المسيح أن قل لبني إسرائيل: إني لا أستجيب لأحد منهم دعوة[3]، ولأحد منهم قِبَلَه مظلمة[4].

وقال في حديث آخر: يا عيسى! قل لبني إسرائيل: أن لا يمدوا أيديهم بالرغبة إلي حتى يتبرؤوا من أنجاس الذنوب.

وقال في حديث آخر: قوله لموسى ﷺ: لو دعاني حتى تنقطع أوصاله، ما استجيب له حتى يُخرِجَ الذنوبَ من بين أعضائه.

فإنما خص الله هذه الأمة من بين الأمم بما أطلق لهم من الدعاء، ورفع الشرط الذي كان منه على بني إسرائيل؛ ليصل إليهم تلك الحظوظ التي سبقت لهم من الله الحسنى من[5] قبل دعائهم على ألسنتهم؛ لئلا يقع الخصومة في الأمم يوم القيامة، فيقولون: أعطيتهم ولم تعطنا، فأعطاهم من اليقين ما نفذ بقلوبهم إلى محل الإجابة.

---

(١) في «ن»: وقوله.

(٢) في «ن»: الأمة.

(٣) في «ن»: دعوته.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٧٩).

(٥) من: زيادة من «ن».

والإجابة: هي الجوبة[1] جوبة الدعاء: أن ينجاب لهم عن الحجاب دعاؤهم بنور اليقين الذي فضلوا بـه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**أُعطِيَت أُمَّتِي مِنَ اليَقِينِ مَا لَم تُعطِ أُمَّةً**».

وذلك[2] قوله في تنزيله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾[آل عمران: ٧٣]، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة: ٥٤]، ﴿مَآ أُوتِيتُمْ﴾؛ أي: لن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، ثم قال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[آل عمران: ٧٣][3]؛ أي: واسـع لمن أعطى، عليم بمن هـو أهـل لذلك، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[البقرة: ١٠٥].

والاستجابة والإجابة: هو أن ينفذ دعاء العبد[4] بقوة نور اليقين حتى تنجاب الحجب، فتجوز الدعوة إلى الله، فتقف بين يديه مقتضياً للحاجة، ولذلك قال تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦]؛ أي: أجعل لدعوته جوبة، وهو المستقر؛ حتى يقتضي الحظ الذي وضعت له بين يدي، فأقضي أن أمضي له من بين يدي حتى تصل إليه، ولو لم يكن له حظ، لم ينل شيئاً، ولم أترك دعوته مهملة؛ بأن ذخرت له ذخيرة إذا قدم عليها، ودَّ أنه لم يستجب له دعوة؛ لما يرى من فضل تلك الذخيرة على ما سأل.

---

(١) الجوبة: زيادة من «ن».

(٢) في الأصل: لذلك، وما أثبتناه من «ن».

(٣) من قوله: ما أوتيتم أي. . . إلى قوله: واسع عليم: ليس في «ن».

(٤) في «ن»: العبودة.

وقال رسول الله ﷺ: «ادعُوا اللهَ وَأَنتُم مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ»[1]؛ أي: معكم نور اليقين حتى ينجاب لكم الحجاب وينفلق، وتنفذ الدعوة إلى ربها.

فلما كان شأن هذه الحظوظ على ما وصفنا، وأحب الله أن يوصلها إليهم من طريق دعائهم، هيَّأ لهم فاتحة الكتاب، فأنزلها على هذه الأمة دون سائر الأمم، خصهم بها كما خصهم بالدعاء، فجعل نصفها ثناء، ونصفها دعاء؛ ليثني هذا العبد بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ثم يرفع حاجته من قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلى آخرها.

ثم أعطاهم آمين، خصهم به من بين سائر الأمم؛ ليصير التأمين طابعاً على دعائهم، فختم به، فأنزل الله عليهم فاتحة الكتاب، وخزنها عن الأمم؛ ليثنوا عليه بأبلغ الثناء، ويسألوه أوفر المسائل، ففي ذلك الثناء مجمع الثناء، وفي تلك المسائل[2] مجمع الحاجات، وهذا لا يعقله إلا أهله، ثم وضعها في التنزيل، وسماها: القرآن العظيم، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[الحجر: ٨٧].

وروي عن أبي هريرة، عن أبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ: أنه قال: **«وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ! إِنَّهَا السَّبعُ المَثَانِي، وَإِنَّهَا القُرآنُ العَظِيمُ»**[3].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٢١١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٧٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) في الأصل: المسألة، وما أثبتناه من «ن».

(٣) أخرج الترمذي (٣١٢٥)، والنسائي (٢/ ١٣٩)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١١٤) =

يعني: فاتحة الكتاب.

فوفر الله حظ محمد ﷺ وحظوظ أمته في حظه، وبرز بذلك على الخلق كلهم، فجعل ذلك الحظ كله في بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، إلى قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ آمين[1].

فختمها بآمين، فجعل مفتاحها اسم الله، ووضعها في أم الكتاب الذي لم يطلع عليه أحد في الحجب مع الحكمة والرحمة بين يديه، ثم أصدرها مع سائر الكتب من أم الكتاب إلى اللوح، ثم أنزل الكتب التي أرسل إلى الأمم[2]، واستثنى هذه السورة منها، فخزنها عن الرسل والأمم، وادخرها لمحمد ﷺ وأمته، وصيرت هذه السور كلها حروفاً مؤلفةً منتظمة تلك الحروف لجميع حروف القرآن، فسميت: أم الكتاب؛ لأن الكتاب استخرج منها، وسميت مثاني؛ لأنها استثنيت من الرسل والأمم، وسميت: القرآن العظيم، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[الحجر: ٨٧]؛ أي: سبع آيات مما استثنيناه من الكتب، وادخرناه

= من حديث أبي هريرة، وأبي بن كعب، بلفظ: «والذي نفسي بيده! ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته».

وأخرج البخاري (٤٤٢٦)، وأبو داود (١٤٥٨) من حديث أبي سعيد بن المعلى، بلفظ: «هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته».

(١) هذه العبارة جاءت في «ن» هكذا: الحظ كله في بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[الفاتحة: ١ ـ ٧].

(٢) في الأصل: الكتب إلى الرسل، وإلى الأمم، وما أثبتناه من «ن».

لك ولأمتك، ثم قال: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾؛ أي: آتيناك القرآن العظيم، فسماه الله: عظيماً.

وروي عن ابن عباس: أنه قال: الآية السابعة: بسم الله الرحمن الرحيم.

(١٤٩٠) ـ نا سليمان بن العباس الهاشمي، عن عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، بذلك[١].

وروي عن أبي هريرة نحو من ذلك[٢].

قال له قائل: فكيف إذا قرأها[٣] الإمام، افتتح بالحمد لله، ولا يجهر بالتسمية[٤]؟.

قال: إن علة مثل هذا لا يدرك إلا بالخبر.

(١٤٩١) ـ فحدثنا أبي، قال: نا الحماني، عن شريك، عن سالم[٥]، عن سعيد بن جبير، قال: كان المشركون

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٣٥٠).

وأخرجه الشافعي في «المسند» (ص: ٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٣٥) من طريق ابن جريج، به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه الدارقطني (١/ ٣٠٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٩٦).

(٣) في الأصل: قرأ، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: ولا يجهر ببسم الله.

(٥) في الأصل: سالم بن سلام، وفي «ن»: عن سلام، وصوابه سالم بن عجلان=

يحضرون المسجد، فإذا قرأ رسول الله ﷺ: «بِسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم»، قالوا: هذا محمد يذكر رحمان اليمامة ـ يعنون: مسيلمة ـ، فأُمر أن يخافت ببسم الله الرحمن الرحيم، ونزلت: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾[الإسراء: ١١٠][1].

قال أبو عبدالله:

فبقي ذلك إلى يومنا هذا على ذلك الرسم، وإن زالت العلة؛ كما بقي الرَّمَلُ في الطواف، وإن زالت العلة، وبقيت المخافتة في صلاة النهار، وإن زالت العلة، فجعل الله عظم الدعاء وجملته موضوعاً في هذه السورة، نصفها فيه مجمع الثناء، ونصفها فيه مجمع الحاجات، ثم قال في آية أخرى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[غافر: ٦٠].

فأنزلت[2] هذه السورة لنتلوها، ولندعو بها، فكما خزن هذه السورة

= الأفطس، والله أعلم.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ١٩٩) من طريق سالم، به.

بلفظ: «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها، قال: كان النبي ﷺ يرفع صوته ببسم الله الرحمن الرحيم، وكان مسيلمة قد تسمى بالرحمن، فكان المشركون إذا سمعوا ذلك من النبي ﷺ، قالوا: قد ذكر مسيلمة إله اليمامة، ثم عارضوه بالمكاء والتصدية والصفير، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾[الإسراء: ١١٠].

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٤٣٩)، وفي «المعجم الأوسط» (٥/ ٨٩) من طريق شريك عن سالم الأفطس، عن سعيد، عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) في «ن»: فأنزل.

عن سائر الأمم، كذلك[1] خزن قوله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[غافر: ٦٠] عن سائر الأمم، فكانت الأمم، تفزع إلى أنبيائها في وقت الحاجة، وإنما كانت هذه للأنبياء، فأعطينا ما أعطيت الأنبياء، كذلك روي لنا عن رسول الله ﷺ ذكرنا إسناده بدءاً[2].

فخزن السورة عن سائر الأمم، وخزن هذه الآية عن سائر الأمم، فجعل لسانك مطلقاً بالدعاء، وكفيك مبسوطة بالتناول، وجعل هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي تدعو به؛ لأن هذا كلام قد تكلم به رب العالمين، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلم به، فبانَ بَوناً بعيداً، وإنما أطلق الله لهذه الأمة، وفتح لهم باب الدعاء؛ لينيلهم الحظوظ التي جعل لهم في الغيب؛ كي إذا وصلت إليهم، وظهرت عليهم تلك الأشياء، توهم سائر الخلق أنهم نالوها من قِبل الدعاء، ولذلك قيل: ليس شيء أكرم على الله من الدعاء، وصار للدعاء من السلطان ما يرد القضاء.

(١٤٩٢) ـ نا أحمد بن مخلد، قال: نا[3] عمرو بن مرزوق، عن عمران القطان، عن قتادة، عن سعيد بن أبي

---

(١) في «ن»: فكذلك.

(٢) في «ن» زيادة: بدءاً عن ليث عن شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أعطيت هذه الأمة ما لم يعط إلا الأنبياء، كان الله إذا بعث النبي، قال: ادعني أستجب لك، وقال لهذه الأمة: ادعوني أستجب لكم».

(٣) في «ن»: أنبأنا.

الحسن ـ وهو أخو يحيى البصري ـ[1]، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَيسَ شَيءٌ أَكرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ»**[2].

(١٤٩٣) ـ نا أبو سلمة يحيى بن المغيرة المخزومي، قال: نا ابن أبي فديك، عن عبد الرحمن بن أبي مُليكة، عن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، عن مكحول، عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَن يَنفَعَ حَذَرٌ مِن قَدَرٍ؛ فَإِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَـزَلَ، وَمِمَّا لَم**

---

(١) وهو أخو يحيى البصري: ليست في «ن».

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧١٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٠٠)، وابن حبان في «الصحيح» (٨٧٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٧٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٢١٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٣٩) من طريق عمرو بن مرزوق، به.

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا عمران القطان.

وأخرجه الترمذي (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٦٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٤٠) من طريق عمران القطان، به.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث عمران القطان، وعمران القطان هو ابن داود، ويكنى: أبا العوام.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٢١٤) من طريق قتادة، به.

يَنزِل، فَعَلَيكُم ـ عِبَادَ اللهِ ـ بِالدُّعَاءِ»[1].

(١٤٩٤) ـ نا أبي، قال: نا أبو نعيم، عن سفيان، عن عبدالله بن عيسى، عن عبدالله بن أبي الجعد، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَرُدُّ القَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَلاَ يَزِيدُ فِي العُمُرِ إِلاَّ البِرُّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحرَمُ الرِّزقَ بِالذَّنبِ يُصِيبُهُ»[2].

❐ ❐ ❐

---

(١) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٥٠) من طريق عبد الرحمن بن أبي مليكة، به.
وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٠٣)، وفي «الدعاء» (ص: ٣١) من طريق عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، به.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٦): وشهر بن حوشب لم يسمع من معاذ.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٠٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٠٠)، وفي «الدعاء» (ص: ٣٠) من طريق أبي نعيم، به.
وأخرجه ابن ماجه (٩٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٨٠)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٤٩١)، وابن حبان في «الصحيح» (٨٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٥٨) من طريق سفيان، به.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.



الأصل السبعون والمئتان

(١٤٩٥) ـ نا ابن أبي ميسرة، قال: نا يعقوب بن حميد، قال: نا عبدالله بن عبدالله الأموي، عن سعيد بن المسيب، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَن اعتزَّ بِالعَبيدِ، أَذَلَّهُ اللهُ»**[1].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

الاعتزاز بالعبيد مهتاجة من حب العز، ومن طلبه له، فإذا طلب العز للدنيا، طلبه من العبيد، فترك العملَ بالحق، والقول بالحق؛ لينال ذلك العز،

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ٣٩٠)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٧١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٧٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٢٢٧) من طريق يعقوب بن حميد، حدثنا عبدالله بن عبدالله الأموي، قال: حدثنا الحسن بن الحر: أنه سمع يعقوب بن عتبة قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: سمعت عمر، به.
قلت: هكذا ورد الإسناد عند الجميع؛ مما يدل على وجود سقط عند الحكيم، والله أعلم.
وقد قال العقيلي: عبدالله بن عبدالله الأموي لا يتابع على حديثه، ولا يعرف إلا به.

فيُعزوه، ويعظموه، فذاك[1] اعتزازه بهم؛ يتكثر بهم، ويمتنع من المكاره بهم، ويطلب معالي الأمور بهم، ويطلب العلو بهم وبتكثيرهم، ويتصوَّن بهم، فعاقبةُ أمره الذلة، وإن الله تعالى يمهل المخذول حتى ينتهي به خذلانه إلى أن يستحق لباس الذل، فعندها يُلبسه، إما في الدنيا عاجلاً، وإما يوم خروجه من الدنيا، يخرجه في أذل ذلة، وأعنف عنف، وأشد بأسٍ وتنكيلٍ، وإن الله تعالى أظهر عزه، وأخرج إلى العباد إزار العز؛ ليجعل لهم من ذلك حظاً.

فإنما سماه إزاراً؛ ليعقل العباد عنه: أن هذه قوة أخرجها إلى العباد؛ ليقووا به على الأعداء، وليقوى به المحق على المبطل[2]، والأزر هو القوة، وذلك قوله تعالى: ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾[الفتح: ٢٩]؛ أي: زرعه[3] ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾؛ أي: قواه.

والإزار موضعه من الآدميين من الوسط، يأتزرون على أوساطهم ليقووا، ولذلك سمي إزاراً؛ لأنه قوة المرء، فمن أقبل إلى الله موحِّداً، فآمن به، وأسلم وجهه إلى الله، فإنما ينظر الله إلى قلبه وعمله، فمن أسلم وجهه إلى الله، أوجب الله له حظاً من ذلك العز الذي أخرجه للعباد، ومن أعرض عنه، فأشرك به غيره في ملكه، وعبد دونه، حرمه عزه، وأخسأه، وصغره، فإذا احتظى المقبل على الله بتوحيده من ذلك العز، فقد تزكى، والزكاة: النماء، والاحتشاء، والاكتناز.

---

(١) في الأصل: وذلك، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن» زيادة: الشيطان المبطل.

(٣) أي زرعه: ليست في «ن».

فالمؤمن زكي محتشٍ مكتنز مستقيم، والكافر خالٍ خاوٍ رخو ضعيف، فمن ازداد لله تسليماً وطمأنينة إليه بقلبه في الأحوال؛ ازداد نمواً واحتشاء واكتنازاً، فهو الذي قد تزكى، فهو زكي، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[الأعلى: ١٤]، وقال: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾[فاطر: ١٨][(١)]، وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[النور: ٢١].

فمن تزكى، فبفضله ورحمته قسم له ذلك، وهو نور التوحيد، ثم قواه حتى ربا ذلك النور بالشكر، واستوجب المزيد.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾[طه: ٧٥ ـ ٧٦]، فجعل للزكي الدرجات العلا[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾[المنافقون: ٨].

فقوّى رسولَ الله ﷺ والمؤمنين بتلك العزة، وأخرجها لهم من عزه، وسماه: عزة، وسماه: إزاراً؛ ليعلم العباد أنها قوة لهم، كلٌّ يحتظي منه على قدر بذله نفسه لله؛ في الائتمار بما أمره، ووضعه نفسه له في الأرض[(٣)] ذلة وخشعة؛ في الانتهاء عما نهاه عنه، وترك مشيئاته في الأحوال كلها بمشيئته، فعلى قدر ذلك يستوجب الحظ من تلك العزة، وذلك قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢] الآية.

---

(١) في «ن» الذي قد تزكى قد زكي وإنما يتزكى لنفسه.

(٢) من قوله: إلى قوله... إلى قوله: الدرجات العلا: ليس في «ن».

(٣) في «ن»: بالأرض.



الأصل الحادي والسبعون والمئتان

(١٤٩٦) ـ نا محمد بن وزير الواسطي، قال: نا معتمر ابن سليمان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبدالله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن لاَ يَرحَمِ النَّاسَ، لاَ يَرحَمهُ اللهُ»(١).

(١٤٩٧) ـ نا الجارود، قال: نا(٢) جرير، عن الأعمش،

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص: ١٣٧)، والترمذي (١٩٢٢)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٠)، والحميدي في «المسند» (٢/ ٣٥١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢١٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٢٩٧)، وفي «المعجم الأوسط» (٢/ ٢٠٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٦٣) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، به.

وأخرجه البخاري (٦٩٤١)، ومسلم (٢٣١٩)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٥)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٩٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢١٤)، وابن حبان في «الصحيح» (٤٦٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٣٣٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٦١) من طريق جرير، به.

(٢) في «ن»: أنبأنا.

عن زيد بن وهب، عن جرير بن عبدالله، عن رسول الله ﷺ، بمثله[1].

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالرحمة موضوعة في الآدمي، فأوفرهم حظاً منه: أرحمهم لنفسه[2]، فإذا رحم[3] نفسه، جنبها المعاصي والمساخط، وطلب لها حسن عواقب الأمور؛ ليحسن منزلتـه عنـد ربـه، فينزله غداً دار الحسنى، وذلك جزاء المحسنين.

فبالرحمة يتخطى إلى الإحسان إلى نفسه، ومنها يتخطى إلى الإحسان[4] إليهم، وكل من رَحِمته، رق قلبك له، ودعتك الرقة إلى الإحسان إليه، والعطف عليه؛ لدوام الإحسان، ومن احتبس حظه من الرحمة، غلظ قلبه، وصار فظاً، فإذا غلظ قلبه، لم يرق لنفسه، ولا لأحد من خلقه، قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران: ١٥٩].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٣١٢) من طريق جرير، به.
وأخرجه البخاري (٦٩٤١)، وفي «الأدب المفرد» (ص: ١٣٥)، ومسلم (٢٣١٩)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٥٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٣١٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١١٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٦١) من طريق الأعمش، به.

(٢) في «ن» زيادة: ولخلقه.

(٣) في «ن»: فإن يرحم.

(٤) إلى نفسه، ومنها يتخطى إلى الإحسان: زيادة من «ن».

فالشديد يشدد على نفسه في الأحوال، ويعسر، ويضيق، وكذلك على الخلق، وهو من نفسه في تعب، والخلق منه في أذى.

واللّيِّن لانَ قلبه، ورطب بماء الرحمة، وانتشف ماء الرحمة ببؤوسة نفسه، وحدَّة حرارتها وكزازتها، وذهبت قسوة قلبه، فمن لم يكن له وفارة حظ من الرحمة، وجدته حديد النفس، قاسي القلب، مكدود الروح، مظلم الصدر، عابس الوجه، منكر الطلعة، ذاهباً بنفسه تيهاً وعظمةً، غليظ الرقبة، سمين الكلام، عظيم النفاق، قليل الذكر لله والدارِ الآخرة، ولهادمِ اللذات.

(١٤٩٨) ـ نا الجارود، قال: نا[1] أبو معاوية، عن هشام ابن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: أتي رسولُ الله ﷺ بصبي، فقبله، فقال رجل: أتقبل هذا؟ ما قبلتُ صبياً لي قطّ، فقال رسول الله: «وَمَا أَملِكُ إِن كَانَ اللهُ نزَعَ مِن قَلبِكَ الرَّحمَةَ؟!»[2].

(١٤٩٩) ـ نا الجارود، قال: نا جرير، عن منصور، عن أبي عثمان، عن أبي هريرة، قال: قال خليلي وصفيِّي

---

(١) في «ن»: أنبأنا.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، وفي «الأدب المفرد» (ص: ٤٨)، ومسلم (٢٣١٧)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٥٦)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٦٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٦٦)، وابن أبي داود في «مسند عائشة» (ص: ٥٣) من طريق هشام، به.

أبو القاسم ﷺ: «مَا نُزِعَتِ الرَّحمَةُ إلاَّ مِن شَقِيٍّ»[1].

وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرحَمُهُمُ الرَّحمَنُ، ارحَم مَن في الأَرضِ، يَرحَمكَ مَن في السَّمَاءِ»[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالرحمة المكتوبة على نفسه مئة رحمة، والمقسومة منها واحدة بين

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العيال» (ص: ٤٢٥)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (١/ ٣٠٤)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٦٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٧٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٦) من طريق جرير، به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأبو عثمان هذا هو مولى المغيرة، وليس بالنهدي، ولو كان النهدي، لحكمت بصحته على شرط الشيخين.

وأخرجه أبو داود (٤٩٤٢)، والترمذي (١٩٢٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٢)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٣٣٠)، وابن الجعد في «المسند» (ص: ١٣٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢١٤)، وأبو يعلى في «المسند» (٦١٤١)، وابن حبان في «الصحيح» (٤٦٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٥٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٧٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ١٨٣) من طريق منصور، به.

قال الترمذي: وأبو عثمان الذي روى عن أبي هريرة لا يعرف اسمه، ويقال: هو والد موسى بن أبي عثمان الذي روى عنه أبو الزناد، وقد روى أبو الزناد عن موسى بن أبي عثمان عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ غير حديث.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٦٠)، والحميدي في «المسند» (٢/ ٢٦٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٧٦).

خلقه فيما روي لنا عن رسول الله ﷺ، فالواحدة التي قسمها بين خلقه احتظى منها الآدمي، وسائر الأمم، حتى الطيور والوحوش والبهائم، فتلك رحمة العطف، فبها يتعاطفون، واشترك فيها البر والفاجر، والولي والعدو.

وأما هذه الرحمة التي وصفناها[1] بدءاً، فهذه رحمة الإيمان، مأخوذة من الرحمة العظمى التي منها بدت تلك المئة، فأوفرهم حظاً من المعرفة بالله والعلم به: أوفرهم حظاً من القربة، وأوفرهم حظاً من القربة: أوفرهم حظاً من الرحمة[2]، فكلما كان القلب أقرب إلى الله، كان ألين، وفؤاده أرق، وكلما تباعد القلب من الله بمعصية يأتيها، كان قلبه أقسى وأبعد من الرحمة.

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾[المائدة: ١٣]؛ فإنما قست بالتباعد من الله من أجل نقض الميثاق.

ولذلك لما قال رسول الله ﷺ: **«لاَ يَدخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ الرَّحِيمُ»**، قالوا: يا رسول الله! كلنا يرحم[3]، فقال: **«لَيسَ رَحمَةُ أَحَدِكُم خُوَيِّصَتَهُ ـ يعني: أَهلَهُ وَوَلَدَهُ ـ، وَلَكِن حَتَّى يَرحَمَ العَامَّةَ»**[4].

فرحمتك الخويصة هي رحمة العطف من الرحمة المقسومة بين خلقه،

---

(١) في «ن»: وصفنا.

(٢) في الأصل: أوفرهم حظاً من القربة والرحمة، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: رحيم.

(٤) أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٤٢٥٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٧٨) من حديث أنس رضي الله عنه.
وأخرجه عبد بن حميد في «المسند» (ص: ٤٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورحمتك[1] العامة من رحمة المعرفة بالله.

❒ ❒ ❒

(١) في الأصل: ورحمة، والصواب من «ن».



الأصل الثاني والسبعون والمئتان

(١٥٠٠) ـ نا سفيان بن وكيع، قال: نا عبدالله بن نمير، عن معاوية النصري، عن نهشل، عن الضحاك، عن الأسود ابن يزيد، عن عبدالله بن مسعود، قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**مَن جَعَلَ الهُمُومَ هَمّاً وَاحِداً، كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنيَاهُ وَآخِرَتِـهِ**[١]**، وَمَن تَشَعَّبَت بِـهِ الهُمُومُ وَأَحوَالُ الدُّنيَـا**[٢]**، لَم يُبَالِ اللهُ في أَيِّ أَودِيَتِهَا وَقَعَ**»[٣].

---

(١) في «ن»: كفاه الله هم آخرته.

(٢) في «ن»: هموم أحوال الدنيا.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٥٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٧٦)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (ص: ١٣٨)، والبزار في «المسند» (٥/ ٦٨)، والدارقطني في «العلل» (٥/ ٤٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٠٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣٠٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ١٧٤) من طريق عبدالله بن نمير، به.

ونهشل بن سعيد متروك واهٍ؛ كما في «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٤٢٧).

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالهم للقلب، وهو أمير الجسد، وهو وعاء كنوز المعرفة، ومنها يفرق على جنوده[1]، فالعقل والذهن والحفظ والفهم والفطنة والروح، وهؤلاء كلهم مرتزقة من عند القلب، والقلب ينفق عليهم من كنزه الذي أعطي، وهو المعرفة بالله، والعلم بالله، فإذا جاءته هموم أحوال النفس قد تشعبت قلبه شعباً، وشغل القلب تشعبها، فضيع الكنز، وفرق الجند، وبقي مأسوراً في يد النفس[2] وأحوالها، فلم يبال الله في أية أوديتها من تلك الشعوب هلك؛ لأن هموم النفس ووساوس العدو يخوفك بالرزق، ويخوفك بأحوال الدنيا وتقلبها، ويرغبك في الجمع والمنع، ويحلي في قلبك ما فيه مصرعك وهلاكك، ويزين لك أحوال أبناء الدنيا، فهذه كلها سموم قاتلة للقلب، فمن تخلى من هذه الهموم كلها، حتى صارت همومه كلها هماً واحداً، كفاه الله الهموم كلها من أمر الدنيا والآخرة، والهم: دبيب القلب إلى الشيء، وإنما صار الهم همين:

١ ـ **أحدهما**: مغيب.

٢ ـ **والآخر**: متجاوز له عنه، من أجل أن أحدهما هم دبيب، والآخر هم حلول.

فالقلب إذا بدت له خاطرة، ودب إليها، ثم يبقى في الطريق متحيراً عاجزاً قد انسد عليه الطريق، فتحير، فهذا هم يتجاوز عنه.

والهم الآخر يدب القلب بالخاطرة إلى الشيء الذي بدا حتى ينتهي

---

(١) في «ن»: جنده.

(٢) من قوله: قد تشعبت. . . إلى قوله: يد النفس: ليس في «ن».

منتهاه، فيحل به، فحلوله عزم وإضمار، فإن كانت سيئة، صار قد همَّ بسيئة، فهي وإن لم يكتب عليه، فقد انحط من درجته، وأضر به؛ لأنه قد عزم على معصية الله، فهذا هم حلول القلب.

والهم الأول إنما هو دبيب القلب إلى الخاطرة، ثم عمي عليه الطريق، فعجز وتحير.

وإنما يصير همه هماً واحداً: إذا نسي نفسه وأحوالها، وأن ينكشف له الغطاء عن المعرفة بالله حتى يرى الله كافياً له في كل أمر من دنياه أو آخرته[1]، فعندها يرفع باله عن التدبير لنفسه، ويلقي ذلك كله إلى الله تفويضاً، ويراقب ماذا يخرج له من تدبيره ساعة فساعة[2]، فتدبير الله للمؤمن أعلى من تدبيره لنفسه، فإذا رفض العبد تدبيره، وأقبل على ملاحظة تدبير الله في كل وقت، ماذا يظهر له، فقد استراح.

فإنما همه في كل ساعة: التوخي لمحابة الله في كل أمر من متقلبه، فإنه إنما خلقه عبداً؛ ليكون له عبداً عارفاً له، عالماً به، فينظر بعين المعرفة والعلم إلى عظمته وجلاله، وبهائه، وكبريائه، وسلطانه، ورحمته، وإلى ملكه وأبديته، فيقر عينه، ويمتلىء قلبه فرحاً به، فعندها يظهر المحبة على قلبه[3]، ويشتاق إلى لقائه، ويتبرم بحياته، ويقلق بمكانه، ينتظر متى يدعى فيجيب، فهو مسجون برمق الحياة.

---

(١) في الأصل: من دنيا أو آخرة، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: بساعة، وما أثبتناه من «ن».

(٣) على قلبه: ليست في «ن».

ولـذلك قال رسول الله ﷺ: «الدُّنيَا سِجنُ المُؤمِنِ وَسَنَتُهُ»[1]؛ يعنـي: قحطه[2].

فالآدمي إذا أسنَتَ، ضاقت عليه المعيشة، واشتد العيش، فهو ينتظر الخصب والسَّعة، والمسجون، وإن أحاطت به نعم الدنيا في سجنه، فعينه شاخصة إلى باب السجن متى يخلى عنه فيخرج، فالمؤمن مشتاق إلى لقاء من عرفه لما[3] ذكرنا، فضاق بالحياة في الدنيا، وانتظر الدعوة، فهمُّه في الدنيا هم واحد، وهو أن يلتمس محابة الله في كل أمر دق أو جل، فيكون ظاهر أموره[4] حركات في طاعة الله، وباطن تلك الحركات حب الله تعالى به، يغلي قلبه، فهو الذي جعل الله همه هماً واحداً، وانقطع من الخلق إلى الله، فمن العباد يصعد إلى الله أعمال الجوارح، ومن هذا أنوار الحب مع كل نفس، فنور هذا متواتر صاعد إلى الله تعالى[5]، فأنوار العمال منقطعة، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[المزمل: ٨ ـ ٩] الآية.

فاسم الرب هو الاسم الأعظم المكنون الذي منه خرجت الأسماء،

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٩٧)، وابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢١٢)، وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (ص: ٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٧٧) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) يعني قحطه: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: بما.

(٤) في الأصل: أمره، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في «ن»: إلى السماء.

فمن وصل إلى ذلك الاسم المكنون، وانكشف له الغطاء عنه، فقد تبتل إليه، وانقطع عن الخلق، واتخذه وكيلاً، فعندها بطلت وكالة النفس، وتعطلت الهموم، وانتصب ذلك الهم الواحد بين عيني فؤاده، فاشتعل الصدر نوراً، فتتابعت أنوار حبه متواترة إلى العلا.

(١٥٠١) ـ نا محمد بن سفيان النيسابوري، قال: نا[1] إبراهيم بن الأشعث، عن فضيل بن عياض، عن هشام[2]، عن الحسن، عن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ انقطَعَ إلى اللهِ، كَفَاهُ اللهُ مُؤنتَهُ، وَرَزَقَهُ مِن حَيثُ لاَ يَحتَسِبُ، وَمَن انقطَعَ إلى الدُّنيا، وَكَلَهُ اللهُ إليهَا»[3].

(١٥٠٢) ـ نا عبدالله بن أبي زياد، نا سيار، عن رياح

---

(١) في «ن»: عن.

(٢) في الأصل و«ن»: همام، والصواب ما أثبتناه.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص: ٦٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٣٤٦)، و«المعجم الصغير» (١/ ٢٠١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٢٩٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٢٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ١٩٦) من طريق إبراهيم بن الأشعث، به.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤): فيه إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل، وهو ضعيف، وقد ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: يغرب ويخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات.

القيسي، قال: نا الحسن بن ذكوان، عن عبد الواحد بن قيس، عن مسلم بن جبير، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ للهِ مَلائِكَـةً مُوَكَّلِينَ بِأَرزَاقِ بَنِي آدَمَ، ثُمَّ قَـالَ لَهُم: أَيُّمَا عَبـدٍ وَجَدتُمُـوهُ جَعَلَ الهَمَّ هَماً وَاحِداً، فَضَمِّنُوا رِزقَـهُ السَّمَواتِ وَالأَرضَ، وَبَنِي آدَمَ، وَأَيُّمَـا عَبـدٍ وَجَدتُمُـوهُ طَلَبَهُ، فَإِن تَحَرَّى العَـدلَ، فَطَيِّبُوا لَهُ وَيَسِّرُوا، وَإِن تَعَدَّى إِلى غَيرِ ذَلِكَ، فَخَلُّوا بَينَهُ وَبَينَ مَا يُرِيدُ، ثُمَّ لاَ يَنَالُ فَوقَ الدَّرَجَةِ الَّتِي كَتَبتُهَا لَهُ**»[1].

❐ ❐ ❐

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٤/ ١٣) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن أبي هريرة.

مسلم بن جبير قال الذهبي: لا يدرى من هو. انظر: «تهذيب التهذيب» (١٠/ ١١٢).

والحسن بن ذكوان صدوق يخطئ، وكان يدلس؛ كما قال ابن حجر في «التقريب» (ص: ١٦١)، وفي روايته عن عبد الواحد كلام.



الأصل الثالث والسبعون والمئتان

(١٥٠٣) ـ نا عمرو بن علي الصيرفي، قال: نا بشر بن المفضل، قال: نا[1] عبد الرحمن بن حرملة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَقُصُّ إِلاَّ أَمِيرٌ، أَو مَأْمُورٌ، أَو مُراءٍ»[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالقصص اسم جامع، دخلت فيه الموعظة والتذكرة[3]، والدعوة إلى الله، واشتمل عليه النشر عن الله مننه وإحسانه، وتنبيه الخلق عن توحيده

---

(١) في «ن»: أنبأنا.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٨)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٢٢٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ٢٩٤) من طريق عبد الرحمن ابن حرملة، به.
وأخرجه ابن ماجه (٣٧٥٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٨٣)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٤١٠)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٣٥٩) من طريق عمرو بن شعيب، به.

(٣) في الأصل: والذكر، وما أثبتناه من «ن».

وعن معروفاته، ونموذجات صنائعه، سمي ذلك كله قصصاً؛ من أجل أن قلب هذا يقتص أثراً أثراً لكل شيء، ويشير بقلبه إلى شيء شيء، ثم يعبر إشارات قلبه بلسانه للخلق، فهو قاص عليهم[1] لتلك الأشياء أثراً أثراً.

وهذه كلمة لزمت أشياء كثيرة، مما تشابهت صورها بعضها ببعض، فيقال: قص أثره، وهو: أن يتبع أثره، ويقال: قص خبره، وهو: أن يتبع بقلبه صفة ذلك الشيء الذي يخبر به، فيتبع الصفة شيئاً بعد شيء، ويقال: قص شعره وظفره، وهو أن يتبع ما زاد من شعره وظفره خروجاً من جسده، فيتبع ذلك، فأزاله عنه، فالدعاء إلى الله بالموعظة والتذكرة لمن وصل إلى الله قلباً، وكان مركب قلبه الحق والعدل، وهو قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

فهذا ما أعطى الله موسى في قوله حيث قرأ التوراة، فوجد صفة هذه الأمة، فوجد في نفسه من ذلك حاجة أن تكون أمته، حتى قال: رب! اجعلني نبيهم، قال: استقدمت واستأخروا، ونبيهم محمد ﷺ، فأُعطي أن سيكون من قومه أمة يهدون بالحق وبه يعدلون.

قال قتادة: فرضي من الله كل الرضا، فقص الله علينا نبأه، فقال: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾، ثم قال بعقب ذلك: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١] الآية؛ أي: من هذه الأمة.

فقوم موسى الذين أُعطوا ذلك في عزلة من الخلق من وراء نهر الرمل

---

(١) في الأصل: عليه، وما أثبتناه من «ن».

ناحية المشرق حيث لا يخلُص إليهم أحد، ولقيهم رسولُ الله ﷺ فيما روي لنا ليلة أسري به، فعلمهم القرآن، وعرض عليهم الشريعة، فقبلوها، فأعطيت هذه الأمة في الجماعة والعامة ما أُعطي أولئك في العزلة، فساروا في الجماعة بما سار أولئك في العزلة؛ بفضل يقينهم، ووصول قلوبهم إلى الله، فمركب قلوبهم الحق، وطريقهم إلى الله تعالى على العدل في ذلك الحق، وهم أمراء الدين في كل وقت، وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[النساء: ٥٩].

فالقصص لهم، ولمن يرونه أهلاً لذلك المقام، والثالث مراءٍ متكلفٌ مذموم، فهو دخيل ليس منهما في شيء، هذا لا يجب أن يسمع منه، ولا يستمع إليه.

❑ ❑ ❑





الأصل الرابع والسبعون والمئتان

(١٥٠٤) ـ نا محمد بن أيوب السمناني، قال: نا حسان ابن عباد[1] البصري، قال: نا أبي، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز، وعكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الشِّرْكُ أَخفَى في أُمَّتِي مِن دَبِيبِ النَّملِ[2] عَلَى الصَّفَا»**[3].

(١٥٠٥) ـ نا أبي رحمه الله، قال: نا الحماني[4]، قال: نا

(١) في الأصل، و«ن»: حسام بن عباد، والصواب ما أثبتناه.

(٢) في «ن»: دبيب الذَّر.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١١٤) من طريق حسان بن عباد البصري، به.
وقال أبو نعيم: غريب من حديث سليمان عن أبي مجلز وعكرمة، تفرد به عباد البصري، وعنه ابنه حسان.
وأخرج الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٩) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ، بنحوه.

(٤) في «ن»: أنبأنا الحماني.

جريـر، عن ليـث، عن شـيخ، عن معقـل بن يـسار، قال: قال أبو بكر رضي الله عنه، وشهد به على رسول الله ﷺ، قال: ذكر رسول الله الشرك، فقال: «**هُوَ فِيكُم أَخفَى مِن دَبِيبِ النَّملِ، وَسَأَدُلُّكَ عَلَى شَيءٍ إِذَا فَعَلتَهُ، أَذهَبَ عَنكَ صِغَارَ الشِّركِ وَكِبَارَهُ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَن أُشرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعلَمُ، وَأَستَغفِرُكَ لِمَا لاَ أَعلَمُ، تَقُولُهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ**»[1].

(**١٥٠٦**) ـ **نا** أبي، قال: نا أحمـد بن يونـس، عن محمد بن مسلم الطائفي، عن ابن جريج، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «**يَا أَبَا بَكرٍ! الشِّركُ أَخفَى فِيكُم مِن دَبِيبِ النَّملِ**»، فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا ما عبد من دون الله؟ قال: «**يَا أَبَا بَكرٍ! الشِّركُ أَخفَى فِيكُم مِن دَبِيبِ النَّملِ، إِنَّ مِنَ الشِّركِ أَن يَقُولَ الرَّجُلُ: مَا شَاءَ اللهُ**

---

(١) أخرجه المروزي في «مسند أبي بكر» (ص: ٦٤) من طريق جرير، به.

وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص: ٢٥٠)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٠) من طريق ليث، به.

وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١١٢)، والمروزي في «مسند أبي بكر» (ص: ٦٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ٢٤٠)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٣٠) من طريق أبي بكر، به.

وَشِئتَ، وَمِنَ النِّدِّ أَن يَقُولَ الرَّجُلُ: لَولاَ فُلاَنٌ، لَقَتَلَنِي فُلاَنٌ، أَفَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى مَا يُذهِبُ اللهُ عَنكَ صِغَارَ الشِّركِ وَكِبَارَهُ؟»، قال: بلى يا رسول الله، قال: «تَقُولُ كُلَّ يَومٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَن أُشرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعلَمُ، وَأَستَغفِرُكَ لِمَا لاَ أَعلَمُ»(1).

(١٥٠٧) ـ نا عبد الجبار، قال: نا سفيان، عن عبد الملك ابن عمير(2)، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قَد كُنتُ أَكرَهُ لَكُم أَن تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، وَما شَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِن قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ»(3).

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ١٩٤) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن ابن جريج، بلاغاً.
وأخرجه أبو يعلى في «المسند» (٥٨) عن ابن جريج عن ليث، عن أبي محمد، عن حذيفة، عن أبي بكر، به.

(٢) في الأصل: غنم، والصواب من «ن».

(٣) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٢٠)، وابن ماجه (٢١١٨)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٩٣) من طريق سفيان بن عيينة، به.
وأخرجه أبو داود (٤٩٨٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٢١)، وابن المبارك في «المسند» (ص: ١٠٨)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٥٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٧٤)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (ص: ١٩٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢١٦) من طريق حذيفة، به.

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالرب تعالى واحد، وجعل ربوبيته في الغيب، وخلق العباد في الغيب، وأولَهَ قلوبَهم إليه، وقررهم كلهم بالعبودة[1] له، وعلى ذلك فطرهم، فكلهم يفزعون عند الحاجة إلى اسم الله الذي جعله مولِّهَ قلوبهم، فثبت فريق منهم على إخلاصه، وأشرك فريق منهم، وذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت: ٦٥ ـ ٦٦].

فجعل أمور العباد كلها يوصلها إليهم في الغيب، قد ستر أمورهم بالأسباب، وقال: أنا الرزاق، ثم جعل أرزاقهم في ماء الحيوان تحت العرش، ثم وكل به ملائكة القَطر، ثم سخر السحاب لقبوله، وسخر الرياح ليجعل كسف السحاب ركاماً، ويبسطه كيف يشاء، ثم يأمر السحاب أن يدر بالقطر[2] مطراً، ثم أمر الأرض أن تقبله ودائع، ثم أمر[3] الأرض أن تنفجر عن ذلك القطر في أصلب موضع منها من أجواف الصخور من الجبال، وذلك قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾[الزمر: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾[القمر: ١٢]، وقوله[4]: ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾[يس: ٣٤]، ثم علم الآدميين أن يحرثوا الأرض، ثم أمر الأرض أن تنبت من كل زوج بهيج.

---

(١) في الأصل: في العبودية، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن» زيادة: القطر.

(٣) الأرض أن تقبله ودائع ثم أمر: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

(٤) وقوله: ليست في «ن».

وقال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾[فصلت: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[الواقعة: ٦٣ ـ ٦٤]، ثم أمر الشمس أن تسير سيرها[١] على وجه الأرض لتربية هذه النبات والثمار، ثم أمر الرياح[٢] عند الحصاد أن تذروه، ثم علم الآدميين طحنه وخبزه، وأنزل النار، وجعلها في الشجر الأخضر.

وقال في تنزيله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[يسٓ: ٨٠]، فالنار موجودة في كل خشبة[٣] تحتك بالأخرى فتوري ناراً، فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾[الواقعة: ٧١ ـ ٧٢] الآية، ثم قال: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾[الواقعة: ٧٣] الآية.

ومن اللباس علَّم[٤] غزلَ قطنه ونسجه، وغسله وخياطته حتى يكتسوا، وكذلك سائر الأشياء التي اضطر إليها الآدمي، فهذه كلها أسباب، والآدمي يرى ما ظهر من هذه الأشياء التي ذكرناها، وفي باطنها ربوبية[٥]، وهو الذي دبر هذا كله من القدرة، وأمضى التدبير بمشيئته، وأوصل إلى العباد قضيته في خفاء.

فالعباد إنما يرون المطر والحر، والبرد والرياح، والأرض والماء،

---

(١) في «ن»: نحوها.

(٢) في الأصل: الريح، والمثبت من «ن».

(٣) في «ن» زيادة: شجرة خشبة.

(٤) علم: زيادة من «ن».

(٥) في «ن»: ربوبيته.

والزرع والحصاد، والأيدي التي تتداوله، وربوبيته في جميع الأشياء قائمة، لا يكون شيء إلا بإذنه، ولا يقوم إلا به، ولا يدوم إلا به، فقلوب الآدميين ونفوسهم معلقة بالأسباب التي يرونها، فإذا احتاجوا إلى شيء، طلبوا ذلك الشيء من مظانه الذي هناك عاينوه، فمنَّ الله على الموحدين بمعرفته بأن الرب واحد، والوله بالقلوب في الحوائج إلى الواحد الذي اسمه الله الذي خرجت هذه الأشياء كلها من ذلك الاسم.

ولذلك أمروا أن يتناولوا شيئاً ويبتدئوا في كل أمر بقول: بسم الله؛ كأنه يقول: هذا الشيء بهذا الاسم أخرج، ومنه أخرج، ومن حُرم المنة، بقي[1] مع الأسباب، قلوبهم معلقة بها، مفتونة فيها، فاتخذوا من دونه وليّاً[2]، فعبدوه، ثم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر: ٣]، فقالت الرسل لهم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[3] [المائدة: ٧٦].

حتى قال إبراهيم لقومه: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[الأنبياء: ٦٧]. والأف: كلمة جامعة للشتم والضَّعَة.

وأنزل على المؤمنين تعليماً للحجة[4]: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٦٣]، فقال المشركون: أرنا بذلك آية أنه واحد،

---

(١) في «ن»: بقيت.

(٢) في الأصل: أولياء، والمثبت من «ن».

(٣) جاء في النسخة «ن» بدل هذه الآية: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾[الأنبياء: ٦٦].

(٤) في «ن»: المؤمنين وحياً يثبت قلوبهم ويعلمهم الحجة فقال.

فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، فأخبر[١] أن العقل يدل عليه بما أراهم من قدرته، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[المؤمنون: ٩١] الآية.

وأهل اليقين طلبوه[٢] من المظان نفساً وجسداً، ومن القلوب إخلاصاً ويقيناً، فمن ضعف يقينه، كان السبب بين عينيه، فإذا طلب شيئاً، طلبه من السبب قلباً ونفساً، فإذا فاته منها شيء، تلهف وأسف على الفوت، ولام وذم، وتردد واضطرب حتى يخرج دينه، ويسقم إيمانه، وإذا صار إلى القول يقول: لا يكون إلا ما شاء الله، ولا يكون إلا ما قدر الله، ولا يكون إلا ما قضى الله، فإذا قضى فلا يقوم شيء ولا يدوم إلا بالله، فإذا علم أن الكون من الله، والدوام بالله، كان هذا من علم النور[٣]، وإنما هو كلطخة واحدة، ثم يخفي في صدره هذا العلم حتى لا يشرق نوره، وإنما كانت شررة أو كلمحة أو برقة، ثم ذهبت، وبقي العبد مع الشرك في السبب، فكلما لحظ العبد إلى شيء من هذه الأسباب دونه، فقد أتى بالشرك رجاءه ورجاء خلقه، وأمله وأمل خلقه، فإذا رأى السحاب، استبشر، وإذا هاجت[٤]

(١) في «ن»: فأعلم العباد.

(٢) في «ن»: طلبوا.

(٣) في «ن»: التوحيد.

(٤) في «ن»: رأى.

الرياح، استبشر، وإذا أنبتت الأرض، ابتهج، وإذا أثمرت، أكل مع الفرح، ثم أشر وبطر؛ لأن قلبه في غفلة عن الله.

قال أبو عبدالله:

فهذا قلب الموحد، وقلب الكافر في غُلفة، فقلب هذا المؤمن متعلق بالأسباب غافل، وقلب الكافر أغلفُ فالغلفة غلافِ القلب.

والغفلة: حجاب القلب، وهو هذه الأسباب[١] التي ذكرنا، وقد انشق عنه الغلاف الذي كان في وقت الكفر، وبقيت الغفلة، فهذه الغفلة لا يذهبها إلا ذكر الله، فلا يزال الذكر[٢] الدائم يذيبها بحرارة الحياة التي يزاد القلب بالذكر، حتى يهتك حجاب الأسباب كلها، ويذهب الخفاء، وتصير الأمور كالمعاينة له، فهو يمضي في الأسباب، ولا يغفل عن الله، فيقبلها من عنده، فإذا هاجت الريح، استبشر بصنيع الله؛ لأنه علم أنه هو الذي أرسلها بشرى بين يدي رحمته، ثم لما رأى تراكم السحاب، استبشر بصنيع الله، ثم يرى المطر سُقيا كما قال الله: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ﴾[الحجر: ٢٢]، ثم يرى الزرع زراعة الله كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[الواقعة: ٦٣-٦٤].

ثم رأى الأشياء كلها خلقه، مسخرين لحوائجه، والآخر غافل عن هذا كله، إنما يرى الشيء الذي بين يديه من هذه الأشياء، فيفتتن، فإذا افتقد[٣] السبب، اضطرب وتردد حتى يقع في المهالك، فالأشياء كلها في

---

(١) في الأصل: الأشياء، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: الذاكر.

(٣) في الأصل: فقد، والمثبت من «ن».

الأسباب مغيبة، سترها ربها في الأسباب، وأخفى[1] ربوبيته؛ ليكون إيمان العباد[2] في الغيب كله، وبالغيب كله؛ لأن مديح العباد في إيمانهم بالغيب، فكما جعل نفسه غيباً عن[3] العباد، كذلك جعل أموره وربوبيته غيباً عن العباد.

فأهل اليقين هتكوا هذه الحجب بقوة نور اليقين حتى انكشف لهم الغطاء، ووصلوا إليه، فقبلوا هذا كله عنه على بصيرة، ففضل الله تعالى هذه الأمة باليقين، حتى صار ما بقي فيهم[4] من الشرك أخفى من دبيب النملة[5] في القلة والرقة، فهذا مدح لهذه الأمة.

ألا ترى أنه قال: «أخفى في أمتي»، وقال في حديث أبي بكر: «أخفى فيكم» يعلمهم فضيلة هذه الأمة على سائر الأمم أن شرك الأسباب ذاب فيهم، وتلاشى بفضل يقينهم، حتى صار أخفى من دبيب النمل؛ لأن دبيب النمل لا يؤثر على الصفا، وكذلك ما بقي من شرك الأسباب لا يؤثر على أهل اليقين ما يعرض لهم من خواطر الأسباب؛ لأن قلوبهم قد صلبت بالله، وصارت كزبر الحديد والصخر.

(١٥٠٨) ـ نا معروف بن الهيثم الكرخي[6]، قال: نا

---

(١) في الأصل: سترها غيباً في الأسباب في إخفاء، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: العبد، والمثبت من «ن».

(٣) في الأصل: في، والمثبت من «ن».

(٤) في الأصل: حتى صار ما هو فيهم، والمثبت من «ن».

(٥) في «ن»: النمل.

(٦) في «ن»: الكرخي أبو محفوظ.

عبيد[1] الله بن موسى، قال: نا عبد الأعلى بن أعين، عن يحيى بن أبي كثير، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «الشِّركُ أَخفَى مِن دَبِيبِ النَّملِ عَلَى الصَّفَا في اللَّيلَةِ الظَّلمَاءِ، وَأَدنَاهُ: أَن تُحِبَّ عَلَى شَيءٍ مِنَ الجَورِ، أَو تُبغضَ عَلَى شَيءٍ مِنَ العَدلِ، وَهَلِ الدِّينُ إلاَّ الحُبُّ في اللهِ، وَالبُغضُ في اللهِ، قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]»[2].

قال أبو عبدالله:

فأما قوله: «أَن تُحِبَّ عَلَى الجَورِ، وتُبغِضَ عَلَى العَدلِ»، فإنما تحب على الجور رجاء المنفعة منه، وتبغض على العدل خوف المضرة، ورجاء المنفعة، فهذا شرك، يرجو غيره، ويخاف غيره[3].

---

(١) في الأصل: عبد، والصواب من «ن».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٦٨) من طريق معروف، به.
وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٣)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٨٢٣) من طريق عبيدالله بن موسى، به.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٣): رواه البزار، وفيه: عبد الأعلى ابن أعين، وهو ضعيف.

(٣) ويخاف غيره: زيادة من «ن».

(١٥٠٩) ـ نا أبي، قال: نا[1] الحكم بن المبارك، قال: أنا بقية، عن[2] بكر بن حذلم الأسدي، قال: نا وهب ابن أبان، عن عبدالله بن عمر، قال: خرج عبدالله بن عمر في سفر له، فإذا بجماعة على الطريق، قال[3]: ما هذه الجماعة؟ قالوا: أسدٌ قطع الطريق، فنزل فمشى إليه حتى قفده بيده، ونحاه عن الطريق، ثم قال: ما كذب رسول الله ﷺ، قال: «**إِنَّمَا يُسَلَّطُ عَلَى ابنِ آدَمَ مَن خَافَهُ ابنُ آدَمَ، وَلَو أَنَّ ابنَ آدَمَ لَم يَخَف غَيرَ اللهِ، لَم يُسَلِّطِ اللهُ عَلَيهِ غَيرَهُ، وَإِنَّمَا وَكَلَ ابنَ آدَمَ مَن رَجَاهُ ابنُ آدَمَ، وَلَو أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَم يَرجُ إلاَّ اللهَ، لَم يَكِلهُ اللهُ إِلى غَيرِهِ**»[4].

قال: وإنما هو شرك وشك.

فالشك: هو ضيق الصدر، فإذا ناب النفس أمر، فأحست بمكروه في ذلك الأمر، انتفخت الرئة؛ للجبن الذي حل بها، فضاق الصدر حتى زحزح القلب عن مكانُه، فإذا ضاق على القلب مكانه، ضاق موضع التدبير، وهو الصدر؛ لأن عيني الفؤاد مفتوحتان في الصدر، وعند العينين تدبير الأمور،

---

(١) في «ن»: عن.

(٢) في «ن»: ابن.

(٣) في «ن»: طريق فقال.

(٤) تقدم تخريجه في الأصل السادس والعشرين.

ثم تنصدر إلى الجوارح، ولذلك سمي صدراً؛ لأن الأمور تصدر[1] من هناك، فإنما سمي شكاً؛ لأن ذلك النائب من الأمر يشك سعة[2] الصدر؛ كما يشك الثوب المبسوط، ويجمع بعضه إلى بعض، ويشك بشوكة أو بإبرة أو بخيط، فيقال: شك الثوب، وهو ثوب مشكوك.

فالصدر إذا انتفخت الرئة بما خطر على بال القلب من الخواطر، وضاق على القلب مكانه، يرحل القلب من[3] مستقره، وتذبذب، وصار كالدلو المعلق، والقنديل المعلق، فإذا تحرك القنديل، اضطرب الإشراق، فصار بعضُه ظلام، وبعضُه إشراق، ففي الظل الضلالة، وفي الإشراق الهدى، فكلما تراكمت الأظلة، انقبض الصدر، فصار مشكوكاً كالثوب الذي شُك، وقُبض[4] بعضه إلى بعض، فصار متراكماً، وصار بعضه[5] على بعض، وصارت له زوايا، وكذلك الصدر إذا انقبض، حدثت له في زواياه أظلة، فمنها يضل عن الله، ويفتقد الهدى.

وأما الشرك: فهو[6] مأخوذ من الشَّرَك، والشرك: حبل فيه معاليق يعلق به أرجل الطير، أو أعناقها، أو أجنحتها، حتى يؤخذ صيداً، وكذلك الأسباب التي وضعت فيها حاجات الآدمي، فتلك الأسباب[7] تأخذ بقلبه؛

(١) في «ن»: تصدق.

(٢) في الأصل: شك يمنعه، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: عن.

(٤) في «ن»: يشك ويضم.

(٥) في «ن»: فصار متراكم بعضه.

(٦) فهو: زيادة من «ن».

(٧) من قوله: التي وضعت... إلى قوله: فتلك الأسباب: ليس في «ن».

لأن شهوة تلك الأشياء في نفسه، فإذا اشتهاها، أحبها، فإذا وصل حبها إلى قلبه، رأى القلب تلك الأشياء من أجل تلك الأشياء، وذلك[1] قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾[آل عمران: ١٤]، ثم عد الشهوات، الآية، فقال: ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾[آل عمران: ١٤].

فالنفس تجد اللذة والفرح والسرور من هذه الشهوات، وتحبها، فإنما أحب الذهب والفضة؛ لأنه بهما يرجو وجود شهوات الأسباب[2]، وكذلك الأنعام والحرث، والأرض لا تؤكل ولا تشرب، ولا الذهب ولا الفضة، ولكن لما علم أن الأرض تخرج له نبات الأشياء التي يلتذ بها، أحبها، وأن الذهب والفضة أوردا عليه الأشياء التي يشتهي، أحبهما، فهو[3] حب فتنة، والحب يصطاد القلب ويسبيه، فهذا شرك، وتلك الحبال التي فيها معاليق الصيد شرك، فكل واحد يستعمل في نوعه[4]، وأحدهما مشتق من الآخر، فالشك ضيق الصدر، والشرك تعلق القلب بالشيء.

وإنما يوسع القلب نور اليقين، فكلما كان القلب بالتعبير أنور وأوفر حظاً منه، كان أوسع وأكثر شرحاً، وإنما يتخلص من الشرك بنور التوحيد،

---

(١) جاءت هذه العبارة في «ن» هكذا: فإذا وصل حبها إلى قلبه، ثم نال القلب تلك الأشياء من تلك الأسباب، أحب تلك الأسباب من أجل حب تلك الأشياء، وكذلك.

(٢) في «ن»: الأشياء.

(٣) في «ن»: فتلك.

(٤) في الأصل: نوع، والمثبت من «ن».

فكلما كان القلب[1] من نور الفردية أوفر حظاً، ومن نور الأحدية أوفر حظاً[2]، كان تخلصه[3] من الشرك أكثر، فباليقين ينجو العبد من وبال الشرك، وبالإخلاص ينجو من وبال الشرك، فعندها يتولاه الله تعالى، وذلك قوله لداود عليه السلام: هل تدري متى أتولاهم؟ إذا طهروا قلوبهم من الشرك، ونزعوا من قلوبهم الشك.

فخلق الآدمي والأسباب مشتبكة به، لا يرى شيئاً إلا في غيب، وربوبية الرب قائمة في ذلك الغيب في جميع الأسباب، لا تكون إلا به، فالله مكونها، وبالله يدوم ما كون، وهذا الآدمي لم ير التكوين ولا التدويم إلا رؤية الإيمان بالغيب، فاستقر قلبه إيماناً بذلك، ثم جاءت النفس بشكها وشركها، فأوردت على القلب حتى صار القلب ذا شك، وشرك، فلا يزال صاحبها يضيع[4] هذا الأمر، ويهمله حتى يحل العقدة منه: عقدةَ الإيمان، فيكفر، والذي أغاثه الله وأيده[5]، لما رأى ضعف اليقين، وانقياد القلب للنفس بما أوردت عليه، فزع إلى الله حتى قواه الله وأيده.

فإذا رزق الله عبداً نور اليقين، ونور الفردية، صار القلب موقناً مخلصاً، فبقوة هذين يمحق خواطر النفس في الصدر، وتلك الخواطر التي تورث شكاً وشركاً، فاستقام القلب وصلب، ومد النفس إلى ما عنده فقواها،

(١) من قوله: بالتعبير... إلى قوله: كان القلب: ليس في «ن».

(٢) في «ن»: نصيباً.

(٣) في «ن»: إخلاصه.

(٤) في الأصل: يزيل، والمثبت من «ن».

(٥) في «ن»: وأولاه.

فاستقرت النفس منقادة للقلب، وتركت ترددها واضطرابها، فإذا صارت بهذا الحال، خفي ذلك الشرك والشك في نفس هذه الطبقة، فلم يؤثر ما بقي من ذلك خفياً في قلوبهم، كما لا يؤثر دبيب النمل على الصفا؛ لأن الذي خفي من البقية لا يقدر أن يزعزع النفس، وأن يشغل[1] القلب عن الله[2]، ألا ترى أنه ﷺ قال في حديث أبي بكر: «أَفَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى[3] مَا يُذهِبُ اللهُ صِغَارَ الشِّركِ وَكِبَارَهُ عَنكَ؟»، قال: بلى يا رسول الله، قال: «تَقُولُ كُلَّ يَومٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَن أُشرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعلَمُ، وَأَستَغفِرُكَ لِمَا لاَ أَعلَمُ»[4].

فصغارُ الشرك مثل قول الرجل: ما شاء الله وشئت، ومن الند أن تقول: لولا فلان، لكان كذا وكذا.

(١٥١٠) ـ ونا سهل بن العباس، قال: نا سفيان، عن الزهري، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُم وَاللَّوَّ؛ فَإِنَّ اللَّوَّ يَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ»[5].

---

(١) في «ن»: أو يشغل.

(٢) في الأصل زيادة: فمن قال في كل يوم.

(٣) في «ن»: أدلك يا أبا بكر على.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٤١٦٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٥٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٥٧٢١) من طريق سفيان عن ابن عجلان، عن الأعرج، به. وأخرجه مسلم (٢٦٦٤)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٢٥١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢١٦) من طريق الأعرج، به. =

قال أبو عبدالله:

فاللو مفتاح[1] الحسرات، فإذا تحسر القلب، تعرى عن خلع الله.

(١٥١١) ـ نا سفيان بن وكيع، قال: نا أبي، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبدالله، قال: جاء رجل، فقال: يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال ﷺ: «أَنْ تَجعَلَ للهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ»[2].

= وتقدم تخريجه في الأصل الثالث والثمانين. إلا أنه عن سفيان عن ابن عجلان، وليس الزهري.

(١) في «ن»: لو مفتاح.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٠)، والبزار في «المسند» (٥/ ١٠٧)، وأبو يعلى في «المسند» (٥٠٩٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٤٤١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٨) من طريق الأعمش، به.

واختلف فيه على الأعمش، فمنهم من رواه كما عند المصنف، ومنهم من زاد عمرو بن شرحبيل.

وأخرجه البخاري (٧٠٨٢)، ومسلم (٨٦)، وأبو داود (٢٣١٠)، والترمذي (٣١٨٢)، والنسائي (٧/ ٨٩)، وفي «السنن الكبرى» (٣٤٧٦)، والبزار في «المسند» (٥/ ٢٥٩)، وأبو يعلى في «المسند» (٥١٣٠)، وابن حبان في «الصحيح» (٤٤١٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٨٦) من طريق أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل، عن عبدالله، به.

وأخرجه الترمذي (٣١٨٣)، والنسائي (٧/ ٩٠)، وفي «السنن الكبرى» (٣٤٧٨)، وأحمد في «المسند» (١/ ٤٣١)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٣٥) من طريق أبي وائل عن عبدالله، به. =

فالند: هو شبيه بالضد، وهو شكل الضد؛ لأن الضد صورته[1] إبطال من يضاده، والند هو من الندود والتباعد والنفار.

معناه: أن تجعل من دونه دافعاً عنك، ولا يدفع عنك إلا من ولي خلقك، فلذلك قال في الحديث: «**وَمِنَ النِّدِّ أَن تَقُولَ: لَولاَ فُلاَنٌ، لَقَتَلَنِي فُلاَنٌ**».

لأن هذا يصير فلاناً دافعاً عنه دون الله، فقد اتخذ من دون الله وليجة، وقد حل العقدة، فمن خطر هذا بباله في صدره، فزع إلى الله، ورد هذا الذي أتت به النفس عليها، فعقدته ثابتة، ولكن يضعف؛ لضعف[2] اليقين، وضعف القلب، واضطراب النفس وتذبذبها، فإنما صار أعظم الذنب له[3]؛ لأنه يعمل في حل العقدة، وسائر الذنوب يعمل في قضاء النهمة، والتلذذ بالشهوة، فتباين الأمران بوناً بعيداً، فأيد الله تعالى هذه الأمة بفضل اليقين، وذلك قوله تعالى: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾[آل عمران: ٧٣]، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[المائدة: ٥٤].

فمدح رسول الله ﷺ هذه الأمة بما أوتيت من الفضل، ونشر عن الله

= قال أبو عيسى: حديث سفيان عن منصور والأعمش أصح من حديث واصل؛ لأنه زاد في إسناده رجلاً.

وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٦٨)، والبزار في «المسند» (٥/ ٢٣٠)، والحميدي في «المسند» (١/ ٥٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٨) من طريق عبدالله، به.

(١) في الأصل: صورة، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن»: بضعف.

(٣) له: ليست في «ن».

ما آتاهم، فقال: «**الشِّركُ**[1] **أخفَى في أُمَّتِي مِن دَبِيبِ النَّملِ**».

فإنما خص ذكر الأمة يُعلمهم فضل الله عليهم، وليس على ما ذهب إليه المتوهمون: أن هذا الحديث تحذير يحذر الأمة في الشرك حتى يطلبوه؛ لأنه ذكر أنه يخفى عليهم، فيقال لقائل هذا التوهم: إنه خفي عليهم؛ لغمارتهم، وقلة يقينهم؛ لأنهم أضعف الأمم، وأقلهم حظاً، فقد وقعت بهذا التوهم أبعد موقع في المعنى، ونسبت الأمة إلى خلاف ما أنزلهم الله من نفسه.

وما بال هذه الأمة يخفى فيها الشرك، ولا يخفى في بني إسرائيل، ويقينُ هذه الأمة أوفر، وموصوفة في التوراة أنهم صفوة الرحمن، وفي الإنجيل حكماء علماء كأنهم من الفقه أنبياء، فيستحيل[2] بعد هذه الصفة في التوراة والإنجيل أن ينسب إليهم خفاء الشرك؛ لغمارتهم وقلة يقينهم؛ لأن غمر القلب يخفي الأشياء في الصدر، فلم يذكر[3] في الحديث أنه قال: الشِّرك أخفى في الآدميين، ولكنه قال: «**أخفى في أمتي**».

فلما رأينا خصوصية الأمة وفضلها عند الله تعالى، وقول رسول الله ﷺ: «**مَا أُعطِيَت أُمَّةٌ مِنَ اليَقِينِ مَا أُعطِيَت أُمَّتِي**»[4].

وقول الله تعالى: يا عيسى! إني باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون، حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون، صبروا واحتسبوا، ولا حلم

---

(١) في «ن»: والشرك.

(٢) في «ن»: فهذا يستحيل.

(٣) في «ن»: يجيب.

(٤) تقدم تخريجه في الأصل الثاني والأربعين والمئتين.

ولا علم، قال: يا رب! فكيف يكون هذا، ولا حلم ولا علم؟ قال[1]: أعطيهم من حلمي وعلمي.

فدلت هذه الأخبار أن هذا اليقين الذي نالوه من فضل الله ورحمته يذيب خواطر الشرك في قلوبهم وصدورهم، فيدِقُّ حتى لا يرى، فيخفى ويضعف حتى لا يؤثر كونه على القلب، كما لا تؤثر الذرة[2] على الصفا بدبيبها[3]، ولذلك ما ذكر الله تعالى في تنزيله شأن العبدين الصالحين: أحدهما: خليلُه؛ حيث رأى تلك الميتة طافيةً على الماء، فجاء طائر فنتف منها وطار، وأَطلع بعض الحيتان رأسه، فنتف منها، فحن قلب خليل الله إلى ملاحظة الأشياء التي منها تحدث الأشياء، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[البقرة: ٢٦٠]؛ فقد كان موقناً بأن الرب يحيي الموتى، ولكن أحب أن يرى كيفية الإحياء؛ ليطالع ما أبرز الله من قدرته على أعين القلوب بهذا البصر الذي في رأسه؛ فإن هذا البصر حظ النفس، وبصر القلب حظ القلب، فقال: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾[البقرة: ٢٦٠]؛ أي: لم يطمئن قلبك، وهو به أعلم، قال: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[البقرة: ٢٦٠].

فهذه طمأنينة أخرى، تلك طمأنينة الإيمان، وهذه طمأنينة من الحنين حنين القلب إلى رؤية[4] كيفية الإحياء، فأجابه الله إلى ما سأل إكراماً له؛ لأنه سأل هذه الحاجة عن الحنين حنينِ الحب[5]، لا عن الشك وضيق الصدر.

---

(١) من قوله: يا رب... إلى قوله: قال: ليس في «ن».
(٢) في الأصل: الذر، والمثبت من «ن».
(٣) في الأصل: دبيبها، والمثبت من «ن».
(٤) في الأصل: إذا رؤيت، والصواب من «ن».
(٥) في «ن»: القلب.

وأما العبد الآخر، فإنه مر على خربة[1]، فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ﴾[البقرة: ٢٥٩]، فهذا نوع غير ذلك النوع، هذا تحير وتعجب وتعظيم، هاج ذلك التعظيم من العجب[2] والحيرة، فوعظه الله بالموت، وأراه الإحياء في نفسه[3]، ولم يكن من العبد الصالح قوله[4]: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ٢٥٩] شكاً، ولكنه عجب، والإعجاب لا يكون إلا من الحيرة.

ألا ترى إلى قول سارة حيث قالت: ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا﴾[هود: ٧٢] بعدما بشرتها الملائكة وأيقنت، فقالت بعد البشرى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾[هود: ٧٢]، فأنكرت[5] الملائكة عليها، فقالوا[6]: ﴿أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[هود: ٧٣].

فهذه الخواطر كائنة في الصديقين، فإذا مرت ببالهم، كان ذلك منهم شركاً، وهو حجب الأسباب التي ذكرنا، ففزعوا إلى الله، فأعطاهم مفزعاً، ولاحظت عيونهم باب القدرة، وانكشف الغطاء عن باب القدرة بعيون قلوبهم، فلاحظوا المقتدر، ولاحظوا مجد الملك، فخفيت هذه الخواطر في صدورهم، فمدح رسول الله ﷺ أمته، ونشر عن الله ما أعطاهم، فقال: «**الشِّركُ أَخفَى في أُمَّتِي مِن دَبِيبِ النَّملِ**»؛ فإنما بشرهم بفضل الله عليهم، إلا

---

(١) في «ن»: قرية.

(٢) في «ن»: العجز.

(٣) في «ن»: ومن نفسه أراه الإحياء.

(٤) قوله: زيادة من «ن».

(٥) في «ن»: فأنزلت.

(٦) في «ن»: وقالت.

أنه حملهم على أن يطلبوا ما خفي عليهم، وكيف يطلبون ما يخفى كخفاء دبيب النمل[1] على الصفا؛ فإن دبيب النمل على الصفا لا يُؤثر، ولا يُدرك، فجرى بعقب[2] هذا القول أبا بكر ﷺ أن قل[3] يا أبا بكر: «**اللَّهمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ أنْ أُشرِكَ بِكَ وَأنَا أعلَمُ، وَأستَغفِرُكَ لِمَا لاَ أعلَمُ**».

(١٥١٢) ـ نا عبد الجبار، قال: نا سفيان، عن عبد الملك ابن عمير، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قَد كُنتُ أكرهُ لَكُم أنْ تَقولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، وَشاءَ محمدٌ، وَلكِن قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثمَّ مَا شَاءَ محمدٌ»[4].

فهذا القول وما أشبهه من صغار الشرك.

وأما كبار الشرك، فهو أن يعمل بطاعة الله يريد غير الله؛ رجاء اتخاذ المنزلة عنده، والارتفاق بما عنده، فهذا موحِّد قد غلب عليه الجهل، واستهواه عدوه حتى أضله، فإذا رجع إلى توحيده، علم أنه لا يملك أحد نفعاً ولا ضراً دون الله، ثم إذا تراءت له الأسباب[5]، تعلق القلب بها، فذلك من ضعف اليقين، وغاب عنه ذلك الذي عِلمه من علم التوحيد، والموحدون

---

(١) من قوله: فإنما... إلى قوله: دبيب النمل: ليس في «ن».

(٢) في «ن»: فحيث يعقب.

(٣) في «ن» زيادة: على أن قال قل كذا ولعل صواب العبارة: هذا القول لأبي بكر على أن قال: قل...

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) في الأصل: الأشياء، والمثبت من «ن».

إذا راءَوا بأعمالهم، فإنما[1] يقصدون بذلك اتخاذ المنزلة عند الخلق، لا أن يتعبدوا بها، وأما المشرك الذي قد أشرك بالله من دونه، فإنما يقصد بعبادته غيره[2].

(١٥١٣) ـ نا أبي، قال: نا مكي بن إبراهيم، قال: نا عبد الواحد بن زيد، عن عبادة بن نسي، قال: أتيت شداد ابن أوس في مصلاه وهو يبكي، فقلت: ما الذي أبكاك يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ يوماً، قلت: ما هو؟ قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ[3]، إذ رأيت يوماً بوجهه أمراً ساءني، فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله! ما الذي أرى بوجهك؟ قال: «**أَمراً أَتَخَوَّفُهُ**[4] **عَلَى أُمَّتِي مِن بَعدِي**»، قلت: وما هو؟ قال: «**الشِّركُ وَالشَّهوَةُ الخَفِيَّـةُ**»، قلت: يا رسول الله! وتشرك أمتك من بعدك؟ قال: «**يَا شَدَّادُ! أَمَا إِنَّهُم لاَ يَعبُدُونَ شَمساً**[5] **وَلاَ حَجَراً وَلاَ وَثَناً، وَلَكِنَّهُم**

(١) في «ن»: إنما.

(٢) في الأصل: لعبادته، وسقطت كلمة: غيره، والمثبت من «ن».

(٣) من قوله: قلت. . . إلى قوله: رسول الله ﷺ: ليس في «ن».

(٤) كذا في الأصول، وفي «المستدرك»: «أمرٌ أتخوفه»، وفي بعض المراجع الأخر «أمران أتخوفهما»، والله أعلم.

(٥) في «ن»: شمساً، ولا قمراً.

يُرَاؤُونَ بِأَعمَالِهِم»، قلت: يا رسول الله! والرياء شرك هو؟ قالَ: «نعَم»، قلت: فما الشهوة الخفية؟ قال: «أَن يُصبِحَ أَحَدُهُم صَائِماً، فَتَعرِضُ لَهُ شَهوَةٌ مِن[1] شَهَوَاتِ الدُّنيَا، فَيُفطِرُ»[2].

قال عبد الواحد: فلقيت الحسنَ، فقلت: يا أبا سعيد! أخبرني عن الرياء، أشرك هو؟ قال: نعم[3]، أما تقرأ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[الكهف: ١١٠].

قال أبو عبدالله:

فصاحب هذا يعمل عملاً يبتغي به ثواباً من عند الله، وثواباً من عبيده أن يعظموه في الدنيا، ويقضوا له الحوائج، وفي الآخرة يعظم، وتقضى له الحوائج، فهذا شركه[4]، ولم يشرك شركاً ينقص توحيده، فيرى لمن دون الله ملكاً في شيء، فصاحب هذا أقل ما يناله من الضرر: أن يرمى بعمله

---

(١) شهوة من: ليست في «ن».

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦٦)، من طريق مكي بن إبراهيم، به.
وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٦٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٢٨٤)، وفي «المعجم الأوسط» (٤/ ٢٨٤)، وفي «مسند الشاميين» (٣/ ٢٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٣٣) من طريق عبد الواحد بن زيد، به. قلت: وعبد الواحد متروك كما في «اللسان» (٤/ ٨٠) إلا أن الحاكم قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٣) نعم: زيادة من «ن».

(٤) في الأصل: فهذا شرك هو، والمثبت من «ن».

وجهه، ويستحيي من الله غداً، وهذا من فتنة النفس.

وروي عن رسول الله ﷺ: أنه خرج ذات يوم إلى أصحابه وهم يتناجَون، قال: «مَا هَذِهِ النَّجوَى؟»، قالوا: يا رسول الله! كنا نتحدث عن فتنة المسيح الدجال، فقال: «**أَلاَ أُخبِرُكُمْ بِأَعظَمَ فِتنَةً مِنَ الدَّجَّالِ؟ رَجُلٌ يَعمَلُ لِمَكَانِ رَجُلٍ**»[1].

❐ ❐ ❐

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٣٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقد تقدم تخريجه عند المصنف برقم: (٨٩٤).



الأصل الخامس والسبعون والمئتان

(١٥١٤) ـ نا عيسى بن أحمد العسقلاني، قال: نا بشر ابن بكر التنيسي، قال: نا سعيد، عن أبي الزاهرية، عن كثير بن مرة، عن عبدالله بن عمر[١]: أن رسول الله ﷺ قال: **«السُّلطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي الأَرضِ، يَأوِي إِلَيهِ كُلُّ مَظلُومٍ مِن عِبَادِهِ، فَإِذَا عَدَلَ، كَانَ لَهُ الأَجرُ، وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الشُّكرُ، وَإِذَا جَارَ، كَانَ عَلَيهِ الإِثمُ[٢]، وَعَلَى الرَّعِيَّةِ الصَّبرُ، فَإِذَا جَارَ[٣] الوُلاَةُ، قَحطَتِ السَّمَاءُ، وَإِذَا مُنِعَتِ الزَّكَاةُ، هَلَكَتِ المَوَاشِي، وَإِذَا ظَهَرَ الزِّنَا، ظَهَرَ الفَقرُ وَالمَسكَنَةُ، وَإِذَا أُخفِرَت أَهلَ الذِّمَّةِ، أُدِيلَ الكُفَّارُ»**[٤].

(١) في الأصل، و«ن»: عمرو، والصواب ما أثبتناه.

(٢) في «ن»: الإصر.

(٣) في «ن»: جارت.

(٤) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٢٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» =

قال أبو عبدالله رحمه الله:

إن الله تعالى أغاث عباده في أرضه بأربع:

١ـ **بالقرآن**: وهو كلامه، وعليه طلاوة كي يهتدوا، ويسلكوا طريقهم إلى الله تعالى في مدة أعمارهم، فإنه دعاهم فأجابوه، ولكل دعوة إجابة، ولكل إجابة سلوك وسير وقطع مسافة.

٢ـ **والسلطان**: وعليه ظله؛ كي يتمانعوا[١] بما في أيديهم من المهجة والمال والأهل والولد.

٣ـ **والمؤمن**: وفيه نوره كي يهتدوا[٢] إلى خالقه، فيوحدوه، ويعبدوه[٣].

٤ـ **والكعبة**: وعليها بهاؤه ورحمته[٤]؛ كي يتطهروا بالرحمة التي فيها إذا طافوا بها، وكي يتهيئوا بذلك، فيقدموا على الله ببهائها[٥].

= (٦/ ١٥) من طريق بشر بن بكر، به.

وأخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٣٦١)، وتمام في «الفوائد» (١/ ٢١٣) من طريق سعيد، به.

وضعفه البيهقي بسعيد بن سنان.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٩٦): رواه البزار، وفيه سعيد بن سنان أبو مهدي، وهو متروك.

(١) في الأصل: يتمانعون، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: نور كي يهتدي، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: فيوحده ويعبده، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: وفيها رحمته.

(٥) في الأصل: فيقدم على الله ببهائه، والمثبت من «ن».

فهؤلاء الأربع غياث العباد، وإليهم المفزع، فإذا قصدوا الله، جعلوا نوره مرآة قلوبهم، فينظرون فيها إلى عجائب ما أبرز من ملكه من لدن عرشه إلى الثرى، وإلى عجائب تدبيره فيهم، وإلى قدرته عليهم، فأداهم ذلك النظر بقوة ذلك النور إلى عظمته، وجلاله ونفاذ قدرته، وإلى جوده وكرمه، ولطفه وعطفه عليهم، وبره بهم، وعظيم مننه، فامتلأت صدورهم به علماً، وامتلأت قلوبهم به غِنًى، وقويت أركانهم للقيام بأموره، وانقادت نفوسهم ذلة وخشعة وخضعة، واستسلمت لله، ونظرت[1] عيون الأفئدة منهم إلى تدبيره وحكمه.

وإذا قصـدوا القرآن، جعلوا بسم الله الرحمن الرحيم علَماً لعسكر القرآن، فإن القرآن بمنزلة جند وعسكر، فيه ألوان الأسلحة، وآلة الحرب والعدة، فبه تحارب الهوى والنفس والعدو، وتبطل مكائدهم، وتقلبهم عن[2] طريقك إلى الله، فإنهم قعدوا على طريقك؛ ليصدوك عن السير إلى الله، وقد دعاك الله فأجبته، والعدو يتلظى غيظاً وحسداً من دعوته إياك، وإجابتك إياه؛ فإنه دعاك إلى المغفرة وإلى دار السلام، وأنزل عليك بذلك وحياً، فالعدو لا ينام ولا يُنيم، يريد أن يعدلك[3] عنه، حتى يسوقك إلى سجنه، والهوى من جنوده[4]، فهو على المقدمة، والعدو من ورائه، والنفس طياشة

---

(١) في الأصل: وبقيت، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن»: على.

(٣) في الأصل: تعدل، والمثبت من «ن».

(٤) في الأصل: معبوده، والمثبت من «ن».

خفيفة بلهاء، تفتتن[1] بكلمة مدخولة واهية.

فالقرآن عسكر المؤمن، وجند الله الأعظم، قواك به ربك، فيه ذكر الربوبية، وبها يبطل كيد العدو، وفيه ذكر الوعد، وبه تنخدع النفس، وتتلمظ بشفتيه على موعود الله، وفيه ذكر الوعيد، وبه تذل النفس وتنقمع، وفيه ذكر أنباء القرون، وبه تعتبر، وتتصور له عواقب الأمور، وفيه ذكر منن الله تعالى وإحسانه، ولطائفه لعبيده، وبره إياهم، فبه يسير القلب[2]، ويرمي بما في يده صغارة له وحقارة، فالقرآن عسكر جرار يقطع به بلاد العدو، حتى تصل إلى دار الله بلاد الموحدين، وهي المأمن والقرار[3]، قال الله تعالى في تنزيله: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[طه: ١٢٣].

فأجار الله تابعَ القرآن من الضلالة له عن السلوك إلى دار المأمن، وأجاره من الشقاء، والشقاء فراق العبد من الله، والسعادة اندساسه إليه، وبسم الله الرحمن الرحيم قسم من ربنا أنزله عند رأس كل سورة يقسم لعباده: إن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق، وإني أوفي[4] لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري، ثم خص الشيء الذي به عظمت فتنة العباد، وهو الرزق، فخصه بقَسَم آخر، فقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[الذاريات: ٢٣].

فإنما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم في كتابنا، وعلى هذه الأمة خصوصاً.

---

(١) في الأصل: تغتر، والمثبت من «ن».

(٢) في الأصل: تستحي القلوب، والمثبت من «ن».

(٣) والقرار: زيادة من «ن».

(٤) في «ن»: أفي.

وإذا قصدوا الكعبة، لاذوا[1] به حباً منه، وطافوا به تطلعاً وتلطفاً[2] واستدراراً وانتجاعاً، وجددوا بيعة الإسلام الذي دنسوه وأخلقوه باستلام الحجر الذي فيه بيعتهم يوم[3] استخرجهم من الأصلاب للميثاق، فاستأنفوا بهذا الاستلام عبودة الإسلام.

وإذا قصدوا السلطان، ارتبعوا في ظله، وسكنت نفوسهم في المستراح من ذلك الظل؛ فإن الظلم[4] له وهج، وحرارة تحرق الأجواف، وتظمئ الأكباد، فإذا رأت الغنم الظل، أحست بالماء الرواء، وبروح الظل، اندفعت في السير، وصيرته مفزعاً، فإذا صارت إلى الظل مع الظمأ والعطش الشديد، ولم تجد الماء، فبقيت على اليبس، ووجدت الذئاب قد سبقن إلى الظل، قد قعدت بمرصد للغنم، فما ظن العاقل بتلك[5] الغنم ماذا يكون حالها؟ وما ظنه برب[6] الغنم ماذا يقول للراعي؟ وعسى أن يقول: ألم يكن معك أسلحة[7] وحراس تطرد الذئاب عن هذا المستراح؟ وكيف سددت مجرى العيون، حتى عطشت الغنم؟.

فإذا جار، فعلى الرعية الصبر، وعليه الإصر، وإذا عدل، فله الأجر، وعلى الرعية الشكر.

---

(١) لاذوا: زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: وطافوا به تطفلاً.

(٣) في الأصل: ثم، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: الظل، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: بذلك، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: ظن رب، والصواب من «ن».

(٧) في «ن»: ألم أعطك أسلحة.

وأما قوله: «وَإِذَا جَارَتِ الوُلاَةُ، قَحَطَتِ السَّمَاءُ» معناه: انقطع[1] المطر من ماء الحيوان الذي ينزل من تحت العرش من بحر الأرزاق إلى السماء من الأبزن[2] إلى السحاب، والأبزن هو: مستنقع الماء في السماء، فإذا أصاب السماء القحط، انقطع عن الأرض القطر[3]، فإذا انقطع القطر، ماتت الأرض، فلم تنبت؛ لأن الأرض إنما تنبت بحياتها، وحياتُها من ماء الحيوان، فإذا انقطعت الحياة عن الأرض، عجزت عن الإنبات؛ لأن الإنبات[4] بحركة الحياة، فإذا جارت الولاة، ذهب العدل عن الأرض، وإذا ذهب العدل، منعت الحياة ماء الحيوان عن أن يقطر، فالوالي فاصل بين الحق والباطل، فإذا ذهب الفاصل، تقطعت الرحمة.

وأما قوله: «إِذَا مُنِعَتِ الزَّكَاةُ، هَلَكَتِ المَوَاشِي»؛ فإن الزكاة نمو المواشي، والمال والنمو من البركة، فإذا منعت[5] الزكاة، بقي المال مع الدنس دنسِ العلائق، ولا بقاء للبركة مع الدنس، فإذا ارتحلت البركة عن شيء، هلك ذلك الشيء؛ لأن النسل ينقطع.

وأما قوله: «وَإِذَا ظَهَرَ الزِّنَا، ظَهَرَ الفَقرُ»، فمن أجل أن الغنى من فضل الله، والفضل لأهل الفرح بالله تعالى وبعطائه، والمناكحة بمحاب الله، وبأمره وحبه يلتقي الزوجان على أفراح بالله، فوعدهم بذلك في تنزيله الغنى

---

(١) في «ن»: انقطاع.

(٢) في «ن» زيادة: في الأبزن ثم من الأبزن.

(٣) في الأصل: انقطع المطر عن الأرض، والمثبت من «ن».

(٤) لأن الإنبات: ليست في الأصل، زدناها من «ن».

(٥) في «ن»: فإذا لم تؤد.

من فضله، فقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾[النور: ٣٢]، ثم بيـن من أين يغنيهم، فقال: ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾، والفضل قبل القسمة.

ولذلك قال عمر ﷺ: ما وجدنا طلب الغنى في مثل الباءة، وتلا هذه الآية[١].

فإذا زنى، فقد آثر الفرح الذي هـو من قبل العـدو، والمستقر للآدمي السابي لقلبه عن[٢] الفرح الذي ندب الله إليـه عبـاده، فقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾[يونس: ٥٨] الآية.

فإذا آثر الفرح الذي بيد العدو، على الفرح بفضل الله، ذهب الفضل والغنى[٣]؛ لأنه قد جاوره من يدنسه.

وأما قوله: «**إِذَا أُخفِرَتِ الذِّمَّةُ، أُدِيلَ الكُفَّارُ**»؛ لأن المؤمن عاهد الله بالوفاء بذمته، فإذا أخفر، نقض العهد، ووهن عقد[٤] المعرفة؛ لأن المعرفة مقرونة بالعهد، معقودة به، فبنقض العهد يخاف انحلال العقد، فمن قبل الانحلال يذهب هيبة الإسلام، ويقذف الوهن في قلبه.

(١٥١٥) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا محمد بن

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٦/ ١٧٠).

(٢) في الأصل: على، والمثبت من «ن».

(٣) في «ن»: بالغنى.

(٤) في «ن»: نقض العهد، فإذا نقض العهد، وهن عند.

وهب الواسطي، عن الوليد بن مسلم[1]، قال: نا ثوبان[2]، عن [أبي] عبد السلام، عن ثوبان مولى النبي ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لَتَتَدَاعَنَّ[3] عَلَيكُمُ الأُمَمُ كَمَا تتَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلى قَصعَتِهَا**»، قلت: يا رسول الله! ومن قلة بنا يومئذ؟ قال: «**لاَ، بَل أَنتُم كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُم غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيلِ، وَلَيَنزِعَنَّ اللهُ المَهَابَةَ مِن صُدُورِ عَدُوِّكُم، وَلَيقذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الوَهنَ**»، قلت: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: «**حُبُّ الدُّنيَا، وَكَرَاهَةُ المَوتِ**»[4].

غثاء: أي يأتي عليكم الأمم؛ يعني: الكفار من الخزر والترك كما يأتي الجائع إلى القصعة فيها الطعام[5].

---

(١) الوليد بن مسلم: ساقط من الأصل، زدته من «ن».

(٢) لم يتبين لي من ثوبان، ولعل الصواب إسقاطه. والله تعالى أعلم.

(٣) في الأصل: لتداعن، والصواب من «ن».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، وابن المبارك في «الزهد» (ص: ١٣٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١/ ٣٤٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٣٣٠) من طريق ابن جابر عن أبي عبد السلام، به.
وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٨)، والطيالسي في «المسند» (ص: ١٣٣)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (ص: ٢١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٠٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٩٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٨٢) من طريق ثوبان رضي الله عنه، به.

(٥) من قوله: غثاء... إلى قوله: الطعام: ليس في «ن».



الأصل السادس والسبعون والمئتان

(١٥١٦) ـ نا علي بن حجر السعدي، قال: نا خلف ابن خليفة الواسطي، عن حميد الأعرج، عن عبدالله بن الحارث، عن ابن مسعود، قال: كان رسول الله ﷺ إذا سجد، قال: «سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي، وَآمَنَ بِكَ فُؤَادِي، أَبُوءُ بِنِعمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنبِي، هَذَا مَا جَنَيتُ عَلَى نَفسِي، فَاغفِر لي؛ إِنَّهُ لاَ يَغفِرُ الذَّنبَ العَظِيمَ إِلاَّ أَنتَ»[١].

---

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٢٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧١٦) من طريق خلف بن خليفة، به.

وقال ابن عدي في ترجمة حميد بعد أن سرد عدة أحاديث: وهذه الأحاديث عن عبدالله بن الحارث عن ابن مسعود أحاديث ليست بمستقيمة، ولا يتابع عليها، وهو الذي يحدث به عن عبدالله بن الحارث.

وأخرجه البزار في «المسند» (٥/ ٤٠٣) من طريق حميد الأعرج عن ابن مسعود، به. فأسقط منه عبدالله بن الحارث.

وقال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عبدالله إلا من هذا الوجه، وقد روي =

(١٥١٧) ـ نا مؤمل بن هشام اليشكري، قال: نا إسماعيل بن إبراهيم، عن خالد الحذاء، عن أبي العالية، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في سجود القرآن بالليل مراراً: «سَجَدَ وَجهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَولِهِ وَقُوَّتِهِ»[1].

(١٥١٨) ـ وحدثني محمد بن محمد بن الحسين[2]، قال: نا الحجاج بن نصير، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن نصر بن حَزْن النصري، وكان قد رأى أصحابَ رسول الله ﷺ،

= نحو من هذا الكلام بغير هذا اللفظ من غير عبدالله.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٢٨): رواه البزار، ورجاله ثقات.

(١) أخرجه أبو داود (١٤١٤)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٢١٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٣٢٥) من طريق إسماعيل بن إبراهيم به، إلا أنه عندهم: عن إسماعيل عن خالد عن رجل، عن أبي العالية، به.

وأخرجه الترمذي (٥٨٠)، والنسائي (٢/ ٢٢٢)، وفي «السنن الكبرى» (٧١٤)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١/ ٣٨٠)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (٣/ ٩٦٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٩)، والدارقطني في «السنن» (١/ ٤٠٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٤٢) من طريق خالد الحذاء، به.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٢) في «ن»: حسين.

عن رسول الله ﷺ[1]: أنه كان إذا قرأ سجد سجدة، وقرأ في سجوده: «اللَّهمَّ إنَّا نَستَعينُكَ وَنستَغفرُكَ»، وكان يسجد في حمٓ [2].

(١٥١٩) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا سعيد بن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن القاسم ابن محمد، عن ابن عمر، قال: كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده: «اللَّهُمَّ اغفِر لي ذَنبِي كُلَّهُ، دَقِيقَهُ وَجَلِيلَهُ، أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، سِرَّهُ وَعَلاَنِيَتَهُ»[3].

---

(١) عن رسول الله ﷺ: ساقطة من الأصل، زدناها من «ن».
قلت: لعل الصواب إسقاط لفظ «أصحاب» كما سيأتي النقل عن «تهذيب التهذيب».

(٢) نصر بن حزن هو: عبدة بن حزن، ويقال: عبيدة، ويقال: نصر، وهو مختلف في صحبته.
انظر: «الإصابة» (٤/ ٣٨٩)، ففيها: أخرجه البخاري في «التاريخ»، وقال في روايته عن عبدة بن حزن ـ وقال شريك: وكانت له صحبة ـ: أن النبي ﷺ سجد في الآية الأولى من سورة حمٓ.
والحديث في ترجمته في «التاريخ الكبير» (٦/ ١١٢) من طريق أبي إسحاق، به.
وجاء في «تهذيب التهذيب» (٦/ ٤٠٤): في «نوادر الأصول» للحكيم من طريق حجاج بن نصير عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن نصر بن حزن، وكان قد رأى رسول الله ﷺ، فذكر الحديث.

(٣) لم أجده عن ابن عمر فيما بين يدي من مراجع. =

(١٥٢٠) ـ نا إسماعيل بن نصر، قال: نا شبابة، قال: نا هشام بن الغاز، عن سليمان[١] بن موسى، ويزيد بن جابر[٢]، كلاهما عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في سجوده: «أَعُوذُ بِعَفوِكَ مِن عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنكَ، جَلَّ وَجهُكَ، لاَ أُحصِي ثَنَاءً عَلَيكَ أَنتَ كَمَا أَثنَيتَ عَلَى نَفسِكَ يَا عَظِيمُ»، فقلت: يا رسول الله! لقد سمعتك تقول في سجودك شيئاً ما سمعتك تذكره؟ قال: «وَقَد عَلِمتَ ذَلِكَ؟»، قلت: نعم، قال: «تَعَلَّمِيهِنَّ، وَعَلِّمِيهِنَّ؛ فَإِنَّ جِبرِيلَ عليه السلام أَمَرَنِي أَن أُكَرِّرَهُنَّ فِي السُّجُودِ»[٣].

= في سنده شيخ المصنف ضعيف، وكذلك ابن لهيعة.

وأخرج نحوه مسلم (٤٨٣)، وأبو داود (٨٧٨)، وابن خزيمة في «الصحيح» (١/ ٣٣٥)، وابن حبان في «الصحيح» (١٩٣١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(١) في الأصل: سليم، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: زيد بن حارثة.

(٣) سليمان بن موسى ويزيد بن جابر كلاهما عن عائشة: منقطع.

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٨٣) من طريق عائشة ـ رضي الله عنها ـ، وضعَّف إسناده. =

(١٥٢١) ـ نا عبد الكريم، قال: نا علي[١]، قال: نا[٢] عبدالله بن المبارك، قال: نا يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن عائشة، عن رسول الله، بنحوه[٣].

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ:

فهذا ما جاءنا عن رسول الله، ولا نعلم أنه وقَّتَ شيئاً في ذلك، فهذه الأشياء التي ذكرها[٤] كلمات ضرع وملق يريد أن يخرج بها إلى ربه من الأحداث، فكان ينطق بما يتراءى له في وقته، وبذلك يناجي ربه، ثم لمن بعده من الصحابة والتابعين مقالات في سجداتهم على حسب ما يتراءى لكل واحد منهم في درجته ومقامه من ربه.

= وأخرج مسلم (٤٨٦)، وأبو داود (٨٧٩)، والنسائي (١/ ١٠٢)، وابن ماجه (٣٨٤١)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٥٨) عن عائشة، بلفظ: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش، فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

(١) قال: نا علي: ليست في «ن».

(٢) في «ن»: أنبأنا.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٩٣)، ومالك في «الموطأ» (١/ ٢١٤)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ١٥٧)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (٢/ ٥٨٠) من طريق يحيى، به.

(٤) في الأصل: ذكرنا، والصواب من «ن».

(١٥٢٢) ـ نا قتيبة بن سعيد، وإسماعيل بن نصر[1]، قالا: نا محمد بن خنيس[2] المكي، قال: نا حسن بن محمد ابن أبي يزيد، قال: قال لي ابن جريج: يا حسن! حدثني جدك عبيدالله بن أبي يزيد[3]: أنه سمع ابن عباس يقول: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! رأيتني هذه الليلة فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة، ورأيت كأني قرأت السجدة، فسجدت، فرأيت الشجرة كأنها سجدت لسجودي، فسمعتها وهي تقول: **«اللَّهمَّ اكتُب لي بهَا عِندكَ أَجراً، وَضَعْ عَنِّي وِزراً، وَاجعَلهَا لي عِندكَ ذُخراً، وَاقبَلهَا مِنِّي كَما قَبلتَ مِن عَبدِكَ داودَ»**.

قال ابن جريح: قال لي جدك: قال لي ابن عباس: فقرأ رسول الله السجدة، فسجد، فسمعته يقول كما قال الرجل عن قول الشجرة[4].

---

(١) في «ن»: نصير.

(٢) في الأصل: الحسن، والصواب من «ن».

(٣) جاء في «ن» في هذا الموضع والذي قبله: ابن أبي زيد.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٢٤)، والبغوي في «التفسير» (٤/ ٥٩) من طريق قتيبة، به.
وأخرجه ابن خزيمة في «الصحيح» (١/ ٢٨٢)، وابن حبان في «الصحيح» (٢٧٦٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٤٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ١٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٤١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٣٢٠) من طريق محمد بن خنيس، به. =

وزاد عبد الوهاب[1]، عن أبان بن أبي عياش[2]، عن بكر بن عبدالله المزني، عن أبي موسى الأشعري: أنه غدا على رسول الله ﷺ، فقال: إني رأيت الليلة في المنام كأني تحت شجرة أكتب سورة ﴿صٓ﴾، فلما أتيت على السجدة، بدر القلم من يدي، فسجد، وسجدت الشجرة، وسجدت الصحيفة، وسجدت الدواة، فسمعت كل واحدة منهن[3] تقول: اللهم اغفر لي ذنبي، وحط بها وزراً، وأحدث بها شكراً، فلما رأيت ذلك، سجدت، فقال رسول الله: **«صَدقتَ، وصَدَقَتْ رُؤياكَ، تَوبَةُ نَبِيٍّ تَرَقَّبَ بِهَا[4] مَغفِرَةً، وَاسجُد تَـتَرَقَّب عِندَهَا مَا تَرَقَّبَ»**[5].

قال أبو عبدالله:

فقد كثرت مقالات التابعين فمن دونهم في سجداتهم، ثم لم يـزل لأهل الترائي في مذاهبهم كلام هناك ونجوى، فأما ما تراءى لنا في كـل سـجدة من سـجود القرآن، فهو ما ذكرنـا هاهنا مجاوبات الآيـة التي فيها السجدة:

= قال الحاكم: هذا حديث صحيح، رواته مكيون، لم يُذكر واحد منهم بجرح، وهو من شرط الصحيح، ولم يخرجاه.

(١) في «ن»: عبد الوارث.

(٢) ابن أبي عياش: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: واحد منهم، والمثبت من «ن».

(٤) في «ن»: عندها.

(٥) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٣٦٢) من حديث سعيد بن أبي بردة عن أبيه، عن أبي موسى ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

سجدة سورة الأعراف: طابت لهم منازل القربة عندك، فتطهروا عن الاستكبار، وأذعنوا لك خضوعاً بما عاينوا من عظيم كبريائك، وعز[2] جبروتك في الملكوت، فتلقوا عظمتك بالتسبيح، واستكانوا بالسجود لك خشوعاً، هؤلاء بديع كلمتك، ونحن ولد بديع فطرتك، وصنيع يدك، وأمة حبيبك، الممدوحون في التوراة، والموصوفون في الإنجيل بما منحتنا من مننك وفضلك، وأهديت إلى المخبتين منا هداياك وكراماتك رأفة وتحنناً، سجدنا لك بحظنا[3] من رأفتك ورحمتك، وألقينا بأيدينا سلماً نرجو مددك ومشيئتك ومعروفك، يا معروفاً بالعطايا[4] الجزيلة، ومحموداً على صنائعك الجميلة.

سجدة سورة الرعد: سجدت لك الأحباب طوعاً، والأعداء كرهاً، سجد لك شخص الأحباب، وظلال الأعداء، أدركت رحمتك شخص الأحباب، وظلال الأعداء أدركت رحمتك شخص الأحباب[5]، فنالت السجود، وانزوت عن الأعداء فحرمت، فسجد لك ظلالهم[6] بالغدو والآصال، تميل مع ميل الأظلة والأفياء، طهَّرتَ تلك الأجرام والأشباح

---

(١) بسم الله الرحمن الرحيم: ليست في الأصل، وزدتها من «ن».

(٢) في الأصل: وعزيز، والمثبت من «ن».

(٣) بحظنا: زيادة من «ن».

(٤) في الأصل: يا معروف العطايا، والصواب من «ن».

(٥) من قوله: وظلال الأعداء. . . إلى قوله: الأحباب: ليس في «ن».

(٦) في الأصل: ظلالها، والمثبت من «ن».

بطهارة قلوبهم بنور التوحيد، وأَهَّلتهم للسجود لك، ونزَّهت سجدتك عن تلك الأجرام النجسة التي نجست برجاسة الشرك، وتمكنِ العدو منها[1]، فلك الحمد ما اصطنعت إلي، وإليك الرغبة، فألهمني[2] في دوامها عليَّ، فكما جعلتني أسجد لك سجود الأحباب طوعاً وسلماً، فاجعلني في جميع منقلبي في محياي لك كذلك طوعاً وسلماً.

سجدة سورة النحل: لك سجدت الملائكة، وخافوك من فوقهم، وفعلوا ما أمرتهم، ذلك بأنك عريتهم من الشهوات، وطهرتهم من الآفات، ومكنت لهم الزلفات، فخافوك من فوقهم، وفعلوا ما أمرتهم، ولم يسبقوك بقول، وهم من خشيتك مشفقون، فهم عبادك المكرمون، ونحن عبيدك المرحومون المحبوبون، بالرأفة ابتدأتنا، ومن باب الرحمة أخرجتنا، ومن ضعفٍ خلقتنا، وبالشهوات ابتليتنا، وللآفات عرضتنا، وبالوعد والوعيد في الوحي أدَّبتنا، وبجودك ومننك هديتنا، وبعظيم حظنا منك وسَّعت علينا، وأشرعت إليك السبيل لنا، وجعلت منا أولياء وأحباباً بمنازل القربة لديك، فخوفنا لك مع الشهوات، وأفعالنا مع الوساوس[3] والخطرات والآفات، فارحمنا؛ فإنك أعلمتنا: أنك معنا في العون والنصر والتأييد، يا خير من أشفق علينا ورحمنا.

سجدة سورة بني إسرائيل: لك خَرَّت العلماء سُجَّداً، وحق لهم ذلك بأنهم شاهدوا بقلوبهم عرصة التوحيـد، وعاينوا بنور علم القربـة ما هيـأت

---

(١) وتمكن العدو منها: ليست في «ن».

(٢) في «ن»: يا إلهي.

(٣) في «ن»: الوسواس.

لأحبابك هناك في مراتبهم من البر والوداد، فخروا لأذقانهم سجداً مع البكاء والعويل، وسبحوا لربوبيتك، وأيقنوا بوعدك عند تلاوة وحيك، وزادهم بكاؤهم لك خشوعاً، فخشعت لك جوارحهم؛ لأن الخشعة ميراث بكاء الخشية، ذلك بأنك جعلت للباكي من خشيتك من عاجل الثواب أن تملأ جوارحه في الدنيا نوراً، وفي الآخرة ضحكاً، فيا حنان! تحنن علينا بعطفك، وزدنا علماً يقربنا إليك، واجعلنا من الشاكرين لك، وتقبلها منا كما تقبلت من الذين أوتوا العلم من قبلنا.

سجدة سورة مريم: يا خير المنعمين! أنعمت على النبيين والمهديين والمجتبين بالنبوة والهداية والحنانة، فبك وصلوا إلى محبوبك من الأعمال، وخروا لتلاوة آيات الرحمن لك سجداً وبُكِياً، تلك خشعة الأحباب، وأهل الوداد سجدوا مع البكاء شوقاً إليك، وقلقاً بطول الحبس عنك في سجون الدنيا، يا ودود! فليس من لقيك في السجن عبداً قِناً، كمن لقيك في دارك دار السلام حراً ملكاً محبوراً مسروراً، يراك جهراً، قد كشفت[1] الغطاء، وتجليت لأهل الوداد عن حجب الكبرياء والجلال، فأنبأتنا عن أحوالهم وأخبارهم وحياً وتنزيلاً، يجدون على[2] ذلك من فعلهم هذا سجودهم قد علمته، فليت شعري من أين بكاؤهم؟ وما الذي أبكاهم؟ وأين أُصول ذلك المنبع، وهم أهل صفوتك، ونجباء عبيدك؟ إلهي! فسهل لنا السبيل إلى ذلك من فعلهم ظهراً وبطناً، ووفر حظنا من ذلك برحمتك علينا.

سجدة سورة الحج: سجد لك الخلق والخليقة، علواً وسفلاً، وبراً

---

(١) في الأصل: كشف، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن»: عن.

وبحراً، والحجر والمدر، والدواب والشجر، وكثير من الآدميين، وكثير حق عليه العذاب، ثم قلت: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾[الحج: ١٨]، فلك الحمد إذ أكرمتنا بالسجود لك، ولم تجعلنا ممن أهنته فما له من مكرم، ثم قلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[الحج: ١٨]، فلك الحمد على ما بدا من مشيئتك فينا، وعلى الرحمة التي جرت لنا بمشيئتك فينا، وبإكرامك إيانا، إلهي! فلا تُهِنَّا بعدما أكرمتنا على تفريطنا وقلة شكرنا، ووفائك(١) وجفوتنا، ولا تسلبنا خير ما أوليتنا، يا عظيم الرجاء، يا حسن البلاء، يا كثير النعماء، يا جزيل العطاء، يا جليل الثناء.

سجدة سورة الحج الثانية: بك آمنا، ولك ركعنا، ولوجهك الكريم الدائم الباقي سجدنا، وإياك عبدنا، وإليك أنبنا، ربنا! وفعل(٢) الخير قصدنا، والفلاح رجونا وأملنا، والنجاح لديك طلبنا، فأعنا ولا تقطع مددك وعنايتك(٣) عنا، وخذ إليك بنواصينا، واجعل فيما لديك رغبتنا، نوّر قلوبنا، واشرح لنا صدورنا، وحسِّن أخلاقنا، واختم لنا بأحسن ما ختمتَ لعبادك الصالحين من أهل ملتنا، آمين.

سجدة سورة الفرقان: للرحمن سجدنا، وإياه وحَّدنا، وما عنده أَمَّلنا، وبما أمرنا من السجود ائتمرنا، فالرحمن مولانا، والرحمن خالقنا ومليكنا، والرحمن هادينا وناصرنا، والرحمن منَّ علينا باسمه الرحمن، ووفر منه حظنا، وبالرحمة العظمى نلنا من الرحمن حظنا، فالله ولينا ومولانا،

---

(١) في الأصل، و«ن»: ووفائنا، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: فأفعال، والمثبت من «ن».

(٣) في الأصل: وغيائك، والمثبت من «ن».

والرحمن أحيانا، والرحيم أعاشنا[1]، والقيوم آوانا، فيا أكرم مأمول، ويا خير معبود، ويا أحسن خالق، ويا أكرم مالك! تمم علينا معروفك وما ابتدأت من الإحسان، وتولَّ منا ما توليت من أهل رأفتك ورحمتك، وتعطَّف علينا بجودك وكرمك، تباركَ اسمُك الرحمن ذو الجلال والإكرام، علمت القرآن، وخلقت الإنسان، وعلمته البيان، فلك الحمد والآلاء والنعماء، يا ذا الملك والملكوت، يا عزيز الجبروت، إليك الرغبوت، ومنك الرهبوت، هديتنا لاسمك الرحمن، ووفرت منه حظنا، فأحييت به قلوبنا، ونورت به أفئدتنا.

فالفرح الدائم لمن وصل اليوم إلى الرحمن قلباً، والسرور والبهجة وقرة العين لمن وصل إليه غداً بريّاً، فيامن[2] غمرْتَني رحمتك[3] العظمى، فزادني اسمك سروراً ما زاد أعداءك نفوراً، وإنما نفرهم عن اسمك الرحمن حرمانُ حظهم من الرحمن، فلم تنلهم رحمتك، فجهلوا اسمك، ونفروا من ذكره، وهو الاسم الذي به حييت القلوب، وتمكنوا به في دارك دار السلام.

سجدة سورة النمل: سجدتُ لمن يخرج الخبء في السموات والأرض، عالم الخفيات، محصل ما في الصدور، ومبلي السرائر، لم يخف عليه حركات جوارحنا، ومكنون ضمائرنا، وخواطر قلوبنا، وهمم نفوسنا، ونوازع الأهجاس منا، سجدتُ لله الذي لا إله إلا هو ربُّ العرش العظيم، يا من على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، جعلت العرش العظيم منظراً، ولقلوب الأحباب عند ظمأ الشوق موئلاً، وفي النوائب والشدائد

---

(١) في «ن»: والرحمن أغنانا.

(٢) فيامن: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

(٣) في «ن»: غمرْتَني برحمتك.

مفزعاً، يا ذا الأمثال العلا، والأسماء الحسنى، فأنت رب العرش العظيم، وكيف لا يعظم وهو مقامك للربوبية، يا حي يا قيوم، فمن دونه إلى ما تحت الثرى في جوف العرش العظيم، علوت العرش واستويت عليه، وأنت عالى على العرش[1]، يا شاهد كل نجوى، ومن حبل الوريد إلينا أقرب وأدنى، هب لنا ما أحصيته علينا مما أسرفنا[2] على أنفسنا، وتفضل علينا بعفوك يا ذا الجود والأفضال، آمين.

سجدة الٓمٓ تنزيل: آمنا بآياتك، وخررنا لك سجداً، فسبحانك اللهم وبحمدك، تعاليتَ ولك الكبرياء في السموات والأرض، فأنت العزيز الحكيم، نبرأ إليك من أن نتكبر على عظمتك، ونعوذ بك من أن ننازع أمرك، أو أن نسبقك بقول، أو نخالف عن أمرك، أو نلجأ إلى أحد سواك، أو نركن إلى مخلوق، أو أن نعلق قلوبنا بمن دونك، لجلالك خضعت رقبتي، ولكبريائك ذلت نفسي، ولوجهك الكريم الباقي الدائم وضعت وجهي، ولجاهك أرغمت أنفي، ولعظمتك خرت قامتي ساجدة، ولربوبيتك أسلم شخصي عبودة ورِقّاً، فاجعل مولاي حركاتي ومنقلبي وهممي لك خالصاً، وعلى حقوقك عطوفاً، وبالعبودة لك قائماً قانتاً، وبقلبي إليك هائماً، لا أؤثر على حبك أحداً، ولا على أمرك أمراً.

سجدة سورة صٓ: لك خررتُ راكعاً وساجداً، مفتوناً وغير مفتون، مستغفراً تائباً منيباً، وأنت الذي مننتَ على عبدك داود في وقت حلول الفتنة بأن جعلت له السبيل إلى التوبة والاستغفار، حتى خر راكعاً وأناب، فغفرت

---

(١) في الأصل: العلى، والمثبت من «ن».

(٢) في الأصل: أسرفناه، والمثبت من «ن».

له ذلك، وأعلمتَ العباد أن له مع المغفرة عندك لزلفى وحسن مآب، وهذا في كرمك وفضلك على أحبابك موجود يا جواد، وأنت به معروف، وما أنهيت إلينا هذا الخبر من صنيعك[1] به إلا أنك رَجَّيت عبيدك وأَمَّلتهم، وما أوليته من معروفك؛ لئلا يقنط المفتونون، ولا يتحير الخطاؤون، ولا ييئس المذنبون.

سجدة سورة حمٓ: سبَّح لك مَن عبدك، فلم يلحقهم سآمة ولا فتور، ذلك بأنك قربت مقاومهم، وعريتهم من إشغال النفوس، وأنقذتهم من الوساوس والآفات، وخلقتنا بموضع رحمة مع الشهوات والآفات، يعتورنا أسباب البلاء، وأزمة القضاء[2]، فنعوذ بك أن نستكبر عن عبادتك، أو نرفع بأنفسنا عن السجود لك، والإلقاء بين يديك سلماً، فمن رام عزاً، فإنما ناله بالتذلل لك، وكيف لا يعز من انتصب لك خادماً، وألقى نفسه بين يديك عبودة وتسليماً، إلهي! لو كانت لي نفوس غير واحدة، لحقَّ لي أن ألقيها بين يديك، وأجود بها كلها عليك، وكيف وإنما هي واحدة، فكيف لا أجود بها عليك، وإنما نلتها من عندك؟! وكيف لا أجود بها[3]، وإنما سألتنيها لترحمها وتكنفها وتحوطها وتغذوها برحمتك ورأفتك[4]؛ لتصلح لجوارك غداً، والمصير إلى ضيافتك في فردوس الجنان يوم الزيادة، فبك أعوذ من جماحة نفسي وحرنها عن[5] حقوقك، يا أكرم داع، ويا خير مجاب.

---

(١) في الأصل: صنعك، والمثبت من «ن».

(٢) في الأصل: الفضل، والمثبت من «ن».

(٣) من قوله: كلها عليك... إلى قوله: أجود بها: ليس في «ن».

(٤) في «ن»: وتغذوها برأفتك.

(٥) في «ن»: وحزنها على.

سجدة سورة النجم: لك سجدنا، وإياك عبدنا، وبأمرك ائتمرنا، وحق أن نسجد لإلهنا ومولانا، خلقتنا من تراب ثم من نطفة ثم من علقة في ظلمات ثلاث، في بطون الأمهات والأرحام والمشيمات، ثم أخرجتنا في محل الابتلاء والامتحان ودار السياق والمضمار، وعرضتنا للبلايا والرزايا، وعظم الأخطار، وفتن دار الغرور، وكيد العدو، وأمور الغيب في مشيئتك يا ذا الجلال، والقدرة، والعلو، والرفعة، دعوتنا إلى دار السلام، وأنذرتنا بالسجون[1] سجون الأعداء، ومننت علينا منة الأحباب، وأبهمت العواقب علينا من أمورنا، فمن ذا يرحمنا إن لم ترحمنا؟ ومن ذا يغفر لنا إن لم تغفر لنا؟ ومن ذا يكشف ضرنا إن لم تكشف يا خير مدعو، وأكرم مسؤول، يا راحم المذنبين، تفضل علينا بعفوك.

سجدة سورة إذا انشقت: الحيَر والشقاء أحاط بهم مولاي فاستكبروا عن توحيدك، وفوت حظ منك نالهم إلهي[2]، فتعظموا عن الإيمان بك، وجعلوا معك إلهاً، مغترين بقول العدو، فلا إله إلا أنت سبحانك، وكيف يسجدون إذا قرئ عليهم القرآن، وهم المطرودون من بابك، ينادَوْن من مكان بعيد؟! إنما سجد لك أحبابك، وأهلُ رأفتك ورحمتك، والممنون عليه بذلك، قربتهم، ووفرت حظهم منك، ونورت قلوبهم بالسراج المنير، وشرحت صدورهم بعظيم[3] آلائك، وأحييت قلوبهم بك، ووصلت حبلهم بحبلك، فكلما تلوا آياتك، فذكروك ذكر الصفاء، رموا بأنفسهم إليك

---

(١) بالسجون: زيادة من «ن».

(٢) إلهي: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: لعظيم.

خروراً لوجوههم[1]، واستروحوا إلى ذلك، وتنسموا روح القربة، وسَكَّنوا بلطائف مقالتك ظمأ الشوق إليك منهم، وتلقوا أمرك بإلقائهم بين يديك مترضين لك، فاجعلني ممن يترضاك فترضى عنه يا خير المقصودين.

سجدة سورة اقرأ[2]: لك سجدنا، وبأسباب وسائلك تعلقنا، ونفوسنا بين يديك ألقينا، قصداً للاقتراب منك مولانا، فقد أنزلت في وحيك علينا أن: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[المائدة: ٣٥]، ثم قلت لنبيك: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾[العلق: ١٩]، فجعلت له بالسجود إلى القربة سبيلاً، ومن ذا يستحق القرب منك مولاي إلا من رحمته فقربته؟ فقد اقتربت بفعلي، وإلقاء نفسي بين يديك؛ تأميلاً لفضلك، وطمعاً فيما رَجَّيت عبيدك.

❒ ❒ ❒

(١) في «ن»: بوجوههم.

(٢) في «ن» زيادة: باسم ربك.



الأصل السابع والسبعون والمئتان

(١٥٢٣) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا يحيى بن سليمان الجعفي المصري، قال: نا[1] ابن وهب، قال: حدثني حيي[2]، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبدالله ابن عمرو: أن رسول الله ﷺ ذكر يوماً فتاني القبر، فقال عمر: أتردُّ علينا[3] عقولنا يا رسول الله؟ فقال: «نعَم، كَهَيئَتِكُمُ اليَومَ». فقال عمر: ففي فيه الحجر[4].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فقد فسرنا هذا الحديث في الجزء الثاني من كتاب «النوادر» في الأصل الثاني والعشرين[5]، ولكن بقيت في هذه المسألة نكتة لم نأت على تفسيرها،

---

(١) في «ن»: حدثني.

(٢) في الأصل: حيي بن يرمز، والصواب إسقاطها كما في «ن».

(٣) في «ن»: أترد إلينا.

(٤) تقدم تخريجه في الأصل السادس والعشرين.

(٥) في «ن»: في الجزء الأول من هذا الكتاب في الأصل الثالث والعشرين، كذا جاء=

وذلك أنا سئلنا: ما سبب هذه الفتنة في القبر قد انقطعت العبودة عند خروج الروح إلى الله موحداً، وانكشف الغطاء؟.

فالجواب في ذلك عندنا، والله أعلم: أن الله منَّ على الموحدين بمعرفته وتوحيده، وذلك من فضله ورحمته، فصاروا أولياءه، وحرم قوماً فضله[1] ورحمته، فصاروا أعداءه، وكان يبعث الرسول بعد الرسول إلى الأمم، فكان الممنون عليه يؤمن به، ويتبع الرسول في شريعته، ويعبده مع الرسول، والخائب يكذب الرسول، ويتخذ من دون الله ولياً، فيعبده، فكان يمهلهم حتى يريهم الآيات، ثم إذا[2] لم يؤمنوا، بعث عليهم عذاباً فيدمرهم، ثم ينشئ قرناً آخر، ويبعث رسولاً، فكان هذا سنة الله في الذين خلوا من قبل.

وقال في تنزيله عندما قص نبأ نوح، ثم إبراهيم، وعاد، وثمود، وشعيب، وموسى، وفرعون، ثم قال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾[العنكبوت: ٤٠] الآية، ثم بعث الله محمداً ﷺ رسولاً، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

فكان من رحمته: أن أعطى محمداً السيف بدل العذاب الذي كان يأتي الأمم بغتة فيهلكهم؛ كي يخوفهم بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً، ثم إذا مرنت نفوسهم الكارهة في الدين على شريعة الإسلام،

= في الأصل، و«ن» وصوابه أنه في الأصل السادس والعشرين كما في كتابنا، والله أعلم.

(١) في الأصل: فصاروا أحبابه وخاب الآخرون عن فضله، والمثبت من «ن».

(٢) في الأصل: فإذا، والمثبت من «ن».

انقادت وأطاعت، وزايلهم الغش والنفاق، ومنهم من لم يزل النفاق فيهم إلى أن مات، وستر الله ذلك عليهم، فكان المنافقون يخالطون المسلمين في مناكحاتهم ومواريثهم، ومغازيهم ومعاملاتهم، والنفاق في القلب، ولم يكن في الأمم قبل ذلك نفاق، إنما كان تصديق وتكذيب؛ لأنه لم يكن هناك تخويف بالسيف، فكان المكذبون يجهرون بالتكذيب حتى يأتيهم عذاب الله بغتة، فلما جاءت هذه الأمة، وأوتيت السيف، دخلوا في الدين طوعاً وكرهاً، فجاءهم الابتلاء في القبر؛ ليظهر نصرة الله المطيع في الحياة الدنيا، الثابت في قبول الإسلام، وتلقين الجواب عند السؤال، ويبرز مكرمته وفضله، ويضل الله الظالم الذي كان[1] مع النفاق أيام الحياة، فهذا عندنا سبب فتاني القبر.

ويحقق ما قلنا ما:

(١٥٢٤) ـ نا به محمد بن زنبور المكي، قال: نا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «هَذِهِ الأُمَّةُ تُبتَلَى في قُبُورِهَا»[2].

فأشار رسول الله ﷺ إلى هذه الأمة خصوصاً دون سائر الأمم، فإنما ابتلوا بالسؤال؛ ليميز الله الخبيث من الطيب، فيثبت الثابت في الحياة الدنيا، ويضل الله الظالم، وقال في تنزيله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن

---

(١) في «ن»: الظالمين الذين كانوا.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل الخمسين والمئتين.

﴿يَشَآءُ﴾[آل عمران: ١٧٩]الآية. وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[العنكبوت: ١ ـ ٣] الآية، فكان أولئك الذين من قبلهم فتنوا بالشريعة حتى يظهر من قبله صدقاً.

وأما فتنة القبور، ففيما قال رسول الله ﷺ: «**هَـذِهِ الأُمَّةُ تُبتَلَى فِي قُبُورِهَا**» دليل على أنهم مخصوصون بالسؤال؛ للنفاق الذي كان في هذه الأمة من أجل السيف، ثم قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[إبراهيم: ٢٧].

تأويله عندنا والله أعلم: أن من مشيئته أن يرفع مرتبة أقوام عن السؤال، وهم الصديقون والشهداء.

وروي عن رسول الله ﷺ: أنه قيل له: ما بال الشهداء لا يفتنون في قبورهم؟ فقال: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَيهِم فِتنَةً**».

(١٥٢٥) ـ نا بذلك محمد بن يحيى المروزي، قال: نا علي بن الحسن[1]، قال: نا عبدالله بن المبارك، قال: نا إبراهيم بن محمد الفزاري، قال: نا صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، قال: قال رجل: يا رسول الله! ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهداء؟ فقال عليه السلام: «كَفَى بِبَارِقَـةِ السَّيفِ عَلَى رَأسِهِ فِتنَةً»[2].

---

(١) في «ن»: الحسين.

(٢) أخرجه النسائي (٤/ ٩٩)، وفي «السنن الكبرى» (٢١٨٠) وابن أبي عاصم في=

معناه: أنه لو كان في هؤلاء المقتولين نفاق، كان إذا التقى الزحفان، وبرقت السيوف إذا شهروها، فمن شأن المنافق الفرار والروغان، ومن شأن المؤمن البذل والتسليم لله نفساً، وهيجان حمية الله، والتعصب له؛ لإعلاء كلمة الله، فهذا قد أظهر صدق ما في ضميره حيث برز للقتل والحرب، فلماذا يعاد عليه السؤال في القبر؟

وإذا كان الشهيد لا يفتن، فالصدِّيق أجلُّ خطراً وأحرى أن لا يفتن؛ لأنه المقدَّم ذكرُه في التنزيل على الشهداء، ولذلك لم يهب عمر أن يقول: في فيه الحجر بعد ما قال له رسول الله: إن عقله يرد عليه.

وقد جاء فيمن هو أقل منه أن لا يفتن، أتت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من غير وجه، منهم: عبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وغيرهما: أنه قال: «**مَن مَاتَ مُرَابِطاً، وُقِيَ فِتنَةَ القَبرِ، وَغُدِيَ وَرِيحَ بِرِزقِهِ عَلَيهِ**[1] **مِنَ الجَنَّةِ**»[2].

وروي عنه ﷺ: أنه قال: «**مَن مَاتَ يَومَ الجُمُعَةِ أَو لَيلَتَهَا، وُقِيَ فِتنَةَ القَبرِ**».

(١٥٢٦) ـ نا بذلك أبو قلابة الرقاشي[3]، قال: نا بشر

= «الجهاد» (٢/ ٥٧٠) من طريق صفوان بن عمرو، به. إلا أنهم زادوا: عن راشد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

(١) في «ن»: وغدي برزقه، وريح عليه.

(٢) سيأتي، وأخرج نحوه: ابن ماجه (١٦١٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٠٤)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٢٨٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) في «ن»: أبو قلابة عبدالله بن محمد بن عبدالله الرقاشي.
قلت: وصوابه: عبد الملك بن محمد.

ابن عمر[1]، قال: نا هشام بن سعد، عن سعيد بن أبي هلال، عن ربيعة بن سيف الإسكندراني، عن عياض بن عقبة الفهري، عن عبدالله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: **«مَن مَاتَ يَومَ الجُمُعَةِ، أَو لَيلَةَ الجُمُعَةِ، وَقَاهُ اللهُ فِتنَةَ القَبرِ»**[2].

(١٥٢٧) ـ نا محمد بن يحيى المروزي، قال: نا علي ابن الحسن، قال: نا عبدالله بن المبارك، قال: نا هشام بن الغاز، قال: نا مكحول، عن سلمان الفارسي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَن مَاتَ مُرَابِطاً فِي سَبِيلِ اللهِ، أُجِيرَ مِن فِتنَةِ القَبرِ، وَجَرى عَلَيهِ صَالِحُ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعمَلُ إِلى يَومِ القِيَامَةِ»**[3].

---

(١) في «ن»: بشر بن عبدالله.

(٢) سيأتي تخريجه في الأصل التسعين والمئتين.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٢١٨) من طريق هشام بن الغاز، به.
وأخرجه ابن المبارك في «الجهاد» (ص: ١٤٦)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢/ ٧٠٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٢٢٧)، وفي «مسند الشاميين» (٢/ ٣٨٤) من طريق هشام بن الغاز عن عبادة بن نسي، عن كعب، عن سلمان، به.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٩٠): رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم.
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٢٨٢) من طريق سلمان، به.

وروى هشام بن عمار قال: نا يحيى بن حمزة، قال: نا[1] عروة بن رويم اللخمي، عن القاسم بن عبد الرحمن، قال: زارنا سلمان، فحدثنا، قال: سمعت رسول الله ﷺ، فذكر مثله[2].

فالمرابط: قد ربط نفسه، وحبسها[3]، وصيرها حبيساً لله[4] في سبيله؛ لمحاربة أعدائه، فإذا مات على هذا، فقد ظهر صدق ما في ضميره[5]، فوُقي فتنة القبر، ومن مات يوم الجمعة، فقد انكشف الغطاء عما له عند الله؛ لأن يوم الجمعة لا تُسجر جهنم، وتغلق أبوابها، ولا يعمل الشيطان في الناس ما يعمل في سائر الأيام، فإذا قبض الله عبداً من عبيده، فوافق قبضه ليوم الجمعة، كان في ذلك دليل السعادة، وحسن معاده عند الله، فيوم الجمعة يوم الله الذي خلق فيه آدم وذريته، ويومه الذي تقوم فيه الساعة، فيميز بين الأحباب والأعداء، ويومه الذي يدعوهم إلى زيارته في دار عدن، فلم يكن ليعطي ـ فيما نعلمه ـ بركة هذا اليوم، وما ضمن هذا اليوم من عطاء الرحمن[6] إلا من كتب له السعادة عنده، فلذلك يقيه فتنة القبر.

فدلت هذه الأشياء أن سبب فتنة القبر إنما هو ليتميز المنافق من المؤمن

---

(١) في «ن»: أنبأنا.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢/ ٦٨٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١/ ٣٧٤) من طريق هشام بن عمار، به.

وأخرجه البخاري في «التاريخ الصغير» (١/ ٧٣) من طريق يحيى بن حمزة، به.

(٣) في «ن»: وسجنها.

(٤) حبيساً لله: زيادة من «ن».

(٥) في «ن»: ما أضمره.

(٦) في «ن»: عظائم الرحمة.

هناك في البرزخ من قبل أن يلقى الله؛ لأن كلا الصنفين قد صلي عليهما، وفُعل بهما سنة الموت من النبيين والمرسلين؛ من الغسل والتكفين والصلاة عليهم، فامتحنا بالسؤال؛ ليهتك المنافق ستره بقوله: لا أدري، كما ستر الله عليه نفاقه[١] بحرمة ما أظهر من المنطق الجميل، فقال[٢]: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فأوجب لقوله[٣] في الظاهر حرمة، فلم يهتك ستره في الدنيا كرماً ومجداً، حتى إذا وضع في قبره، امتحنه بالسؤال؛ ليظهر نفاقه في البرزخ قبل أن تقوم الساعة؛ كي[٤] يكون العبد هو الذي يهتك ستر نفسه بقوله[٥]، والله حيي ستير، لا يهتك ستر العبد حتى يكون هو الذي يهتك ستره، وأضله عن القول كما كان في الدنيا ضالاً في الستر، ظالماً لنفسه، وثبَّت الصادق برحمته السابقة له، وبما منَّ عليه، فرد عليه عقله، وروحه، وعلمه بالله، وأطلق لسانه، وشجع نفسه، وقوي قلبه حتى نطق بوفارة حظه من الله، ولم تأخذه الحيرة والدهشة؛ لعلمه بالله الذي أكرمه بذلك العلم، فأقواهم على الإجابة، وأسرعهم جواباً: أوفرهم حظاً من العلم بالله.

فالامتحان في القبر بعدما انقطعت العبودة مكرمة للموحد الممنون عليه بالتوحيد، كما منَّ الله عليه بالثبات في الدنيا، فلم يزغ بقلبه هواه

---

(١) في الأصل: النفاق، والمثبت من «ن».

(٢) في الأصل: المنطق قال، والمثبت من «ن».

(٣) في الأصل: بقوله، والمثبت من «ن».

(٤) في «ن»: القيامة حتى.

(٥) بقوله: زيادة من «ن».

ولا عدوه، فكذلك ثبته الله في قبره، وكما ابتلي عدة من المؤمنين في أيدي العدو بالقتل وأنواع العذاب، فلم يتركوا دينهم، ولم يجيبوهم إلى أديانهم، فذلك الثبات كائن لهم في القبور؛ لأن تلك العقول ترد عليهم التي بها رزقهم الله الثبات.

وروي عن سفيان الثوري أنـه جاء في الخبر: أنه عندما يقال لـه: من ربك؟ فيدخل الشيطان عليه، فيتمثل لـه، ويشير إلى نفسه، فيقول لـه: أنا[1].

فطلبنا تحقيق هذا، فوجدنا في الإخبار عن رسول الله ﷺ: أنـه كـان يقول عند دفن الميت: «**اللَّهُمَّ أَجِرهُ مِنَ الشَّيطَانِ**».

(١٥٢٨) ـ نا بذلك صالح بن محمد، عن حماد بن عبد الرحمن، قال: نا إدريس بن صبيح الأودي، عن سعيد ابن المسيب، قال: حضرت عبدالله بن عمر في جنازة، فلما وضعها في اللحد، قال: «**بِاسمِ اللهِ، وَفي سَبيلِ اللهِ، وَعلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ**»، فلما أخـذ في تسوية اللبـن على اللحـد، قال: «**اللَّهمَّ أَجِرهَا مِنَ الشَّيطانِ، وَمِن عَذَابِ القَبرِ، وَمِن عَذابِ النَّارِ**»، فلما سوى الكثيب عليها، قام جانب القبر، وقال[2]: «**اللَّهمَّ جَافِ الأَرضَ عَن جَنبَيهَا، وَصَعِّد رُوحَهَا،**

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩) للحكيم عن سفيان الثوري.

(٢) في «ن»: ثم قال.

وَلَقِّها مِنكَ رِضوانـاً»، فقلت لابن عمر: أشـيئاً سـمعتَه من رسول الله، أم شيئاً قلته من رأيك؟ قال: إني إذاً لقادر على القول، بل سمعتُه من رسول الله ﷺ[1].

وروى محمد بن مقاتل، عن ابن أبي فديك، عن زكريا بن إبراهيم بن عبدالله بن مطيع، عن عبدالله بن محمد: أن إبراهيم بن النبي ﷺ توفي، فأُخرج[2]، فخرج رسول الله ﷺ يمشي أمام سريره، ثم دخل قبره، فلما رآه رسول الله ﷺ قد وضع في القبر، فاضت عيناه، فلما رأى ذلك أصحابُه، بكوا حتى ارتفعت أصواتهم، ثم أقبل أبو بكر ﷺ، فقال: يا رسـول الله! تبكي، وأنت تنهانا عن البكاء؟ فقال ﷺ: **«يَا أَبَا بَكرٍ! تَدمَـعُ العَيـنُ، وَيَتَوَجَّعُ[3] القَلبُ، وَلاَ نَقولُ مَا يُسخِطُ الرَّب تَعَالى»**، ثم دفـن، فقال رسول الله ﷺ: **«مَا مِن أَحَدٍ يَأتِينَا بِمَاءٍ نُطَهِّرُ بِهِ قَبرَ الصَّبِـيِّ[4]»، فَأُتِيَ بِمَاءٍ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُشَّ عَلَى قَبرِ إِبرَاهِيمَ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ اليُمنَى عَلَى قَبرِهِ مِن عِندِ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٢٧٤)، وفي «الدعاء» (ص: ٣٦٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٥٥) من طريق حماد ابن عبد الرحمن، به.

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه» (٢/ ٣٨): في إسناده حماد بن عبد الرحمن، وهو متفق على تضعيفه.

(٢) في «ن»: فأخرج به.

(٣) في الأصل: وتوجع، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: إبراهيم.

رَأسِهِ، وقَالَ: «خَتَمتُ عَلَيكَ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ»[1] .

(١٥٢٩) ـ نا أبي، قال: نا أبو نعيم، عن سفيان، قال: نا عمرو بن مرة، عن خيثمة[2]، قال: كانوا يستحبون إذا دفنـوا الميـت أن يقولوا: «بِاسمِ اللهِ، وَفي سَـبيلِ اللهِ، وَعلَى مِلَّة رَسـولِ اللهِ، اللَّهـمَّ أَجِرهُ مِن عَذابِ القَبرِ، وَمِنْ عَذابِ النَّارِ، وَمنْ شَرِّ الشَّيطانِ الرَّجيمِ»[3] .

❐ ❐ ❐

---

(١) أخرجه الزبير بن بكار في «المنتخب من أزواج النبي ﷺ» (ص: ٦١) عن عبدالله ابن محمد، به .
أخرج صدره ابن ماجه (١٥٨٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ١٧٠)، وفي «المعجم الأوسط» (٨/ ٣٤٦) من حديث أسماء بنت يزيد ـ رضي الله عنها ـ.
بل هو في «الصحيحين»: البخاري (١٢٤١)، ومسلم (٢٣١٥) من حديث أنس ﷺ.

(٢) في الأصل: خيثم، والصواب من «ن».

(٣) أخرجـه عبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٤٩٦)، وابن أبي شـيبة في «المصنف» (٣/ ١٩) من طريق سفيان الثوري، به .



الأصل الثامن والسبعون والمئتان

(١٥٣٠) ـ حدثني عمر بن أبي عمر، قال: نا نعيم بن حماد، عن عبد الوهاب الثقفي، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن عقبة بن أوس السدوسي، عن عبدالله بن عمرو[1]، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَن يُؤمِنَ عَبدٌ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تبعاً لِمَا جِئتُ بِـهِ»[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالذي جاء به الرسول عليه السلام عن الله هو العبودة التي لها خُلقوا، قال الله تعالى في تنزيله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾[الأنعام: ١٠٢].

---

(١) في «ن»: عمر.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٣)، الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ١٨) من طريق نعيم بن حماد عن عبد الوهاب، به.

فالعبودة في ترك الهوى، واتباع ما جاء به، فكل أمر اجتمعت فيه هذه الخصال الست، فقد استكمل العبودة: الحق، والصواب، والعدل، والصدق، والأدب، والبهاء، فإذا رفع أمره[1] إلى الله، وقد اجتمعت فيه هذه الست، لبق، فإذا لبق، تقبل، وتقبله أن يعرض على الله، فإذا نظر إليه تقبله الآن، وما تأخر تقبله، فهو موضوع في الخزائن إلى يوم القيامة حتى يحاسب، ويحصل ما في الصدور، فما صفا منها، قبل هناك، وما لم يصف، رمي به.

قال له قائل: صف لنا أمراً واحداً تجتمع فيه هذه الخصال؟.

قال: رجل صلى ركعتين في وقت طلوع الشمس، أو في وقت دعته أمه، فلم يجبها، فالصلاة حق، وليس بصواب في هذا الوقت، فلم يصب الصواب.

ألا ترى أن جريجاً[2] الراهب جاءته أمه، فنادته وهو يصلي في صومعته، فقال: يا رب! صلاتاه وأماه، فلم يجبها، فرجعت الأم، ودعت عليه فقالت: اللهم ارمه بالمومسات، فما لبث أن أحاطت جماعة بصومعته ليخربوها، فأنزلوه وأهانوه، وقالوا: إن أَمَتنا هذه ولدت من زنا، وزعمت أنه منك، فتبسم ضاحكاً لما علم من دعوة أمه، وصلى ركعتين، ثم قال: أروني هذا الولد، فجاؤوا به، فقال: من أبوك[3]؟ فقال ذلك المولود: أبي فلان الراعي، فندم القوم على ذلك، واعتذروا إليه، وقالوا: نبني صومعتك من الذهب والفضة، قال: لا، أعيدوها كما كانت، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) في «ن»: أمرك.

(٢) في «ن»: جريج.

(٣) في «ن»: ثم قال لذلك المولود: من أبوك.

«لَو كَانَ جُرِيجُ الرَّاهِبُ فَقيهاً عَالماً، لَعلمَ أَنَّ إجابَتَهُ أُمَّهُ مِن عِبَادةِ رَبِّهِ»[1].

(١٥٣١) ـ نا سفيان بن وكيع، قال: نا روح بن عبادة، عن شعبة[2]، عن خبيب[3] بن عبد الرحمن، قال: سمعت حفص بن عاصم[4] يحدث عن أبي سعيد بن المعلى، قال: كنت أصلي، فمرَّ بي رسول الله ﷺ، فدعاني، فلم آته حتى صليت، ثم أتيته، فقال عليه السلام: «مَا مَنعَكَ أَن تأتِيني أَلم يَقل اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤] ـ ثمَّ قالَ ـ: ألاَ أُعَلِّمُكَ أَعظَمَ سُورَةٍ في القُرآنِ قَبلَ أَن أَخرجَ؟»، فذهب رسول الله ﷺ ليخرج، فذكَّرته[5]، فقال: «الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين، وَهيَ السَّبعُ المثَاني، وَالقُرآنُ العَظيمُ الَّذِي أُوتِيتهُ»[6].

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الستين والمئة.

(٢) عن شعبة: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: حبيب.

(٤) في الأصل: جعفر بن عاصم، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: فذكرت.

(٦) أخرجه البخاري (٤٣٧٠) من طريق روح، به.

وأخرجه البخاري (٤٢٠٤)، وابن ماجه (٣٧٨٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ١١)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٥٠)، والطيالسي في «المسند» (ص: ١٧٨)، والدارمي في «السنن» (١/ ٤١٧)، وأبو يعلى في «المسند» =

(١٥٣٢) ـ نا صالح بن محمد، وصالح بن عبدالله، قالا: نا[1] القاسم العمري، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ خرج على أُبَيِّ ابن كعب وهو يصلي، فسلم النبي عليه السلام، فالتفت أُبَيٌّ ولم يُجبه، ثم صلى أُبي وخفف، ثم انصرف إلى النبي ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، صلى الله عليك[2]، فقال رسول الله: «**مَا مَنعكَ أَن تُجيبَني إِذ دَعوتُكَ**»، فقال: يا رسول الله! كنت في الصلاة[3]، فقال: «**أَلَم[4] تَجد فِيمَا أُوحيَ إِليَّ أَن** ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾؟» قال: بلى يا رسول الله، لا أعود إن شاء الله، قال ﷺ: «**تُحِبُّ أَن أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَم يُنزِلِ اللهُ، في التَّوراةِ وَلاَ في الإنجيلِ ولاَ في الزَّبورِ ولاَ في القُرآن مِثلَها؟**»، قال:

= (٦٨٣٧)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٢/ ٣٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٧٧٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٠٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٤١)، وفي «السنن الكبرى» (٢/ ٣٦٨) من طريق شعبة، به.

(١) في «ن»: أنبأنا.

(٢) من قوله: فقال. . . إلى قوله: صلى الله عليك: ليس في «ن».

(٣) في «ن»: كنت أصلي.

(٤) في «ن»: أفلم.

نعم يا رسول الله، قال: «إِني لأَرجو أَن لاَ تَخرجَ مِن هَذا البَابِ حَتى تَعلمهَا»، فأخـذ النبي عليه السلام يحدثني، وأنـا أتبطأ به مخافة أن يبلغ الباب قبل أن يحدثني، قلت: يا رسول الله! صلى الله عليك، ما السورة التي وعدتني؟ قال: «كَيفَ تَقرأُ في الصَّلاةِ؟»، فقرأت أم القرآن، فقال ﷺ: «وَالَّذي نفَسي بِيدِهِ! مَا أُنزلَت في التَّوراةِ، ولاَ في الإنجيلِ، ولاَ في الزَّبورِ، ولاَ في القُرآنِ مِثلُهَا، إِنَّها السَّبعُ المَثَاني، وَالقُرآنُ العَظيمُ الَّذي أُعطِيتُ»[1].

قال أبو عبدالله:

فأصل هذا[2] الحديث عن أبي هريرة روايةً عن أُبي عن رسول الله ﷺ.

ألا ترى أنه قال في الحديث: قال: قلت يا رسول الله ما السورة التي وعدتني؟ فإنما روى أبو هريرة عن أبي عن رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٧٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٠٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢١٤)، وابن خزيمة في «الصحيح» (١/ ٢٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٤٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٩٤) من طريق العلاء، به.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٢) قال أبو عبدالله: فأصل هذا: زيادة من «ن».

(١٥٣٣) ـ نا سفيان بن وكيع، قال: نا أبو أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب، عن أبيه، عن أبي هريرة[١]، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا في التَّوراةِ، ولاَ في الإنجيلِ مِثلُ أُمِّ الكِتابِ، وَهِيَ السَّبعُ المثَاني، وَهِيَ مَقسومَةٌ بَيني وَبينَ عَبدي، وَلعبدِي مَا سألَ»[٢].

وروى[٣] ابن المبارك، عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أبي عبيدة بن حذيفة، عن أبيه: أنه كان قاعداً مع أبي موسى الأشعري، فأتاه رجل، فقال: إنْ أخذت سيفي، فجاهدت أبتغي به وجه الله حتى أقتل، أين أنا؟ قال: في الجنة، قال حذيفة: استفهم الرجلَ ما يقول، وأفهمه ما تقول له، قال: ما قلت؟ قال: أرأيت إن أنا أخذت سيفي، فجاهدت أبتغي به وجه الله حتى أقتل، أين أنا؟ قال: في الجنة، قال حذيفة: استفهم الرجل ما يقول وأفهمه.

---

(١) عن أبي هريرة: ساقطة من الأصل، وزدتها من «ن».

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١١٤)، وابن خزيمة في «الصحيح» (١/ ٢٥٢)، وابن حبان في «الصحيح» (٧٧٥) من طريق أبي أسامة، به.

وأخرجه الترمذي (٣١٢٥)، والنسائي (٢/ ١٣٩)، وفي «السنن الكبرى» (٩٨٦) من طريق عبد الحميد بن جعفر، به.

(٣) في الأصل: ورواه، والصواب من «ن».

قال أبو موسى ـ وضرب بيده ـ: ما تزال تأتينا بشيء ما ندري ما هو، ثم قال للرجل: كيف قلت؟ قال: أرأيت إن أنا أخذت سيفي، فجاهدت به أبتغي وجه الله حتى أقتل، أين أنا؟ قال أبو موسى الأشعري[1]: والله! ما أدري ما أقول لك غير ذلك، فقال حذيفة: والله! ليدخلن النار أكثر من كذا وكذا، كلهم يقول ما قال هذا، ولكن إن أخذت سيفك[2]، فجاهدت تبتغي به وجه الله، فأصبت الحق، فقُتلت وأنت عليه، فأنت في الجنة، ومن أخطأ الحق، فلم يوفقه الله للخير، قال أبو موسى الأشعري: صدق[3].

قال أبو عبدالله:

فهذا حق لم يصب به طريق الحق، ألا ترى أن رسول الله ﷺ يؤنس أمر بأمر[4]، فثقل عليه، فتوجه نحو جزيرة من جزائر البحر؛ ليعبد الله فيها، فأصابه ما أصاب، وعوقب بما عوقب.

فيحتاج العبد إلى الحق، وفي الحق صواب، وفي الصواب العدل، وفي العدل الصدق، وفي الصدق الأدب، وفي الأدب البهاء.

فأما الحق: فكل أمر رضي الله عنه[5].

وأما الصواب: فكل أمر مرضي رضي الله لك في ذلك الوقت.

وأما العدل: فإنه يكون قلبك في إصابة الحق والعمل به، لا تميل

---

(١) في «ن»: فقال الأشعري.

(٢) في الأصل: السيف، والمثبت من «ن».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٢٢٥) من طريق ابن سيرين، به.

(٤) كذا في الأصل، و«ن»: ولم تستبن لي، والله أعلم.

(٥) في «ن»: به.

إلى النفس تريد بـه الرياء، فيكون عدلاً لا جـور فيه، فقد[1] وقف عليك بالعمل على سبيل الاستواء.

وأما الصدق في العدل: بأن يرمي ببصر قلبه إلى موضع المشاهدة والمنظر: أن الله ناظر إليه في فعله هذا، وأنه شاهده.

وأما الأدب: فأن يضع كل شيء من الحركات موضعها؛ في موضع السبق سبقه، وفي موضع المبادرة مبادرته، وفي موضع السرعة سرعته، وفي إتمام الفعل إتمامه.

وأما البهاء: فوقاره، وسكينته، وزينته، وطلاوته، ولبقه، وحسنه، فالحق من المعرفة، والإصابة من الهدى، والعدل من الجلال، والصدق من الخشية، والأدب من العقل الأكبر في القبضة، والبهاء من المحبة، فمثل ذلك كمثل ثوب منسوج جوهري محكم منقوش، فالثوب هو الحق، والجوهر الهدى، والمحكم من الجلال، والنقش من البهاء.

❑ ❑ ❑

---

(١) في «ن»: قد.



الأصل التاسع والسبعون والمئتان

(١٥٣٤) ـ نا صالح بن محمد، والجارود بن معاذ، وأبو طالب الهروي، قالوا: نا عبد المجيد بن عبد العزيز[1]، عن مروان بن سالم، عن صفوان بن عمرو، عن شريح بن عبيد الحضرمي، عن أبي الدرداء، قال: كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن رجل شدة عبادة، سأل: كيف عقله؟ [فإذا قالوا حسن، قال: أرجوه] فإن قالوا غير ذلك، قال: لن يبلغ، وذكر للنبي ﷺ عن رجل من أصحابه شدة عبادة[2] واجتهاد، قال: «**كَيفَ عَقلُهُ؟**»، قالوا: ليس بشيءٍ، قال عليه السلام: «**لَن يَبلُغَ صَاحِبُكُم حَيثُ تَظُنُّونَ**»[3].

(١٥٣٥) ـ نا أبي، قال: نا جندل بن والق الكوفي،

---

(١) في «ن» زيادة: ابن أبي زياد، كذا، وصوابه: ابن أبي روَّاد.

(٢) من قوله: سأل... إلى قوله: شدة عبادة: ليس في الأصل، زدناه من «ن».

(٣) تقدم تخريجه في الأصل الثامن والمئتين.

قال: نا عبيدالله بن عمرو الرقي[1]، [عن إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة]، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يُعجِبكُم إِسلاَمُ رَجُلٍ حَتَّى تَعلَمُوا مَا عِقدَةُ عَقلِهِ»[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالعقل خلق مخلوق من نور البهاء، مقسوم بين الموحدين من ولد آدم، موضوع في دماغه، وإشراقُه وشعاعُه ومعتملُه في الصدر بين عيني الفؤاد، فهو مدبر الأمر، زاجر وآمر، ومقدر، ومميز، ومزين، ومبصر، ودليل، وهادٍ، فبه عرف ربه، وبه علم ربوبيته، وبه نظر إلى تدبيره، وإلى ما أظهر لخلقه من ملكه وعجائب صنعه، وبه عرف جواهر الأمور من أمر الدين والدنيا، وبه ينهض إلى ربه.

وذلك النهوض اسمه على ألسنة الخلق: النية؛ من قوله: ناء ينوء؛ أي: نهض ينهض، وإنما ينهض[3] بقصده وإلقاء همته، لا أنه ينخلع من مكانـه، فهمُّه وقصدُه نيتُـه، وهي النهوض عن السكون[4]، فهممُ القلوب تطير إلى الله بنور العقول[5] التي لها على قدر حظه من العقل الذي قسم له ربه، وبين القسم تفاوت، فإنما تفاوتت الرسل والأنبياء، ومن دونهم من

---

(١) في الأصل: البرقي، والصواب من «ن».

(٢) تقدم تخريجه في الأصل الثامن والمئتين.

(٣) وإنما ينهض: زيادة من «ن».

(٤) في «ن»: سكونه.

(٥) في الأصل: القلوب، والصواب من «ن».

الموحدين[1] في منازل الدين، وفي درجات الجنان غداً، بتفاضل العقول، فالعبادة والاجتهاد فيها من دأب النفس ما[2] هـو وبال على صاحبـه؛ لأن دأب النفس هو الهوى الذي حذرنا اتباعه في التنزيل، فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[ص: ٢٦].

فإذا كانت العبادة والاجتهاد فيها، فخرجها من تدبير العقل، استقام الأمر، وصفت العبادة، وذهب الجهد؛ لأن الجهد من ضيق النفس وعسرتها، والهوى يضيق أمرها عليها، وهي في ذاتها معسرة عسرة ذات نكر؛ لخلائها وفقرها، وتزاحم شهواتها في الجوف، فإذا جاء العقل وغلب الهوى، ارتد الهوى، قهقرى، وذل وخمد سلطانه، فعند ذلك سكنت النفس، واستقرت عن التذبذب والطيش، ووجد القلب قراره[3] في مستقره؛ لأن القلب معلق في موضعه بعروقه كالدلو بأذنيه، أو كقنديل بسلاسله، فإذا تحركت النفس، وجاء أهبوب الهوى، فجاش بالنفس، ودار بها دوران الرحا، تذبذب القلب، فإذا كان العقل وليَّ القلب، غالباً للهوى، فالهوى مقضي مدحور ذليل[4]، والقلب أمير مؤمر عدل في إمارته، فلا يستعمل جارحة إلا بما يدبر له العقل، ويزين وينهج سبيله، فلذلك كان رسول الله ﷺ إذا سمع بعبادة رجل، سأل عن عقله.

---

(١) في الأصل: والموحدون، والمثبت من «ن».

(٢) في الأصل: وما، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: قراراً.

(٤) ذليل: ليست في «ن».

فإذا كان العقل مغلوباً، كان القلب[1] أسير الهوى والنفس، فهو ـ وإن اجتهد في العبادة ـ فعامة عبادته خطأ وجهل، كما فعل جريج الراهب حيث نادته أمه وهو في صومعته في صلاته، فقال: يا رب! صلاتاه وأماه؟ فاختار الصلاة، ولم يجب أمـه، فقالت أمه[2]: اللهم ارمه بالمومستات، فقال رسول الله ﷺ: «**فَلو دَعَت أَن يَفتِنَهُ بِهِنَّ، لافتَتَنَ**». وقال: «**لَو كَانَ جُريجُ الرَّاهِبُ فَقِيهاً عَالِماً، لَعَلِمَ أَنَّ إِجَابَةَ[3] أُمِّهِ مِن عِبَادَةِ رَبِّـهِ**».

وكان من أمره ما كان، وعوقب بجهله وهواه لما آثر صلاتـه على إجابته أمه، فتلك عبادة المفتونين.

(١٥٣٦) ـ نا عبد الوهاب بن فليح المكي، قال: نا مروان ابن معاوية، عن الحسن[4] بن عمرو، قال: نا عبد الرحمن بن سعد بن ذئاب[5]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: أن جريج الراهب كان متعبداً في صومعته[6]. الخبر إلى آخره.

---

(١) في الأصل: العقل، والمثبت من «ن».

(٢) أمه: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: إجابته.

(٤) في «ن»: الحسين.

(٥) انظر ترجمة عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي ذباب في: «التاريخ الكبير» للبخاري (٥/ ١٣٢).

(٦) أما في «ن»، فقد ساق الحديث، فقال: صومعته زمان بني إسرائيل، وكانت أم له تأتيه فتناديه فتقول: يا جريج! فيقطع صلاته ويكلمها، فأتته يوماً، فجعلت تناديـه يا جريج! فجعل لا يكلمها، ولا يقطع صلاته، ويقول: يا رب! أمي =

قال مجاهد: فكان المولود أحد الثلاثة الذين تكلموا في المهد.

(١٥٣٧) - نا إبراهيم بن المستمر الهذلي، قال: نا الحكم بن الريان اليشكري، قال: حدثني ليث بن سعد، قال: نا[1] يزيد بن حوشب الفهري، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَو كَانَ جُريجُ الرَّاهِبُ فَقِيهاً عَالِماً،

= وصلاتك؟ فلا يكلمها، فلما رأت العجوز ذلك، جزعت وقالت: اللهم إن كان جريج يسمع كلامي ولا يكلمني، فلا تمته حتى ينظر في أعين الموسمات، قال: وكانت راعية وراع يأويان إلى ديره، فوقع بها الراعي، فحملت، وكان أهل القرية يعظمون الزنا إعظاماً شديداً، فلما ولدت، أخذها أهل القرية فقالوا: ممن؟ قالت: من جريج الراهب، نزل فوقع بي، فحملت، فأتاه قومه فنادوه: يا جريج! فجعل يقول: يا رب! قومي وصلاتك، وجعل لا يكلمهم، فلما رأوا ذلك، ضربوا صومعته بالفؤوس، فلما رأى ذلك، نزل إليهم فقال: ما لكم؟ قالوا: ذكرت هذه أنها ولدت منك، فضحك، ثم صلى ركعتين، ثم وضع يده على رأس المولود، فقال: من أبوك؟ قال: الراعي الذي كان يأوي معها إلى ديرك، فلما رأى قومه ذلك، جزعوا مما صنعوا به، وقالوا: دعنا نبني لك صومعتك من ذهب وفضة، قال: أعيدوها على ما كانت، فقال له قومه: لم ضحكت ونحن نريد لك من القتل والشتم؟ قال: ذكرت دعوة والدتي ألا أموت حتى أنظر في أعين الموسمات، فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده! لو دعت الله أن يخزيه، لأخزاه، ولكن دعت أن ينظر، فنظر»**.

قلت: أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ٢٥٥) من طريق أبي هريرة ﷺ، به.

وأخرج نحوه البخاري (٢٣٥٠)، ومسلم (٢٥٥٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٨٥).

(١) في «ن»: حدثني.

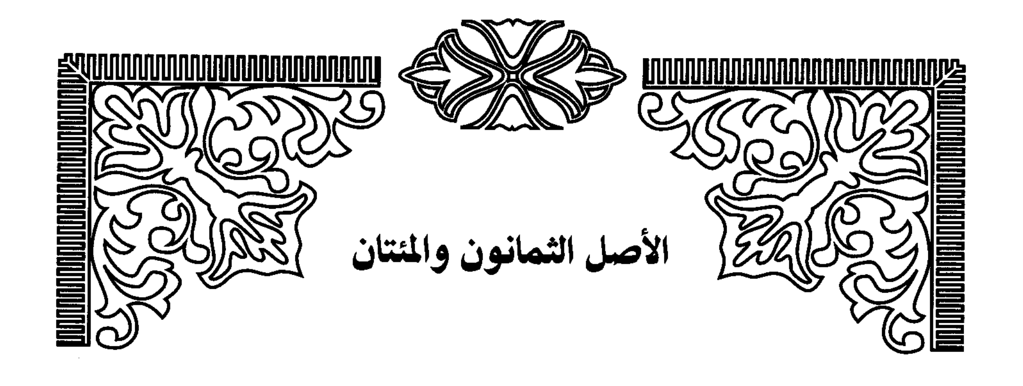
لَعَلِمَ أَنَّ إِجَابَتَهُ أُمَّهُ مِن عِبَادَةِ رَبِّهِ»[1].

وروي لنا عن نافع، قال: مُطرنا ليلة بمكة مطرة شديدة في ليلة مظلمة، فقال لي ابن عمر: يا نافع! اذهب فانظر: هل ترى في الطواف أحداً؟ فذهبتُ فوجدت ابنَ الزبير يطوف، ثم صلى عند المقام ركعتين، فلما سجد، جاء السيل فطاف على رأسه، فجئت فأخبرت ابن عمر بذلك، فقال: هذه عبادة مفتون.

❒ ❒ ❒

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ١٩٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٤) من طريق الحكم، به.

وقال العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٢٠٩): رواه الحسن بن سفيان في «مسنده»، والترمذي في «النوادر»، وأبو نعيم في «المعرفة»، والبيهقي في «الشعب»، عن حوشب الفهري، قال: سمعت النبي ﷺ يقول، فذكره.



الأصل الثمانون والمئتان

(١٥٣٨) ـ نا أبي، قال: نا يحيى الحماني، قال: نا زيد بن الحباب[1]، أخبرني: كثير بن عبدالله، قال: أخبرني الحسن بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثَلاثَةٌ تَحتَ العَرشِ: القُرآنُ لَهُ ظَهرٌ وَبَطنٌ يُحَاجُّ العِبَادَ، وَالرَّحِمُ تُنَادِي: صِل مَن وَصَلَنِي، وَاقطَع مَن قَطَعَنِي، وَالأَمَانَةُ»**.

قلت لكثير: مذ كم سنة سمعتَ هذا الحديث؟ قال: مذ ستين[2] سنة، قلت: كم أتى عليك؟ قال: تسعون سنة[3].

---

(١) زيد بن الحباب: ساقطة من «ن».

(٢) في «ن»: منذ ستون.

(٣) تقدم تخريجه في الأصل الخمسين والمئة.

وقد قلت في ذاك الموضع كلاماً حول كثير بن عبدالله حسبما تبين لي، وقد وافق ما هنا، فلله الحمد على توفيقه ومنته.

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فظهرُ القرآن يحاجُّ الظالمين أهلَ التخليط، وبطنُ القرآن يحاج المقتصدين؛ لأن ظاهر القرآن لأهل الجنان، وباطن القرآن لأهل الغرف، وهم السابقون عباد الرحمن، فإنما يحاجُّ المقتصدين؛ لأنهم أقاموا ما أنزل إليهم من ربهم على مجاهدة منهم لأنفسهم، فأهل الجهد لا يقدرون على صفاء الأمور، وإنما يقيمونها مع كدورة النفس، وضيقها، ونفسها، وعسرتها، وترددها، ونكدها، فلا يبلغون حقائق الأمور على الصفاء.

وإنما يبلغ حقائق الأمور الصافية: السابقون الذين عتقوا من رق النفوس، فهم أحرار كرماء، وأولئك عبيدٌ أتقياء، كما قال عيسى بن مريم عليه السلام: يا بني إسرائيل! فلا عبيد أتقياء، ولا أحرار كرماء.

فالمقتصد على سبيل العدل، وهو في جهد عظيم متعلق بعرا الطاعات، متحصن بالهرب من الأمور والاعتزال مخافةَ السقوط، فباطن القرآن أن يحاجهم حتى يقيم عليهم الحجة حتى لا يطمعوا في منازل السابقين الصديقين، فأولئك صادقون، وهؤلاء سابقون وصديقون[1]؛ لأن القرآن نزل بأمر ونهي.

فالسابق يأتمر بالأمر عبودةً لله، ورقّاً للرب، وينتهي عن النهي إعظاماً لجلال الله، وخشوعاً لعظمة الله، وخضوعاً لتدبير لله، فأعرض عنه؛ لإعراض الله.

والقرآن نزل بوعده ووعيده، فالوعد في داره، والوعيد في سجنه،

---

(١) في الأصل: السابقون والصديقون، والصواب من «ن».

فإذا مر بذكر داره، حن إليها للقائه في داره، والنظر إليه، وإذا مر بذكر سجنه، أشفى صدره من أعدائه؛ لما أعد الله لهم؛ لأنه كان أيام الدنيا يألم قلبه، ويجد مرارة ما يأتون به من الجرأة على ربهم في العظائم.

والقرآن نزل بأخبار القرون قبله، فرأى نصرة الأولياء، ونقمة الأعداء، ففرح بنصرة الأولياء، وشمت بنقمة الأعداء، والقرآن نزل[1] بضرب الأمثال، وقلبه مرآة قد عاين ببصر قلبه ما وصف له، فكأنه شاهدهم بقلبه، فوافق الأمثال ما شاهد بقلبه، فزاده إيماناً مع إيمانه، والقرآن نزل بذكر ما خرج من الآية، وأنبأ ما في الملكوت، فرتع قلبه في رياض البهجة بذكر تلك الأشياء، فإذا قرأ سورة ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾[قٓ: ١] وأشباهها من السور[2]، وما وصف من ذكر السموات والأرضين[3]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾، إلى قوله: ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً﴾[قٓ: ٦ ـ ١١]، عملت[4] فيه بهجة الآية.

والقرآن نزل بحججه الدامغة للباطل على أعدائه، فتقوّى بها، وازداد بصيرة، والقرآن نزل باللطائف، وعلائم الرأفة والمحبة للعباد، فازداد بالله علماً، وبمنازل العباد منه معرفة، والقرآن نزل بمحض التوحيد وعلم الفردية[5]، فلها عن كل شيء سواه، وانفرد به تعلقاً بفرديته، فهذه صفة

---

(١) من قوله: بأخبار... إلى قوله: نزل: ليس في «ن».

(٢) في الأصل: وأشباهه، وسقطت: من السور، والمثبت من «ن».

(٣) في «ن»: والأرض.

(٤) في الأصل: علم، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في «ن»: البدء والفردية.

السابقين، أعينهم إلى الله شاخصة، ولتدبيره مراقبة، ولأحكامه منقادة مسلمة.

والمقتصد في خلو من جميع ما ذكرنا، يأتمر الأمر على جهد[1]، شاء أو أبى، مخافة فوت الثواب، ويتناهى عن النهي مخافة العقاب، ونفسه شهوانية ثقيلة في الائتمار[2]، بطيئة عن المسارعة في الخيرات، غير متحملة أثقال الأمر، جموحة في نهي الله، فهي ملجمة بالوعيد، فلولا أن صاحبها يمسكها[3] بعنانها على الدوام على ذلك، لركضت به في ميدان الخاسرين، وإذا مر بذكر الجنان، حن إلى نعيمها، وإلى ما أعد فيها للعمال.

فمن ذلك الحنين يخف لأعمال البر[4]، وإذا مر بذكر الوعيد، ذبل وتحير، وانقبض عن الأمور مخافةَ الهلكة فيها، فهو معتزل وحداني، وإذا مر بذكر القرون، فإنما سمع أخبار قوم قد مضوا، لا يحتظي منها شيئاً، وإذا مر بذكر أخبار الملكوت، علم من ذلك مقدار أهل التوحيد؛ لأنه لم ينكشف له الغطاء، فذاك لا يجاوز سمعه.

وأما اللطائف والوداد: فهو لغيره، فكيف يلتذ بلطف غيره؛ لأن الجهد قد أوحشه، والتعب والنصب قد أوقذه، ونفسه قد خنقته بسوء أخلاقه، وضيق صدره، فمن أين له شرف[5] اللطائف، وأنى له الوداد، وهو لم ينل الحبل فيتعلق به، إنما نال الخشية، فيتعلق بها؛ ليصدق من نفسه قوله بفعله.

❐ ❐ ❐

---

(١) في «ن»: بالأمر جهد.

(٢) في الأصل: ائتماره، والمثبت من «ن».

(٣) في «ن»: صاحبه ممسك.

(٤) في «ن»: الأعمال عليه.

(٥) في «ن»: أين يعرف.



الأصل الحادي والثمانون والمئتان

(١٥٣٩) ـ أنا[١] عمر بن أبي عمر العبدي، قال: أنا سعيد بن أبي مريم، قال: أنا رشدين بن سعد، قال: نا زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ: أنه كان يقول: **«أَلاَ أُخبِرُكُم عَن وَصِيَّةِ نُوحٍ ابنَهُ حِينَ حَضَرَهُ المَوتُ؟ قَالَ: إِنِّي وَاهِبٌ لَكَ أَربَعَ كَلِمَاتٍ هُنَّ قِيَامُ السَّمواتِ وَالأَرضِ، وَهُنَّ أَوَّلُ كَلِمَاتٍ دُخُولاً عَلَى اللهِ، وَآخِرُ كَلِمَاتٍ خُرُوجاً مِن عِندِهِ، وَلَو وُزِنَ بِهِنَّ**[٢] **أَعمَالُ بَنِي آدَمَ، لَوَزَنَتهُنَّ، فَاعمَل بِهِنَّ، وَاستَمسِك حَتَّى تَلقَانِي: أَن تَقُولَ: سُبحَانَ اللهِ، وَالحَمدُ للهِ**[٣]**، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكبَرُ، وَالَّذِي نَفسُ نُوحٍ بِيَدِهِ! لَو أَنَّ السَمَوَاتِ**

---

(١) في «ن»: حدثنا.

(٢) في «ن»: به.

(٣) في الأصل: ويحمده، والصواب من «ن».

وَالأَرضِينَ[1] وَمَا فِيهِنَّ وَمَا تَحتَهُنَّ وُزِنَّ بِهَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ، لَوَزَنَتهُنَّ»[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فنعم الواهب، ونعمت المواهب، ونعم الموهوب له، هذا نوح رأس المرسلين ـ صلوات الله عليه ـ أوصى ابنه عند وفاته وخروجه من الدنيا، ثم صير الوصية هبة؛ لتكون تمليكاً، ولا يكون تمليك إلا من مالك، فكأنه دل هذه الكلمة من قول نوح: «**إني واهب لك**»؛ أي: أن هذه الكلمات قد وهبت لي، فإني واهب لك من قبل أن يزول ملك الهبة مني[3] بمزايلة الروح الجسد، وبمزايلة العقل والنبوة القلب والروح، حتى ترثه أنت دون سائر الورثة؛ لأن الورثة إنما يرثون ميراث الدنيا بحكم أهل الدنيا، وأولاد الرسل إنما يرثون آباءهم ميراث النبوة بحكم الله الرباني، وذلك قوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[النمل: ١٦]؛ فإنما ورث منه خلافة[4] الخليفة.

---

(١) في «ن»: والأرض.

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١/ ٢٣٩) للحكيم الترمذي، والديلمي عن معاذ رضي الله عنه.
قال ابن حجر في «التقريب» (ص: ٢٥٨): لا بأس به، إلا في روايات زبان عنه.
وزبان بن فائد ضعيف، حتى قال ابن حبان: منكر الحديث جداً، يتفرد عن سهل ابن معاذ بنسخة كأنها موضوعة، لا يحتج به. انظر: «تهذيب التهذيب» (٣/ ٢٦٥).
ورشدين كذلك ضعيف سيىء الحفظ. انظر: «تهذيب التهذيب» (٣/ ٢٤٠).
وشيخ المصنف واهٍ كما تقدم مراراً، والله أعلم.

(٣) في «ن»: الملك مني.

(٤) في «ن»: بخلافة.

وقال زكريا: هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب النبوة، فهذا الولد هو سام بن نوح فيما روي في الخبر، وهو أبو العرب والعجم والمجاورين[1] للعرب.

وأما حام: فهو أبو الحبشة والهند والسند.

وأما يافث: فهو أبو الترك والسقالبة.

فكان هؤلاء الثلاثة ممن ركبوا السفينة معه، وامتنع كنعان الابن الرابع، وحال بينهما الموج، فكان من المغرقين.

(١٥٤٠) ـ أنا[2] أبي، عن أحمد بن يونس، عن إسماعيل ابن عياش، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: ولد نوح ثلاثة: سام، وحام، ويافث، قال: فولد سام: العرب، وفارس والروم[3]، وفي هؤلاء خير، وولد حام: السودان والبربر والقبط، وولد يافث: الترك والسقالبة[4]، ويأجوج ومأجوج، أراه قال: وليس في هؤلاء خير[5].

---

(١) في «ن»: المجاورون.

(٢) في «ن»: حدثنا.

(٣) في الأصل: رورم، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: السقالب، والصواب من «ن».

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٢ ـ ٤٣)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٧١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٠٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٧٧) من طريق يحيى بن سعيد، به.

وإنما صارت هذه الأربعة قيامَ السموات والأرض وما فيهن؛ لأن الله تعالى خلق السموات والأرض وما فيهن[1] بالحق، ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[الجاثية: ٢٢].

وحقيقة القائمين بالحق في الوفاء بمقالة: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنما يطالب الله عباده بحقيقة القيام بهذه الكلمات الأربع حتى يرضى الحق، فالسموات[2] والأرض وما فيهن مسخرات للآدميين؛ ليقوم هذا الآدمي بمقالة: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، منطقاً، وليقوم[3] بمقالة هذه الأربع؛ وفاء بطهارة هذه الأربع ونزاهتهن وقدسهن، فمن قام من الآدميين بهذه الأربع بهذه الصفة التي وصفنا، كان ولي هذه الكلمات، وكان ولي الله، وبه تقوم السموات والأرض[4] وما فيهن، وإنما صار في الوزن أثقل من السموات والأرض وما فيهن، وأوزن من أعمال بني آدم؛ لأن هذه الكلمات عماد الأعمال، فبالتسبيح يطهر الأعمال، وبالتقديس[5] وبالتحميد تحط أثقال النعم، وبالتهليل يقبل الطاعات، وبالتكبير يرفع وينال الثبات والثواب[6].

فأما قوله: «أَوَّلُهُنَّ دُخُولاً عَلَى اللهِ، وَآخِرُهُنَّ خُرُوجاً مِنَ اللهِ»[7]؛

---

(١) قوله: لأن الله تعالى خلق السموات والأرض وما فيهن: ليس في «ن».

(٢) في الأصل: والسموات، والمثبت من «ن».

(٣) في الأصل: للقوم، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: والأرضون.

(٥) وبالتقديس: ليست في «ن».

(٦) والثواب: ليست في «ن».

(٧) في «ن»: النار.

فإن هذه الكلمات رؤوس الكلام[1] وأمناؤه، ومهيمن على سائر الكلام.

فالأمناء: أولهم دخولاً على الملك يوم يقعد لعرض الأجناد، وتدبير الملك[2]، فيرفعون إليه أمور الرعية، ثم يأذن للرعية، فيعرضهم، فإذا خرجوا من عنده، كان التدبير مع الأمناء، وقضاء حوائج الرعية على أيديهم، وأحكام أمورهم معهم، ويخرجون إلى الرعية بقضاء حوائجهم، وقبول معاذيرهم، ونوال عطاياهم، فكذلك هذه[3] الكلمات يدخلن[4] على الله تعالى يوم يعرض الأعمال في اثنين وخميس، ثم تجيء الأعمال بعد ذلك على أثرهن، فيعرضون على الله، فتزكية الأعمال وتوفيرها من هؤلاء الأمناء، يشهدون لهم بالصدق، وإذا خرجت الأعمال، بقوا هؤلاء عنده؛ لتوفير التقصيرات، وتصحيح الأعمال، وسؤال القبول والثبات، وتربية الأعمال[5]، وتقوية النفوس، ومدد القلوب، فهن المستأذنات للأعمال، والمسهلات لسبيل الأعمال، والشفعاء والمرتبات؛ لأن على طريق العرض سماطي الملك، ملك الرحمة، وملك العظمة، وملك السلطان، وملك البهجة، وملك الجمال، وملك[6] البهاء.

فهذه الكلمات تطرق للأعمال إلى مالك الملك، وتسهل السبيل،

---

(١) في «ن»: الكلمات.

(٢) في الأصل: والتدبير للملك، والمثبت من «ن».

(٣) في «ن»: هؤلاء.

(٤) في «ن»: يدخلون.

(٥) قوله: وسؤال القبول والثبات وتربية الأعمال: ليس في «ن».

(٦) في «ن»: وملك الجلال وملك.

وتشفع، وتزين، وبهن يقرع الباب، ومثل ذلك كمثل ملك يصبح فيعرض عليه أعمال الرعية، فاجتمعت الرعية على باب الملك، فأول من يدخل عليه الوجوه، وسراة الرعية، والمختص بالوسائل، فإذا دخلوا عليه، قرَّبهم في المجلس، وأدناهم من نفسه، وأحلهم محل الأمناء والخاصة، فإياهم يأتمن، وعليهم يُقبل، ومنهم يَقبل، وإياهم يسعف بالحوائج، ومن أجلهم يأذن لهم، وعلى قدر ما يثني كل واحد منهم على الرعية، وينشر عن طاعتهم[1] للملك، وصدقهم، ووفائهم، ونصحهم، يقبل الملك على هذه الرعية، ويسمع منهم، ويقضي حوائجهم، ويجزل عطاياهم، فهؤلاء وفود الرعية، فهذا مثل هذه الكلمات[2].

ثم للقائلين بها درجات تتفاوت، ومثل ذلك مثل[3] هذا الملك يجتمع ببابه هؤلاء[4] الوفود الذين وصفناهم، فهم أول من يدخلون عليه، كما[5] ذكرنا بدءاً، فأوجهُهم عند الملك: أحسنهم هيئة، وأعقلهم، وأعذبهم منطقاً، وأفصحهم لساناً، وأصبحهم وجهاً، وأطهرهم خلقاً، وأبهاهم زيّاً وسمتاً، وأنقاهم ثياباً، وأقصدُهم مشياً، وأفهمهم عنه إشارة، وأوفاهم علماً.

فالحظ كل الحظ، والوفارة كل الوفارة في الحظ، والإجابة كل الإجابة بنعم، والإسعاف كل الإسعاف بالحوائج، لمن كانت هذه صفته من بين

---

(١) في الأصل: طاعاتهم، والمثبت من «ن».

(٢) في الأصل: الكلمة، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: الملك، والمثبت من «ن».

(٤) في الأصل: هذه، والمثبت من «ن».

(٥) في الأصل: ثم، والصواب من «ن».

الوفود، فكذلك هذه الكلمات قد وعتها القلوب، ووعت معانيها الصدور، وزينتها العقول لأفئدة القلوب، وأشرقت أنوارها في الرويات من بين أودية الأفكار، وعلى بصائر النفوس وأسماع هواجس الأحلام.

فمن كان قلبه واعياً لنور الله الأعظم، وصدره مشرقاً بذلك النور، وعين فؤاده منكشفَ الغطاء عن زينة العقل وبهائه، وقد سد تراكم أنواره خلال الروايات، واحتدت لها بصائر[1] النفوس، وأذنت أسماع الهواجس، واحتشت من نور الحياة، فإنما تخرج الكلمات إلى الله من بين هذه الأشياء، فهذا بحر الله فيه جواهر الله، فإنما يصعد إلى الله جواهر قد غاص عليها[2] قائلها من بحره، فولي البحر أعلمُ بأثمان تلك الجواهر، قد عجز عن علم أثمانها جميع الخلق.

قال له قائل: ما أثمانها؟.

قال: حب الله، فمن ذا يدرك مقادير حرارات الحب[3] وفورانه وشعله، ومن يحصيها من العبد، ويعلم كنهها إلا محبوبه الذي يثيره.

قال له قائل: كيف يثيره؟.

قال: يثير الحب الذي وضعه في العبد بالحب الذي عنده للعبد، فمن خرجت هذه الكلمات[4] من حبه، من بحره، من غوصه، فدخلت هذه الكلمات منه على الله، كُنَّ أول من يدخلن، ثم يعرض أعماله بعد دخولهن،

---

(١) في الأصل: أبصار، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن»: قد غاصها.

(٣) في «ن»: مقادير حرارته.

(٤) في «ن»: الكلمة.

فكل عمل إنما يقتضي ثوابه هذا الحب، إنما صارت[1] هذه الكلمات وجيهة عند الله، لهذه[2] الأشياء التي وصفنا، وإنما نال هذه الأشياء بلب هذه الأشياء، ولبه حب العبد لله تعالى، ولب ذلك اللب حب الله لعبده.

ومن كان قلبه خالياً من جميع ما وصفنا، إلا أنه مؤمن بهذه الكلمات، قد تضمن توحيده نفس هذه الكلمات، وعلماً بها، ومعرفة لها، فهو مقرٌّ بها، ناطق لها باستقرار القلب بذلك التوحيد والإيمان، قد خلا قلبه عن أنوارها، وحشو ما فيها، فإنما يصعد إلى الله إيمانه بتلك الكلمات، واستعمال صدره بإيمان تلك الكلمات، وبذل لسانه بدورانها بالنطق[3] بذلك، حتى يصير[4] التصوت بها، وذَرْو لهجته في النطق، فهذا هو فقط، فإنما يدخل هذه الكلمات من قائلها على هذه الهيئة، وتلك[5] على تلك[6] الهيئة[7]، وإنما يكون كلمته من الله قرباً ودنواً ووسيلةً، وجواز قول، ونوال عطية على قدر هيئته، وتلك على قدر هيئته، فاعتبر بشأن هذا المثل الذي ضربناه لك بدءاً من شأن الملوك والسراة المقدمين في الإذن، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٣].

---

(١) في الأصل: الذي صارت، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن»: بهذه.

(٣) في الأصل: بالتعلق، والمثبت من «ن».

(٤) في «ن»: صير.

(٥) في الأصل: ذلك، والمثبت من «ن».

(٦) في «ن»: ذلك.

(٧) الهيئة: ليست في «ن».

فالغائص من بحر الله هذه الكلمات هو عبد قد طالع مقاسم الكلمات كيف انقسمت على أمور العباد في موضع المقسم على العرش، وطالع حكمة التأليف لحروف[1] الكلمات في ملك الملك في تلك الكلمات[2]، وطالع ما في حشو كل حرف منه في المبدأ، فهو إذا نطق بها، لاحظ المقسم، فوجَّه بلحظته بكل كلمة من معدنها الذي عزيت فيه هذه الكلمة إلى المعدن الذي منه جرى إلى العبد، وكل كلمة لها نوبة من الأمور والأفعال.

فالتسبيح تبرئة من الهواجس، والحمد يكشف عن النعمة[3]، وصنع الصانع، والتهليل تبرؤ عن العلائق، والتكبير يثبت القيومية له عن الزوال، فعين فؤاده تدور مع دوران لسانه، حتى تقسم اللحظات الكلمات[4] على الأمور، فتلاحظ الهواجس، وتلاحـظ النعم، وتلاحظ الشـرك، وتلاحـظ الزولان، فتنتقل لحظاته كما ينتقل دوران لسانه من كلمة إلى كلمة، فكذلك[5] ينتقل لحظاته للهواجس، ومن الهواجس إلى النعم، ومن النعم إلى الشرك، ومن الشرك إلى الزولان.

وآخرُ أعلى من هذا؛ طالع هذا كله، وطالع حكمة التأليف لحروف الكلمات، وولي تلك الحكمة[6] ومؤلفها، وهو لطف اللطيف، فهو يلاحظ بنور اللطف حكمة التأليف.

---

(١) في الأصل: بحروف، والمثبت من «ن».

(٢) في تلك الكلمات: زيادة من «ن».

(٣) في الأصل: الحمية، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: للكلمات.

(٥) في الأصل: فلذلك، والمثبت من «ن».

(٦) في الأصل: الكلمة، والصواب من «ن».

وآخر أعلى منه؛ طالع ما في حشو كل حرف منه من قول: سبحان الله ما حشو السين، وما حشو الباء، وما حشو الحاء، وما حشو الألف، وما حشو النون.

ومن قول[1]: الحمد لله ما حشو كل حرف منه، وما علَّة الألف واللام في قوله: الحمد؛ فإن نفس الكلمة حمد، والألف واللام ملحقتان، وما حشو حرف التهليل، وما حشو «لا»، وما حشو «إلا»، وما حشو ألوهة الله، وما حجز ما بين[2] «لا» و«إلا»، وإنما «لا»[3] لام وألف، و«إلا» ألف[4] ولام مضاعفة، فبلا نفى، وبإلا أثبت، فعين برَّاقة بنور الله، مدركة لهذه الأحشاء والأشياء[5].

فالموحدون في هذه الكلمات على ثلاثة أصناف:

١ـ صنف: هذه الكلمات تخرج من توحيده.

٢ـ وصنف آخر: تخرج هذه الكلمات من توحيده، مع علم نوراني مقربي.

٣ـ وصنف آخر: تخرج منه من توحيده، مع انكشاف الغطاء عن[6] معادن الحروف، وملاحظة تلك الحروف في المعادن، وملاحظة حشو الحروف في المعادن، وذلك نور الفردية والقربة، والله أعلم.

---

(١) في «ن»: قوله.

(٢) في الأصل: حجز بين، والمثبت من «ن».

(٣) في الأصل: هو، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: الألف، والصواب من «ن».

(٥) والأشياء: ليست في «ن».

(٦) في «ن»: من.



الأصل الثاني والثمانون والمئتان

(١٥٤١) ـ حدثنا علي بن حجر السعدي، قال: أنا[١] الوليد بن محمد الموقري، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ، قالت: دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ، فرأى في البيت كسرة ملقاة، فمشى إليها، فرفعها ومسحها، وقال: «يَا عَائِشَةُ! أَحسِني مُجَاوَرَةَ نِعَمِ اللهِ، فَقَلَّمَا نفَرَت مِن قَومٍ فَكَادَت تَرجِعُ إِلَيهِم»[٢].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فرأس النعم: الدِّين، ونور التوحيد: معرفة بالقلب، وشهادة باللسان أنْ لا إله إلا الله، فرأس نعم الدنيا: هذا الجسد الذي هو قالب لهذه النعمة الفائقة للنعم، وإن الله تعالى أنعم عليك بنور التوحيد حتى عرفته، ثم وضع لك حول قلبك في صدرك بيدراً من الأنوار، يتربى فيها نور المعرفة،

---

(١) في «ن»: ثنا.

(٢) تقدم تخريجه الأصل الحادي والسبعين والمئة.

وأنعم عليك بهذا القالب المجسد، ووضع حوله بيدراً من نعم الدنيا، يتربى[1] فيها هذا الجسد، وأمرت بحسن مجاورة نعم هذين.

فحسن المجاورة مع نـور المعرفـة: أن تنكر كـل شـيء سـواه، وأن لا تؤثر عليه أحداً، وأن لا تقرن بمشيئاته[2] مشيئات نفس، وأن لا يلهيك الهوى عن الوله إلى الله تعالى في كل حالاتك، وحسن مجاورة نعم[3] الجسد: أن[4] لا تستعمل جارحة من جوارحك إلا له، وبرضاه.



(١) في «ن»: بيوتاً.

(٢) في الأصل: تقرنه لمشيئاته، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: مجاورتك ونعم، والصواب من «ن».

(٤) أن: ليست في «ن».



الأصل الثالث والثمانون والمئتان

(١٥٤٢) ـ حدثنا أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: أنا الحماني، قال: أنا حبان[١] بن علي، عن محمد بن عبيدالله بن أبي رافع[٢]، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا طَنَّت أُذُنُ أَحَدِكُم، فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ[٣]»[٤].

---

(١) في «ن»: ثنا حيان.

(٢) في الأصل: ابن رافع، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: فليصل على النبي ﷺ، وما أثبت من «ن».

(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ١١٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٣٢١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ١٤٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٤١٥) من طريق حبان بن علي، عن محمد بن عبيدالله بن أبي رافع، عن أخيه عبدالله، عن أبيه، عن جده.

وأخرجه البزار في «المسند» (٩/ ٣٢٨)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٤٥٠)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٦١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٩٢)، وفي «المعجم الصغير» (٢/ ٢٤٥) من طريق محمد بن عبيدالله بن أبي رافع، به. =

(١٥٤٣) ـ أنا[١] [أنا عمر بن أبي عمر، أنا] إبراهيم بن موسى الفراء، عن هشام ابن يوسف الصنعاني، عن عبيدالله ابن المغيرة، قال: كنـا مع المغيرة بن حكيم[٢]، فضرب أذن رجلٍ من القوم، فقال المغيرة: إنه كان يقال: إذا ضرب[٣] أذن

= قال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن أبي رافع إلا بهذا الإسناد، تفرد به معمر ابن محمد.

ولفظه في بعض الطرق: «إذا طنت أذن أحدكم، فليذكرني، وليصل علي، وليقل: ذكرَ اللهُ بخير من ذكرني».

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٨): رواه الطبراني في الثلاثة، والبزار باختصار كثير، وإسناد الطبراني في «الكبير» حسن.

بينما قال العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٠٤): محمد بن عبيدالله بن أبي رافع: قال يحيى: ليس بشيء هو ولا ابنه معمر، من حديثه: «إذا طنت أذن أحدكم، فليصل عليَّ، وليقل: ذكر الله بخير من ذكرني» ليس له أصل.

وفي «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥١٧): ومن ذلك: أنه يستحب الصلاة عليه عند طنين الأذن إن صح الخبر في ذلك، على أن الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة قد رواه في «صحيحه»، فقال: حدثنا زياد بن يحيى، حدثنا معمر ابن محمد بن عبيدالله، عن علي بن أبي رافع، عن أبيه أبي رافع، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا طنت أذن أحدكم، فليذكرني، وليصل علي، وليقل: ذكر الله من ذكرني بخير» إسناده غريب، وفي ثبوته نظر.

وفي سياقه هكذا نظر، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(١) في «ن»: حدثنا، وإضافة عمر بن أبي عمر هو الصواب كما رواه في غير موضع من كتابه.

(٢) في الأصل: عن عبيدالله بن المغيرة بن حكيم فضرب، وما أثبت من «ن».

(٣) في «ن»: فَصرَّت أذن . . . إذا صُرَّت.

العبد، فإن الله يذكره، فليذكر الله، أو فليحسن ذكر الله[1].

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فالأرواح: حية ذات طهارة ونزاهة، ولها سمع وبصر، وبصرها متصل ببصر العين، ولها سطوع في الجو، وتجولٌ، فتجول[2] ثم تصعد إلى الله إلى مقامها الذي منه بدت، فإذا تخلصت من أشغال النفس، أدركت من أمر الله سبحانه ما يعجز عنه البشر فهماً.

ألا ترى إلى قول سلمان للحارث: كيف أنت يا حارث؟ فقال: ومن أين عرفتني؟ قال: عرف روحي روحك، وكذلك قال أويس لهرم.

وروي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: **«إِنَّ الأَروَاحَ لَتَتَلاَقَى فِي الهَوَاءِ، وَأَحَدُهُمَا مِن صَاحِبِهِ عَلَى مَسِيرَةِ يَومٍ وَلَيلَةٍ، وَإِنَّ الأَروَاحَ خُلِقَت قَبلَ الأَجسَادِ بِأَلفَي عَامٍ، فَتَشَامَّت كَمَا تَشَامُّ الخَيلُ، ثُمَّ هِيَ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَإِذَا التَقَوا، فَمَا تَعارفَ مِنهَا، ائتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنهَا، اختَلَفَ»**[3].

---

(١) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

(٢) في «ن»: في الجو تجول وتجول.

(٣) أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص: ٣١٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٥)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (ص: ١٢٩)، وابن حبان في «الصحيح» (٦١٦٨)، وتمام الرازي في «الفوائد» (١/ ٢٥١) من حديث أبي هريرة ﷺ، بلفظ: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف».

وأخرج البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٤٩٧) من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ، بلفظ: «الأرواح جنود مجندة، تلاقى فتشام كما تشام الخيل، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٧): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

هذا[1] كله عن رسول الله ﷺ، فلولا أنها مشغولة بالنفس وشهواتها؛ لأوردت بالعجائب على صاحبها من درك الأشياء، ولكنها تدنست بما لبست من أثواب اللذات، وتكدرت بما شربت من كأس حب الدنيا، وخالطت الهوى، ومالت نحوه، فمن صفاه وأخلصه ونزهه، فقد ظفر بنور اليقين، وفاز بالحظ العظيم، وبالكأس الأوفى.

وإن رسول الله ﷺ لما قبض، فقيل له: إلى أين يا رسول الله؟ قال: «**إلى سِدرَةِ المُنتَهَى**»[2].

فلكل رسول في السماء مستقرٌّ إذا قبض.

فلآدم السماء الدنيا، وليحيى وعيسى السماء الثانية، وليوسف السماء الثالثة، ولإدريس السماء الرابعة، ولهارون السماء الخامسة، ولموسى السماء السادسة، ولإبراهيم السماء السابعة، ولمحمد ـ صلى الله عليه وعليهم أجمعين ـ سدرة[3] المنتهى بباب الله ﷻ عند الحجاب، فهو متشمر[4] هناك، يسأل الله لأمته في كل يوم لكل صنف، فللمتهافتين التوبة، وللتائبين الثبات، وللمستقيمين الإخلاص، ولأهل الصدق الوفاء، وللصديقين وفارة الحظ.

ولذلك ما روي عن النبي ﷺ: أنه قال: «**حَيَاتِي خَيرٌ لَكُم، وَمَوتِي خَيرٌ لَكُم**»[5].

---

(١) في «ن»: فهذا.

(٢) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

(٣) في «ن»: السدرة.

(٤) في «ن»: مستمر.

(٥) أخرجه البزار في «المسند» (٥/ ٣٠٨) من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ. =

(١٥٤٤) ـ أنا[١] بذلك صالح بن محمد، قال: ثنا زافر ابن سليمان، عن بكر بن خنيس، عن عباد، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلاَ إِنِّي لَكُم بِمَكَانِ صِدقٍ، حَيَاتِي، وَإِذَا مِتُّ»، فقال عمـر: يا رسـول الله ـ صلى الله عليك[٢]ـ إذا مت؟ قال: «لاَ أَزَالُ أُنَادِي في قَبرِي: رَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي، حَتَّى يُنفَخَ في الصُّورِ النَّفخَةُ الأُولَى، ثُمَّ لاَ تَزَالُ لي دَعوَةٌ[٣] مُجَابَةٌ حَتَّى يُنفَخَ في الصُّورِ النَّفخَةُ الثَّانِيَةُ»[٤].

فطنين الأذن من قبل الروح لأنه[٥] بحدة بصره، وخفته، وطهارته، وحياته، وسطوعه إلى المقام، أدرك في وقتِ سؤال رسول الله ﷺ بباب الله

= وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١٩٤)، والحارث في «المسند» (٢/ ٨٨٤ زوائد الهيثمي)، والجهضمي في «فضل الصلاة على النبي» (ص: ٣٩) عن بكر ابن عبدالله المزني ﷺ.

وأخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٧٦) من حديث أنس ﷺ.

(١) في «ن»: حدثنا.

(٢) صلى الله عليك: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: دعوتهم، والصواب من «ن».

(٤) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٤/ ١٧٨) للحكيم الترمذي في «النوادر» عن أنس ﷺ.

شيخ المصنف هالك كما تقدم مراراً، وفيـه بكر بن خنيس ليس بالقوي، يروي المناكير. انظر: «تهذيب التهذيب» (١/ ٤٢٢).

(٥) في الأصل: أنه بحدة، والمثبت من «ن».

له شيئاً، وذكر الله إياه بخير، فرجع إلى أصله المتمكن في رأسه وقلبه بذلك الخير وبالبشرى، فطنت الأذن لصوت رجته، وما جاء به من الخير، فلذلك قال: «فَلْيُصَلِّ علَى النَّبِيِّ ﷺ»؛ لأنه ذكره عند الله في ذلك الوقت، وطلب له منه شيئاً، فاستوجب[1] منه الصلاة؛ ليكون فيه أداء حقه، فهذا وما أشبهه مكرمات الموحدين من ولد آدم.

وكذلك العطاس هو في ذلك الوقت ذكر من الله لذلك الروح بخير، فابتهج الروح، وسطع نوره، فذلك الصوت من سطوعه، ولذلك قيل: عطس وسطع، وهما كلمتان مستعملتان في نوعين، يقال: عطس وسطع، فلذلك أمر أن يحمد ربه، وأول من فعل ذلك: آدم، لما استقر فيه الروح، وانتهى منتهاه، وخلص إليه ذلك الضيق في ذلك اللحم والدم، غذي[2]، وذكر بخير، فازدهر، وسطع نوره؛ كالمسرور بما[3] غذي.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «العُطَاسُ مِنَ اللهِ»[4].

وقال: «مَن حَدَّثَ بِحَدِيثٍ، فَعَطَسَ عِندَهُ، فَهُوَ حَقٌّ»[5].

---

(١) في الأصل: استوجب، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: عُزي... كالمسرور بما عزي.

(٣) في الأصل: بالسرور وربما، والصواب من «ن».

(٤) أخرجه الترمذي (٢٧٤٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٤٢)، والحميدي في «المسند» (٢/ ٤٩٠)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٢/ ٦١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٩٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.
وقد تقدم تخريجه في الأصل العاشر والمئتين، مفصلاً.

(٥) تقدم تخرجه في الأصل العاشر والمئتين.

لأن ذلك وقت ذكر الله للأرواح، فلا يقول صاحبه إلا حقاً، ولذلك وجب للمسلم على المسلم حق التشميت؛ لأنه قد[١] ظهر عليه أثر نعمة[٢] الله في ذلك الوقت بالذكر[٣].

وروي: أنه قال سبحانه: يا داود! إذا[٤] سمعت عاطساً[٥] من وراء سبعة أبحر، فاذكرني[٦].

❒ ❒ ❒

---

(١) قد: ليست في «ن».

(٢) في الأصل: نعم، والمثبت من «ن».

(٣) في الأصل: في ذلك الذكر، والمثبت من «ن».

(٤) في «ن»: إن.

(٥) في الأصل: عطاساً، والصواب من «ن».

(٦) تقدم تخريجه في الأصل الحادي والعشرين والمئة، وفيه: يا سليمان.





الأصل الرابع والثمانون والمئتان

(١٥٤٥) ـ حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: أنا[1] الخنيسي، قال: أنا[2] وهيب، عن عطاء بن قرة السلولي، عن عبدالله بن ضمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدُّنيَا مَلعُونَـةٌ مَلعُـونٌ مَا فِيهَا، إلاَّ ذكَرَ اللهَ، أَو مُعَلِّماً، أَو مُتَعَلِّماً[3]»[4].**

(١٥٤٦) ـ أنا[5] صالح بن محمد، قال: أنا إبراهيم بن

---

(١) في «ن»: ثنا.

(٢) في «ن»: أنبأنا.

(٣) في «ن»: أو معلم أو متعلم.

(٤) هذا مرسل.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٢٠١)، والدارمي في «السنن» (١/ ١٠٦) من طريق عبدالله بن ضمرة عن كعب ﷺ، من قوله.

ومن حديث عبدالله بن مسعود ﷺ أخرجه البزار في «المسند» (٥/ ١٤٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٢٣٦)، وفي «مسند الشاميين» (١/ ١٠٧).

(٥) في «ن»: حدثنا.

محمد[1] الأسلمي، عن رجل، عن عطاء بن قرة السلولي، عن عبدالله بن ضمرة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، بنحوه[2].

فلم يذكر قتيبة أبا هريرة في حديثه[3].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالدنيا هي هذه الدار التي دورت أرضها تدويراً بجبل قاف، وأحيط عليها بالجبل، وتلك دار أخرى، وهي آخرة، وهذه أولى، قال الله تعالى في تنزيله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾[الليل: ١٣].

وسميت هذه دنيا؛ لأنها أدنى إليك، والآخرة تعقب هذه، إذا ذهبت هذه، جاءت تلك، فتلك اسمها عاقبة؛ لأنها تعقب هذه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[الأعراف: ١٢٨].

وسميت هذه عاجلة؛ لأنها عجلت، وتلك آجلة؛ لأنها أجلت، وفي هذه الدار[4] زينة وحياة، وفي تلك الدار زينة وحياة، فزينة هذه الدار أصلها

---

(١) ابن محمد: ليست في «ن».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٢٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٦٥)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢٠/ ١٠٢) من طريق عطاء بن قرة، به.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) في «ن»: لم يذكر قتيبة في حديثه أبا هريرة رضي الله عنه.

(٤) في الأصل: الحياة، وما أثبتناه من «ن».

من تلك الـدار، ولكنها نبتت ونشـأت من أرض هذه ذهبها وفضـتها، وجواهرها، ومياهها، وثمارها، ورياحينها، وطيبها، وألوانها، ونعيمها، وحياة هذه في[1] الروح المركب في هذا القالب الذي هو من اللحم والدم، والعظم والعصب، والعروق والشهوة، واللذة في هذا القالب.

وأصل الشهوة من الفرج، وأصل اللذة من الذهن، وأصل القالب من التراب[2]، والحياة مسـكنها في الروح، والروح مسكنه في الدماغ، ثم هو متفشٍّ في جميع الجسد، وأصله معلق في الوتين عرق القلب مشدود هناك، وذلك العرق نياط القلب، والنفس مسكنها في البطن، وهي متفشية في جميع الجسد، وأصلها مشـدود بهذا العرق، والشهوات في النفس، واللذة منها، وعملها في الذهن، فهذه الزينة، والحياة التي في النفس تسـتعمل هذا[3] القالب، فما كان من عمل العين، خرج إلى العين، وما كان من عمل السمع، خرج إلى السمع، وما كان من عمل المنطق، خرج إلى اللسان، وما كان من عمل اليد، خرج إلى اليد، وما كان من عمل الرِّجل، خرج إلى الرجل، وما كان من عـمل البطن، خرج إلى البطن[4]، وما كان من عـمل الفرج، خرج إلى الفرج.

ومخرج[5] هذه الأعمال أعمال الجوارح السبع؛ من الفرح الذي في

---

(١) في «ن»: من.

(٢) في «ن»: تراب.

(٣) في الأصل: بهذا، والمثبت من «ن».

(٤) في الأصل: الحلق، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: فتخرج.

القلب، ومن الزينة والحياة التي في النفس[1]، فإذا حزن القلب، ذبلت النفس، وانطفأت نار الشهوة، وتعطلت الجوارح عن العمل، وسكنت الحركات، فإذا فرح القلب، هاجت النفس، وصارت قوية طرية، وأثارت نيران[2] الشهوات، واستعملت الجوارح كلها؛ فإن كل نار إنما[3] تستعمل الجارحة التي بحيالها.

فالفرح رأس مال[4] أعمال الجوارح، والعبد مبلوٌّ بهذا الفرح، فإذا حيي القلب بالله، ففرح بشيء من زينة الدنيا تراءى[5] بذلك النور الذي في قلبه، وتلك الحياة التي لقلبه صنع الله تعالى في تلك الزينة، وخلقه لها، ورحمته فيها، ورأفته على عبده بذلك، فقبلها من ربه، واستبشر بها، وصير ذلك الفرح لله، ونطق بالحمد لله، وأضمر على الطاعة شكراً لله، وإظهاراً لعلمه بأني أعلم أن هذا لي من الله، حتى يأخذ ذلك الفرح بمجامع قلبه، ويملأ صدره من ذلك الفرح، وينتشر سلطان ذلك الفرح من صدره في جميع جوارحه[6]، فيذهب كسله، ويقوى عزمه، وتتجدد نيته، وتطيب نفسه.

فهذا عبد حامد لله، شاكر لله، قد صدق علمه بأنه من الله؛ بقوله بلسانه: الحمد لله، ثم يصدقه بفعل جوارحه شكراً لله تعالى، وإذا هاج الفرح بتلك

---

(١) قوله: ومن الزينة والحياة التي في النفس: ليس في «ن».

(٢) في «ن»: نار.

(٣) في الأصل: الجوارح كل نار إنما، والصواب من «ن».

(٤) مال: ليست في «ن».

(٥) في الأصل: ترائيا، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: جراره، والصواب من «ن».

الزينة من قلبه، وكان قلبه محجوباً عن الله تعالى، وصدره مظلماً بغيوم الهوى، ودخان الشهوات[1]، ورين الذنوب، لم يتراءَ لعيني فؤاده في صدره[2] صنعُ الله في تلك الزينة، ولا خلقه لها، ولا رحمته فيها، ولا رأفته عليه، فجاء الهوى بكبره، والنفس بعلوها وتجبرها، وصار الفرح للنفس، والفرح بالدنيا، ولمراءاة الأشكال والأضداد؛ ليناطح بتلك الزينة الأضداد، ويباهي[3] بها الأشكال، فظهر الفساد من الجوارح، وخرجت السيئات من الجسد، كل سيئة من معدنها؛ من قلة الرحمة، وقلة الرأفة، وقلة المبالاة، وترك النصيحة، وظهرت الفظاظة، واليبوسة، والغلظة، والقسوة، ومدانئ الأخلاق، حتى صارت الجوارح إلى الغش والمكر والمخادعة[4]، وإلى أفعال الحسد، وإلى سوء النيات والمقاصد، حتى خرج إلى الفرعنة والتجبر، كل على قدره، يتنعمون بنعم الله تعالى، ويتلذذون بتلك الزينة، وتلك اللذات فرحاً، وأشراً، وبطراً في هيئة أهل الكفر بالله، والجحود له.

فقد تبين الآن: أن أصل هذا الأمر كله من الفرح، فمن قدر أن يصرف هذا الفرح منه إلى الله في كل عمل، وفي كل أمر دنيا وآخرة، تنور قلبه، وإلا، فقد وقع في الوبال، فإن كان فرحه في أمر الدنيا، أشر وبطر وهلك، وإن كان في أمر الآخرة، أعجب وتكبر وصار مرائياً، فمن[5] صرف ذلك

---

(١) في الأصل: الشهوة، والمثبت من «ن».

(٢) في صدره: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: ويتباهى، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: والمخادعات.

(٥) في الأصل: فإن، والصواب من «ن».

إلى الله تعالى، لم يزدد لربه إلا خشوعاً وخضوعاً وحياءً، فحمده، ودعاه ذلك إلى شكره بجميع جوارحه، وذلك حفظ الجوارح السبع على أمر الله، وإقامة فرائض الله، والقيام بحقوق الله، ومن لم يقدر على ذلك، سباه فرحه، فصار سبياً من سبي النفس، وإذا نالت النفس الفرح، كانت بمنزلة رجل متغلب وجد كنزاً وأموالاً جمة، فاحتوى عليها، وفرقها فيمن[1] اجتمع إليه[2] من الغوغاء، حتى صاروا أعوانه وتبَّاعه، فخرج بتلك القوة على أمير البلد، وعمد إلى الأمير فسجنه، فالأمير في الوثاق في السجن، والخارجي يدوس البلد دوساً، فإن تداركه أمير المؤمنين بمدد وجيش وكنز، فقد نصره، وإن تركه مخذولاً، فقد ذهبت الإمرة.

فهذا شأن القلب مع النفس، وقد حذر الله تعالى عباده في تنزيله في قصة قارون قوله[3]: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[القصص: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ﴾[الرعد: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس: ٥٨].

فدلك على الفرح بفضله؛ ليصرفك عن الفرح بجمعه، فإن فرح الجمع هلاك الدين والقلب، وفرح الفضل والرحمة يؤديك إلى الله؛ لأن من[4] فرح

---

(١) في الأصل: فبين، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: عليه، والمثبت من «ن».

(٣) قوله: زيادة من «ن».

(٤) في «ن»: لأن كل من.

بشيء، أقبل عليه، وطلبه، فإذا رأى الله من عبده إقبالاً على هذه الدنيا الدنية، وعلى هذه الشهوة الرديئة، أعرض عنه، وردها[1] عليه حتى يكون همه دنياه، ونهمته شهوات نفسه، وطلبه العلو[2] فيها، حتى يضاد أقضيته وتدبيره، ويقطع بها عمره، خاب عن الله، وخسر الدنيا والآخرة، وإذا رأى إقباله على ربه، صنع له جميلاً، وهيأ له تدبيراً ينال به فوز العاجل والآجل، وسعادة الدارين.

(١٥٤٧) ـ أنا أحمد[3] بن مصرف اليامي، قال: أنا محمد ابن بشر العبدي، عن جنيد[4] بن العلاء بن أبي وهرة[5]، عن إسماعيل بن عبيدالله، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «تَفَرَّغُوا مِن هُمُومِ الدُّنيَا مَا استَطَعتُم، فَمَا أَقبَلَ عَبدٌ بِقَلبِـهِ إِلى[6] اللهِ تَعَالى إِلاَّ أَقبَلَ اللهُ بِقُلُوبِ المُؤمِنِينَ تَفِدُ إِلَيهِ بِالوِدِّ وَالرَّحمَةِ، وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ خَيرٍ إِلَيهِ أَسرَعَ»[7].

---

(١) في الأصل: وزتهما، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن»: للعلو.

(٣) في «ن»: حدثنا محمد.

(٤) في الأصل: حميد، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: ابن أبي زهرة.

(٦) في «ن»: على.

(٧) أخرجه ابن أبي عاصم في «الزهد» (ص: ٨١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٤٠٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ١٨٦) من طريق محمد بن بشر عن جنيد، عن محمد بن سعيد، عن إسماعيل بن عبيدالله، به. =

قال أبو عبدالله:

فإذا نظر الله إلى عبد بالرحمة، وقلبُه مأسور في إِسَارِ النفس، أمده من عنده، ثم إذا صار إليه المدد، تاب، وتاب الله عليه، ومن توبة الله على العبد: إقباله عليه، فإذا أقبل عليه، تلظت جمرة الإيمان في القلب، فتوردت أشجار الخيرات وأينعت، كما تتورد بساتين الدنيا وتينع أشجارها إذا ظهر الحر، فإذا وجد القلب هذه القوة، أقبل على النفس بالزجر لها بسلطان قوي حتى يقمعها؛ بمنزلة ما ضربنا له المثل بدءاً: أن هذا الخارجي إذا سمع أن جيش أمير المؤمنين قد أقبلوا، هرب من الكورة، وتخلى عنها، وخرج الأمير من السجن، وقعد في إمرته، واحتوشته الجنود، وفرق الأموال والكنوز التي جاءته من أمير المؤمنين في جنده[1]، وقصد الخارجي[2] يحاربه.

= وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٧٧) من طريق جنيد بن العلاء، عن محمد بن سعيد، عن إسماعيل، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٨): وفيه محمد بن سعيد المصلوب، وهو كذاب.

قال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢١١) في ترجمة جنيد: كان يدلس عن محمد بن أبي قيس المصلوب، ويروي ما سمع منه عن شيوخه، فاستحق مجانبة حديثه على الأحوال كلها؛ لأن ابن أبي القيس كان يضع الحديث.

قلت: أي: محمد بن سعيد المصلوب. وانظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٢٥/ ٢٦٤).

(١) في «ن»: جنوده.

(٢) في «ن»: للخارجي.

فما زال الخارجي يحاربه، ويتباعد قليلاً قليلاً[1]، والأمير خائف مع هذا الجند، لا يأمن بياته وافتراضه[2]، فهو مشغول بالحراسة يحرس جنوده[3] ونفسه، ويسأل أمير المؤمنين زيادة مدد، فلا يزال يمده حتى إذا أمده[4] بغاية المدد[5] أخذه أسيراً، أو يكون الخارجي قد[6] نظر إلى كثرة المدد، فعلم أنه لا يقاوم أمير المؤمنين، فألقى بيديه سلماً، وأسلم، وتاب على يدي أمير المؤمنين، فعندها يأمن الأمير، ويتربع في ولايته، ويتفرغ لصلاح أمور البلد، وأمور أمير المؤمنين.

فهذه صفة التائب إذا تاب، احتاج إلى محاربة النفس ومجاهدتها في كل أمر، فلا يزال كذلك، فيزاد مدداً[7]، وهو لا يأمنها مع ذلك المدد، فخاف أن تثب وثبةً من زوايا جوفه فتأخذه؛ لأن مكرها أعظم من أن يوصف، حتى إذا تجلى لقلبه شأن الملكوت، وأشرق[8] في صدره أنواره، فامتلأ صدر العبد من جلال الله وعظمته، فبسلطان الجلال تستأنس النفس ويسبيها، وبالعظمة يولهها، فإما أن[9] يأخذها بتلك القوة، فيحبسها حتى

---

(١) قليلاً: ليست في «ن».

(٢) في «ت»: لا يأمن ثباته وافتراضه.

(٣) في «ن»: جنده.

(٤) حتى إذا أمده: زيادة من «ن».

(٥) في الأصل: بغاية المدد حتى، وما أثبتناه من «ن».

(٦) قد: ليست في «ن».

(٧) في الأصل: ويزداد ملكاً، والمثبت من «ن».

(٨) في الأصل: وضيق، والصواب من «ن».

(٩) في «ن»: فأما من.

تموت في سجن القلب غماً، وإما أن تلقي بيديها سلماً، فتذعن للقلب، وتنقاد له، وتصير في يدي القلب كالأسير، وحتى إذا وجدت تلك اللذات التي وردت على القلب من الملكوت من تلك العطايا، اعتصمت بالقلب، وتركت لذاتها الفانية الدنيئة، فعندها وصل العبد إلى أوائل العبودة.

ثم للعبودة شأن أعظم من هذا، فوضع في هذا القالب الحياة، والحياة في الروح والنفس، وهما ريحان: **إحداهما** أرضية، **والأخرى**[1] سماوية، ووضع في هذا القالب:

الرحمة في موضع، والرأفة في موضع، والعلم في موضع، والفهم[2] في موضع، والحفظ في موضع، والعقل في موضع، والشهوة في موضع، واللذة في موضع، والقوة في موضع، والفرح في موضع، والحزن في موضع، والرضا في موضع، والسخط في موضع، والغضب في موضع، والحياء في موضع، والهوى في موضع، والحب في موضع، والبغض في موضع، والنور في موضع، والظلمة في موضع، والكبر في موضع، والعظمة في موضع، والفقر في موضع، والغنى في موضع، والسلطان في موضع، والعجلة في موضع، والسكينة في موضع، والحاجة في موضع، والوقار في موضع، والتؤدة في موضع، والأناة في موضع.

فهذه الأشياء لا تدرك إلا بالاسم، ولا تأخذها[3] الحواس، ولكن

---

(١) في الأصل: وأخرى، والصواب من «ن».

(٢) جاء في «ن» في بعض هذه المواضع تقديم وتأخير وبعض خلاف اكتفيت بالتنبيه عليه هنا.

(٣) في الأصل: تأخذه، وما أثبتناه من «ن».

يعرف بمعاملتهن، فتمتاز هذه الأشياء كل شيء بعمله الذي يظهر منه، فيعرف بالأسماء التي سميت بها، ووضع فيه الذهن وهو متفشٍّ في جميع الجسد، ومعدنه في الصدر، وهو أزكى شيء في الجسد، وأحدُّه، وأدركه للأشياء.

فبالذهن يدرك عمل هذه الأشياء التي وصفنا، وماذا تعمل الحياة؟ وماذا تعمل الرأفة؟ وماذا تعمل الرحمـة؟ وماذا يعمل العلم؟ وماذا يعمل الحفظ؟ وماذا تعمل القوة؟ وماذا يعمل الفرح؟

فهي كلها غائبة عن حواسك، لا تنالها بلمس يد، ولا ببصر عين، ولا بمذاقة طعم، ولا بشم أنف، ولا بسماع[1] أذن، وأصل هذه التي فيك كلها من عند رب العالمين، فأعطاك الحياة من حياته، والرحمة من رحمته، والرأفة من رأفته، والعلم من علمه، وكل شيء من هذه الأشياء هو عنده، فالتي فيك هي[2] كلها مخلوقـة، وكل شيء من هـذه الأشياء التي[3] هي ممدوحة، والتي تليق به[4] أبرزها صفة لنفسه، وهي أنوار:

نورٌ منها للحياة، ونورٌ منها للرحمة، ونورٌ للرأفة، ونورٌ للفرح، ونورٌ للرضا، ونورٌ للكبر، ونورٌ للعظمة، ونورٌ للمحبة، ونورٌ للسلطان، ونورٌ للغنى، ونورٌ للصبر[5].

---

(١) في «ن»: بسمع.

(٢) في الأصل: بالتي فيك، وهي، والمثبت من «ن».

(٣) التي: زيادة من «ن».

(٤) في الأصل: بها، والمثبت من «ن».

(٥) في «ن»: للبصر.

فهي كلها أنوار، كل نور صار ملكاً على حدته، ومن كل ملك منه خرج ذلك الشيء الذي ظهر في الخلق، وذلك[1] كله خرج من ملكه[2] الأعظم، ومن[3] ملك الملك من باب القدرة من الوحدانية، فهو واحد فرد أحد، تفرد عن الصفات، وتوحَّد عنها.

فالصفات أبرزها للعباد؛ ليجري من تلك الأنوار إلى العباد ما يظهر على أجسادهم، وعلى دنياهم؛ من خلق الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم، والرياح والسحاب والمياه، وما في السماء والأرض، فإنما جرى خلق هذه الأشياء المخلوقات من تلك الأنوار، ثم كشف الغطاء عن قلوب الأنبياء والأولياء والأصفياء بأنوار[4] الصفات حتى[5] عاينوا بعيون الأفئدة في تلك الصدور آثار صنعه في جميع الأشياء؛ في كل نملة وذرة وبعوضة وحمامة[6]، وفيما جل من خلقه؛ من الفيلة والعقبان والأسدان والتنين، وفي كل شيء نجم من الأرض، فنبت في ألوانها وطعومها، ومقاديرها، وحرها وبردها، وهيئاتها ومنافعها، ثم صير لتلك الأنوار التي هي الصفات[7] أسماء بحروف مؤلفة، فيكون اسم تلك الصفة؛ لتدور الألسنة بذلك، كي

(١) في «ن»: وهذا.

(٢) في الأصل: ملك، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: من.

(٤) في الأصل: أنوار، والمثبت من «ن».

(٥) في الأصل: التي، والمثبت من «ن».

(٦) وحمامة: زيادة من «ن».

(٧) في الأصل: صفات، والمثبت من «ن».

إذا أشرقت الصفات على قلوب الأولياء والأصفياء، ودارت ألسنتهم بتلك الحروف نطقاً من تلك الصدور المشرقة فيها تلك الأنوار، حتى تخرج من ألسنتهم في الأرض غائبةً عن العيون.

فإذا دخلت أبواب السماء، انتشرت أنوار[1] دوران تلك الألسنة، فصارت كالبروق الخاطفة تأخذ سماءً سماء، فتملأ السماوات نوراً إلى العرش حتى تغمض الملائكة عيونها[2] في صفوفها حياءً مما قالوا يوم الخصام، حيث قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[البقرة: ٣٠]، وأبرزوا أفعالهم، فقالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٣٠].

ليظهر بتلك الأنوار في السموات العلا[3] ما علم الله في الغيب منهم؛ ليباهي بما[4] يخرج من ألسنتهم وأفواههم من النور الذي جرى من معدنه في ملائكته، ويريهم فضل تلك الأنوار على سائر الأنوار، ويريهم أنَّ هذه الأنوار خرجت من قالب التراب من بين الشهوات والهوى، والتي خرجت منكم من أجوافٍ نورانية ليس فيها هوًى ولا شهوات[5] ولا وسوسة عدوٍّ، فهناك يعلمون[6] حب الله تعالى لهذا الآدمي وكرامته له، فكل[7] ناطق إنما

---

(١) أنوار: ليست في «ن».

(٢) في «ن»: أعينها.

(٣) في «ن»: إلى العلي.

(٤) في «ن»: ما.

(٥) في «ن»: ولا شهوة.

(٦) في «ن»: يعرفون.

(٧) في الأصل: وكرامته وكل، والصواب من «ن».

يدور لسانه من معدن نوره، وعلى حسب ذلك ينتشر في السموات إلى العرش.

فهذه الصفات التي جاءت عن الله في التنزيل، وفي حديث رسول الله ﷺ هي للعباد، ومن أجلهم؛ ليعامل العباد من هذه الصفات[١]، ثم هو في[٢] الباطن الذي لا يدرك، ولا كيفية له، فالحياة هاهنا في الروح والنفس، والجسد قالب[٣]، فإذا خرجا، بقي القالب لحماً مواتاً[٤]، وحياة الآخرة في كل شيء منه، فكل شيء منه حي من قرنه إلى قدميه[٥]، وكل شعرة وكل ظفر حيٌّ بحياته[٦]، وذلك إذا شربوا ماء الحياة بباب الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت: ٦٤].

أخرجه على قالب فَعَلان[٧]؛ لبلوغ الغاية في التكثير والتوفير؛ كقوله: رحمن ورحيم، وعُريان وعارٍ، فالعريان بقشره[٨]، والعاري في ثياب خلقة[٩]؛ كقول النابغة حيث أنشد[١٠]:

---

(١) في «ن»: الصفة.

(٢) في: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: والجسد فالجسد قالب.

(٤) في الأصل: لحم موات، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: قدمه.

(٦) في «ن»: لحياته.

(٧) في الأصل: الفعلان، والمثبت من «ن».

(٨) في الأصل: يعتريه، والصواب من «ن».

(٩) في الأصل: الثياب الخلق، والمثبت من «ن».

(١٠) في «ن»: أنشد لعمر.

أتيتــك عاريــاً خلقــاً ثيــابي على خــوفٍ تظــن بــه الظنونــا

فالذي يشرب ماء الحيوان في الآخرة يجد اللذة والنعيم كل شعرة فيه على حدتها، ويقوى على نعيم الجنة بقوة تلك الحياة، بجميع ما في هذه الدار التي سميت دنيا، كل ذلك[1] متاع هذه الحياة، والمتاع: المنفعة[2] والبلغة.

قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[آل عمران: ١٤]، ثم قال سبحانه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[الحديد: ٢٠]، ثم ضرب المثل بالغيث؛ ليريكم عاقبتها، ثم قال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[آل عمران: ١٨٥]، ثم قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾[الكهف: ٧].

ثم أخبرك لأي شيء جعل هذا، فقال: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الكهف: ٧]، ثم ضرب المثل، فقال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[يونس: ٢٤]، ثم قال في آيةٍ أخرى[3]: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[يونس: ٢٥]، ثم قال: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾[آل عمران: ١٥]، ثم بين ذلك الخير ما هو، فقال: ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[المائدة: ١١٩]، ثم بين لمن هي، فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾[يوسف: ١٠٩]، ثم قال: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[آل عمران: ١٧] الآية.

فإنما صارت الدنيا مذمومة ملعونة[4] من أجل أنها غرت النفوس بنعيمها

---

(١) في الأصل: كله، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن»: والمتاع والمنفعة، وفي الأصل: ومتاع المنفعة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في «ن»: في آخره.

(٤) في «ن»: ملعونة مذمومة.

وزهرتها ولذتها، والشهوة واللذة في النفوس، فلما ذاقت النفس طعم النعم، اشتهت ولذت، ومالت عن العبودة إلى هوى النفس، وإنما جعلها زينةً في نفوس[1] العباد، وأعطي من تلك الزينة العدو؛ ليوسوس بتلك الزينة، ويمازج بها تلك الزينة التي وضعها[2] الله تعالى في العباد، وحبها وشهوتها؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملاً في هذه الزينة، أيتواضع لله فيما أعطاه من الزينة[3]، ويشكره عليها؟ أو يتكبر عليه ويكفره؟.

كما قال سليمان[4] عليه السلام حيث قال: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[النمل: ٣٨]، فقال ذلك الجني: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾[النمل: ٣٩]، فاستبطأه، وقال الإنسي الذي عنده علمٌ من الكتاب، وهو اسم الله الأعظم: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[النمل: ٤٠].

فلما رآه مستقراً عنده؛ أي: السرير، قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[النمل: ٤٠]؛ أي: قَدَرَ هذا الإنسي على ما لم أقدر عليه، وأُعطي[5] ما لم أُعط، فابتلاني برؤية ما أُعطي؛ ليبلوني[6] أأشكر فأعتدُّ بما أعطاه من نعمة الله علي[7]؛ لأنه من خوَلي؟ أو أحسده فأكفر النعمة؟.

فهذه الأشياء إنما غرَّت المفتونين الذين لما تناولوها من الدنيا، عَمِيَت

---

(١) في الأصل: لنفوس، والمثبت في «ن».

(٢) قوله: العدو ليوسوس بتلك الزينة ويمازج بها تلك الزينة: زيادة من «ن».

(٣) في الأصل: من حيث الزينة، والمثبت من «ن».

(٤) في الأصل: لسليمان، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: وأعطاه.

(٦) في «ن»: لينظر.

(٧) في الأصل: نعمه علي، والمثبت من «ن».

عيونهم عن تدبير الله وتقديره[1] وسياقته إليهم، ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾[الإسراء: ٧٢]، فوضع الله الدنيا مع زينتها وبهجتها، وخلقنا[2] فيها، فحرم وأحل، وأمر ونهى، وافترض وأسقط، فمن انتهى عن المحرمات[3]، وأدى الفرائض، وتناول من[4] الدنيا، فعبده بتناولها؛ لأنه أخذها على الحاجة، ومن السبيل الذي أطلق له، فقد خرج من الذم، وبرئ من الدنيا[5].

وإن تناول شهوة[6] ونهمة، في غفلة[7] عن الله، فقد أخذته الدنيا المذمومة، ولا يصل إلى هذه المرتبة التي تبرأ من عارها وذمها ووبالها إلا من وصل إلى الله قلباً، فعظمته على قلبه، وخشيته في صدره، فذِكرُه دائمٌ على قلبه، لا يتناول[8] من الدنيا شيئاً إلا تعبداً؛ لأنه إنما أباح له ذلك؛ لتربية جسده؛ ليقوِّي جسده على عبودته وخدمته، فهو زاهدٌ في كل شيء يتناول من الدنيا، زاهد في عمره؛ لأنه مشتاق إلى ربه، والمشتاق لا يريد الحياة، والمتناول من الدنيا على العبودة لا يأخذها إلا من أجله، وأينما يأخذها[9]، فإنما يقبلها عن الله، فهو يأخذها منه شاكراً، ويأخذها من أجله عبداً، فإن أعطاه

---

(١) في الأصل: وتدبيره، والصواب من «ن».
(٢) في الأصل: وخلقه، والصواب من «ن».
(٣) في الأصل: الحرمات، والمثبت من «ن».
(٤) في الأصل: أمر، والصواب من «ن».
(٥) في «ن»: من عماد الدنيا.
(٦) في الأصل: بشهوة، والمثبت من «ن».
(٧) في الأصل: وغفلة، والمثبت من «ن».
(٨) في «ن»: لأنه لا يتناول.
(٩) في «ن»: أخذها.

منها شيئاً عفواً، تناوله[1] منه، ومن أجله، وإن أعطاه بسعيه وكده، فهو يدور في سبيل السعي والكد ووجوه المطالب، وهو في ذلك يراقب[2] الله تعالى ماذا يخرج له من هذا السعي من فضله، فيقبله منه، فهذا قد برئ من الدنيا.

وأما ما سوى هذه الطبقة، فقد جرحتهم الدنيا، فتلك دنيا مذمومة، وإنما وقع الذم عليها من أجل فعل العباد، وأما الذي يأخذ هولاً، فليست هذه دنيا مذمومة، وإنما هو رزق ومعاش وتزود، يأخذ العبد من مولاه ليقوم بخدمته؛ لأنه تعالى خلقه للخدمة، وجعل هذه الأشياء كلها له[3] سُخرة، فهو يأخذ من[4] السخرة للخدمة، والآخر يأخذ من هذه السخرة؛ لقضاء الشهوة والنهمة؛ ليفرح بها أيام الحياة، ليلهيه ذلك الفرح عن الله، ويورثه الغفلة حتى يهتاج منه الكبر، وينظر إلى نفسه وهيئته، وما أعطي من الدنيا على الاستدراج، فيعجب به، فبذلك العجب يفاخر[5] الناس، وبذلك الكبر يسفه على الخلق؛ حتى يصير طالباً للعز والعلو والشرف على الخلق، فيحقر من دونه، ويناطح أشكاله حسداً وبغياً، فبالبغي والحسد تصير[6] عبودته للهوى، فهو عبدُ بطنه، عبدُ فرجه، عبدُ هواه، قد[7] دخل في لعنة رسول الله ﷺ حيث قال: «**لُعِنَ عَبدُ الدِّينَارِ، وَعَبدُ الدِّرهَمِ**»[8].

---

(١) في «ن»: فناوله.

(٢) في «ن»: مراقب.

(٣) له: ليست في «ن».

(٤) في «ن»: عن.

(٥) في الأصل: يفوق، والمثبت من «ن».

(٦) تصير: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

(٧) في «ن»: فقد.

(٨) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والأربعين والمئتين.

ثم قال: «بِئسَ العَبدُ عَبدٌ نَسِيَ المُبتَدأَ وَالمُنتَهَى، وَبِئس العَبْدُ عَبدٌ سَهَا وَلَهَا، وَنَسِيَ المَقَابِرَ وَالبِلَى، وَبِئسَ العَبدُ عَبدٌ تَجَبَّرَ وَاعتَدَى، وَنَسِيَ الجَبَّارَ الأَعلَى، وَبِئسَ العَبدُ عَبدٌ هَوًى يُضِلُّهُ، وبِئسَ العَبْدُ عَبدٌ طَمَعٌ يَقُودُهُ[1]، وَبِئسَ العَبدُ عَبدٌ يَختِلُ الدُّنيا بِدِينِهِ»[2].

فهذا كله جاءنا عن رسول الله ﷺ في خطبته.

وقال سبحانه[3]: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

وروي عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ: أنه قال: إن الرجل ليعجبه شِراكُ نعله، يريد به أن يكون أجودَ من صاحبه، فيدخل في هذه الآية[4].

فمن أراد العلو، إنما يطلبه بهذه الأشياء التي في الدنيا حتى ينالها، فيفخر بها، فقد أخذ المذموم، وزال عن ذكر الله تعالى، وما أوى إلى ذكر الله تعالى، فقد أخذ ملعونة، كما قال رسول الله ﷺ، والملعونة لا بركة فيها، وكل شيء نزع منه البركة، فقد صار وبالاً على صاحبه.

(١٥٤٨) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا سعيد بن أبي مريم الجمحي، عن ابن أبي الزناد[5]، عن هشام بن عروة،

---

(١) هذه العبارة جاءت في الأصل هنا، وبعد قوله: الجبار الأعلى، والصواب من «ن».

(٢) تقدم تخريجه في الأصل السابع عشر والمئتين.

(٣) في «ن»: وقال الله تعالى في تنزيله.

(٤) أخرجه الطبري في «التفسير» (٢٠/ ١٢٢) عن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٥) في الأصل: عن أبي الزناد، والصواب من «ن».

عن أبيه، قال: كان عمرو بن العاص ينظر إلى مكة وهو بمكة، فيقول: لعنكِ الله[١]، لا أعني ما حرَّمَ الله منكِ، ذهب الناس بخير الدنيا والآخرة، واغتررنا بك[٢].

فإنما وقعت اللعنة منه على تلك الأشياء التي غرَّته منها[٣]، وهو: هواه وشهوته ونهمته؛ لأنهم كانوا يفاخرون الناس بحرم الله وكعبته، فإنما وقع اللَّعن منه على فخره وهواه وما غره منها[٤]، لا على الكعبة والحرم، فكذلك إنما وقع اللعن على ما غرَّك من الدنيا، لا على نعيمها ولذَّتها، فإن النعيم واللَّذة قد تناولها[٥] الرسل والأنبياء والصدِّيقون، فردَّهم تناولهم إلى الله ذكراً وشكراً، ثم أووا منه إلى المأوى، وهو: حفظ الحدود، والقيام بحقوق الله وفرائضه.

فذلك الذي استثناه[٦] رسولُ الله ﷺ حيث قال: «**الدُّنيَا مَلعُونَـةٌ، مَلعُونٌ مَا فِيهَا، إلاَّ ذِكرَ اللهِ، وَمَا أَوَى إِلَيهِ، وَهُوَ العَالِمُ وَالمُتَعَلِّمُ**»[٧].

وقال الله في تنزيله: ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾[الجاثية: ٣٥]، فنسب فعل الغرور إلى الحياة؛ لأن الهوى والشهوات إنما عملت[٨] في هذا القالب المتجبر[٩] بهذه الحياة التي ركبت في الجسد، والله أعلم.

---

(١) في «ن»: لعنك الله بلداً.

(٢) لم أجده فيما بين يدي من مراجع. وشيخ المصنف ضعيف كما تقدم مراراً.

(٣) في «ن»: بها.

(٤) في «ن»: فيها.

(٥) في «ن»: تناوله.

(٦) في «الأصل»: استثنى، والمثبت من «ن».

(٧) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والثمانين والمئتين.

(٨) في الأصل: عمل، وما أثبتناه من «ن».

(٩) المتجبر: زيادة من «ن».

فهرس الأصول

❒ ❒ ❒